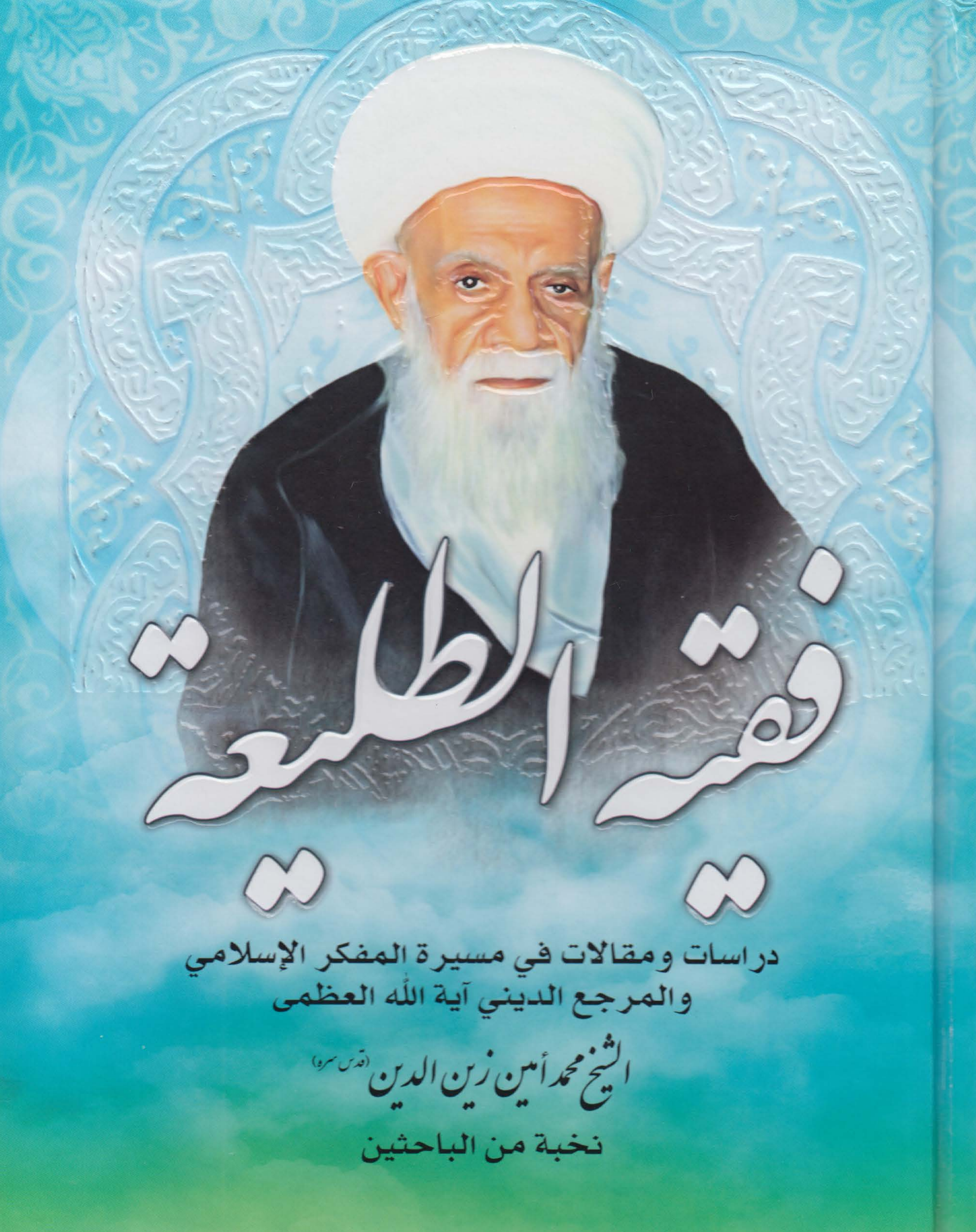


فقيه الطليعة

دراسات ومقالات في مسيرة المفكر الإسلامي
والمرجع الديني آية الله العظمى

الشيخ محمد أمين زين الدين (قدس سره)

نخبة من الباحثين

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com





دراسات ومقالات في معالم مسيرة المفكر الإسلامي
والمرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين
«قدس سره»

نخبة من الباحثين

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - مفرق حارة حريك
قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧

Beirut Airport Road
Tel: 01/450426 Fax: 01/450427
E-mail: alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.net

فرع ثاني: العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة - موبايل: ٠٧٨٠١٥٦١٩٨٠


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اعترافاً بالنعمة، وطلباً للزلفة، وتطلعاً للمزيد. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وفاءً بالحق، وتلبية للأمر.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

وبعد..

إنَّ حياة المفكر الإسلامي الكبير الفقيه المربِّي المرجع الديني الشيخ محمد أمين زين الدين رحمه الله تشكل تجربة رائدة في مسيرة المرجعية الرائدة، وتوعية أبناء الأمة،فهو في طليعة القادة الدِّينيين الذين شقُّوا للأمة طريق الإصلاح والتَّغيير في هذا العصر، وقاموا بمهمّة التّجديد والتّطوير في الثقافة والفكر الإسلامي، وهو المرجع الذي مارس دوره الريادي في النهوض بموقع المرجعية التي تتصل بحياة الناس مباشرة والإشراف على متطلبات المجتمع الإسلامي والنهوض به رغم أن مرجعيته الشريفة كانت في حقبة ومرحلة كانت النجف فبها تعيش ظروفاً سياسية وأمنية واجتماعية قاسية جدًّا، لكنه لم يتوانَ فيها من القيام بوظيفته الأبوية والاتصال بمجتمعه وأمته والنهوض بالحوزة الشريفة، و اهتمامه البالغ بالمعاناة والظروف

القاسية التي عاشها العراق آنذاك، فلقد كان وجوده الشريف يمثل الحياة الكريمة والأنموذج الصادق للمرجعية الرشيدة المتصلة بواقع الأمة وآلامها حتى في أحلك الظروف وأصعبها إذ كان الملجأ والملاذ والأب الحاني العطوف لآلاف الأسر المحرومة في العراق الجريح.

والشيخ زين الدين رَحِمَهُ اللهُ هو ذلك المفكر الإسلامي الذي تحرك في توعية المجتمع من خطورة الفكر الوافد بما يحمل من «أيدلوجية» تصطدم مع الثوابت العقدية والخطوط الرئيسية في الدين الإسلامي، وذلك من خلال إبراز معالم الثقافة الإسلامية وصياغتها في قوالب فكرية تناسب «الجيل الجديد من أبناء الأمة»، فكانت كتبه رافداً يرفد بها المكتبة الإسلامية ومرجعية فكرية لشباب الجيل في حقبة زمنية كانت من أهم معالم الحركة الإسلامية التي انطلقت لمواجهات التحديات الكبرى بين الإسلام وخصومه الجدد يقول عن ذلك الشيخ عبد الهادي الفضلي: «لأن الساحة يومذاك لم يكن يوجد فيها أديب إسلامي ملتزم، سوى أستاذنا الشيخ زين الدين نفسه، وأستاذنا السيد محمد باقر الصدر ويرجع هذا في عوامله ودوافعه إلى انتشار الأدب الاشتراكي» حيث رفد المكتبة الإسلامية بأروع ما صاغه في الفكر الإسلامي ومنها «الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته» و«إلى الطليعة المؤمنة» ويعد الكتابان موسوعة معرفية متنوعة في المعارف الإسلامية تقرأ فيهما ملامح الوعي في ثقافة المفكر الفقيه في تلك المرحلة التي استطاع أن يضع الخطوط العامة للفكر الإسلامي وتوجيه شباب الجيل وتحصينه وقيادته.

وهو مربي الجيل وأستاذه، والأب الروحي للطليعة المؤمنة من شباب الأمة في مرحلة كانت بأمس الحاجة الى توجيه أبناء الأمة وتوعيتهم من الفكر الوافد، فتحضنهم وألقى بكل ثقله عليهم وأخذ يراسلهم ويجيب على مراسلاتهم وفتح نافذة قلبه وفكره على همومهم وتطلعاتهم وكشف غمامة الشبهات وما يختلج في صدورهم،ويحنو عليهم بحبه وتواضعه الكبير وخاطبهم في كتابه (إلى الطليعة

المؤمنة) بلغة الفطرة وروح الدين ورسالة الفكر الإيماني، «ووجدوا فيه ضالتهم التي يبحثون عنها ورافدًا يرفدهم بالثقافة الإسلامية من ينابيعها الأولى. وهو الفقيه الذي شكل في الأساس علاقة تكاملية بين المثقف والفقيه قائمة على تحقيق تقاسم المواقع وتعاضد الأدوار بحيث لا تكون هناك فجوة في الاتجاهات وتباين في المسيرة».

وهو الفقيه الذي خاض عباب الفقه الإسلامي وخط بأنامله الشريفة أكبر موسوعة فتوائيه عرفتها الحوزة العلمية زخرت بمبانيه العلمية وابتكاراته الإبداعية، واستطاع أن يبرز الفقه الإسلامي بلغة فقهية واضحة سلسة خالية من التعقيد والتعسير وتعد هدة الموسوعة الفقهية مساهمة منه في تطوير وتجديد مسيرة الفقه الإسلامي ومتطلبات الحياة، لما تميزت به من الشمولية والسعة، حيث استوعبت جل المسائل الفقهية وفروعها بشكل لم يسبق له نظير في الرسائل العملية المعروفة، وهي محل اهتمام المختصين والدارسين في الحوزة العلمية.

وإيماناً منا أن هذا الجيل الجديد بحاجة إلى قراءة سيرة ومسيرة هذا العالم الجليل والمفكر الإسلامي الكبير والوقوف على معالم مدرسته الفكرية والعلمية وما قدمه للأمة وللفكر من مساهمات كانت لها الريادة في صياغة الفكر وتربية أبناء الأمة، وما قدمه للإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام من خدمات جليلة أبان مرجعيته، قمنا بجمع ما وصل بأيدينا من شتات بحوث ومقالات متفرقة كُتبت حول شخصيته ومعالم مدرسته الفكرية لنقدمها للقراء الكرام في هذا الكتاب تحت عنوان (فقيه الطليعة) اقتباسا من كتابه -إلى الطليعة المؤمنة- الذي كتبه لشباب الجيل -المؤمنين برسالتهم، المتمسكين بدينهم- حيث كان يرى: «أن أنجح المربين في مهمته وأمكنهم من بلوغ غايته، من استطاع أن يتحدث إلى العاطفة بلسان العاطفة، كما يتحدث إلى الفكر بلسان الفكر، وإلى الوجدان بلسان الوجدان...»..

فبين يديك أيها القارئ الكريم صفحات مشرقة كتبها أعلام نهلوا من فكره

ومدرسته ومقالات ودراسات لبعض الباحثين حول سيرته ومعالم مدرسته الفكرية والعلمية، لعلنا نفي ولو بجزء بسيط من حقه علينا وببعض المسؤولية التي نحملها تجاهه ﵀، وتجاه الدين الذي نذر له حياته، وتجاه رسالته التي نهض بأعبائها حتى لقي ربه، ونسال المولى عز وجل أن يُنتفع بهذا الجهد المتواضع، وأن يتغمد فقيد العلم والتقوى الإمام الشيخ محمد أمين زين الدين بواسع رحمته وجميل رضوانه إنه سميع مجيب.


دراسات



آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين قدس سره
تأشيرات في حياته وآفاق فكره وعمله

بقلم العلامة الدكتور السيد عدنان البكاء - العراق
(أحد طلاب مدرسته الفكرية والأدبية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ذلت لعظمته الأرباب، وضلت في معرفة كنهه الألباب، وانقطعت دون مشيئته الأسباب، كمَّت الأفواه فلا تملك أن تقول، ووقفت الإشارات فلا تقوى أن ترشد العقول، وخسئت الحدود فلا تستطيع ان تقترب، وأعيت الصفات فلا تقدر أن تبلغ الأرب، وحارت الأفهام فلا تقرب حتى تبعد، واضطرّت الأشياء بفطرتها فلا يمكنها إلا أن تعرف وتعبد.

والصلاة والسلام على محمد عبده الذي كرم ببعثته البشر، وأنار برسالته الفِكَر وعلى آله مجاري الحكمة، ومعادن العصمة.

تمهيد:

لشيخنا الفقيه الفقيد المفكر الإسلامي آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين رحمه الله - عبر عقوده التي جاوزت

الثمانين عاماً في مراحلها الثلاث - أكثر من جانب يجب أن يؤشر إليه كعلامة بارزة لما مثّله من دور فاعل في العلم والعمل، أسلوباً وغايةً، شكلاً ومضموناً.

وما أخلقه بأن يكون في ذلك كله مثلاً يقتدى على صعيد العمل الفردي في أكثر من جهة، لا بالنسبة لطلاب الحوزة العلمية وأساتذتها في النجف الأشرف فقط، بل بالنسبة لكل الحوزات العلميّة الأخرى في العالم الإسلامي كلّه.. وذلك ما يفرض استجلاء هذه الجوانب صوراً ودلالات ودوافع، بالشكل الذي يجعل ما أشرنا إليه معروفاً وماثلاً، ولئن منعت الظروف - وقتاً وشواغل- عن ذلك على المستوى المطلوب فلا أقل من لمحات سريعة مؤشرة قد تتسع، بمعاودة أخرى، في وقت آخر.

لدى تفتحنا وجيلنا في الحوزة العلمية في السبعينات من التاريخ الهجري والخمسينات من الميلادي على الحياة الأدبية والفكرية لم نجد في الساحة أدبا وفكراً إسلامياً أصيلاً نرتكز إليه، ونقتدي به على المستوى العام وراء ما ترفدنا به مصر إلاّ لدى أفراد معدودين، كان شيخنا -أعلى الله مقامه- في طليعتهم.

ومع أنه كان يعدّ- آنذاك - من أعلام الحوزة العلمية، وأساتذتها الكبار المنظورين، فإنه قد جاوز برسالته ووعيه وأخلاقه دنيا الاعتبارات في الإطار التقليدي الحوزوي، فعمل كما ينبغي للرجل الرسالي، وطبقاً لما تمليه متطلبات المواجهة في السّاحة الفكرية والثقافية في دروسه، ومجالسه وتوجيهاته، ورشحات فكره وقلمه، كل ذلك بعفوية وصدق محسوسين.

كان رَحِمَهُ اللهُ لا يحسب لما وراء المسؤولية والغاية الرسالية حساباً، وما أكثر الشواهد التي وعاها ذلك الجيل - بخاصة أولئك الذين تماسّوا معه - بصورة مباشرة أو غير مباشرة في دروسه النظامية - طبقاً للنظام الحوزوي- أو الأخرى المفتوحة في ما وراء ذلك والتي يصلح كلٌّ منها ليُقدم به رَحِمَهُ اللهُ على مستوى القدوة

في العلم والعمل، والمسار والأسلوب، تلك هي البدايات المنظورة لنا والتي تصاعدت -دون اختلاف- بصمت واستقامة حتى آخر مراحل حياته حين أصبح أحد كبار فقهاء النجف ومراجعها العظام.

كان الرجل الذي لم يستعمل في التأشير لنفسه شيئاً، وراء خطه المستقيم وسلوكه القويم، وتقواه وعلمه ورساليته، وكما كان منذ بدأ وعرف لأول مرة دون اختلاف.

إن مساره دارساً، ومدرساً، وشاعراً، وكاتباً ومفكراً أصيلاً، وعالماً موسوعياً، وفقيهاً، ومرجعاً كبيراً، وأخلاقياً، يشكل كياناً ذا ملامح خاصة متميزة على مستوى الأمثلة الشوامخ، ولا نظن أن هذه اللمحات ستكون على مستوى الوفاء في الحديث عنه.

إن صورته - كما وعيناها - تمثّل مجمل الصفات التي هي على مستوى النموذج في طلاب وخريجي وأساتذة ومراجع جامعة النجف الدينية، في الأخلاق والمؤهلات والعلم والعمل، فهي -إذن بنظرة- صورة الجامعة العلمية في النجف الأشرف من خلال واحد من أعلامها البارزين.

ومن هنا تأتي الصعوبة في أن نقدم له مع ما أشرنا إليه من شواغل وضيق وقت صورة قلمية واضحة الملامح كما يرسمها تاريخ مسيرته العلمية، ومجموع صفاته وملكاته ومواهبه ومَدَيات عطائه، بعواملها الذاتية والموضوعية، في الأمس واليوم.

إن ذلك يطلب منا - بطبيعته - أن نتعرف عليه أسرة وبيئة، طالباً وشاعراً وكاتباً مُميّزاً، ومدرّساً، ومفكراً عقائدياً، ومؤلفاً وأخلاقياً ومرجعاً دينياً، رسم للحوزة منهجاً إصلاحياً متميزاً في مستوى الدعم وشروطه وفي الانفتاح وسعة الرؤية.

ولا بدّ من أن ندرس أيضاً نهجه وأسلوبه في الحياة والعمل وفي الحوار

العلمـي، مفردة بعد أخرى، وإذا كان ذلك متعذراً في هذا الظرف، فليكن ذلك على سبيل التأشير تحت العناوين الخاصة لهذه المحطات الكثيرة.

نَسبهُ وأسرَتهُ:

هو الشـيخ محمد أمين بن الشـيخ عبد العزيز بن الشيخ زين الدين بن علي بن الشيخ زين الدين بن علي بن مكي البصري ثم البحراني.

كان أبوه الشـيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ المتوفى سنة ١٣٤٧هـ. من علماء محافظـة البصـرة، وكذلـك كان جـده الأدنى الشـيخ زين الدين رَحِمَهُ اللهُ وهـو أول من هاجر من البحرين إلى البصرة.

أما جده الأعلى الشـيخ زين الدين بن علي الأول فقد كان من علماء البحرين المعروفين في عصره.

فشـيخنا رَحِمَهُ اللهُ -إذن- ينحـدر عن بيت عريق في العلـم والدين، عرف أفـراده بمسـحة مميزة خاصة في البسـاطة والصـدق الفطري، والأخـلاق الفاضلة والولاء والتقوى.

وتروى عن والد شيخنا رَحِمَهُ اللهُ في ذلك شواهد ذات دلالة فائقة في ذلك.

ولادتهُ ونشأتهُ:

فـي ليلـة مباركة من شـهر مبارك[١] من سـنة ١٣٣٣هــ، ولد شـيخنا المعظم (قدس الله نفسه الطاهرة).

كان مسـقط رأسـه في قرية (نهر خـوز) من قضاء أبي الخصيـب في محافـظة البصـرة، وبهـذه الربـوع الخضـراء الوادعـة الجميلـة، الممتدة على ضفاف شـط

(١) هي الليلة التاسعة عشرة من شهر شعبان المعظم.

العـرب، وفي ظل غابات النخيل والسـدر والمانـكًا، بين زقزقـة العصافير وأغاريد العنادل من جهة، وبين أصـوات المجاديـف وأناشيد الملاحين في شط العرب من جهـة أخرى، فتـح عينيه وقضى أيام طفولته المباركة، وفـي مناخ الدين والتقوى مع أبيه وأفراد أسـرتهِ الكريمة ثم أهل الولاء مـن المؤمنين في المنطقة تفاعل في الأيام الأولى من صباه.

ولا بـد أن يكـون لذلك كله أثر في ما امتاز به من صفـاء وتفتح، ورهافة حسّ وتـذوّق شـاعري للجمـال، بمعناه الأوسـع، وفـي ما طُبـع عليه من حرية وبسـاطة وتواضـع وصدق عفـوي في التعامل، مضافـاً لما أخذ به نفسـه وراضها عليه، على علمٍ ووعي من أخلاقٍ نفسيةٍ وعمليةٍ، شأن الكبار من أهل المعرفة.

بداياتهُ الدراسِيَة (المقدمات) وأساتذته فيها:

يبدو أن والد شيخنا المعظم -قدس الله نفسه- تعّهده باكراً بالتوجيه والتعليم، فحيـن جاء شـيخنا -رحمة الله عليه- وأخـوه الأصغر العلامة الحجة الشـيخ علي رَحِمَهُ اللهُ [1] ليلتحقـا بالحـوزة العلمية سـنة ١٣٥١هـ وعمره لما يجاوز الثامنة عشـرة. كان قـد أكمـل بإتقان مقدّمـات الدراسـة الحوزويـة، نحواً وصرفاً وبلاغـة ومنطقاً وأصولاً، على يد والده الجليل في قسـم منها وعلى يد العلامة الشـيخ عبد الحميد الخاقانـي وعلى ولده آية الله الشـيخ محمد طاهر الخاقانـي المحمـري -رحمهما الله- في القسم الآخر.

المَرْحَلة العليا من السطوح:

ولذلك باشـر دراسـة المرحلة العليا من السـطوح، وكان من أساتذته فيها آية الله العظمى السـيد الخوئي -قدس الله نفسـه- وقد أخبرنـي انه درس عليه الكفاية

(١) لشيخنا رَحِمَهُ اللهُ أخوان آخران هما الشيخ حسين الذي يقيم في نهر خوز حتى الآن، والشيخ عبد الله، وقد انتقل إلى جوار ربه سنة ١٩٩٣.

في الأصول للمحقق الخراساني رَحِمَهُ اللهُ.

وكان من أساتذته فيها آية الله الشيخ باقر الزنجاني، وآية الله السيد عبد الله الشيرازي، وآية الله السيد جواد التبريزي -رحمهم الله- وقد درس عليهم الرسائل والمكاسب.

التفسير:

وحضر درس التفسير على العلامة الحجة الشيخ محمد جواد البلاغي رَحِمَهُ اللهُ وهو -كما يبدو من حديثه- مملوء إعجاباً به وتقديراً لعمله وموسوعيته وأسلوبه وجهادهِ، وبعض كتاباته وكتبه كانت تأثراً بأستاذه هذا وانعكاساً لخطه وفيه تأشير إليه كرسالات السماء.

الفلسفة والعرفان:

ودرس الفلسفة على الأساتذة الحجج الشيخ علي محمد والد آية الله الشيخ مرتضى البروجردي، والسيد حسين البادكوبي، والسيد جواد التبريزي -رحمهم الله- وعلى أستاذه الأكبر الشيخ محمد حسين الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ ويبدو أنه أكثر تأثراً بهذا الأخير من أي شخص آخر، وذلك واضح من حديثه وانطباع آرائه لديه، ومنها ما يمكن أن نقرأه في إجابته على سؤال: (يا من دل ذاته بذاته)[١].

وقد رأيت بعض تقريرات درسه في الفلسفة بخطه وقد برزت فيها قدرته البيانية -كما في غيرها- رغم موضوعها الدقيق والمعقد الذي يفرض أسلوباً علمياً خاصاً.

---

(١) في تراثه الذي لم يطبع حتى الأن وقد ذكر لي رَحِمَهُ اللهُ أن الشيخ الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ حدثه أنه تلقاه إلهاماً في حرم الكاظمين عليهما السلام والراي الذي نعنيه هو أن كونه واجب الوجود يقتضي أن تكون ذاته دالة على ذاته.

وذكر لي أنه التقى الأخلاقي المعروف السيد علي القاضي رحمه الله وقال:

إن للقائه أثراً في النفس وإن لكلماته نفوذاً، وكنت حاضراً في مجلس ضمه وآية الله الشيخ البروجردي فكان حديثهما يدور حول السيد المذكور رحمه الله وانطباعات والد الشيخ البروجردي أستاذ الشيخ رحمه الله عنه وبعض ما سمع من أقواله وأحواله الملفتة..

دراساته المعاصرة:

من يقرأ كتب شيخنا رحمه الله يجد أنه درس دراسة شخصية بعض الفلسفات المعاصرة والعلوم الطبيعية التي تتماس والمفاهيم المتصلة بالعالم والعصر، كعلوم الحياة والفيزياء والفلك، وكعلمي النفس والاجتماع وتاريخ الأديان المقارن وذلك مما لا يهتم به الدارسون في الحوزة عادة إلا استثناءاً، ومن قبل أفراد لهم نزوع شخصي نحو الموسوعية والمعاصرة رغم أن ذلك ضرورة في التعامل مع العصر، ولغته ومفاهيمه، ويكفي في التعرف على ذلك أن تقرأ كتابه (الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته)، وتقرأ تحت عنوان (هل يستطيع العلم أن ينظم الحياة؟): وقفته من الفلسفة الماركسية والمنطلقات الفلسفية الأخرى السابقة لها بدءاً من فلسفة. هيجل، واوجست كونت، ولودفج فيورباخ، وفيتشة. وتتأمل كيف يحلل ويحاكم ويحكم برؤية ووضوح ومنطق حاسم. واقرأ رسالته في كتابه (إلى الطليعة المؤمنة ص ٩٥-١٠٥) حول نظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو ومن سبقه كتوماس هوبز وجون لوك، والفرق بينه وبينهما والأساس في اهتمام الغرب بالنظرية، وعدم اهتمام الإسلام بها لانتفاء هذا الأساس لديه.

واقرأ هناك معلوماته في الفيزياء وعلوم الطبيعة من (ص ٦٢ حتى ٨٧) تحت عنوان شكوك حول الدين من (ص ١٢٥ حتى ١٣٥) من كتاب (الإسلام)، واقرأ حول علم الأديان المقارن ما كتبه تحت عنوان: (مقارنة الإسلام مع الأديان) وتحت عنوان (لا

تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا) من ص (٢١٢ إلى ٢٢٥) وغير ذلك، مما لا مجال للتأشير إليه.

وتجد إشارات كهذه في جوانب أخرى ومتابعة لأحوال المجتمعات اللا إسلامية (الغربية خاصة) وما تعطيه الاحصاءات على ما وصلت إليه الأخلاق وأوضاع الأسرة كما في كتابه (العفاف بين السلب والإيجاب) و(من أشعة القرآن) و(إلى الطليعة المؤمنة).

دراساته العُليا (الخارج) وأساتذته فيها:

التحق شيخنا -قدس الله نفسه- بعد ذلك بالدراسات العليا أو (البحث الخارج) -حسب ما يطلق عليه في الدراسة الحوزوية- لدى أعلام ذلك العصر ومراجعه في الأصول والفقه، فحضر بحث الشيخ أغا ضياء الدين العراقي (قدس سره) المتوفى في سنة ١٣٦١ هـ وهو من أبرز أساتذة الأصول آنذاك. وقد لازم دروس الشيخ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبع سنين، وكتب تمام تقريرات درسه في الأصول (هذا ما سمعته منه شخصياً)، وإذا ما علمنا ما تقدم من تاريخ وفاة الشيخ العراقي فإن حضور شيخنا لديه يكون قد بدأ سنة ١٣٥٦ -كما في تقريره لبحثه تَتَرُّئُ إن لم يكن قبلها، وهذا يعني أن عمره لدى التحاقه بالدراسات العليا كان بعد العشرين بقليل، وذلك بعض دلائل نبوغه وتفوقه اللذين نم عنهما استيعابه لدروس هذا الأصولي العظيم وكتابته لها كاملة ومؤشرات أخرى معروفة متقدمة ولاحقة.

واستمر شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد وفاة استاذيه العلمين العراقي والاصفهاني (رحمهما الله) يواصل الحضور في بحث آية العظمى السيد الحكيم (قدس الله نفسه) لعدة سنوات، ورغم انه -كما قال لي- لم يحضر بحوث الخارج لآية الله العظمى السيد الخوئي رَحِمَهُ ٱللَّهُ استاذه في المرحلة العليا من السطوح فقد ظلَّ على علاقة حميمة بِهِ حتى آخر أيامه، ويكفي للتدليل على ذلك انه من صاغ بقلمه امتثالاً لرغبته - بحوثه في علوم القران والتفسير والتي صدرت باسم (البيان في تفسير القرآن).

كتب عنه قبل ٤٤ عاماً الأستاذ علي الخاقاني صاحب البيان فقال في ترجمته ص ٢٩٥ من كتابه شعراء الغري ط١: «والمترجم له شخصية علمية رصينة تلفعت بالفضائل وتمنطقت بالعفة والتقى مثال الإنسان الذي ينشد الكمال ومقياس الشخص الذي يحب الخير ويسعى للحق عرفته بهذه الصفات وأكبرته لها، وأشدت بفضله في كثير من أحاديثي التي أقوم بها أثناء زيارتي للأصدقاء».

وكتب العلامة الحجة الشيخ أغا بزرك الطهراني رحمه الله في طبقات أعلام الشيعة -قبل أكثر من خمسين عاماً- وهو يترجم لشيخنا الذي كان ما يزال في الثلاثينات من عمره بقول: «وهو اليوم من الفضلاء المبرزين في حلقات دروس أعلام العصر وممن يؤشر إليه في الكتابة وحسن السيرة».

وذكر المؤشرات الأولى مما طبع من نتاجه العلمي والأدبي فقال: «وله تصانيف جيدة نافعة منها (مع الدكتور أحمد أمين) ردّبِهِ على كتابه المهدي والمهدوية، و(الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام) وهما مطبوعان. وله ديوان صغير سماه (أمالي الحياة)».

جديته طالبا وأستاذاً:

كان انصرافه للدرس والبحث وجديته في ذلك على مستوى المثل والقدوة، فهو لا يضيع من وقته -في غير اضطرار- شيئاً لا أيام دراسته للمقررات العلمية في المقدمات والمرحلة الأعلى من السطوح، ولا أيام دراسته العليا (بحوث الخارج). حتى أيام العطل المقررة -كالخميس والجمعة ومناسبات مواليد ووفيات المعصومين عليهم السلام -قد كيّفها لتصبح دروساً لا نظامية في الأدب -خاصة-، نثراً وشعراً، ليجمع بها بين هدفين؛ الترويح بالطرائف الأدبية قراءة وإنشاءً، وإيجاد المناخ الأدبي الذي يربي ذوق طلابه وحضار مجلسه، (وسيأتي الحديث عن ذلك -إن شاء الله-).

ومما ينقل عن جديته الصارمة أنه قال لأحد أساتيذه وهو السيد الشيرازي، وقد رأى أن درسه من الناحية الكميّة لا يبلغ قدراً كافياً، ربما بالنظر لقدرات الشيخ رحمه الله خاصة قال له:

«هل ترون أن هذا المقدار من الدرس يومياً يسوّغ لي أن أعيش على سهم الإمام عليه السلام»، ثم ترك أستاذه هذا إلى آخر.

ولم يرض أن ينصرف طلابه في غير أيام التعطيل لأي عمل آخر ... نقل لي الدكتور صالح الظالمي أنه دخل رحمه الله ذات يوم غرفة الشاعر المعروف الدكتور مصطفى جمال الدين رحمه الله (وكان من أبرز وألمع طلابه) فرآه منبطحاً وبين يديه دواوين شعر قديمة وحديثة لعدد من الشعراء، فقال في أسى -رغم حبّه للشعر-: (لو بذل السيد جمال الدين هذا الجهد الذي يعطيه للشعر لدراسته الحوزوية لأصبح مجتهداً).

استقلالُه واجتهادُه:

قلنا: إن آخر أساتذة شيخنا رحمه الله في الدراسات العليا كان السيد الحكيم رحمه الله المتوفى ١٣٩٠هـ. وقد حضر لديه الشيخ رحمه الله عدة سنوات حصل بعدها وفي حياة أستاذه السيد رحمه الله على الاجتهاد المطلق، واستغنى عن الحضور واستقل منهجاً ورأياً.

إجازاته في الحديث:

حصل من بعض أساتذته السابقين على إجازات في رواية الحديث. هكذا ذكر لي رحمه الله على الإجمال دون تسمية لأحد منهم.

المراحل الثلاث لحياة شيخنا رحمه الله وعَمله:

يمكن أن نقسم تاريخ شيخنا رحمه الله ونشاطه التربوي والعلمي في ضوء المعطيات ومؤشرات الواقع إلى مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: دراسات ضمن مقررات الحوزة وتلبية النزوع للموسوعية

تمهـــيد:

كان اهتمام شـيخنا في هـذه المرحلة ينصب على الدراسـة للمقررات ضمن منهج الحوزة في المقدمات والمرحلة العليا من السـطوح دارسـاً ومدرّسـاً، ثم إلى تلبية نزوعه للموسوعية بقراءة الفلسفات والعلوم المعاصرة التي كانت وراء التطور والتغييـر في الحضارة العالميـة، ومحاولة التعرّف على لغتهـا ومفاهيمها، ومواطن القوة والضعف فيها، ثم الاهتمام بالأدب العربي نثراً وشعراً.

في اهتمامه بالأدب شعراً ونثراً وخلفياته في ذلك وبعده في طلابه ومؤلفاته

قد كان لشـيخنا رحمه الله في هذه المرحلة اهتمام بالغ أيضاً بالأدب العربي شـعراً ونثراً ولا بد أن يكون ذلك لعوامل منها:

أولاً: طبيعة المنهج الحوزوي الذي يعطي للغة العربية وآدابها مكاناً واسـعاً، كمقدمات يفرضها الإعداد لفهم لغة الكتاب والسنة وبيانهما.

ثانيـاً: طبيعة المجتمع النجفي الذي يسـوده -بحكم ما أشـرنا إليه- الاهتمام بالأدب في مجالسه العامة والخاصة، وبخاصة الشعر.

ثالثاً: إن ذلك ما يحتّمه الذكاء والذوق والحسّ المرهف (وهي ميزات عرفت عنـه) حين يتفاعل مع العامِلَين الأولين، فتنعكـس آثارهما على ذوقه وأخيلته وفـي رؤيـته للطبيـعة. وللكلمة والفكرة والأسلوب، وهذا ما كان فقد برع شيخنا رحمه الله في الشـعر والنثر معاً. وعرف بذلك في مجالس النجـف وجمعياتها وصحفها وأنديتها الأدبية مـعاً. وكتب عنه الذين أرّخوا للأدب في هذه المدينة. فاقرأ على سبيل المثال ترجمته في الجزء السابع من (شعراء الغرى) للخاقاني من ص٢٩٤ إلى ص ٣٠٤.

وترجمته في (رجال الفكر والأدب في النجف للشيخ عبد الهادي الأميني وغيرهما.

يتحدث الأستاذ الشيخ علي الخاقاني من ص٢٦٥ فيقول: «وقد حباه الله بموهبة عالية في الأسلوب فهو موفق فيه يستولي على الألباب الواسعة ويهيمن على القلوب المتحجرة وأحال إلى كتبه كشاهد على ذلك ونشر له مقالاً بعنوان (بلال يؤذّن) هو بالفعل من أروع نماذج النثر الفنية في الأدب العربي المعاصر.

ولولا أنه رَحِمَهُ اللهُ -وبحكم انصرافه بالجدية التي أشرنا إليها لدراسة العلم- لم يعط للأدب إلا وقتاً محدداً، وضمن مناسبات محدودة مما يجعله أقل تواجداً مما هم الآخرون من أهله في الساحة لكان يأتي في مقدمتهم شهرة وتقدماً فيه.

يقول الدكتور والشاعر المعروف المرحوم السيد مصطفى جمال الدين -وهو من طلاب الشيخ البارزين- حين يتحدث عن أستاذه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من هذه الناحية في مقدمة ديوانه.

وكان هذا الشيخ بالإضافة إلى علمه الجم شاعراً من طراز متقدم وكاتباً بارعاً ذا أسلوب متميز لعله أقرب إلى أسلوب الزيات[1].

الشعر:

وقد لايعلم أكثر الناس أن الشيخ في تلك الأيام نظم رواية شعرية كاملة لا تقل -في بنائها الروائي الفني وشاعريتها ومضامينها مواقف وأسلوباً في الحوار وأفكاراً وتصويراً للمشاعر والنزعات كما يفرضها الحال- عن أرقى ما عرف من الروايات المعروفة وقتها. لكن شيخنا أخبرني بنفسه -أنه ألقى هذه الرواية في

(١) أما السيد عدنان البكاء (من طلاب مدرسته الفكرية والأدبية) فقد قال في رثائه له:

وادبياً اعطى الحروف شموخا ... اين منها رسالة الزيات
شع من نهج حيدر فيه معنى ... علوي ينير كل الجهاتِ

مرحلة أخرى في البئر دون أن يعلم أن بعضهم قد سرقها واستنسخها قبل ذلك...

ولولا أن الناس لا تضع نتاج العلماء والفقهاء والكبار في إطارها الصحيح، وفي مرحلتها الزمنية من حيث العمر والحالة، وكأدب وفن كان ينسجم من حيث الدوافع وأسلوب التعبير مع مناخ الثقافة السائد من حيث الأغراض والتعبير عن القدرات. وإيصال الأفكار لكان من الواجب أبراز هذا الأثر الأدبي والفني الرائع أو مقاطع منه هنا على الأقل للتدليل على الإمكانات المتقدمة لشيخنا رَحِمَهُ الله في شبابه من هذه الناحية ومن قبل قال أحد العلماء:

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

لقد أعرض شيخنا عن هذا المستوى من الاهتمام بالشعر، لكنه لم يفقد بالتأكيد ملكاته ومواهبه المتميزة في ذلك. وآخر ما يحفظ من آثاره الشعرية يقف عند أواخر الخمسينات وبداية الستينات من القرن الرابع عشر الهجري ١٣٥٩ و١٣٦٤هـ.

ومن ذلك رثاؤه للعلامة التقي المرحوم الشيخ عباس القمي المتوفى سنة ١٣٥٩هـ، وكان بينهما مودّةٌ وخلّة..

قال فيها رَحِمَهُ الله يخاطبه (دون احتفاظ بتسلسل الأبيات).

أيها الراحل الذي ترك الدين ... على فقده حزيناً ثكولا
لك نفس قد صاغها الله للقدس ... مثالاً وللعباد دليلا
ومذ أستكملت من الزاد للأخرى ... ونالت بفعلها المأمولا
خلعت بردة التشكّل واجتازت ... بأنوارها تباهي العقولا
أعجلت فيك إذ دعيت إلى الله ... ولا زلت في لقاه عجولا
رفعتك التقوى مقاما فاصبحت ... على مفرق الهدى إكليلا
وحفظت الدين الحنيف ومثلت ... لنا المصطفى به تمثيلا

وقال:

ظهرت فيك للصلاح سمات خولتك التعظيم والتبجيلا
وغدت بعدك المنابر ثكلى حيث لم تجد من علاك بديلا
فقدت منك مرشداً ينشئ القول بيانا طلقاً وباعاً طويلا
وخطيباً يلقي المقال سهاماً فيصيب الإلحاد والتعطيلا
حجج تكشف الغطاء عن الحق وتهدي إلى الرشاد سبيلا

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جف ذاك اليراع من بعد أن أجرى على الملحدين يوماً مهولا
بعد أن أوسع المذاهب نقداً وتمادى في درسها تحليلا
شاهدت فعله المواضي فودّت لو تجاريه في النضال قليلا
ولسان اليراع أصدق في الضرب وأمضى عند التفاهم قيلا

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مصوراً حزنه عليه ونظرته إليه:

أي نعش ضمت حناياه للعلم أخاً صادقاً وخلاً وصولا
روعة القدس البسته سجافا يملؤ القلب دهشة وذهولا
عكفت حوله الملائك تعظيما وطافت به قبيلاً قبيلا
تتباهى في حمله فكأن الركن ما بينها غدا محمولا

ومن شعره هذه القصيدة التي نظمها في مولد الرسول الأعظم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سنة ١٣٦٤هـ وهي طويلة تتجاوز السبعين بيتاً نقدم منها هذه النماذج:

ماذا بمكة فهي تزهو منظراً وتميس قِدّا
من زلزل الأصنام عن أنصابها قسراً وأردى
نبأ يجلّ مقامُه من أن يعرّف أو يحدّا

نبأ لـه قلـب الجـزيـرة كـاد أن ينقدّ قَدّا

***

عهدَ النبوة طبت عهدا لبست بك الأيام عقدا
والدهرُ إن رام الفخارَ فمِن عُلاك قد استمدّا
فبنورك استهدت قلوب في عمايتها تردّى
جهلت قريش فما رعت، لك بينها رحماً وودّا
ورمتك بالأحقاد حيثُ استهدفتك اذىً وطردا
فبعين ربّ البيت.. ما قاسيته في الله جهدا
وبعين ربّ البيت تنأى عن جوار البيت بُعدا
جهلت بأن البيت يثكل حين تبعد عنه صدّا
فرحلت ميمون النقيبة منجزاً لله عهدا

ويلتفت ليخاطب المدينة فيقول:

فاستقبليه وارفعي بذراك للإسلام بَندا
لَبّيتِ دعوتهُ فكنت لسيف دعوته فَرَنْدا
فاستنقذي الأجيال من أوهامها بالسيف قصدا
ولتضرع الأمم الرهيبة للثرى وجهاً وخَدّا
من حاربَ الأقدارَ كان لحتفه يسعى مُجِد

ورغم ان هاتين القصيدتين -وهناك عدد آخر من القصائد يناظرهما- من جيّد الشعر. فإن شيخنا لم يدخلهما في ديوانه (أمالي الحياة) الذي أشار إليه الحجة الشيخ أغا بزرك رَحِمَهُ اللهُ في ترجمته للشيخ في طبقات أعلام الشيعة، واقتصر على ثنائيات ومقاطع قصيرة في الحكَم والنقد الفكري والاجتماعي والأخلاقي.. نذكر منها بعضاً مما يمثل -كما نرى- أخلاقه أو منحاه الأخلاقي -كما يعرف

ذلك القريبون منه-، وبعضاً ممّا يمثل تجارب ونقوداً ونظرات خاصة رائعة العبارة والتأشير من الناحية الأدبية، ونسوقها هنا دون شرح، منها قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنا حرّ في الحق لست أبالي إن تخلّيتُ عن علائق جنسي
ولو أني وجدت فيه سبيلاً لقطعت الصلات حتّى بنَفسي

وقوله -يرحمه الله-:

حاربتْ نفسيَ الرياءَ نفوراً منه حتى رميتها بالرّياءِ
وأطالت في نقده فأرتني أصدقائي الأدنين من أعدائي

وقوله (يرحمه الله):

قال لي ناصح: تحبّب إلى الناس تداوي الأخلاقَ بالأخلاقِ
فتعجّبت مِنه كيف يُرجى أن أداوي نفاقهم بنفاقي

وقال (يرحمه الله):

وخصال أعدّها لي ذنوباً عدّها الآخرون من إحساني
كلنا يُبصِرُ الحقيقةَ لكن قد يكون المنظار ذا ألوانِ

وهي تعكس بوضوح معاناةً خاصة كابد منها في ظرف أو آخر.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخرَسَتْهُ الأيامُ فالتزم الصمت وقد كان شاعراً عبقرياً
حفرت قبرَهُ العبيد التي رام هُداهَاً وكفنت منه حياً

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحكمة والأخلاق متحدثاً عن نفسه وهو يريد غيره أو ما هو أعم من نفسه:

يتحداني العدو فأسمو بصفاتي عن كل وردٍ ذميمِ
ويريني بالنقد كلَ خفيٍّ أزدريه من خُلقيَ المكتومِ

فـإذا بـي أرى الـعـداوة ضرباً   مـن ضـروب الإرشـاد والتعليم
وإذا مـا استفدته مـن عـدوّي   ضِعفَ ما أستفيده من حميمي

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشيراً إلى واقع تعصّب الإنسان لأفكاره التي نشأ عليها:

رُبَّ فكرٍ ناضلت عنه طويلاً   ثـم ألفيته عـلى غيـر أسِّ
وإذا بـي أنـازعُ الـحـقّ كيما   يرتضيه لأنـه ظـلّ نفسي

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مـن ذنـوبـي أنـي أصـرّ على شـيءٍ   تلقّيت عِلمـه فـي شبابـي
رُبّ بـاب فتحتـها لا لمعنىً   أوصـدت دون فكرتي ألـفَ بابِ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كـم تمنيت مستحيلاً فضيعت   زمـانـاً مـن فرصتي بالتمنّي
فـأنـا جـاهـلٌ ولـكـن يسلّيني   أنـي وجـدت أجـهـلَ منّي

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد يريني الصديق لوناً من العتـ   ـب فـأقـسـو أمـامـه لِيَلينا
ويريني الـعـدو نـوعـاً مـن الجور   فـأغـضـي عـن فـعـلـه ليهون

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رُبّ وقـتٍ أضـعـتـه بـالأمـانـي   وتـأسـفـت بـعـدهُ كـيـف ضاعا
وإذ بي أضيّع وقتين من عمري   بـشـيءٍ لـم أحـوِ منه انتفاعا

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النقد:

بعـض الأنـام دفـاتـر مـمـلـوءَةٌ   بالحـفظ إلا أنّـهـا لا تعقِلُ
تـروي حـديـث الأولـيـن وتنتهي   بـالآخـريـن وكـل شـيءٍ تجهلُ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كثُرَ المدّعون حتى سرى الشكّ وضلّت قواعدُ البُرهانِ
لا تقولوا الميزانُ يُثبِتُ شيئاً إن صدقتم فالعيبُ في الميزانِ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إنما الدين وحدةٌ لقلوبٍ ربطَ الدين بعضَهُنَّ ببعضِ
فإذا رثّتِ العقيدةُ يَوماً قلبَ الجور حبّهُنَّ لِبُغضِ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أقاموا بأموال المساكين هيكلاً يشيّده باسم العدالة جائرُ
وقالوا:هنا تحمى الحقوق، فقلت قد يكون ولكنّ أين تشرى الضمائر؟

***

قد يرى البعض أننا تحدثنا عن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقدّمنا من الشواهد هنا أكثر مما تحتمله هذه اللمحات السريعة، ولكن ذلك بحسابنا تفرضه أمور:

الأول: أنه الجانب الذي يجهله أكثر الناس من ملكات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومواهبه.

ثانياً: لأن بعضها يتصل بأخلاقه كما عرفت وبعضها برؤياه ونظرته للأمور وهو جانب هام في التعّرف على شخصيته في ترجمة له رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثالثاً: أهمية مضامينها التي وددنا أن يفيد منها قراء هذه الترجمة لهذا الشيخ القدوة -أعلى الله مقامه- ولو وسعنا أن نورد أكثر من ذلك لفعلنا.

أسلوبهُ ونَثرهُ الفني:

عرف شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه كاتبٌ من طراز رفيع تّميز بقدرته البيانية، وأسلوبه الفني الخاص، الذي كان يصافّ بهِ، أعلى ما عرف من مستويات النثر الفني في

تلك الفترة، ممثلاً بالاستاذين محمد صادق الرافعي وأحمد حسن الزيات، مع خصوصية مضمونه وموضوعاته.

وبلغ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في ذلك حدّاً من المكنة حتى أصبح يكتب بهذا الأسلوب بيسر ودون كلفة، كما لو كان فطرةً أو طبعاً، فأصبح جزءً من شخصيته، فلا فرق لديه، وهو يكتب بهذا الأسلوب الفني بين أن يكون الموضوع بطبيعته علمياً، أو فلسفياً، أو أدبياً، إلا إذا أراد أن يتكلف الكتابة بغير ذلك على عمد انسجاماً مع ما يقتضيه الموضوع الخاص، كما في رسالته العمليّة.

وربما رأى البعض أن الأسلوب الأدبي الفني لا يصلح لتقديم الموضوعات الفلسفية والعلمية لأنها تقتضي البرهنة، والكتابة الأدبية تعجز عن تقديم الأقيسة واحتواء المقدمات والنتائج.

وهذا صحيح إذا كان المقصود الشكل لا المضمون، أي شكل القياس لا مضمونه لأن القياس -بمقدّماته ونتائجه- قائمٌ مضموناً في الأسلوب الأدبي، بل إن المقدمات والنتائج تقدم نفسها فيه بصورة أكثر فعلاً في النفس، وأكثر جلاء في العقل مما هو الأمر في الأسلوب المنطقي والفلسفي بشكلياته ومفرداته. ولكي تتأكد من ذلك اقرأ - إذا شئت- شرح الشيخ ابن ميثم تَنِيَّ للخطبة الأولى من نهج البلاغة، وما قاله -وهو يشرح الفقرة- «وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» وبقية الفقرات، من الخطبة الأولى، في نهج البلاغة:

«وما تحدث به هناك عن ماتضمنته هذه الفقرات من القياس المفصول المركّب الذي تطوى فيه النتائج. وكيف أن هذا القياس ينحلّ إلى قياسات تشبه قياس المساواة لعدم الشركة بين مقدمة كلٍ منها في تمام الأوسط فيحتاج كل منها إلى قياس آخر»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة، للشيخ ابن ميثم البحراني، ج١ ص١٢٠ ط طهران ١٣٧٨ هـ.

وتناول السيد الطباطبائي (التوحيد في نهج البلاغة) ضمن كتابة (الميزان في تفسير القرآن) وساق فقرات مختارة من خطب الإمام عليه السلام في ذلك.. وقال بعدها:

«إنه لا يجد حاجة ليتحدث عما تعطيه البرهنة الفلسفية في ذلك، فكل ما يمكن سوقه من البراهين الفلسفية. قد احتواه كلام الإمام عليه السلام».

وإذا كان الأمر كذلك أي أن الأسلوب الأدبي يمكن أن يحتوي بصورة مطوية الأقيسة البرهانية مقدماتٍ ونتائج فإنه يتميز بخصوصيّات لا يشاركه فيها الأسلوب العلمي والفلسفي هو أنه أكثر نفوذاً وفعلاً في النفس، وأكثر قدرة على الإيصال وتحريك دواعي التفاعل معه قلباً وعقلاً.. ففرق كبير بين أن تقرأ موضوعاً دينياً يتحدّث عنه فيلسوف، وبين أن تقرأه حين يتناوله القرآن أو الرسول صلى الله عليه وآله الذي أوتي جوامع الكلم، أو بلسان علي عليه السلام، وجرب أن يكتب لك فيلسوف مثلاً مضمون: «من حدّه فقد عدُّه ومن عدّه فقد جزأه ومن جزّأه فقد ثنّاه، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيءٍ لا بمزايلة».

«لا يجري عليه السكون والحركة وكيف يجري عليه ما هو أجراه ويبدأ فيه ما هو أبداه. كل مسّمى بالوحدة غيره قليل» وأمثال ذلك، وقارن بينهما إيصالاً ونفوذاً في قلبك وعقلك..

ويبدو أن شيخنا رحمه الله أدرك ذلك بوعي، اقتداءً بالكتاب والسنة فتعلّم الأدب وحرص على تعليمه بوعي ورساليّة. ومما يمكن أن نقدمه من الشواهد النظرية على ذلك -عدا الواقع القائم فيه وفي طلابه- ما جاء في كتابه (الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته) ط٢ ص١١٤ قال رحمه الله:

«والقرآن يتحدث إلى الوجدان ويحرّك ساكنه، ويستجيش كامنه لا ليؤسس على نظرته عقيدة، ولا ليقيم عليها شريعة، ولكنه يعلم -حق العلم- أن الإنسان مجموعة قوى وغرائز وطاقات ونزعات وعواطف وأحاسيس، وقواه المفكرة وإن

كانت أهم ما فيه إلا أنها ليست كل ما فيه، وكثيراً ما عصى المرء عقله، ليدلل عاطفته، وكثيراً ما وأد فكراً سديداً لأنه يخالف شيئاً يلتذّ به، أو انفعالاً لا يرضى بتركه.

ويعلم القرآن كذلك -حق العلم- أن الدين منهاجٌ للإنسان كلّه لا لعقله وحده، ولا لروحه وحدها فمن الحق أن يتحدث إلى الوجدان كما يتحدث إلى العقل، ومن الحق أن يستثير العواطف والنوازع كما يستثير التفكير والتأمل.

من الحق أن توجّه الهداية إلى الإنسان كله بعقله وغرائزه ومشاعره وسائر قواه وطاقاته.

ومن الحكمة والحقّ أن يستثار الضدّ لتمنع عادية ضدّه، فيحرّك حس الرحمة -مثلاً- عند خوف الشقاق، ويثار شعور الخوف عند خشية الانطلاق ويلمس وتراً خفيّاً من النفس لتأمن عدوى طبعٍ ذميم أو لتُعانَ في بناء خلقٍ كريم».

إلى أن يقول:

«من أجل هذه الوجوه -وغيرها ممّا لم نذكره وممّا لم نحط به علماً يتحدث القرآن إلى الوجدان، يلمس العاطفة ويحرك النزعة الخفية ويداعب الشعور المرهف ويثير الحمية المغمورة ويهتّم بكل ناحية من نواحي الإنسان ليسير به يقظان الوعي متوقد الشعور ينتظم حسه كل حركاته وسكناته، وكل أفعاله وتروكه ليسير كتلة واحدة شاعرة متيقظة إلى الغاية التي يتبعها الإنسان ويدعو لها ربُّ الإنسان».

ويقول في ص ١٩٣-١٩٤ من ط٢ من نفس الكتاب: «وإذن فالسبيل لإثبات أي دين إنما هو الاقتناع الكامل بصحة ذلك الدين. ووسائل الاقتناع بصحته هي بذاتها وسائل الاقتناع التي يعرفها العقل، ويعوِّل عليها في الاستنتاج: البيان المشرق الذي لا غموض في أساليبه، والبرهان الناصع الذي لا التواء في منطقه، والحكمة الرفيعة التي لا ضعف في مراميها.

هـذه هـي أدوات العقل متـى حـاول أن يقنع أو يقتنـع، وهي بذاتهـا وسـائل الديـن فـي التدليل على صدقه، أو على صحة عقائده، لأنه إنما يتحدث إلى العقل، والإسـلام دين الفطـرة القويمة السليمة أحفل الأديان بهذه الحقائق. وأكثرها إشادة بها وأشدّها اعتماداً عليها.

يحاول الإسـلام أن يبلغ إلى كل نفس نفس فيملؤها عقيدة، وأن يتـصل بكل عقـل عـقل فيفعمه يقينـاً، وأن ينفذ إلى كل قلب قلب فيغمره إيماناً. وكيف يتسـنّى لـه أن يدرك هذه الغاية ما لم يصـل إلى النفوس بجمال البيان، وإلى العقول بنصاعة الحجة، وإلى القلوب بوفرة الحكمة وفيـض الرّحمة).

وفـي الحلقـة الثانية من كتابه (الإسـلام) بعنـوان (التوحيد فـي القرآن) الذي كتـب قسـماً منه ولا يزال مخطوطـاً، والذي حاول فيه تفصيل مـا أجمل من العقائد الإسلامية في الجزء الأول، -كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المقدمة-، وهو يتحدث عن التوحيد في القرآن وينتقد بصراحة أسلوب المتكلمين والفلاسفة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والحديث عن التوحيـد فـي القرآن حلم جميل راودني وملأ قلبي ومشـاعري منذ أمدٍ بعيد. وكنت أودّ لو أن علماء الكلام انتهجوا نهج القرآن في تقديم التوحيد للناس، واتبعوا طرائقه في بسـط دلائل هذه العقيدة وعرض آياتها، ولو أنهم صنعوا كذلك لكانوا أدنى إلى استيفاء أغراض القرآن، وأوفى بنشر روحه، وأجود ببلوغ غايته -كما قلت في بعض أحاديثـي عـن العقيدة -ولكانوا أبعـد عن الالتواءات التي مـردت عليها العقول لما بعدت عن الفطرة، وجمحت بها الأهواء فكدرت صفاء العقيدة، وشوّهت محاسنها وأذهبت نقاوتها، وملأت الأذهان بالشبه البليدة والأوهام الفاسدة.

ومناهـج القـرآن العظيم فـي الدلالة على التوحيـد وطرائقه في الإرشـاد إليه والبرهنـة علـى إثباتـه هـي مناهج اللـه وطرائقه فـي آياته الكونيـة التي بثهـا في هذا الملكوت الفسـيح المديد، تسـترعي النظر، وتوقظ البصيرة وترشـد الفكرة، وتقيم البرهان، وتنطق الوجدان، وتحكم الفطرة، وتنبّه العاطفة، وتلفت المشاعر، وتوجّه

الإنسـان بمـلء شـعوره وملء تفكيـره ومـلء أحاسيســه، وانفعالاته إلـى الحقيقة الناصعة الجليّة التي لا يحوم حول صوابها شـك، ولا تسـمو إليها ريبة.. إلى عقيدة التوحيد الصافية النقية التي لا يدنسها شرك، ولا ينتقصها إلحاد.

بلـى، هذهِ مناهج الله التي وضعها لتفهيم هذا الكائـن المفكر عقيدته وتلقينه مفاهيمها، يريد ليتعرف إليه من كل ناحية وفي كل بادية وخافية.

يريد ليتقرب من هذا الإنسـان في كل لحظـة يلحظها، وفي كل طرفة يطرفها، وفـي كل وجهـة يوليها. بل وفي كل خطرة تخطر في قلبه، وفي كل هاجسـة تهجس في نفسـه، يريد ليتقرّب منه في كل أولئـك. حتى يؤمن عقله، وتؤمن فطرته، وتؤمن روحـه ويؤمن قلبـه، وتؤمن عاطفته، ويؤمن وجدانه، وحتى يسـتتب الإيمان سـائر جهاتـه ويعمّ كل مشـاعره، وينيـر جميع آفاقه، وحتى يتبيّن له فـي كل ذلك أنه الحقّ وأنه على كل شيء شهيد.

وهكـذا بـرأ الله الكـون وفطر جميع بسـائطه ومركباتـه، يمدّ الإنسـان بالإيمان القوي المكين، الذي يملأ الجوانح، وينشـط الإدارة ويبني الشـخصية ويوجه الحياة، ويحدد للإنسـان منزلته في الكـون وصلته العظمى برب الكـون، وهكذا يدأب القرآن يسـتحث الإنسـان ليرجع البصر فـي ما يرى من آيـة، ويحكّم البصيرة في ما يشـاء من دلالة، وتتآزر آيات الكتاب وآيات الكون يصدق بعضها بعضاً ويشد بعضها ازر بعض، وتتناصر على بناء العقيدة، ووضع الحجر الأساس لدين الإسلام في نفس كل مسلم.

ولـولا الشـبه التـي تبنّتها الأهواء لصـح أن يقال: وفي نفس كل إنسـان. وقد قلت في حديث لي عن الإيمان وصلته بالوجدان:

«والآيـات الكونيـة المنتشـرة ملء الأكوان، ومـلء الأزمان، أترى أنهـا سـند للتفكير العقلي وحده في الدلالة على الله والإبانة عن شـمول قدرته، وسبوغ نعمته ووجوب الارتباط بدينه؟.

والنظـرات العميقـة الحالمـة فـي مظاهـر الجمال ومشـاهد الإبـداع من هذا الملكـوت؛ أتـرى أنها مـددٌ للبرهـان المنطقي خاصّـة على وجود اللـه وعلى باهر جماله، وعظم جلاله ولا حظّ فيها للعاطفة ولا نصيب للوجدان؟.

يبدو أن جمهور علماء الكلام في الإسلام يميلون إلى الأخذ بهذا الرأي، فقد استدلوا بهـذه المعلومات على وجود علتها، كما يستدلون بأثر يجدونه في التراب على قدم وضعته سواء بسواء.

أما الرحمة التي لا تزايل ذلك الأثر ما دام موجوداً!!.

أما الحب الذاتي الخالص المكين الشديد الذي يعلّق الأثر بمؤثّره ويولّهه به، ويحوّل وجهه إليه!!.

أمـا الرعايـة الدائمة الرحيمة التي تفيضها الربوبيـة المطلقة، والانقياد الكامل الذي تقتضيه العبودية المطلقة!!.

أمـا التعاطف والتحابـب الذي يربط الآثار بعضها ببعـض، من حيث اتصالها بمبدأ الرحمة ومصدر الحب وينبوع الخير، والبر المتعالي عن السدود والحدود!!.

أما هذه المعاني الرفيعة العالية وما يشبهها، فهي بعيدة أشد البعد عن طرائقهم في البرهنة، ولو أنهم قدّموا التوحيد للناس كما قدّمه القرآن، ولو أنهم اتّبعوا طريقته في التدليل عليه لكانوا أدنى إلى استيفاء أغراض القرآن، وأجدر ببلوغ غايته وأحرى بنعت الدعوة إليه.

هـذا التدبير الدائم القائم في كلّ آية آية من آيات الكون، وهذا الجمال البهيج النظيـر في كل مظهر مظهر منـه، وهذا الصنع المحكم المتقن في كل صغيرة وكبيرة من أشـيائه. هـــذا جميعه ليـس مـدداً للفكر وحده، ولا مدداً للوجـدان وحده، بل هو مدد لهما على السـواء، والتـأمل الصادق، والنظـرات العميقة في ظواهر الكون

وخوافيه تملأ العقل اقتناعاً بالبرهان، وتملأ القلب إشراقاً بالإيمان، وتملأ النفس شعوراً بالحبّ، وإحساساً بالرحمة، واستمساكاً بالإخلاص، وتوقظ في المرء أحاسيس الخير ومشاعر الإنسانية وتصله أولاً وآخراً وفي كل حال بالله الذي أنطق الأشياء كافة بالدلالة عليه وألهمها أن تسبحّ بحمده، وتُسلم بوجوهها إليه.

كل ما هنا أثر.

أجل كل ما هنا أثر، وقانون السببية الذي أودع في فطر العقول، ثم أثبته الاستقراء، وسار على خطواته العلم، يقتاد العقل ليحكم في كل ما يقف عليه من شيء: إنه أثر له مؤثر وتقدير له مقدّر.

ولكن هنا جمالاً رائعاً يبدو في كل مجلى من مجالي الكون..

وإتقاناً عظيماً في كل صنعة من صنائعه..

وحكمة بالغة في كل شيء من أشيائه..

وعناية رحيمة في كل تدبير، وفي كل تقدير يجري فيه..

والذوق المرهف والشعور الدقيق والإحساس العميق، بل والعاطفة المحسّة المتطلعة، هذه العدّة الوجدانية التي يملكها الإنسان، هي التي يستطيع أن يتبين بها كل أولئك، ويُدرك مزاياه ويتعرّف حدوده..

قد لفت القرآن نظر المرء إلى كل أولئك، وحثه أن يستشفّ معاني الجمال في ما يرى، وأن يستجلي في دقائق الحكمة وينظر آثار الرحمة.

واقرأ -إذا شئت- هذه الآيات الكريمة:

«افلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّنّاها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب. ونزلنا من السماء ماءاً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحبّ الحصيد.

والنخل باسقاتٍ لها طلعٌ نضيد. رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج»[١].

يبدو لنا ما قدمنا عليه الشواهد في النظرية والتطبيق: أن شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختار الأسلوب الأدبي في الكتابة على علم بفهمه لنفس الإنسان وعقله ومشاعره وما يؤثر فيه فيصغي إليه ويتعقله وبفهمه للسر الذي اختار فيه الوحي الإلهي والرسل وأوصياؤهم هذا الأسلوب.

ومن الشواهد الواقعية المعروفة لقيمة الطرح والتناول الأدبي للموضوعات في تاريخ الشعوب أن يذكر أدباء متفلسفون أكثر مما يذكر فلاسفة أكاديميون لأنهم الأكثر وصولاً للناس، وأكثر تأثيراً فيهم، ولهذا الجانب من مؤهلات شيخنا -أعلى الله مقامه- أثره البالغ في ما يأتي الحديث عنه من تاريخ حياته وعمله.

المرحلة الثانية: دوره التربوي والأدبي والعلمي

لشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنواع من النشاط في العمل العلمي والثقافي يبدو في بعضها أثر تقدّمه في الأدب -نثراً وشعراً- يصاف أثر علمه الجمّ. كتدريسه ومجالسه وخطبه وحديثه ومؤلفاته. فلشيخنا مثلاً درسان:

الأول: منهجي نظامي. وفي حدود المقرّرات الدراسية في الحوزة وطلاب المرحلة العليا من السطوح.

الثاني: لا منهجي ولا نظامي مفتوح، سيأتي الحديث عنه فيما بعد -إن شاء الله-.

درسه المنهجي:

من أبرز طلابه المعروفين في درسه النظامي:

١. أخوه العلامة الحجة الشيخ علي البصري الذي كان من ألمع أساتذة الكفاية والرسائل في الحوزة.

---

(١) سورة ق: الآية ٦-١١.

٢. المرجع الديني السيد حسين بحر العلوم -حفظه الله-.
٣. العلامة الدكتور الشاعر السيد مصطفى جمال الدين رحمه الله.
٤. العلامة الجليل الشيخ محمد رضا العامري، وغيرهم.

وقد ذكر البعض آخرين على أنهم من طلابه والحق أنهم من طلاب أخيه العلامة الشيخ علي رحمه الله ويحمل من تحدثت إليه من طلابه، بل جميع المذكورين -عدا الأول منهم- ذكرى عميقة ما تزال لأيام التلمذة عليه إنهم جميعاً يصورونه في مستوى الأستاذ النموذج أولاً في تعامله معهم -كما لو كانوا زملاء- حباً وتواضعاً وانسجاماً، وثانياً في إحاطته بالمادة، وثالثاً في بيانه وأسلوبه وقدرته على الإيصال.

لقد قرؤوا عليه الكفاية والرسائل وقرأ بعضهم عليه المكاسب والمنظومة، واتفقوا جميعاً على تميّزه بما أشرنا إليه آنفاً.

يقول العلامة الدكتور الشاعر السيد مصطفى جمال الدين رحمه الله في مقدمة ديوانه: تمحّضت في أكثر دروسي بعد ذلك على الشيخ محمد أمين زين الدين فأخذت عنه الكفاية والرسائل وقسماً من المكاسب وأكثر شرح المنظومة للسبزواري، في الفلسفة الإسلامية، وقد تنقلت في حياتي الدراسية على أساتذة كثيرين، ولكني لم أجد من هو أجلى بياناً وأكثر إيصالاً من الشيخ محمد أمين زين الدين.

قال: وكانت لأستاذي هذا رحلات سنوية قد تمتدّ أشهراً في بعض الأحيان يستوطن فيها قريته في نهر خوز في قضاء أبي الخصيب، أو يذهب فيها للإرشاد والتوجيه الديني إلى أتباعه في البحرين، فأجد عناء كبيراً في العثور على أستاذ أنسجم مع بيانه انسجامي مع الشيخ زين الدين.

وتحدث إليّ العلامة العامري عن امكانياته العلمية والبيانية العالية، فقال -ما

معناه-: إن الموضوع العلمي والفلسفي مهما كان بطبيعته صعباً، ومعقّداً وطويلاً يسهل وينطوي بقدرات الشيخ العلمية والبيانية طولاً وعرضاً وعمقاً فإذا هو من الوضوح واختصار المضمون بالصورة التي يفاجأ بها الطالب. إنه -على حد تعبير الشيخ العامري-، يصبح وكأنه (كأس من العصير) وهذا واقع يلمسه كل من يذاكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أو يسأله في موضوع علمي أو فلسفي.

وقد أشرنا إلى ما كان معروفاً من جدّية شيخنا رَحِمَهُ اللهُ منذ البداية دارساً ومدّرساً، وأنه كان رَحِمَهُ اللهُ لا يحبّ أن يضيع -في غير اضطرار- من أيام الدراسة شيئاً على أن هذهِ الجدية لم تكن تعني -كما قد يكون عند البعض- انقطاعاً أو جفافاً، فقد كان من أحسن الناس صلة، وأكثرهم بشاشة وتبسّماً وأقدرهم على اقتناص الطرفة في مجلسه وفي درسهِ على حدّ سواء. دون أن يخرج به ذلك عن جلالته ووقاره.

ومن الأمثلة: أنه مرت في تدريسه للكفاية العبارة المشهورة إلا أن يكون أحول العينين يرى الشيء شيئين) فلم يشأ ظرف الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وحبه للأدب وحرصه على طرد السأم عن طلابه أن يجوزها ففاجأ طلابه بقولهِ:

أحول العين ينظر الشيء شيئين   بأحوالهِ يحار البصير
فإذا أبصر الطريق طريقين   ففي أي مسلكيه يسير

ثم فاجأهم ثانية مجيباً بلسان الأحول وبمعنى طريف جداً:

لو درى الناس ما لعيني من الحسن   لما أنكروا احولالاً بعيني
عدّدت لي وجه الحبيب فإن مرّ   أمامي نظرته مرّتين

وكان من مظاهر هذه الجدّية لمواصلة الظريفة أن يكيّف الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مجلسه في أيام العُطل في الدراسة الحوزوية، كيومي الخميس والجمعة ومناسبات مواليد المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بحيث تحقّق -مضافاً إلى الراحة البدنية والنفسية التي هي حاجة للأستاذ والطالب- مردوداً تعليمياً، وذلك بإغناء هذهِ المجالس بالأدب

والشعر. وطرائف الحِكَم والمتابعات الأدبية والعلمية وأشباه ذلك وهذا ما كان ... ومن ذلك..

أولاً: مجلسه الأدبي:

كان هذا المجلس - ملتقى الصفوة من أهل العلم والأدب في الحوزة، لعاملين معروفين.

أولاً: قدرة ومنزلة مؤلّفه وما عرف به من الإمكانات الأدبية والعلمية.

ثانياً: كونه -كما خبروا -ندوة أدبية وعلمية كان الشريك الكبير لشيخنا -رحمهما الله فيها- صديقه الحميم العلامة الحجة الشيخ سلمان الخاقاني رحمه الله الذي كان -مضافاً إلى علمه- شاعراً واسع الثقافة، وكان شفافاً ظريفاً، كريم النفس واليد.

تحدّث الدكتور مصطفى جمال الدين رحمه الله عن مجلس شيخنا وشريكه الخاقاني رحمه الله فقال: «كان هذا الشيخ محور حلقة من العلماء يمتلزون بثقافتهم الواسعة وأساليبهم الرائعة، منهم المرحوم الشيخ سلمان الخاقاني، وهو من أقدم تلامذة السيد الخوئي المرموقين، وله ولعٌ بالشعر واطلاع واسع على أغلب ما يصدر في المكتبة العربية، وفي مكتبته العامرة. وبإرشاداته وتوجيهه قرأنا ما جدّ من الكتب المصريّة واللبنانية إلخ..».

ثم بين رحمه الله أثر علاقته بالشيخين زين الدين والخاقاني -رحمهما الله- عليه شخصياً من الناحية الثقافية والأدبية بصفته أحد أفراد هذه الحلقة. فقال: «هذان العلمان الكبيران -زين الدين والخاقاني- هما اللذان وضعاني على الطريق الذي أنا الآن في نهاياته».

ويقول أيضاً «أما حياتي الأدبية والشعرية -بوجه خاص- فإذا كنت مديناً

فيها لأحد فلهذين الشيخين الجليلين محمد أمين زين الدين وسلمان الخاقاني. فهما اللذان وضعا اللبنة الأولى في أساس ظللت أبني عليه بعد ذلك».

كان شيخنا رَحِمَهُ اللهُ يبتكر الأساليب ويستغلّ المناسبات لديمومة حيويّة هذا المجلس وعطائه وإذكاء حماس حُضّارهُ وإقامة المباريات الشعرية في داخله والشواهد الموثقة كثيرة، وطريفة، دوّن الأخ العلامة الجليل الشيخ ضياء الدين نجل شيخنا بعضها.

ولما كان متعذراً استيفاء الحديث عنها أو إيرادها أو شواهد منها، نوجز منها هذا المباراة وهي نموذج ممثل لمجلس الشيخ حضّاراً، ومضموناً ومستوى أدبياً. كان ذلك قبل خمسة وخمسين عاماً في ليلة الغدير من سنة ١٣٦٤هـ حين أعدّ أحد كبار حضار هذا المجلس قصيدة في المناسبة، وحين أطّلعوا عليها تآمروا بينهم -دون علمه- على أن يغيّروا تلك الأبيات بحيث يبقى المضمون نفسه، والوزن العروضي كذلك، بل كل الكلمات إن أمكن باستثناء القافية التي يجب أن تبدل فيكون لكل واحد منهم قافية مختلفة وهكذا كان.

وحين جاء صباح يوم الغدير قال كل منهم: إن القصيدة لم تكن إلا قصيدته.. وكان لابد أن يحكّموا من يقضي بينهم في هذه الدعوى، ووقع الاختيار على الشيخ الطبيب الشاعر الميرزا محمد الخليلي رَحِمَهُ اللهُ فأظهر العجب هو الآخر من هذا التآمر ومن هذه الخدعة الذكية بتحكيمه لذّر الرماد في العيون في حين أن القصيدة لم تكن -كما ادعى- إلا قصيدته.

فاضطروا إلى تحكيم آخر هو الأستاذ الشاعر الشيخ صالح الجعفري رَحِمَهُ اللهُ وكان مما اتفقوا عليه أن تكون إجابة الحكم وهي شعرية على وزن وقافية القصيدة المحكوم لها، وهكذا كان كما سترى..

ومما يجدر التنبيه إليه أن لشيخنا رَحِمَهُ اللهُ عدا قصيدته قصيدتين أخريين لاثنين

من المشتركين تشجيعاً لهما. أو إغذاءاً للجلسة الأدبية.

لقد اشترك في هذه الجلسة اثنا عشر شاعراً أو قصيدة (نظراً للملاحظة السابقة)، وإن كان ذلك لا يعني أنهما غير شاعرين وإنما غير متهيئين للاشتراك في مباراة بين شعراء كبار[1] وهم:

١. شيخنا (قدس الله نفسه).
٢. الشيخ سلمان الخاقاني رحمه الله.
٣. الشيخ علي زين الدين رحمه الله.
٤. الشيخ علي الصغير رحمه الله.
٥. الدكتور مصطفى جمال الدين رحمه الله.
٦. الدكتور صالح الظالمي.
٧. الشيخ محمد الازيرجاوي.
٨. الأستاذ عبد النبي الشريفي.
٩. الشيخ محمد حسين الخزاعي.
١٠. الشيخ محمد الخليلي رحمه الله الذي كان قاضياً فانقلب مدعياً.
١١. الشيخ ضياء الدين الخاقاني.
١٢. الأستاذ صالح الجعفري رحمه الله القاضي الثاني.

ولقد بدأ الدعوى العلامة الحجة الشيخ سلمان الخاقاني رحمه الله فقد تقدم إلى القاضي شاكياً في قصيدة طويلة منها قولهِ:

من ذا يردّ صباباتي وأفكاري   من معشر سلبوا بالجور أشعاري
من معشرٍ خلتهم ان نكبة عرضت   أو نالني حادث من خير انصاري

---

(١) سمع بها العلامة الحجة الأميني رحمه الله فطلب تدوينها لينشرها في سفره الخالد (الغدير) ضمن ذكره لشعراء القرن الرابع عشر، إلا أنه لم يتمكن إذ توفي قبل أن يصل في الكتاب إلى ذلك.

وخلتهم إن أخض في الدهر معركة درعاً دِلاصاً يقيني شر أخطارِ
وأنهم سيفي الماضي أصول به حتى أنال الذي أرجو من الثارِ

إلى أن يقول:

خلاصة القول يابن الطيبين أرى كشف الذي ذقته من لاعج النار
قد كنت سجلت أبياتاً أروم بها يوم القيامة إحباطاً لأوزاري
أبيات شعر بمدح المرتضى عرضت للنفس من وحي آدابي وأفكاري
وقبل إكمالها قد جئت أعرضها عليهم بين أسماع وأبصارِ
ما خلت أنهم سراق مألكة سراق قافية سراق أشعارِ
فقد عدوا وتحدّوا كل قا فيه وغيروا كل بيت سَلسَلٍ جاري
ثم ادّعوا نظمها شاهت مقالتهم فالحق يا صاح محفوف بأنوارِ
والحق ياصاح لا تخفى حقيقته وإن أحاطوه من ظلم باستار

ويقول فيها:

فانظر إلى الكل في عين مجربة ترنو إلى الحق في حزم وإبصارِ
وابدِ الحقيقة واقطع كل جازية تسطو على الشعر أو تلهو بآثار

ثم قرأ رحمه الله قصيدته المدعى سرقتها ومنها بعد حذف مقدمتها الغزلية:

تركت حبّي وما لفّقت من كلمٍ في وصف كلّ جميل الشكل مِعطار
وعدت والقلب مملوء هوى ثملٌ في حبّ من فيه إعلاني وإسراري
أعني علياً أمير المؤمنين ومَن في محكم الذكر فضلاً خصّه الباري
وصاحب البيعة الكبرى التي شهدت جماعة القوم فيها حكمها الجاري
إذ قام فيهم رسول الله يخطبهم ويظهر الأمر فيهم أي أظهارِ
يقول من كنت مولاه فان له هذا عليٌّ وليٌّ بعد إقباري
لكنما القوم ضلّوا عن هدايته وقابلوا النص في صدٍ وانكارِ

ويتقدم بعده سماحة شيخنا زين الدين رَحِمَهُ اللَّهُ إلى القاضي قائلاً:

سمعاً ربيب المزايا الغرّ والشيم شكوى تعج بها أصوات ذي ألمِ
خواطر قد أثارتني على مضض من الشجا وأقامتني على ضرم
أمنصفي أنت من قومٍ قد انتحلوا قولي ولم يحذروا من بأس منتقم
جميلةٌ من بنات الفكر ساحرة الألفاظ أتعبت في تقويمها هممي
عدا عليها غزاة القول فانتبهوا أحشاءها بيد العقبان والرّخُمِ
فأبدلوها بنظم غير منسبك وحرّفوها بلفظٍ غير منسجم
محاسن أصبحت من بعد بهجتها -ظلماً- موزّعة الأشلاء والرحم
كانت يتيمة أمثال وقد بليت لفعلهم من أبيها البّر باليتم
تحاكموا لك يا بن الاكرمين وهل وجه الحقيق مستور على الحكم
أمعن بقولهم كي تستبين هدى قولي وتسمع في توقيعهم نغمي
تلقى على كل حرفٍ دمعه سكبت مني وفي كل بيت حمرةً لدمي

ثم قرأ رَحِمَهُ اللَّهُ قصيدته التي قال: إن الآخرين سرقوها، ومنها بعد حذف مقدمتها الغزلية:

تركت حبي وما لفقت من كلم وعدت أقرع مني سن ذي ندم
وكيف أحذر من ذنبٍ أتيت به وقد جعلت بحبل الله معتصمي
أخلصت حبي للمولى الذي أخذت له الولايةُ ميثاقاً على الأمم
أعني علياً أمير المؤمنين ومن له القضاء بفصل الحُكم والحِكَمِ
وصاحبَ البيعة الكبرى التي شهدت بنصها محكمات الصحف من قدم
إذ قام في الناس خير الناس يخطبهم لا يختشي قول أفّاك ومجترم
ألست أولى جميع العالمين بهم شأن خُصصت به من بارئ النسم
إلا ومن كنت مولاه فإن له نعم الولي عليٌّ بعد منصرمي
هذا وصيي الذي تلفى ولايته للعالمين غداً من أعظم النعمِ

إذا تزايلت الأهـــواء واختلفت عـن الهدى فعـليّ راسـخ القدم
ان كنت للرشد فيكم خير مبتدأٍ فـانه بعد فقـدي خيـرُ مُختم
يدعـوهم للهدى لو أنهم سمعوا لكـنها دعـوة كانت لـذي صمم

وجاء بعده العلامة الشيخ علي زين الدين[1] ليتقدم إلى القاضي قائلًا:

عجائب ظهرت من فعل ذا الزمن ترمي الفـؤاد بتيار من المحن
قـــلّ الـوفـــاء فـلا ذو خـلـةٍ ثقة مـن الأنـام ولا شخـص بمؤتمنِ
جـفا الأخـــلاء فالدنيا منغصة عندي فهل أنت ياذا العدل تنصفني
فريدة من شـظايا القلب ينحتها فكري فيبرزها في مطرف حسن
غذّيتـها ماتشاء النفس من خلق ورضتها ما يشاء القلب من حزن
حتى إذا أصبحت سحـراً مفاتنها للعاشقـين سـرور القلب والأذن
تجاذب القوم أحشاها فلم يدعـوا سـوى فـؤاد بـداء الحزن مرتهن
فهل ترى عدلوا في الحكم إذ عدلوا عن الهدى وتعدّوا أوضح السنن
انـا رضيناك فاحـكم غير متهم وقولك الفصل في سرٍ وفي علنِ

ثم قرأ رَحِمَهُ‌اللهُ قصيدته التي منها بعد حذف مقدمتها الغزلية:

تركت حبي ومـا لفقت مـن كلم وعـدت فـي جَلد بالحزن ممتهنِ
وكيف أحـذر مـن ذنـب أتيت به وقـد ضمنت نجاتي في أبي حسنِ
أخلصت حبّي للمـولى الذي نطقت بفضلهِ محكمات الصحف والسننِ
أعنـي علياً أمير المؤمنين ومن بحـبّه كنتُ فـي أمْـن من الفتَنِ
وصاحبَ البيعة الكبرى التي اخذت على الـورى ووعاها كل ذي أذُنِ
إذ قام في الناس خير الناس يخطبهم ومنطق الحـق لا يخفى على فَطِنِ

---

(١) الأخ الأصغر لشيخنا رَحِمَهُ‌اللهُ كـان من أبرز أساتذة الحوزة، يتنافس الطلبة على تحصيل وقت لديه في الكفاية والرسائل خاصة. توفى رَحِمَهُ‌اللهُ سنة ١٤٠٧ للهجرة.

ألست أولى جميعِ العالمين بهم شأن حباني به ذو العطف والمنن
ألا ومن كنت مولاه فحيدرة نعم الوليّ له في السرّ والعلن
هذا وصيي الذي تلفى ولايته للخائفين غداً من أمنع الجُنَنِ
إذا تزايلت الأهواء واختلفت فإنه خيرُ من يمشي على سَنني
إن كنت للرشد فيكم خيرَ داعيةٍ فإنه بعد فقدي خيرُ مؤتَمَن
يدعوهمُ للهدى لو أنهم سمعوا لكنها أنفسٌ باتت على إحنِ

وتقدم المرحوم العلامة الشيخ علي الصغير رَحِمَهُ اللهُ إلى القاضي قائلاً:

لا يدّعي الصحب هذا الشعر إن به قرائن الصدق من شعري وأنغامي
ولا تظنوا بأن الصبح منكتمٌ وإن أحاطوه في ظلم بإبهام
فالكلّ يعلم أني شاعر لبق يوحي لي الشعر في وحي وإلهام

ثم قرأ قصيدته وهي بعد حذف مقدمتها:

تركت حبّي وما لفّقت من كلم في وصف كل جميل الثغر بسّام
وعدُت والقلب مملوء الهوى ثملٌ في حبّ من فيه أشواقي وتهيامي
أعني علياً أمير المؤمنين ومن في محكم الذكر فضلاً ذكره السامي
وصاحب البيعة الكبرى التي شهدت جماعة القوم منها حكم علاّمِ
إذ قام فيهم رسول الله يخطبهم ويبرم الأمر فيهم خير إبرامِ
يقول من كنت مولاه فان له هذا علي ولياً للهدى حامِي
لكنما القوم ضلوا عن هدايته وقابلوا النص في شك وأوهام

وجاء دور الدكتور السيد مصطفى جمال الدين رَحِمَهُ اللهُ ليتقدم للحكم قائلاً[1]:

ربّ القوافي اليك المشتكى فلقد تنازع القوم في لحني وأوزاني
الشعر شعري وهذا وحي فاكرتي فهل تغير شيطاني وأغواني

(١) علينا أن نتذكر أن هذه الندوة كانت سنة ١٣٦٤هـ.

أم هل يوقّع في ألحان فاكرتي ... لحنا ويوحيه من بعدي إلى الثاني

إلى أن يقول:

أردت أن أصحب الدعوى ببينة ... فأرسل الشعر حزناً دمعه القاني
وقال كلفتني ما لا يطاق. فهل ... تحتاج شمس الضحى يوماً لبرهان
وأنت رب القوافي الخالدات فقم ... يا أعدل الناس واحكم حكم سلطان

ثم قرأ قصيدته: ومنها بعد حذف مقدمتها:

تركت حبي وما لفقت من كلم ... في وصف كل جميل الشكل فتان
وعدت والقلب مملوء الهوى ثمل ... في حب من فيه إسراري واعلاني
أعني علياً أمير المؤمنين ومن ... قد خصه الله في آي وقران
وصاحب البيعة الكبرى التي شهدت ... بها الخلائق من إنس ومن جان
إذ قام فيهم رسول الله يخطبهم ... مبيناً أمره في خير تبيان
إلا ومن كنت مولاه فإن له ... نعم الولي علي بعد فقداني
لكنما القوم ضلوا عن هدايته ... وقابلوا النص في صدّ وهجران

وتقدم بعده الدكتور الشيخ صالح الظالمي فطرح دعواه على القاضي بقوله:

فريدة قد بدت في طلعة القمر ... قلّدتها من بياني أحسن الدرر
فكم سهرت من الساعات منفرداً ... لأحكمَ السبك في ألفاظها الغررِ
ما لي وللقوم قد صالت قرائحهم ... على حمى اللفظ والتنسيق والصور
فأبدلوا اللفظ لفظاً غير متسق ... وأبدلوا الشعر شعراً غير مبتكر
صالوا وما علموا أن الملاحة لا ... تخفى وكيف خفاءُ الأنجم الزهر
إن القريض قريضي لإخفاء به ... ألبسته من نسيجي أفضل الحبر
من يسرق الطيب لم يظفر بمقصده ... فالطيب يفضحه في نشره العطر
احكم بعدلك إن الحق متضح ... والعين رؤيتها تكفي عن الأَثر

وتلا قصيدته التي ادَّعى أنها الأصل وهي بعد حذف مقدمتها:

تركت حبي وما لفقت من كلم ... وصرت أقرع سن النادم الحصر
وكيف أحذر من ذنبي وقد علقت ... نفسي بحب علي خبرة الخير
أخلصت حبي للمولى الذي اخذت ... له الولاية ميثاقاً على البشر
أعني علياً أمير المؤمنين ومن ... له القضاء بأمر الله في القدرِ
وصاحبَ البيعة الكبرى التي شهدت ... بنصها محكمات الصحف والسورِ
اذ قام في الناس خير الناس يخطبهم ... والعين رؤيتها تكفي عن الخبرِ
ألست أولى جميع العالمين بهم ... شانٌ خُصصتُ به من منشئ الصور
ألا ومن كنت مولاه فحيدرة ... نعم الولي له في البدو والحضر
هذا وصيي الذي تُلقى ولايته ... لمن تمسّك فيها خير مدخرِ
فإنه خير من يمشي على أثر ... لكنه الجهل قد غطى على البصر

وجاء بعده العلامة الشيخ محمد الازيرجاوي ليدعي أمام الحكم أن القصيدة له دون الآخرين فقال:

احكم أخا الود في عدل بلا زللِ ... فان حكمك فيه غاية الأملِ
وانت للصحب والأحباب ملتجأٌ ... نأوى إليه بوقت الضيق والوجل
عجّل بحكمك (خير البر عاجله) ... فربما فاز من يمشي على عجلِ
واعدل فكم دولة بالجور قد قلبت ... وبالعدالة تبقى صولة الدولِ

ثم قرأ قصيدته وهي:

تركت حبي وما لفقت من كلم ... وعدت أقرع سن النادم الوجل
وكيف أحذر من ذنبي وقد علقت ... نفسي بحب أمير المؤمنين علي
أخلصت حبي للمولى الذي أخذت ... له الولاية ميثاقاً من الأزلِ
أعني علياً أمير المؤمنين ومن ... قد ارتضاه وصيّاً سيدُ الرُسُلِ

وصاحبَ البيعة الكبرى التي شهدت آي الكتاب بها في كل محتفل
إذ قام في الناس خيرُ الناس يخطبهم لا يختشي قول ذي افكِ وذي خطل
ألست أولى جميع العالمين بهم شأن خصصت به من علة العلل
هذا وصيي الذي تلفى ولايته يوم الجزاء غداً من أفضل العملِ
إذا تزايلت الأهواء واختلفت عن الهدى فعليّ خيرة السبل
إن كنت خير نبي جئت بينكم فإنه لكم في الله خيرُ ولي
يدعوهم للهدى لو أنهم سمعو لكنه الجهل قد غطى على المقَل

تقدم بعده الأستاذ عبد النبي الشريفي ليتهم أمام الحكم الجميع بانتحال قصيدته وإبدال قافيتها مدّعياً أنها الأصل فقال:

وزمرة من رواة الشعر قد نحلوا شعري ولكنهم باؤوا بإخفاقِ
غداة قد أبدلوا من كل قافية واين شعرهم من شعري الراقي
يا قاضي الشعر كن مابيننا حكماً واقتصّ منهم بلا عطفٍ وإشفاقِ

ثم قرأ قصيدته ومنها بعد حذف المقدمة:

تركت حبي وما لفقت من كلم في مدح كل جميل الشكل عباق
وعدت والقلب مني قد تملكه هوى جديد فما يدنو لإخفاق
قد أستقر بقلبي حب (حيدر) قلبي بغير (علي) غير خفّاق
أبي تراب أمير المؤمنين ومن قد اصطفاه ولياً خير خلاقِ
وصاحب البيعة الكبرى التي شهدت جماعة القوم فيها حكمها الباقي
إذ قام فيهم رسول الله يخطبهم ويوضح الأمر فيهم دون اغلاق
تحاشد القوم في خمّ بأسرهم فما ترى غير أجناد وأعناقِ
فقال وهو الأمين الفرد بينهم الله أخرجه من طيب أعراقِ
ألست أولى بكم ياقومُ فاستمعوا قالوا: بلى دون إكراه وإرهاقِ

فقال: من كنت مولاه فحيدرةٌ وليّه اتخذوه للأذى واقِ
لكنما القوم ضلوا عن هدايته واغرقوا في ضلال أي اغراقِ

وما أن انتهى حتى اخذ مكانه العلامة الشيخ محمد حسين الخزاعي (حفظه الله) متوجهاً إلى القاضي بنفس الدعوى التي ادّعاها الآخرون زاعماً أن القصيدة له دونهم فقال:

شعر سهرت به ليلي اقطّعه فجاء منسجماً يزهو كمختالِ
فعاين الصحب ما قد نال من صفة فيها تضمن تبنياً لأحوالِي
تلاقفوه وجاؤوا يدّعون به وذلك الأصل لايخفى بإبدالِ
أنت الحكيم الذي جئنا نحكّمه واختر برأيك تأديباً لمحتالِ

ثم قرأ قصيدته التي منها قوله:

تركت حبي وما لفقت من كلمِ في حب من فيه أرجو نيل آمالي
وعدت والقلب مملوء الهوى ثمل بحبه أبتغي حطاً لأثقالي
أعني علياً أمير المؤمنين ومن جماعة القوم فيها حكمها الحالي
وصاحب البيعة الكبرى التي شهدت لا يختشي قول أحسّاد وعذّالِ
إذ قام فيهم رسول الله يخطبهم قد خصني الله في شأنٍ وإفضالِ
ألست أولى جميع العالمين بهم في حب من فيه أرجو نيل آمالي
في وصف كل جميل القدّ مَيالِ بحبه أبتغي حطاً لأثقالي
إلا ومن كنت مولاه فإن له هذا علي ولياً بعد ترحالي
هذا وصيي الذي تلفى ولايته للعالمين غداً من خير أعمال
إذا تزايلت الأهواء فاتبعوا طريقهُ واحذروا من كيد ضلاّلِ
إن كنت خير نبيّ جئت بينكم فإنه بعد فقدي أفضل الآل
لكنما القوم ضلوا عن هدايته وقابلوا النص في ردّ واهمالِ

وجاء دور الشيخ ضياء الدين الخاقاني فأخذ مكانه أمام القاضي ليدّعي نفس الدعوى قائلاً:

هذه القصيدة من فكري لقد نظمت في شأن مدح إمام العجم والعرب
لكنني لم أزل في منتهى عجبي لقد بدا الأمر عندي غاية العجب
من معشر كان ظني فيهم حسناً وكنت أعرف فيهم منتهى الأدب
فكيف صالوا على شعرى وما تركوا إلا الضلوع تعرّت في يد السلبِ
إذ غيّروا بعض ألفاظٍ وقافية منها عناداً فزالت روعة الأدبِ
فهل ترى أنهم اذ شاهدوا مرضي وضعف جسمي وقد أدى على العطبِ
صالوا عليه كما صال الزمان على جسمي النحيل فيا دنيا الوفا اغتربي
لكنما أملي في حاكم نزه يجلو الحقيقة عن زور وعن كذب

ثم قرأ قصيدته التي يقول فيها:

تركت حبي وما لفقت من كلم في وصف كل جميل الثغر ذي شنب
وعدت والقلب مملوء الهوى ثمل من حبّ من فيه تُجلى أعظم الكرب
أعني علياً أمير المؤمنين ومن في مدحهِ الله أوحى مُنزَل الكتب
وصاحبَ البيعة الكبرى التي شهدت جماعة القوم فيها أحسن الخطب
إذ قام فيهم رسول الله يخطبهم ويوضح الأمر في تبيينه العَذِب
يقول من كنت مولاه فإن له بعدي علياً وليّ خير منتخب
لكنما القوم ضلوا عن هدايته فقابلوا النّص في صدّ وفي صخب

وتأتي المفاجأة حين يتقدم العلامة الطبيب الشاعر الشيخ محمد الخليلي الذي اختير قاضياً لأول مرة في تعيين الأصل فإذا به يزعم أن القصيدة له ومما قاله رَحِمَهُ اللهُ:

يا نخبة الأدب الحي الذي بزغت شموس أفكارها في حلبه الأدبِ
فأنبتت في رياض الشعر قافية نمت بماء الذكا لا هاطل السحب

جـادت قرائحكم نظماً ولاعجب إن جاد أمثـالكم بالباهر العجب
بعثتموها عـقـوداً نضدت درراً تضيء في أُفـق الاداب كالشهب
في مـدح خير امـام قد تامّر في خم على الخلق من عجم ومن عرب
بعثتموها وكـل رامـنـي حكـماً فـي أسبقـيته بالمنـطق العذب
يقـول: إن لآلـي نظـمه لعبت بها بلا حـذر منـهم يـد السلب
ثم ادعــى سبقه بالنـظم سارقها ولـم يـراع جـهـاراً حرمة الأدب

ثـم زعم رحمه الله ان اضعفهم سـبكاً ونظماً هو صـاحـب القصيدة لأن القوي هو الذي يأتي متأخراً ليغالب الضعيف، ولأنه رأى أن أضعف القصائد سبكاً هي قصيدة الشيخ ضياء الخاقاني اعتبرها الأصل الذي نسجت عليه القصائد الأخرى:

رأيت أضعفكم في السبك أسبقكم نظـماً وأقـواكـم قد جـاء للغلب
أجـل وهـل لضعيف النظم مقدرة بـها يبزّ نظام الشاعر الــذّرب
حتى يطـاوله أو يدعـي سفهاً بـأنـه سابـق أو غيـر مغتصب

إلا أنه اسـتدرك بعدها فادعى أن القصيدة له وأنهم حكّموه فيـهم إمعاناً منهم في التآمر عليه، ولكيلا يستطيع ادعاءها فقال:

هذا إذا كنت قد راعيت حرمتكم ولـم أطـالبـكم حقي ولـم أعِب
وكنت في معزل عن ظلمكم دري كأنني أنـا لم أسلبَ ولـم أُصَبِ
لكنكم يا رعـى الرحمن جانبكم رمتم أماناً بذا من سـورة الغضب
جعلتموني كـي لا ادّعــي حكماً غنّى بها الناس من ذي فطـنة وغبي
حتى غدت مثل ضوء الشمس ساطعة لم تحتجب عن عيون الناس بالحُجُبِ
سرقتموها وهـل لي أن أبـوح بها ولا أحبّ افتضاح الصفوة النُجبِ
إذ لست أبخل في طبّي على أحدٍ فكـيف ابخل فـي منتوجي الأدبي

ثم قرأ قصيدته التي ادعى أنها الأصل. ومنها بعد حذف المقدمة الغزلية:

تركت حبي وما لفّقتُ من كلمٍ وقد تغيّر منطوقي ومعتقدي
وعاد قلبي مملوءاً بحبّ فتى ولاّه في يوم حشر الخلق معتمدي
أعني علياً أميرَ المؤمنين ومن أقام دين الهدى في مِقوَل ويدِ
وصاحبَ البيعة الكبرى التي شهدت بها حضور الملا موفورة العددِ
ألست أولى جميع العالمين بهم قالوا بلى وأبُ يحنو على الولد
فقال من كنت مولاه فحيدرة مولاه بعدي كما قد كان لي عضدي
هذا الوصي الذي تلفى ولايته لمن تمسّك فيها خيرَ مستند
لكنما القوم غضّوا الطرف وانقلبوا من بعدهِ بل هم ضلّوا عن الرشد

وما أن أنهى إنشاده لقصيدته حتى تعالت أصوات المعترضين على ما ادّعاه وكان شيخنا زين الدين رَحِمَهُ اللهُ أول المتصدين له بقوله:

حكم تعرّضه الدعوى إلى تهم والعدل أفضل ما يُرجى من الحكم
أردفت رأيك في دعوى تناقضه فكنت معترضاً للرأي بالعقم
حررت قاعدة لو تم شاهدها لكنت أولَ محكومٍ ومنهزِم
رأيت أن ضعيف القوم أسبقهم فكان رأيُك فينا غير متهم
ثم ادّعيت قويّ السبك مجتنياً عما نطقت به في الرأي من كلم
فكنت تهدم ما شيّدت من أسس وكنت تنقض ما أبرمت من حِكَم
ولو تعمّدت ضعفَ القول كنت به أسدّ رأياً وأقوى عند مختصم
فلا ادعاؤك بعد الحكم محتفلٌ بهِ ولا الرأي اذ يبدو بمحترم

وتلاه المرحوم السيد مصطفى جمال الدين الذي قال:

إيه (خليلي) كل امرئٍ ضعفت ألفاظه عدّ فينا غير مغتصب
فربما كان فحلاً بالقريض وقد راى التضاعف يدنيه إلى الغَلَب
كالشيخ إذ يتعاطى صبغ لحيته ليخدع الناسَ بالتدجيل والكذب

وجاء الشيخ صالح الظالمي ليؤكد دعواه ويتّهم الخليلي بالخداع وتجاوز العدل ومخالفة الثقة به فقال:

مرت كأغنية المهموم في السحر هيفاء تستلب الأكباد بالحور
تعادل الحسن في أطرافها فغدا جمالها فتنة الألباب والنظر
تنازع القوم في أسلابها فأتت تشكو لحاكمها من قسوة البشرِ
وحاكم أحرزت في عدله ثقة يرى الخصام فيُبدي حكم مقتدرِ
ترجو النجاة من العادي وقد جهلت ما خبّأته بقاضيها يدُ القَدرِ
أضحى يساجلها الألفاظ عن شغف بها ويسترقُ الألحاظَ في حذرِ
واحتال أن يتبنّاها لغايته فاختار للحُكم فيها أجمل الفِكَر
فأثبت الحكم فيها للضعيف لكي يقوى على أخذها منه بلا خطر

ثم اتجه إلى الجعفري قائلاً:

أبا رياض لقد أمّتك شاكيةً من العداء ودمع العين كالمطر
فانظر إليها بعطف إن مهجتها غدت موزّعة بالهمّ والكدرِ

وتوجه الشيخ سلمان الخاقاني رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ للجعفري بقوله:

أبا رياض يا لسان النادي ونجمه اللامع في البلاد

إلى قوله:

فاحكم كفيت زلة العوادي بالعدل والسداد والرشاد
واكشف لنا دفائن الأحقاد (أبا رياض يا لسان النادي)

وأصدر الأستاذ الشاعر الشيخ صالح الجعفري حكمه مع اعتذار ينم عن عدم الثقة، فقال: هذا رأي مرتجل، قد يصيب وقد يكون معه الزلل، فقد عرفت نفسي ولم أقل: أصالة الرأي صانتني عن الخطل، فالقصيدة لصاحب القافية اللامية دون

خطابها وإن لم يكن فهو دونهم أولى بها والقضية قضية نشاط فكرٍ وذوق، وقد شب عمر عن الطوق، وأما الأستاذ الخليلي فسامحه الله على فعلته، وما هي إلاّ من فطنته لا فتنته، فقد صار مثالاً للحاكم النبيه، وكل جانٍ يده إلى فيه.

ثم قال قصيدة بوزن وقافية القصيدة المحكوم لهاكما هو المتفق عليه وهي:

إلّيـــَة بـك لا بالأعيـن النـجل لأنت بين عيون الشعر كالشُعلِ
لو صور الشعر عيناً كنت كالكحل أو صور الشعر ثغراً كنت كالقُبل
من لي برشف رضابٍ منك يسعفني وقـد حمته رمـاةُ الحيّ من ثُعَلِ
يتيمة السلـفِ الغادين من مضرٍ خفيرة الحي بين البيض والأسلِ
لم تحظ شمس الضحى يوماً بطلعتها الغراء إلاّ على شيءٍ من الخَجلِ
وما ألـمّ بها البـدر المنيـر دجـى إلا تعـثر بيـن الريث والعجلِ
لم تستقر بأصـلاب الرجـال وإن قـرّت بأحلامهم من سابقِ الأزلِ
لم ترتضع غير دَرِّ الفكر إذ حرمت المـراضع من صـابٍ ومن عسلِ
حمى طفـولتها الضلـيلُ من عبثٍ وحاطها المتـنبي حيـطةَ البطل
حتى إذا قلب الـدهر المـجن لها تبلغت بعد فيض البحر بالوحل
لـو لم يقدر غـواة الشعر قيمتها لما غدت بيـن منتتاشٍ ومنتشلِ
تجاذبتـها أكـف لا تمـتّ لـها بـأيّ آصـرة في الأعصر الإوَل
وانكـبةَ الفـنّ بين الـجدِّ والهزل وضيعة الحق بين الذئب والحَمل

ثم عَرَّض بالشيخ الخليلي ومحاولته التي ذكرناها لدى تحكيمه فقال:

وحـاكـم وحكـيم راح يـوهمها صدق الطويّة في قولٍ وفي عملِ
اتـته ترجو الشـفا مما ألـم بها فكـان فـي مـا أتـاه علة العلل
قال أقصديني في بيـتي تَري عجبا الطبّ والشعر مجموعين في رجلِ
هـذا فـؤادك ذو ضعفٍ وذو هـنٍ وذا قميـصك مقدود من القُبل

لا يخدعنّك فتيانٌ عهودهم كالورد بين طلوع الفجر والطفل
كم مصرعٍ للغواني بين أرجلهم مرّوا عليه بقلبٍ غير محتفلِ
ما اسودّ شعرُ الفتى الا ليخبرنا بما طوى من سوادِ القلب والدَخلِ
وإن شَعري لما ابيضّ دل على بياض قلبي فكوني يا بنيةُ لي
قالت: وضاقت بها الدنيا بما رحبت يا للبلية من دارية غزل

والمحكوم له -كما هو واضح- الشيخ محمد الازيرجاوي... لكن الأستاذ الجعفري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يصب الواقع في ذلك فإن القصيدة الأصل كانت للعلامة الشيخ سلمان الخاقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهناك مباريات أخرى جميلة نذكر هنا فقط ما حدث في إحداها من حوار وخصومة شعرية في مسألة التحكيم وانتخاب الحاكم فهو من أجمل وأطرف ما يقرأ في موضوعه. وفي توظيف التاريخ والعقيدة بصورة أو بأخرى في هذه الخصومة

لقد شارك في هذه المباراة عدا بعض من تعرفنا عليهم في المباراة السابقة أعلام آخرون منهم السيد عباس أبو الحسن العاملي والأستاذ هادي محيي الخفاجي والسيد محمد رضا الحكيم، والشيخ عبد العظيم الربيعي والشيخ أحمد الطرفي والشيخ عبد الزهراء الصغير، ثم التحق بالمباراة بعدئذ الشيخ عبد المنعم الخاقاني والشيخ جاسم الخاقاني...

وتدور المباراة حول صورة رسمها شيخنا زين رَحِمَهُ ٱللَّهُ شعراً لرجل جاوز سن الشباب فلم تعد قضية الحب تشغله، ولا صورة الحبيب تحرك مشاعره حتى ان فتاته التي توله بها وهي إلى جنبه لا تلفته ولا تذيب جليد عواطفه. يقول شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

صبوة تنقضي مع الأيام وفؤاد يسلو حديث غرام
ودموع من الصبابة يرقيها مرور السنين والأعوام

الــف الحب ناشئاً فلماذا لا يـراعـى للحب حق الذمام
مـطـرق لا الـفـؤاد مـنـه كليم من هـواه ولا الـدمـوعُ هوامي
وإلـى جنبه الفتاة التي كابد في حبها ضـروب السقام
جفّ منها ماء الصبا فاستحالت نضرة الحسن في الخدود الوسام
وتـوارت تلك المحاسن كالبدر تـوارى جماله في الغمام

ثم يطرح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصورة تساؤل حول ما يمكن ان يكون هو السبب في ذلك فيقول:

أتـراه وقـد ألـم بـه الشيبُ تـنـاسـى لـذاذة الأحـلام
أم لأن الـغـرامَ شـابَ فأضحى معـرضاً للسهادِ والآلامِ
أم لأن الأيـام قـد أهلته في تجاريبها لأسمى مقام[1]
فـرأى الحب والصبابة والآلام مجمـوعة من الأوهـامِ
ورأى صفحة من الحزن تشجـي فطواها عنه بغير اهتمامِ
نـزوات الشباب والحلم الطائش محظورة على ذي احترامِ

ثم رأى أن هذه غير كافية لتفسير الحالة فقال:

هـب تـنـاسـى غـرامه فلماذا يـتـصـابـى لـسـالـف الأيـام
ولـمـاذا يبدو الوجـوم عليه عند ذكـر الـحـقـول والآرامِ
أو ليست تلك البقايا من الحزن دليـلاً عـلـى بقـايا غـرامِ

بهذه افتتح شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المباراة وعين موضوعها بعد أن طلب إلى الآخرين تصوير الحالة شعرياً ثم ما يتصورونه سبباً لها على أن يتقيدوا جميعاً بالوزن والقافية.

---

(١) كأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يتنبأ بما أعطاه الله من مقام سامٍ.

ورأوا بعد ذلك أن يجتمعوا لاختيار أحسن هذه المقطوعات شعراً، وأجملها إجابة.. ولدى الاجتماع بدأ العلامة الشيخ عبد العظيم الربيعي متبرعاً فحكم بأن إجابة الشريفي هي الأفضل قائلاً:

قد قطعتم معارك الالتحام واطلتم في النقضِ والإبرام
صرح المخض عن جناه فبانت طلعة الحق في فمٍ بسامِ
فجواب من الشريفي شريف وسواه فمن فضول الكلام

فأنكروا عليه ذلك وقال أحدهم

قد أبان العظيم في الحكم جوراً ليري الناس عثرة الحكام

لكن الشريفي ثار لذلك والتفت إلى الشيخ الربيعي قائلاً:

إنه غيظ حين أبديت رأياً أحسنت صقله يد الإلهام
راح يهجوك حين قصّر باعا مثل رامٍ شمسَ الضحى بسِهامِ
ولقد قيل في المقال قديماً تكره العين كل سامي المقامِ

لكن ذلك لم يُجدِ فقد واصل آخرون الإنكار على الربيعي تبرعه بالحكم فقال أحدهم:

أرأيت الجواد يكبو عن القصد وينبو بالضرب حد الحسامِ
يرسل الحكمَ قبل أن يعرف الحق ويبدي جراءة المقدامِ

لكن زميله يلتفت إليه كما لو كان معتذراً عن الشيخ الربيعي اعتذاراً يستبطن اتهامه بفقدانه القدرة النقدية والتمييز بين الجيد والرديء فيقول:

خدعته ظواهر اللفظ تنميقاً فصدّته عن بلوغ المرامِ
ورأى البرقَ قد علا جانب الوادي فظن السحاب غير جهام

فردّ هذا اعتذاره بأنه تقدم للحكم دون أن ينتخب لذلك. واختار إجابة واضحة

العيوب ويمضي معدّداً ما في إجابة الشريفي من قولٍ زور فقال:

ومن اختاره ليحكم بالجور ويدلي برأيه للأنام
إنه يرتضي جواب الشريفي وهل كان غير زور الكلام
وصم الحبّ وصمة تخجل الحب ويندى لها جبين الغرام
قد عرفنا الغرام يشرق في النفس فيسمو بها لأعلى المقام
وعرفنا الغرام سراً من القدس نزيهاً عن ساحة الآثام
وعرفنا الغرام وحيا إلهيا ينير النفوس بعد الظلام
يفخر العاشقون في عفة النفس ويستعذبون مرّ السهام
ويريدون في الهوى لذة الروح ويأبون لذة الأحكام
وتراه يصور الحب شيئاً عابثاً بالقلوب والأحلام
ثم يختاره الربيعي رأياً مبدياً حكمه بلا استعظام

ويتأثر الربيعي من ذلك فيقول مهدداً:

لست أخشى إذا بدى الحق عندي يا عذولي إظهاره في كلامي
أتراني أكون شيطانها الأخرس آلف السكوت والإفحام
هو رأيي به تعبدني الله فقولوا ما شئتم في ملامي
علم الله أنني لا أحابي وأذن ما لعتبكم من مقام
لا تهيجوا عواطفي واتركوا زند شعوري لا يصلكم بضرام

وهنا تثور ثائرة صديقه العلامة الشيخ أحمد الطرفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان من أظرف الناس وأطيبهم قلباً وأحبهم للدعابة وأكثرهم احتمالاً لها مع عفاف وخلق ودين، فيقتحم الميدان مناضلاً عن صديقه الربيعي موافقاً له في الرأي، فيقول وشعره يتقد غضباً:

ذهب الحق والحياء من الناس فلا مُسعدٌ له أو محامي

وعفت سنّة الوفاء وضاعت في أباطيلهم صفات الكرام
ويريدون هدم ما أسس العدل عناداً بمعولٍ هدام
وإذا ناصر الحقيقة فردٌ قابلوه حرباً بجيش لهام
فيغطون وجهها بنقاب من سخيف الأهواء والأوهام
ويصرّون منكرين كأن الشمس تخفى أنوارها في لثام
وإذا غار للوفاء غيور وخزته أسنة الأقلام
وإذا رام أن يقول بحقٍ ألجموه ظلماً بألف لجام
غرّكم أن رأيتمونا سكتنا فجرأتم على اللقا والصدام
إن أسد العرين غير رقود وحماة الذمار غير نيام
فاحذروا إن عقلتم غضبة الحق وخافوا مغبة الإقدام

تنتهي ثورته، فيلتفت أحد الحاضرين قائلاً بدعابة قاسية تجارى ما عرف به الشيخ الطرفي رَحِمَهُ اللهُ من ظرف وبها نعرف مدى التسامح في المجالس الإخوانية فقال:

قد عذرنا الأديب يصدر حكماً بين أهل النبوغ والإفهام
ما الذي أبرز الهجان إلى السيق عراة العقولِ والأجسام
صهلت كالجياد في أول الشوط وأبدت نهيقها في الختام

ويكثر الشغب بين الحاضرين وتثور ثائرة المعترضين، وتتعالى الأصوات بين مفند ومنتصر فيوجه أحدهم عتابه إلى الجميع منبهاً إلى ما بلغت بهم الخصومة من تسامح واعتداء فقال:

قد تجاوزتم حدود النظام ونقضتم قواعد الاحترام
احفظوا للأديب حرية الرأي وصونوا له جميل المقام
ليس حكماً ما قاله إنه الرأي وهل في إبدائه من ملام

يقتنع الجميع بقوله، ويعم الهدوء، وبعد فترة قصيرة، يقوم أحدهم مفتتحاً جلسة التحكيم وطرح أسماء المرشحين فيقول:

قادة الفن والنبوغ السامي قد أتيتم بمعجزات عظام
وأبنتم وجه الحقيقة كالصبح تجلى عنه ستار الظلام
لمحات من عالم النور تبدو في قواف مسبوكة بنظام
حكم قد تنزلت كنزول الوحي من سر عالم الإلهام
غير أن اختلافكم ايهم الامر وأخفاه عن ذوي الافهام
أفترضون بابن يعقوب فصلاً نافذاً رأيه بهذا الخصام

(وابن يعقوب هو العلامة الخطيب المعروف الشيخ محمد علي اليعقوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

فينبري أحدهم مؤيداً بالقول:

أنا في الحكم قد رضيت علياً فهو في الحكم سيد الحكام

ويتلوه ثان كذلك قائلاً:

عدل كسرى ممثل بعلي حين يعلو منصة الأحكام

ومثلهم الثالث فقد قال:

قد رضيت الشيخ الكبير أبا موسى لإعطاء حكمه في كلامي

ويرفع رابع صوته مؤيداً قائلاً:

صرح المصطفى بأن علياً هو والحق لم يزل في وئام

وخامس يقول معللاً تأييده لهذا الاختيار ومعرضاً بالقول للربيعي في اختياره السابق قائلاً:

قد رضيناه للحكومة شيخاً لا فتياً يصبو لدين الغرام
وتجنبت حكم كل دخيل يحسب الحق من فضول الكلام

وسادس أيضاً قائلاً:

لعليّ تلقى المقاليد في الحكم وهل فوق حكمه من مرام
ولقد قال سيد الرسل (أقضا كم على) في شرعه الإسلام

وسابع:

أن مثل (العلي) يجدر فيه أن يولى القضاء عند الخصام

وثامن: يصحب تأييده بغمزة جميلة فيقول:

لست أبغي غير تحكيم أبي موسى فقدماً قضى لأهل الشام
ارتضيه وإن تنازل مخدوعاً لعمرو ولم يَمل للإمامِ

لكن أحد الحاضرين يخالفهم في اختياره وقافيته فيقول:

أنا لا أرتضي المحكم إلا جعفرياً لأنني جعفري

والمقصود بالجعفري الأستاذ صالح الجعفري رحمه الله.

فرَد أحدهم جعله الاسم مدعاة لاختيار المسمى قائلاً:

إن يك الاسم مرشداً للمسمى إن هذا (محمد وعلى)

ويعلل أحدهم اعتراض هذا الشخص على اختيار الشيخ اليعقوبي واختياره الجعفري مكانه بهذا التعليل البالغ الطرافة قائلاً:

وهم الشيخ إذ دعونا أبا موسى إلى الحكم أنه الأشعري

ثم يوجه خطابه إلى ذلك الذي فضل الأستاذ الجعفري على اليعقوبي قائلاً:

نحن لا نبخس الأديب حقوقاً بين الأنام فيها حريٌّ
فكلا الشاعرين في حلبة الفن شجاع عند اللقاء كميّ
وكلا الشاعرين غر القوافي شاهداتٌ بأنه عبقريٌّ

ولأمرٍ نختار حكم أبي موسى بهذا الخصام وهو جليٌّ
ألف الحب في صباه وقد شاب وعهد الغرام منه فتيٌّ
فهو يقضي عن خبرة وسواه هو أجنبي عن الغرام دعي

وتكون نتيجة الانتخاب تعيين الأستاذ الخطيب الشيخ اليعقوبي حاكماً، وبإيعازٍ خاص من لجنة الانتخاب تكلف بعض أعضائها وهو الأديب العلامة الشيخ سلمان الخاقاني بتقديم الدعوى إلى الحاكم للنظر فيها، وإصدار الحكم النهائي، فقدمها بهذه الأبيات:

يا بن يعقوب يا وحيد الأنام وشريف الآباء والأعمام
وعميد العلى لرابطة العلم وعنوان فخرها المتسامي
ولسان الغرى ينطق بالفصل ويبدي نواقص الأيام
لك شأن اجل من أن يجارى ومقام يبذّ كل مقام
وفخار تلوى الخناصر فيه وسواه يعد بالإبهام
هذه حلبة من الأدب الحي تبارى بها ذوو الأقلام
شنها في الغري أنبل شخص نال في سعيه المقام السامي
جاء في نظمه الرقيق بآي الشعر والفن في بديع نظام
سائلاً في الغري كل أديب عرف الحب واكتوى بالغرام
سائلاً عن غرام شيخ قديم ذاق طعم الهوى بأترع جام
ألف الحب ناشئاً فلماذا لا يراعى للحب حق الذمام
مطرقٌ لا الفؤاد منه كليم من هواه ولا الدموع هواني
وفؤاد قد شيّد الحب فيه معهداً للغرام سامي الدعام
ما الذي جد فيه حتى تداعى واستمال البنا للانهدام
أتراه وقد ألمّ به الشيب تناسى لذاذة الأحلام

***

فانبرى للنضال كل أديب مخضَ الدهر واكتوى بالهيام
حدّدوا موقف الغرام ولكن مال كلٌّ لمذهب ومرام
حدثت فتنة التفرق في القوم وعمّ البلاد داء الخصام
وادّعى كلٌّ واحد: قولي الحق وإن الصواب الف كلامي
ولفصل النزاع يفتخر القوم بتحكيم أعدل الحكام
عرفوا فيك حاكماً درس الفن فالقى إليه فضل الزمام
ورأوا فيك ذلك الرجل الفذ حليف العلى نزيه المرام
لم تمل في القضاء نحو هوى النفس ولا جرت في حقوق الأنام

ويصدر اليعقوبي حكمه قائلاً:

قل لقوم قد حكّموني فيما أبدعوا فيه من جميل النظام
حكّموا في الغرام شيخاً ولكن رأيه في الغرام رأي غلام
قد تناسى الهوى فأملوا عليه ما طوته صحائف الأيام
حلبة قد تسابق القوم فيها لوراء هذا وذا لأمام
غير أن الهادي وسلمان حازا قصب السبق والمنى والمرام

فيكون السابق مردّداً بين الشخصين المذكورين.

والمباريات لا تقف في مجلس الشيخ الأدبي على امتداد العام، ولا تحتاج في مناسباتها إلى تكلف، فهي أحياناً تأتي عفواً قد تكون بمناسبة وليمة، وقد تكون عتاباً على عدم الدعوة إليها وربما كانت وصفاً لطباخ نفطي يأبى الاشتعال أو لصوته ودخانه، وقد تكون وصفاً لدجاجة تآمر الاخوان حتى ذبحوها، أو رسالة من الشيخ الخاقاني للشيخ زين الدين -رحمهما الله -أو بالعكس.

وبعبارة مختصرة كان الشعر لغة حضار هذا المجلس والوسيلة التي يتعاطونها قصداً.. إدامة للمناخ الأدبي الذي ينشأ في داخله الجيل القادم.

دروسهُ في الأخلاق:

قال بعضهم إن شيخنا رَحِمَهُ اللهُ: كان فيلسوفاً أخلاقياً، وقد مر أن في أساتذته (رحمهم الله) من كان معروفاً بذلك نظرياً وعملياً كالشيخ الأصفهاني والسيد البادكوبي، والشيخ علي محمد البروجردي (رحمهم الله).

ومن يقرب من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ويرى صورة تعامله مع شؤون الدنيا المختلفة سلباً وإيجاباً في ما يتصل بنفسه أو بالآخرين... المواقع. الناس. الأحوال المتقلبة. الصحة. المرض. الشدة. الفرج. الحياة. الموت. يكاد يجده في ما يظهر له -على الأقل- في حالة واحدة. مما يعسر أن تكون إلاّ لدى المتعاملين -في جميع ذلك- مع ذات واحدة هي ذات الخالق -سبحانه- وإلا لدى من وعي الخلفيات والأسس في المقادير وتعامل معها برؤية الآباء من أهل الحكمة، والا لدى من راض نفسه حتى ملك انفعالاتها وردود أفعالها.

إن التواضع والحب والرأفة والصبر والرضا وغير ذلك من الصفات الفاضلة كانت من أخلاقه النفسية التي أصبحت لديه -بطول المجاهدة- ملكات بل سجايا هي بعض مقومات شخصيته التي لا تنفك، ومن الطبيعي بعد ذلك ان تنسجم معها أخلاقه العملية -كآثار- وأن لا يحتاج في شيء من ذلك إلى معايير وحسابات.

ذلك أمر مشهود لكثير ممن عرف شيخنا على قرب، وبها وُصِفَ شاباً من قبل من كتب عنه على ما بينهم من اختلاف. فاقرأ ما قاله الشيخ أغا بزرك رَحِمَهُ اللهُ من جهة، والأستاذ الشيخ علي الخاقاني من جهة أخرى ولقد رأيته -وأشهد الله- في مصيبتين كبيرتين تلقاهما فبدا لي مع ما يعانيه من مرض قرحة (المعدة) لفرط ما رأيت من حالٍ هادئ مطمئن كما لو كان قاسياً لا راضياً وهي نظرة قصيرة قطعاً.. ثم قربت منه بعد ذلك أكثر مما كان وأطلت مجالسته فإذا هو من أرق الناس حسّاً وأكرمهم أخلاقاً وأحسنهم تعاملاً مع الله وخلقه.

وقـد قدّمنا بعـض ثُنائياتٍ له من ديوانـه (أمالي الحياة) وهو مـن نتاج مرحلة شـبابه (ذكـره أغا بـزرك في ترجمته) وهي تعكـس آراءه قبل أكثر من خمسـين عاماً ونظراته الأخلاقية التي هي رشـح ما هو عليه بالفعل خلقاً نفسياً وعملياً، وكان لهذا الجانـب الأخلاقي من شـخصية الشـيخ رحمه الله أثـره البالغ في طلاّبـه وعارفيه بل هو الجانب الأكثر أثراً في نفوس عارفيه من أي جانبٍ آخر ذكرناه من جوانب مؤهلاته وملكاته، على ما لتلك الجوانب من أهمية عظيمة، لا لشـيء إلاّ لأنه الجانب الذي يبـدو للناس أنه أقل وجوداً أو بروزاً لدى قياس علماء الدين بما عرف عن الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم واوصـيائه المعصومين عليهم السلام في واقع تعاملهم مع الناس.

إن النـاس بحاجة أن تشـم في رمـوز الدين رائحة آل محمـد عليهم السلام يريدونهم آباءاً قبل أن يكونوا زعماء، وقدوات بالمثل قبل أن يكونوا بالتعليم.

كنـت في ديـوان الشيخ رحمه الله يوماً وبقربي شابّ حوزوي نابه من أسرة علمية معروفـة وحيـن جاء الشـيخ رحمه الله ورأى تواضعه وبسـاطته وعفوية تعامله، ونسـيانه لنفسه وللمظاهر التي يفرضها عادة مقامه، قال: «هذا ما نفقدهُ. هذا ما نريدهُ».

لا نعنـي بهذا الحديث التأشـير سـلباً لأحد في ذلك، ففـي المراجع الآخرين (حفظهـم الله) من هو مثل وقـدوة، لكنا أردنا فقط التنبيه إلى بروز هذا في مكونات شخصية شيخنا رحمه الله.

وقـد لا يعلـم الكثيرون أنه كان لشـيخنا رحمه الله درس فـي الأخلاق حضره عدد من فضلاء طلاب الحوزة، ولا أدري ما إذا كان هذا الدرس هو الأسـاس وراء كتابه (الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام) الذي صدر لأول مرة في سلسلة حديث الشهر التي يصدرها الأسـتاذ عبد الأمير السـبيتي في السـبعينات من التاريخ الهجري لعله في سـنة ١٣٧٢، أم كان الكتاب هو الأسـاس وراء الدرس، ولكن المؤكد أن توجّه الشيخ رحمه الله. هو ما كان وراء الاثنين وإذا كنا والقراء لم نسعد بحضور هذه الدروس

التي فاتنا بها أثر شخصيته وأنفاسه -فإننا نستطيع أن نتلمس ذلك في رشحات قلمه وجمال بيانه بتقديم بعض هذه الدروس في الآتي:

ميزان الخلق الصَحيح

«من سرّته حسنته وساءتهُ سيئته فهو مؤمن» الإمام الصادق عليه السلام.

غاية علم الأخلاق أن يوصل الإنسان إلى الكمال الأعلى الذي يطلبه بأعماله وصفاته، ولهذا فان بعض الخلقيين يسرف فيقول: «علم الأخلاق أشرف العلوم جميعاً لأنه يوصل أشرف مخلوق إلى أشرف غاية»، والحكم الذي لا يقبل الشك فيه: أن علم الأخلاق من أشرف العلوم ومن أرقاها.

علم الأخلاق رائد الإنسان إلى السعادة، ودليله على الخير الأعلى، وهو مرشد النفوس إلى الفاضل من الصفات، والفاضل من الأعمال، ومن الجور الذميم أن نتوقع منه أكثر من هذا.

لعلم الأخلاق أسوة بإخوانه من العلوم التي تُطلب لغاياتها، عليه أن يمهّد السبيل إلى الغاية، ويوضح الطريق إلى المقصد.

وعلى العالم الخلقي أن يكون طبيباً ماهراً يعيّن الداء بدقة، ويصف الدواء بمهارة، وليس عليه -بعد هذا- أن يضلّ الضالّ، أو يصل الواصل، فإن لحصول النتيجة شروطاً أخرى وراء معرفة المقدمات، قد يخطئ الإنسان الهدف الذي يريده لأنه أساء التطبيق، أو لم يحسن استعمال العلاج، والمحاسب عن هذا التقصير هو الإنسان نفسه لا علم الأخلاق، وقد أوضح الإمام هذهِ الناحيّة بقوله: «إن نفسك رهينة بعملك»[١]. وقوله عليه السلام: «وقد جعلت طبيب نفسك، وبيّن لك الداء وعرفت آية الصحة، ودللت على الدواء فانظر كيف قيامك على نفسك»[٢].

---

(١) الكافي الحديث ٨ من نوادر باب الاستدراج.

(٢) الحديث ٦ من المصدر المتقدم.

علـم الأخلاق هو الوسـيلة التي تكشـف للإنسـان الـداء، وهـو الذريعة التي يعـرف بها آيـة الصحة، والمرشـد الذي يدلّه على الـدواء، ثم يوكل اسـتعماله إليه، فلينظر كيف قيامه على نفسه.

أمـا قول الإمام عليه السلام في هذا الحديث: «جعلت طبيب نفسـك»، فإنه يجري على اسـتعارة جميلة، وكثيراً مـا كررها الخلقيون في كلمـاتهـم، وبين الطب وعلم الأخلاق نواحٍ كثيرة من وجوه الشبه.

للإنسـان صـورة ظاهرة يفحصهـا الطبيب من حيـث الصحة والمـرض، وله صـورة باطنـة يبحث عنها الخلقي مـن حيث التوازن والانحـراف، ولكل من هاتين الصورتيـن طوارئ تخرجها عن الاسـتواء والتوازن في صفات الجسـم الذي يطلبه الطبيـب لأنـه صحـة، وله نظير فـي النفـس يطلبه الخلقـي لأنه كمـال، والانحراف الـذي يدفعه الطبيب عن البدن لأنه مرض جسـمي يحـارب الخلقي مثله في النفس لأنـه مرض روحي، واذا كان حصول الكمال النفسـي سـعادة للإنسـان -كما يقول الخلقيون- فان حصول الصحة سـعادة للبـدن -كما يقول الأطباء- وكثيراً ماسرت أمـراض البـدن إلى النفـس، وتعـدّت أمـراض النفس إلى البـدن والمتأخـرون من الخلقيين والنفسيين يقولون: «العقل الصحيح في الجسم الصحيح».

الإنسـان هو طبيب نفسه وهو المسؤول عن تركيبها وتهذيب أخلاقها، ولكن علـى الأخلاقـي أن يدلّه على آية (الصحة) وأن ينصب لـه ميزاناً عادلاً يميز صحيح الملكات ومفاسـدها، وخير الأعمال وشـرها ليألف الحسـن منها ويجتنب القبيح، وقد علمنا في الفصول السـابقة مـا يتكفل لنا بذلك، فقد عرفنا أن فضائل الملكات أوسـاط ورذائلهـا انحرافـات واطـراف، وعرفنـا أن المقيـاس الـذي تعلـم بـه هذه الأوسـاط هو الشـريعة الإلهية المعصومة، وبهذا الميزان نسـتطيع أن نعرف الخلق الصحيح فنتوجه إليه في سـلوكنا، وأن نحكم على العمل بأنه خير، وأنه صواب إذا وافق الخلق الكريم.

ولكنا قد نخطئ الهدف المقصود وإن كنا قد علمنا جميع ذلك، وطبقناه على أعمالنا وعاداتنا.

قد نعين الأوساط التي حكمنا بأنها فضائل، ونميزّ الأعمال التي تختص بها هذه الاواسط ثم نسعى إلى تحقيقها حتى يصبح الخلق صفة من صفاتها ونحن مع هذا الجهد كله لم نتصف بالفضيلة لأنا قد أضعنا الغاية التي لأجلها حببت هذه الفضيلة.

ليست الأوساط بمطلقها فضائل، فقد تطلب هذه الأوساط بغير غاياتها، والخلق الصحيح ماطلبت به الغاية الصحيحة، والقاعدة التي ذكرها الخلقيون لذلك:- أن يتصف الإنسان بالفضيلة لأنها فضيلة. ويجتنب عن القبيح لانه قبيح. أما الامام الصادق عليه السلام فيقول في ذلك:

«من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن»[1].

الحسنة هي عمل الخير إذا قصد به الوجه الصحيح، والسيئة عمل الشر وعمل الخير أيضاً حين يقصد به غاية غير صحيحة، فاذا سّر الإنسان بحسنته واستاء من سيئته كان هذا دليلاً على تركز الخلق الصحيح في نفسه، لأن السرور هو التذاذ الإنسان حين يرضي رغبة من رغباته والمساءة هي التالم الذي يحصل عند انقماع الرغبة.

وهذا الذي يذكره الخلقيون هنا لا ينافي تحديد معنى الفضيلة وإنما هو شرح وإيضاح.

الفضيلة أن تعتدل الملكة النفسية فلا تشذّ ولا تنحرف، وإذا مالت بها الأهواء واستخدمتها الغايات فقد شذّت وانحرفت.

---

(١) الكافي: الحديث ٦، باب المؤمن وعلاماته.

الفضيلة أن تسير النفس في عملها وفي صفاتها على هدى العقل وإرشاده، فاذا قصدت بالعمل أو الصفة غاية وضيعة فقد بعدت عن حكمة العقل، وتعامت عن إرشاده.

والفضيلة أن يتوسط الإنسان في ملكاته وأن يتسامى في غاياته، أما هذا الذي تحدثنا عنه فهو باطل يشبه الحق، وضلال يشبه الهدى وسيئة تلبس الحسنة.

أصول العلاج عند الخلقيين

«أقصر نفسك عما يضرها قبل أن تفارقك، واسعَ في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك فان نفسك رهينة بعملك» الإمام الصادق عليه السلام.

تحدثنا عن العلاقة المتينة بين علم الطب وعلم الأخلاق، وعلمنا كيف يكون الاتصال وثيقاً بين العلمين، وكيف يشبّه الطبيب بالخلقي، والخلقي بالطبيب وليس الأمر بين العلمين مقصوراً على المشابهة فقط، فان بين العلمين اتصالاً هو اكثر من المشابهة، ورابطة هي أشد من التماثل على أن بين العلمين فروقاً واضحة هي الفروق التي تكون بين علم وعلم اخر، ومن هذه الفروق التي نلاحظها بين العلمين أن الأدواء التي يدافعها الطبيب عند الجسد، والتي يمانعها الخلقي عند النفس كل منها انحراف وشذوذ وتخلّف عن كمال محبوب، ولكنا نجد أن الأدواء التي تحدث في الجسد تكون مبغوضة للإنسان ولا يمكن أن تكون مرغوبة له إلا في أحوال استثنائية لا يصح القياس عليها، ونجد ادواء النفس على العكس من ذلك، فإنها مرضية للنفس محبوبة لها عند أكثر الناس.

والسر في هذا الحب العجيب أن هذه الأدواء تكفل للنفس بعض مشتهياتها، وتحقق لها بعض ميولها ورغباتها، والنفس تألفها لهذه اللذات الزائفة، وأن كانت أدواء فاتكة وسموماً قاتلة وقد يبلغ الأمر ببعض النفوس الوضيعة أن تنفر من الخلق الكريم لأنه يمنعها عن تحصيل هذه اللذات.

أدواء الجسد في الأكثر تصحب آلاماً محسوسة والإنسان يمقتها لأنه يحس بآلامها أما أدواء النفس فلا تكون كذلك لأنها تسبب آلاماً معنوية وانحطاطاً كمالياً، وقصيرُ النظر لا يعبأ بهذا النقص، ولا يعتني بهذا الألم، لانه يجهل ما يسميه الخاصة كمالاً أو رقياً معنوياً.

١- وإذن فأول علاج يصفه علم الاخلاق لهذه الأدواء هو العلم لأنه يرفع النفس من هذه الضعة وينقذها من هذا الانحطاط وهو الحاسة الدقيقة التي يدرك بها الإنسان لذة الكمال والم الشقاء، وقد سمعنا أحاديث الامام الصادق عليه السلام في العلم.

٢- للباحث الخلقي غايتان متساويتان في الأهمية:

١. تهذيب الملكات السافلة وإحالتها إلى أخلاق صحيحة.
٢. احتفاظ الإنسان بأخلاقه الصحيحة بعد التهذيب.

فالاعتدال الخلقي جهاد في جميع أدواره، وهو جهاد لأنه خروج على غريزة، وتمرد على قوة، وهو جهاد لأنه أرغام أرادة وقسر عادة، وهو جهاد لأن الفضائل أوساط ومعرفة هذه الأوساط تستدعي حزماً والإقامة عليها تستدعي عناء، وهو قبل هذا كله جهاد لأنه بحث عن عيوب النفس المحبوبة، والحب -كما في المثل المشهور-: يعمي ويصم. وإذا كانت للنفس رغبات وأهواء تزاحم الخلق الصحيح في أوقاته الأخرى، والنفس -من أجل هذه الرغبات المتزاحمة- في جهاد متواصل، ومعنى هذا أن العلاج الخلقي في جميع أدواره يعتمد على الصبر والثبات فبالصبر تغرس الفضيلة في النفس، والصبر هو الذي يتعاهدها لتنمو وينميها لتثمر، والصبر هو العدة التي يتدرع الإنسان بها أمام الأخطار، وهو الخلق الأول الذي يجب تهذيبه ليكون عوناً على تهذيب غيره، وهذا هو معنى قول الإمام الصادق عليه السلام: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك اذا ذهب

الصبر ذهب الايمان»[١]، وهو معنى قوله ايضاً: «رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحب العبد أو كره»[٢].

الصبر وقوف النفس أمام الشدائد وثباتها عند هجوم النوازل فهو فرع من فروع الشجاعة، والشدائد التي تثبت لها النفس قد تكون من الأمور الخارجية عند النفس كصروف الدهر وآلام الحياة، وقد تكون من الامور المتعلقة بالنفس كالآلام التي تحصل من مكافحة طغيان الشهوة وجموح الغضب، والثبات عند جميع هذه الآلام شجاعة.

الصبر على جهاد قوة الشهوة شجاعة لا عفة ولكن ثمرة هذا الجهاد هي العفة، والصبر على كفاح قوة الغضب شجاعة وثمرة هذا الكفاح شجاعة أخرى.

في العلاج الخلقي مصاعب، وهو جهاد مستمر ولكن هذه المصاعب لا تحدّ من قدرة الإنسان شيئاً، فالشخص حين يصدر العمل قادر على تركه، وهو حين يتركه مختار في فعله.

في وسع الإنسان أن يفكر في غايات أعماله فيحترز عن العمل القبيح، وأخيراً عن الخلق الذميم، في وسعه أن يفكر في غاية العمل قبل إصداره ثم هو في سعة من الفعل أو الترك لأن له إرادة واختيار. وإذا استطاع أن يخالف الملكة في المرة الأولى كانت مخالفتها في المرة الثانية عليه أسهل، وهي في المرة الثالثة أخف مؤونة وأكثر سهولة. وهكذا تأخذ الشدة بالضعف وتعود الملكة الثانية حالة زائلة، ويصبح الخلق السيئ أثراً بعد عين وليحذر أن تغلبه العادة الأولى قبل أن يكمل التمرين على مخالفتها. فإنها إذا غلبته مرة أفسدت عليه كثيراً من عمله، واحتاج إلى كفاح جديد، والإمام الصادق عليه السلام يشير إلى هذا الطريق من المجاهدة بقوله:

---

(١) الكافي الحديث باب الصبر.

(٢) الكافي الحديث باب الرضا.

«قف عند كل أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه قبل أن تقع فيه فتندم»[١].

وقوله: «إياك ومرتقى جبل سهل إذا كان المنحدر وعراً»[٢].

٣- في وسع الإنسان الحازم أن يقف من نفسه موقف المحاسب الشحيح فيستعرض صفاتها بالنقد والتمحيص، وسيوقفه الفحص على مواضع الخلل من ملكاته، ومن السهل عليه بعد هذا أن يجدّد في نفسه شوقاً إلى الفضيلة التي تباين ذلك الخلق السيئ الذي عرفه من نفسه فإذا أوجد في نفسه هذا الشوق فقد تم له كل شيء.

أما معرفة عيوب النفس فسنذكر لها طرقاً عديدة بعد هذا، وأما الشوق إلى الفضيلة فسبيله الفكر.

ليحدّث الإنسان نفسه بمحاسن تلك الفضيلة، وما تعقبه من آثار طيبة وعاقبة حميدة وما يناله أصحابها من مكانة سامية وشأن كبير.. ليحدث نفسه بذلك وليثق أن الشوق يحدث له قطعاً، لأن النفس تحب الكمال وتطمح إلى الارتقاء، ومن الخير له أن يطيل التفكير يذلك لتثبت الرغبة ويتأكد الميل.

وإذا تم للإنسان النجاح في هاتين المرحلتين فليجتهد بعد هذا في الأعمال التي توافق الفضيلة التي اشتاق إليها وكلما تكرر العمل ثبتت العادة الجديدة وانهار بناء الخلق القديم.

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام في المرحلة الأولى من هذا العلاج: «أنفع الأشياء للمرء سبقه الناس إلى عيب نفسه»[٣].

---

(١) تحف العقول ص ٧٤.
(٢) تحف العقول ص ٩٠.
(٣) تحف العقول ص ٨٩.

وقال في المرحلة الثانية منه: «التفكير يدعو إلى البر والعمل به»[١].

وقال في باب الزهد: «وإنما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة»[٢].

والأئمة من أهل البيت عليهم السلام كثيراً ما يعتمدون هذا الطريق في تهذيب الاخلاق، وقد قدّمنا للقارئ نموذجاً صغيراً من كلمات الصادق عليه السلام في ذلك.

٤- ذكر علماء الأخلاق لمعرفة الإنسان عيوب نفسه طرقاً متعددة نشير إلى بعضها فيما يأتي:

أ- الخلطاء والاصحاب

يحاول الإنسان أن يرى صورته الظاهرية فيمتنع عليه أن يراها بغير المرآة، ويحاول أن يطلع على عيوب نفسه فيتعذر عليه ذلك بغير الصديق، صديقك غيرك فلا يصعب عليه أن يطلع على نقائصك، وقد جعله الحب الصحيح كالجزء منك وهو لا يخفي عليك شيئاً تكرهه من نفسك «ولا خير في صحبة من لم يرَ لك مثل ما يرى لنفسه»[٣] ولذلك شرطوا ان يكون الصديق من أهل الأمانة والدين، وقد سمعنا قول الإمام الصادق عليه السلام: «أحب إخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي»[٤].

وهو يقول أيضاً: «من رأى أخاه على أمر يُكره فلم يردّه عنه وهو يقدر عليه فقد خانه»[٥].

ب- اجتنب ما تعده قبيحاً من غيرك.

تنظر إلى الناس الآخرين فترى عيوباً كثيرة تظهر في أعمالهم وأقوالهم، فإذا

---

(١) الوسائل الحديث ٥ باب استحباب التفكير من كتاب الجهاد.
(٢) الكافي الحديث ٥ باب الزهد.
(٣) تحف العقول ص ٩٠.
(٤) الكافي: الحديث ٥ باب من تجب مصادقته.
(٥) أمالي الصدوق، ص ١٦٢.

أردت إصلاح نفسك فاجتهد أن لا تعمل نظير تلك الأعمال، ولا تفكر في وجود تلك النقائص فيك. فإن النفس تنكره إذا كان خفياً، وتعتذر عن ارتكابه إذا كان ظاهراً، فتضيع منك الفرصة ويذهب عليك الوقت.

حـ- استفد من لسان عدوك ما خفي على عين صديقك.

قد يستر الحب بعض نقائصك على الصديق، وقد يتجاهل بعض عيوبك حذراً من إساءتك، ولكن العدو لا تخفى عليه نقائصك لأنه يراقبك بعين ساهرة، وهو لا يختشي من أن يسيء إليك فاجتنب عما ينسب إليك من الصفات والأفعال ولا يضرك أن يكون كاذباً إذ نفسك من العيوب.

د- إذا اتهمت نفسك بخلق ذميم وأردت معرفة موقع هذه التهمة من الصحة، فحاول أن توجد عملاً يخالف ذلك الخلق، فإذا صعب عليك العمل فاعلم أن ذلك الخلق من صفاتك.

هـ- تستطيع النفس أن تخفي نقائصها على الإنسان، ولكنها لا تستطيع أن تخفي عليه ميولها وأهواءها، وهذا الهوى أثر لازم للخلق السيء فإذا أخفت عليك نقائصك فاجتنب أقرب الأمرين إلى هواك، ويريدون من الأمرين الفعل والترك.

٥- الخوف والرجاء

الخوف انفعال نفساني، يحصل للإنسان أو للحيوان حين يتوقع صدور أمر يكرهه أو فوات شيء يحبه وهو أحد الغرائز التي تولد معه وتنشأ وتصحب في جميع أحواله، وكم جلبت هذه الغريزة من خيرات، وكم جنت عليه من شرور.

والرجاء هو انتظار النفس حصول أمر ترغب فيه، وموضع الخوف والرجاء في الأكثر هو الشيء إذا كان مشكوك الوقوع وللإنسان بين هاتين الملكتين شؤون، وأطوار، وقد يشتد به الخوف حتى يكون يائساً، وقد يفرط به الرجاء حتى يكسبه

تسامحاً وإهمالاً وقد يعتدلان فيكونان مزيجاً خلقياً يبعث إلى العدل ويرشد إلى الخير، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام في ذلك: «ارج الله رجاء لا يجرّئك على معاصيه، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته»[١].

وقال: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاقلاً لما يخاف ويرجو»[٢].

الخوف والرجاء صفتان نفسانيتان ولكنهما لا يثمران الخير حتى يكون لهما مظهر في السلوك وتأثير في العمل، هذا الخوف العملي إذا اشتد يسمى عند العلماء الخلقيين ورعاً، وإذا اشتد الورع يسمى تقوى، و«إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى»[٣].

درسه في النثر الفني والفكر الإسلامي:

قد يلفت نظر البعض جمعنا في عنوان واحد درس الشيخ في النثر الفني ودرسه في الفكر الإسلامي مع أنهما موضوعان مختلفان، والمفروض، -بحكم ذلك- أن يكونا درسين لا درساً واحداً ولكن الواقع كان غير ذلك، أي أن تدريس الشيخ رحمه الله لأصول النثر الفني كان يصحبه في الوقت نفسه وبنفس الوقت ونفس النص تدريسه للفكر الإسلامي:

لقد كان الكتاب المقرر للدرسين هو كتابه: (الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته) وهو دون شك -من أفضل الكتب في الموضوعين، أما في الفكر الإسلامي فلأن ذلك هو موضوعه، وأما في النثر الفني فلأنه مصداق ونموذج تطبيقي من أعلى نماذجه، وحين يكون الأستاذ الذي يشرح خصوصياته الفنية نفس منشئه

(١) أمالي الصدوق، ص ١٠.
(٢) الكافي: الحديث ١١، باب الخوف والرجاء.
(٣) الكافي الحديث ٧ باب الطاعة.

الـذي يحسّ جوانـب الجمال فيه أكثـر من غيره فلا شـك أن الدرس سـيكون أكثر وضوحاً وجدوى، ولا حاجة لتقديم نموذج من هذا الكتاب لمعرفة أسلوب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وخصوصياتـه، ومعالجتـه للموضوعـات الفكرية الدقيقة فيه، فقد قدمنا شـيئاً من ذلك في فقرة (أسـلوبه ونثره الفني) كان هذا الدرس -قد طلبه من الشـيخ بعض فضلاء شـباب الحوزة في أواسط السـبعينات من القرن الرابع عشر الهجري- ربما قبل أن يصدر كتابه المؤشـر إليه، وكان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لا يكتفي بأن يقرؤوا أو يقرأ لهم موضوعـاً في الكتاب، أو يشـرح لهم ما ينبغي فـي الموضوعين، وإنما كان يصحب ذلك بما يراه محققاً للغاية في هذا أو ذلك، كان يكلفهم بقراءة بعض الكتب المتصلة بالموضوعين، أو بأن يكتبوا هم أنفسهم موضوعات مختارة، ثم قراءتها في مجلس الدرس، وتقويمها وإبداء الملاحظات عليها إن وجدت.

ومن الأسـماء اللامعة المعروفة من حضار هذا الدرس العلامة الجليل حجة الإسـلام السـيد محمد رضا الخرسـان (حفظه الله)، والعلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي (حفظه الله)، والعلامة الجليل الشـاعر السيد محمد جواد فضل الله رَحِمَهُ اللهُ. وآخرون لا تحضرنا أسماؤهم.

خطبـــه:

كان شـيخنا رَحِمَهُ اللهُ خطيباً بارعاً امتلك ادوات الخطابة وشـروطها المختلفة في الأسـلوب والمضمون. واعياً لأسباب التأثير النفسـي في اللغة والصوت والمعنى. بارعاً في شـدّ انتباه سامعيه إليه بالمناداة مرة وبالاستفهام -مقرراً أو منكراً- أخرى. وبالتعجب ثالثة.

وشـيخنا رَحِمَهُ اللهُ يحـرص في أكثر خطبـه -كما ينبغـي- على أن تكـون الفواصل بيـن الجمل قصيـرة متلاحقة لتكون أجمـل إيقاعاً، وأعظـم وقعاً، ويكثـر أحياناً- من غيـر تكلـف من السـجع والمحسـنّات البديعية الأخـرى، وعلى أن يخاطـب القلوب

والمشاعر، ويحرك العواطف من حيث منشؤها في الأصل، مؤكداً على عنصري الترغيب، والترهيب، وهو يعطي للتوحيد في افتتاحيات خطبه حيزاً مهماً وبأعلى ما يعبر عن معناه، مقتبساً من خطب الإمام علي عليه السلام في النّهج، النص عينه أحياناً ومعناه أحياناً أخرى، ومغنياً خطبه بالآيات الكريمة وأحاديث المعصومين عليهم السلام وحكمهم أو ببعض الفقرات من أدعيتهم المتصلة بموضوعه وبروائع الشعر العربي كذلك.

وكثيراً ما يختم خطبه بالصلاة على الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه الأثنى عشر عليهم السلام والزهراء واحداً بعد الآخر، واصفاً كل واحد منهم بما يعبر عن مقامهم سماوياً وأرضياً بأروع ما يعبر عنها، وهو يعطي بذلك معرفة مضافة لمستمعيه بمعنى الولاية لهم عليهم السلام.

وقد أطلعني العلامة الجليل الشيخ ضياء الدين نجل شيخنا رحمه الله على مجموعة كبيرة من خطبه في الجمعات وفي المناسبات المختلفة.. ربما تجاوز -لو طبعت- جزءين كبيرين.

وإني لأرى -بقناعة- أنها تشكل ثروة كبيرة من الناحية الأدبية والدينية، فعدا الجانب الأدبي المتميز لدى الشيخ رحمه الله فانه جمع فيها من فرائد الأفكار والحكم والعظات فاوعى، وبما لا مزيد عليه، ولكي نلمّ بقيمة هذه الخطب أسلوباً ومضموناً ولكي نبرز ضمّها هنا كجزء من الدروس اللامنهجية العامة لشيخنا رحمه الله في المرحلة الثانية من تأريخه في خدمة الإسلام والأمة، ولإفادة قارئ هذه الترجمة نسوق هنا ثلاثة نماذج من هذه الخطب المباركة التي نتمنى أن تطبع كاملة في أقرب فرصة.

قال رحمه الله:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي علا فاستعلى، وكان بالمنظر الأعلى، قرب فدنا وعلم السّرّ

وأخفى، ولـيّ التدبير وبيده مـلاك المقادير، لا تراه العيـون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون، لا يخيب من سـأله، ولا يعزّ عليه ما فعله أنيس المنفردين، وظهر المنقطعين، ومال المقلّين، وقوة المستضعفين، وكيل الفقراء، وموضع شكوى الغرباء ذو الجـود العميم، ومحيي العظـام الرميم **﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[1].

أحمده على إحسـانه الكثير وخيرة الغزير، وتكليفه اليسير، ودفعه العسير، وأحمده على تثميره قليل الشطر، واعطائه وافر الأجر وحطه مثقل الوزن، وقبوله ضيق العذر، وأسأله التوفيق لما ندبني إليه والعصمة عما حذرني منه والفوز في ما دعاني له.

وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لاشـريك له في كمال، ولا شـبه له في صفـة، ولا نـدّ لـه في ملك، ولا وزير له في خلق، ولا ظهير له في تدبير، وهو العلي الكبير، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً ﷺ عبده الذي أرسله هادياً لعباده، ونوره الذي أضاء في بـلاده، المحمود في المقربين، والمأخـوذ ميثاقه على جميع النبيين، صلى الله عليه وآله المطهرين صلوة ترفعهم إلى اعلى عليين.

أيهـا الناس اتقـوا الله الذي يعلم سـركم وجهركم ويعلـم متقلبكم ومثواكم، وأكثروا من الاسـتغفار فإن الله -عز وجل- لم يعلمكم الاستغفار إلا وهو يريد أن يغفـر لكـم، واعلموا أنه لا يتقي العبد حتى يخزن لسـانه، وقد ورد عن النبي ﷺ: «أكثر خطايا ابن آدم في لسـانه، ومن خزن لسـانه سـتر الله عورته، ومن كفّ غضبه كف الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلى الله -عز وجل- قبِل عذره وتجاوز عنه».

---

(١) الجاثية: ١٢.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يدري أنها بلغت منه حيث بلغت فيوجب الله بها سخطه إلى يوم القيامة، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها أهل المجلس فيهوي بها العبد مما بين السماء والأرض، وأنه ليزل عن لسانه أكثر مما يزلّ عن قدمه».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه، حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه».

أيها الناس، إن اللسان من أجلّ نعم الله تعالى على الإنسان، إذ به يتميز على سائر أنواع الحيوان ولكنه واسع المجال، رحب الميدان، وباللسان تنالُ الدرجات الرفيعة، والمراتب العالية إذا وجه على وفق الحكمة واستخدم فيما يوجب الرحمة، ومن أطلق عذبة لسانه ساقه إلى شفا جرفٍ هارٍ إلى أن يضطره إلى دار البوار. ولا ينجو منه إلا من يقصده بلجام الشرع، ولا يطلقه إلا في ما ينتفع به في الدنيا والآخرة.

وآفات هذه الجارحة كثيرة وآثامها كبيرة، فمن آفات اللسان: الكذب. وقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله (عز وجل) جعل للشر أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذبُ شرّ من الشراب».

قيل: وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «ألا فاصدقوا أن الله مع الصادقين، وجانبوا الكذب فإنه يجانب الإيمان، ألا وإن الصادق على شفا منجاة وكرامة، ألا وإن الكاذب على شفا مخزاة وهلكة ألا وقولوا خيراً تعرفوا به، واعملوا تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم، وعودوا بالفضل على من حرمكم».

ومن آفات اللسان: الغيبة، وهي من الجرائم الموبقة وقد قال -سبحانه- في كتابه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ**

إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾.

وعـن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم: أنه قال: «يا أبا ذر، إياك والغيبة فإن الغيبة أشـد من الزنا»، قلـت: ولـم ذاك يا رسـول الله؟، قـال: لأن الرجل يزني فيتوب إلى اللـه فيتوب الله عليه والغيبة لاتغفر حتى يغفرها صاحبها.

يا أبا ذر، سـباب المسـلم فســوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، قلت: يا رسول الله وما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره، قلت: يا رسـول الله: فإن كان فيه الذي يذكر به؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بماليس فيه فقد بهتّه».

ومن آفات اللسان: البهتان، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال، قلت: وما طينة خبال؟ قال: صديد يخرج من فروج المومسات».

ومن آفات اللسان: النميمة فعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا ذر، لا يدخل الجنة القتّات، قلت يا رسـول الله وما القتّات؟، قـال: النمام، يا أبا ذر، صاحب النميمة لا يسـتريح من عذاب الله في الآخرة، يا أبا ذر، من كان ذا وجهين ولسـانين في الدنيا فهـو ذو وجهين فـي النار، يا أبا ذر، المجالس بالأمانة وأفشـاؤك سـرّ أخيك خيانة، فاجتنب ذلك واجتنب مجلس العثرة».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أنبئكم بشراركم؟، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمـة، المفرقون بين الأحبـة، الباغون للبرءآء المعائب». أيها الناس، طوبى لمن فكـر فـي الكلمة قبل أن يطلقها، ونظـر في عاقبتها قبل أن يرسـلها، طوبى لمن ختم علـى لسـانه قبل يـوم يختم فيـه على الأفواه، وتشـهد عليـه الجوارح بمـا ارتكبت، وتشـهد الأيدي والأرجل بما اكتسـبت، طوبى لمن اشتغل بالبحث في عيوب نفسه ليصلحها عن عيوب غيره ليفضحها.

أرى كـل إنســان يـرى عيب غيره ويعمى عن العيب الـذي هو فيه
ومـا خير مـن تَخفى عليه عيوبه ويـبـدو لـه العيب الـذي بأخيـه

اللـه. الله. أيهـا المؤمنون فإن كل كلمة يقولها ابـن آدم عليه مدونة، ولابد أن يجد عاقبتها سـيئة أو حسـنة، وأن الموقف عسير، والحسـاب دقيق والحكم فصل، والجـزاء عدل، عصمنـا الله وإياكم عن تتبـعّ الزلات، ونبّهنا عـن اتباع المضلات، وكفانا شرور أنفسنا، ووفقنا لما يصلحنا إنه أرحم الراحمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾.

وقال رَحِمَهُ اللهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد للـه القريب من خلقه، فلا تخفى عليه همامـة نفس، ولا خالجة فكر، ولا خاطرة قلب، ولا اختلاجة عضو، ولا طرفة عين، ولا حركة متحّرك، ولا سكون سـاكن، البعيـد عنهم فـلا يحيط به فهم، ولا يسـمو إليه وهم، ولا تحـده بصيرة ولا يدركـه بصـر ولا تنالـه صفة، ولا تبلغ كنهـه معرفة، قصرت العقـول أن تعرف مدى كبريائـه، وحصرت الألسـن أن تـدرك الغاية من ثنائـه، وانقطع العـادّون أن يحصوا متواتر آلائه، ومتظاهر نعمائه.

أحمده لما نفذ فيه علمه، وأشـكره لما تجاوز عنه حلمه، واسـتمدّ منه التوفيق وأساله من كل فضل هو به حقيق، وأشهد أن لا إله إلا هو **﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا**

وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

وأشهد أن محمداً ﷺ عبده وصفوته ورسوله وخيرته خير من قام له بعهده وافضل من حباه برفده، صلى الله عليه وآله التامّين في محبة الله، المخلصين في توحيد الله.

يا أيها الناس ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[2].

فاتقوا الله الذي بيدهِ محياكم، وبأمره مماتكم، وإليه معادكم واحذروه فقد حذّركم، واخضعوا لما أمركم فإنه لا نجاة إلا بالطاعة، ولا ربح إلّا بهذه البضاعة.

أيها الناس، من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار، ومن كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه أعقبه الله يوم القيامة أمناً وإيماناً يجد طعمه، ألا وإن شر الناس من أكرمه الناس اتقاء شره. وشر الناس من باع آخرته بدنيا غيره، وإن لكل ذنب توبة إلّا سوء الخلق فإن صاحبه كلما خرج من ذنب دخل في ذنب، وقد جعل الله (سبحانه) مكارم الأخلاق صلة بينه وبين عباده، فحسب أحدكم أن يتمسك بخلق متصل بالله، جاهدوا أهواءكم تملكوا أنفسكم، وتعرضوا لرحمة الله بما أمركم من طاعته، تواضعوا، ولا يتكبرنّ أحد على أحد، فإن يد الله -سبحانه- على الجميع.

أيها الناس، حرام على كل قلب يحب الدنيا أن يفارقه الطمع، وحرام على كل

---

(١) الحديد ٤ – ٦.

(٢) فاطر: ٥ – ٧.

قلب مُتولهٍ بالشهوات أن يسكنه الورع، ألا وأن حب الإطراء والثناء يعمي ويصمّ عن الدين، ويدع الديار بلاقع، فويل لبائع الآخرة بالدنيا، وإن خيركم من أعانه الله على نفسه فملكها، وعرف سرعة رحلته فتزود لها، خيركم من جعل كل همه للآخرة، وكل سعيه لها، خيركم من ذكرتكم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، ودعاكم إلى الخير علمه، خيركم المبرؤون من العيوب، المتنزهون عن المعاصي والذنوب.

عباد الله، إن دين الله وحدة متداخلة لا تتفكك ولا تتجزأ، فمن اتبع دين الله فليأخذ بجميع تعاليمه، ومن ترك منها شيئاً فقد خرج من حضيرة الدين وجزّأ وحدته، شرائع الإسلام متحدة، واحكامه مشتبكة، فليس لأحد أن ينقي بعض قواعده فيتبع، ويختار في بعضها ما يشاء له الهوى فيخالف، إن شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق، ومن فارقها محق، ليس المسلم بالخائن إذا أؤتمن، ولا بالمخالف إذا وعد، ولا بالكذاب إذا نطق، وأنّ الشيطان عدو ماثل يضع لكم الحبائل، وينصب لكم الغوائل، ليخرج بكم عن هذه الحظيرة، ويهبط بكم عن هذه المنزلة الخطيرة، بأمانيه الكاذبة وطرائقه الخادعة، فاحذروه واتقوا الله فيما أنتم عنه مسؤولون، واليه تصيرون، فإن الله (تعالى) يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1] ويقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[2] ويقول ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3] إنكم مسؤولون عن الصغير والكبير، مجزيون على النقير والقطمير، إلا وإن أقرب الأهوال منكم الموت فاحذروا سكرته وأعدّوا له عّدته. فإن استطعتم ان تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم مما لاطاقة لكم به ولاصبر لكم عليه فاعملوا بما أحب الله واتركوا ما كره الله.

(١) المدثر : ٣٨.
(٢) ال عمران : ٢٨.
(٣) الحجر : ٩٢.

عباد الله، إن بعد البعث ما هو أشدّ من القبر، يومٌ يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، ويسقط فيه الجنين، وتذهل كل مرضعة عما ارضعت، يوم عبوس قمطرير، يوم شرّه مستطير، إن فزع ذلك اليوم ليرعب الملائكة الذين لا ذنب لهم وترعد منه السبع الشداد، والجبال الأوتاد، والأرض المهاد، وتنشق السماء فهي يومئذ واهية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية، فأما من أؤتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ماجسابية ياليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه.

جعلنا الله وإياكم ممن يؤتى كتابه بيمينه ووفقنا للاهتداء بمناهج دينه وملأ قلوبنا بأنوار يقينه إنه أرحم الراحمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في إحدى خطبه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموصوف بغير كنه، المعروف بغير شبه، متمّ النعمة، ومرسل الرحمة جاعل النور والظلمة، الذي يَرى ولا يُرى، وهو بالمنظر الأعلى. والذي إليه الرجعى وله الممات والمحيا. وله الآخرة والأولى، والذي هو أضحك وأبكى والذي خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى، والذي عليه النشأة الأخرى، والذي هو أغنى وأقنى، وهو ربّ الشعرى، مبيد القرون، وداكّ الحصون، وهو الله

في السماوات والأرض يعلم سركم وجهركم، ويعلم ما تكسبون. أنزّهه عن المثيل، وأسترشده إلى خير سبيل، وأشهد أن لا إله إلا هو، لا ينازع في ملكوت، ولا يدافع في جبروت، ولا يضارع في كمال، ولا يقايس في جلال.

وأشهد أن محمداً ﷺ عبده المصطفى لأعظم أماناته، المنتقى لختام رسالاته صلى الله عليه وآله الطاهرين صلاة تبلغ بهم أرفع درجات المقرّبين.

أيها المؤمنون، اتقوا الله الذي يعلم السرّ وأخفى، تبلغوا بها الدرجات العلى، وأجيبوه إلى ما دعا، واحذروا عما عنه نهى، فإن العاقبة منوطة بالطاعة، وإن الجزاء كفاء للعمل، اتقوا الله فإن الجنة أزلفت للمتقين، واحذروا فإن جهنم اعدّت للغاوين.

في الأثر، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: خدمت سيد الأنام أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام ثماني عشرة سنة، فلما أردت الخروج وودعته فقلت له: أفدني، فقال عليه السلام: بعد ثماني عشرة سنة يا جابر؟، قلت: نعم إنكم بحر لا ينزف منّه ولايبلغ قعره.

قال: يا جابر. «بلغّ شيعتي عني السلام وأعلمهم أنه لا قرابة بيننا وبين الله عز وجل، ولا يتقرب إله إلا بالطاعة له، يا جابر من أطاع الله وأحبنا فهو ولينا ومن عصى الله لم ينفعه حبنا. يا جابر من هذا الذي سأل الله فلم يعطه؟ أو توكّل عليه فلم يكفه؟ أو وثق به فلم ينجه؟ يا جابر أنزل الدنيا منك كمنزل نزلته وأنت تريد التحول عنه وهل الدنيا إلّا دابة ركبتها في منامك فاستيقظت وأنت على فراشك غير راكب، ولا أحد يعبأ بها، أو كثوب لبسته أو كجارية وطأتها، يا جابر، الدنيا عند ذوي الألباب كفيء الظلال، لا إله إلّا الله إعزاز لأهل دعوته، الصلوة بيت الإخلاص وتنزيه عن الكبر، والزكاة تزيد في الرزق، والصيام والحج تسكين القلوب، القصاص والحدود حقن الدماء، وحبنا -أهل البيت- نظام الدين».

إيـهٍ يا نفس، مـا أغناك بكتاب الله عن جميع المواعـظ، وما أكفاك بربِّ العزة عن أي متكلم ولافظ، لقد أنكشف المستور واستبان المحذور أما آن لك أن تضعي حـداً لهـذا الغرور، أما آن لك أن تخضعي لبارئك بالأنابة، فعسـى تحضين من لطفه بالإجابة، أفيقي فقد أوشك الستار أن يرفع، وكاد الحبل المتصل أن يقطع، فالحذار الحذار، والتوبة التوبة، فقد أسرفت في الحوبة.

كنت في سفرة الغواية والجهـ ـل مقيماً فحان مني قدوم
بعد خمس واربعـين لقد ما طلت لولا ان الغريم كريم
تبت عن كل مأثم عسى يمـ ـحي بهذا الحديث ذاك القديم

قـال بعـض العلماء: إن الإغلال لم تجعل في أعنـاق أهل النار لأنهم أعجزوا الربّ، ولكن إذا طفا بهم اللهب أرسـبتهم الأغلال في النار، ثم خر مغشـياً عليه، ثم قـال -ودموعه تنحدر-: يا بن آدم نفسـك نفسـك، فإنما هي نفـس واحدة إن نجت نجوتَ وان هلكت لم ينفعك من نجا. كل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار يسير.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين. ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهـم فكما خصصتنـا بدينك القويـم، وهديتنا صراطك المسـتقيم، فاجعلنا اللهم من حملة كتابك الكريم، واشياع نبيك العظيم، اللهم اجعلنا ممن اقتفى سيرته واتبع سـنته، والتـزم عترته اللّهم شـرف بنيانه، وعظم برهانه، وافلـح حجته، وأرفع درجتـه، اللهـم فكما اصطفيته وآله الطاهرين من جميـع برياتك فاصطف لهم أزكى الزكيات من تحياتك واشرف الشرائف من صلواتك.

اللهم صلِّ وسلم على المصطفى بين البرية طفلاً، وخيرها شاباً وكهلاً، واطهر المطهَّرين شـيمة، وأجود المسـتمطرين ديمة، الذي أقمت به الرسالات وأوضحت

بـه الـدلالات خير من قام بأمر الله، وسـيد من وفى بعهد الله أبي القاسـم محمد بن عبد الله ﷺ.

اللهم صل وسـلم على آية الله الباهرة ومعجزة الله القاهرة، يعسـوب الدين، وعصمة المتقين والمتصدق في صلواته بخاتمه على المسـكين. أبي الحسنين علي أمير المؤمنين عليه السلام.

اللهم صلّ وسلم على لؤلؤة تاج الكمال، وواسطة عقد الشرف والجلال، أكرم الخلق أباً، وخيرهم إذ ينسبون نسباً، أم الأئمة النجباء سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام.

اللهـم صل وسـلم على لسـاني الحكمة، وريحانتـي نبيّ الرحمـة، اللذين لم تدّنسـهما الجاهلية الجهلاء، ولم تشـرك فيهما فتن الأهواء، السـيدين الزكيين. أبي محمد الحسن، وابي عبد الله الحسين عليهما السلام.

اللهـم صلّ وسـلم على أمين اللـه وأبي أمنائه وخليفته وأبـي خلفائه، مصباح العالمين وخازن وصايا المرسلين، أبي محمد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

اللهم صلّ وسـلم على الإمام الرشـيد، والقصر المشـيد كاشف الكُرب ورفيع الرُتَب، الفلك الدائر بالفضائل والمآثر، أبي جعفر الأول محمد بن علي الباقر عليه السلام.

اللهم صلّ وسلم على الكتاب المبين والحق المستبين وزعيم الصالحين أمين الله على الحقائق وشهيده على الخلائق أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

اللهـم صلّ وسـلم على سـيد البريـة، والموفيّ للـه بحقوق العبوديـة، مطعم الطعـام علـى حبه، والصابر علـى الأذى في جنبه، الإمام العالم أبي إبراهيم موسـى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

اللهم صلّ وسـلم على الصادق الـذي أوجب الله الكون معه، والهادي الذي فاز من اتبعه نور الهدى، والمنقذ من الردى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام.

اللهم صلّ وسلم على الموفي بعهد الله وذمته والخازن لأسراره وحكمته، بركة الله في البلاد، وأمانة الله في رقاب العباد، أبي جعفر الثاني محمد بن علي الجواد عليه السلام.

اللهم صلّ وسلم على المُطهرين اللّذين لم يعثرا في مشكل، ولم يهفوا في معضل، الدليلين اللّذين أقام الله بهما الحجة، وسد بهما الفرجة إمامي كل عدوّ وولي، أبي الحسن علي بن محمد، وأبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام.

اللهم صلّ وسلم على حافظ أسرار ربّ العالمين وبقية الله من الصفوة المنتجبين، فاتق كل رتق ومحقق كل حق، والشافع الذي لا ينازع، والولي الذي لا يدافع، بهجة الزمن، ومحيي الفروض والسنن، أبي القاسم الحجة المنتظر محمد بن الحسن عليه السلام.

اللهم أظهر كلمته واعلِ دعوته واتمّ نوره وعجل ظهورهُ وأعزّ به أولياءك واكبت بسيفه أعداءك اللهم بلّغه آماله في خاصته وعامته واجعلنا من أهل طاعته.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات واشفِ غيظ صدورهم، واجمع منتشر أمورهم واصلح فاسدهم، وانصر مجاهدهم، ولقهم خير الدنيا، وارزقهم رضوانك في الأخرى إنك ذو رحمة واسعة وفضل عظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

كلماته في المناسبات الخاصة بالمعصومين عليهم السلام:

ولشيخنا رحمه الله في المناسبات الخاصة بالمعصومين: مواليدهم ووفياتهم، وما يتصل بحياتهم ومقاماتهم والمناسبات الإسلامية بشكل عام، تراث ضخم على

درجة كبيرة -كما هو المتوقع- من حيث القيمة الأدبية والفكرية، ولأنه يختلف عن خطبه من حيث الأسلوب والتناول كوحدة الموضوع ودقة المعالجة. رأينا أفراده في عنوان خاص وذكر بعضه كمثل فهو - كما علمنا - سيطبع قريباً إن شاء الله.

وكنموذج منها نذكر كلمة له في ميلاد الإمام الحسن عليه السلام.

قال رحمه الله:

الصراع بين الحق والباطل

بدأ الصراع بين الحق والباطل في أول يوم من أيام التاريخ، يوم علم الحق أنه حق وعرف الباطل أنه باطل وعلم كل واحد من الخصمين أن له مناهج يعارضه الآخر فيها، وإن له غايات يقاتله الأخر من أجلها.

بدأ الصراع بينهما منذ اليوم الأول من أيام التاريخ ولم يخمد، وتوقدت الجمرة ثم لم تنطفئ ولا يمكن أن ينتهي هذا الصراع، وأن تخمد هذه الجمرة مادام الحق يعلم أنه حق، ومادام الباطل يعلم أنه باطل ومادام الخصمان يعلمان أنهما متعارضان في المناهج ومتزاحمان في الغايات.

يستحيل أن ينتهي هذا الصراع، وأن تخمد هذه الجمرة إلا أن ينقلب الحق باطلاً أو يعود الباطل حقاً، أو يحين الوقت الموهوم الذي يصطحب فيه الضدان، ويأتلف فيه النقيضان ولنفرض أن أحد الخصمين ربح المعركة يوماً ما وفاز بالانتصار، فليس معنى الفوز أن الصراع قد انتهى، وأن الجمرة قد انطفأت.

إن حرب الحق والباطل حرب مبدأ وفكرة، وحرب المبادئ لا تنتهي بنزع السلاح واندحار الخصوم.

ذلك أن المبدأ يحاول أن يضمن لنفسه الثبات والرسوخ ثم الاستمرار والبقاء، فهو يناضل من أجل ثباته ورسوخه، ويناضل من أجل بقائه واستمراره،

وهـو يطارد عدوه المختفي كما يناضل عـدوه الظاهر. وكيف ينتهي الصراع إذا كان المنهزم يقاتل في هزيمته والمنتصر يناضل بعد انتصاره.

ظهر الحق في فترات التاريخ باشكال متنوعة وكان الباطل يقابله فيها بأشكال أخـرى، وكانـت الحرب بيـن الخصمين تظهر فـي كل يوم بحلّة جديدة وتسـتخدم أساليب مبتكرة، فظهرت بشكل بين آدم عليه السلام وإبليس، وبأشكال أخرى بين إبراهيم عليه السلام ونمرود، وبين موسى عليه السلام وفرعون، وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأبي سفيان، وبين علي عليه السلام ومعاوية، وبين آخرين من جانب الحق وآخرين في جانب الباطل.

نعم لصراع الحق والباطل ألوان مختلفة، وفي بعض هذه الألوان من الحرب ما يشـبه السـلم. فقد تتعارض الغايات في نظر الحق فيلقي السـلاح فهو يهدر غاية ليتلافى غاية أخرى هي أسمى منها، وهو يلقي سلاحاً ليشهر سلاحاً آخر هو أمضى منه. والحق لا يزال هو الحق والباطل هو الباطل في كل أولئك.

مـن صراع الحق مـع الباطل أن يعلن محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعوة الحق في مكة وليس لديه غير نزر من الأنصار، وغير قليل من المعاضدين.

ومن صراع الحق مع الباطل أن يشـهر السـيف حين يجد العدة وحين تتاح له الفرصة، ثم من صراع الحق مع الباطل أن يحتجب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الشـعب ثلاث سنين في مكة، وأن يفرّ بدينه بعد ذلك إلى المدينة.

ومن صراع الحق مع الباطل أن يغمد السـيف عن قريش عام الحديبية ليشهره عليهم عام الفتح.

وأن يـوادع اليهود من أهل المدينة في يوم ويعلن عليهم الحرب في يوم آخر. كل هـذه الألوان -أيها السـادة- مـن صراع الحق مع الباطل، وإن كان بعضها يشـبه السلم في الصورة.

من صراع الحق مع الباطل أن يغمد السيف حين يكون إغماد السيف أقرب إلى الخير الذي عنه يناضل، أو يكون أبعد عن الشر الذي له يصادم.

من صراع الحق مع الباطل أن ينظر قائد الحق وجه المصلحة للمبدأ الحق في الحركة والسكون وفي التقدم والوقوف.

وهذه هي الخطة الحكيمة التي اتبعها قائد الحق أبو محمد الحسن عليه السلام، وهذا هو المنهاج السديد الذي طبعه على أعماله.

لم يتنازل أبو محمد عليه السلام عن حقه في يوم من الأيام وإن أصر التأريخ على ذلك، وسجله المؤرخون، ولم يطمع معاوية ذاته في تنازل الحسن عن حقه المشروع. لم يسالم الحسن عليه السلام باطلاً حاربه هو بالأمس، وناضله أبوه من قبله، وجاهده جده من قبله ومن قبل أبيه.

ولم يصافح الحسن عليه السلام يداً حملت السيف على جده في يوم بدر وقطعت كبد عمه في أحد، وأطلّت دماء الأبرار في المواقف وآخرها في التاريخ يوم صفين. وما إدراك مايوم صفين؟.

متى تنازل الحسن عليه السلام عن مبدئه ليقال: إنه سالم معاوية؟، ومتى تنازل معاوية عن مبدئه ليقال: إنه سالم الحسن؟. إنه قول كاذب -دون ريب- وإن أصرّ عليه المؤرخون.

ألقى الحسن عليه السلام السلاح من كفه ليشهر على الباطل سلاحاً من نوع آخر وليعدّ الفرصة لليوم القريب الذي ستأتي دورته في الزمان وموضعه من التاريخ.

وددت لو تتاح لي الفرصة فأجيب التاريخ عن سقطاته، ومن لي بهذه الأمنية ولو وهبت تعمير السابقين وجلد المجاهدين؟.

قلت قبل عام في مثل هذا الحفل: التاريخ مصور شكلي يحفل بالأشكال

الظاهـرة، ويصـور الهيئـات البـارزة وقد يكـون دقيقاً جـداً فيصور الألوان ويرسـم الحركات، ولكنه لا يتغلغل إلى الألباب ولا ينفذ إلى الأعماق.

ولو أتيحت لي الفرصة وحاسبت التاريخ لقلت:

إن التاريـخ مصـور مراء يمسـخ الحقائق، ويشـوه الصور حتى في الأشـكال البارزة، والمعالم الظاهرة التي تلتقطها العدسة البسيطة.

إن سـقطات التاريـخ أكثـر من أن تعـدّ وتنكّره لمـن يخالفه فـي العقيدة أظهر مـن أن يخفى، وللتاريخ جلبة شـديدة خلف السياسـة وخلف العقيدة يسـتجديهما الحوادث ويسترفدهما الوقائع.

يتنكـر التاريخ حيـن تتنكر السياسـة الزمنيـة، ويغضب حين تغضـب العقيدة الموروثة ويتسـامح حين تتسامحان، ولو أردت أن أثبت هذه الدعوى لأقمت عليها ألف برهان وبرهان.

لو كان يزيد موفّقاً في سياسـته لعرّفه التاريـخ بأنه الزاهد العابد، وأن أطل من الدماء أكثر مما أطلّه أبوه فـي صفين، وإن أراد أن يزلزل مركز الدين في يوم كربلاء، وأن يستأصل الوحي في مهابط الوحي.

سـقطات التاريـخ أكثـر مـن أن تعد وتنكـره لمن يخالفـه أظهر مـن أن يخفى وحسبنا هنا أن نذكر شاهداً واحداً يتصل بالموضوع.

يقول التاريخ: لما أراد الحسـن عليه السلام أن يسـالـم معاوية زجره الحسين عليه السلام واشتد عليه في هذه الفكرة، وقال له -فيما قال-: أعيذك بالله أن تسيء أباك وهو في قبره فغضب الحسـن وقال: علمت أنك تقول هذا، ولقد وددت أن أصيرك في بيت ثم أطيّنه عليك حتى أفعل ما أنا فاعل.

يقول التاريخ هذا في الحسنين عليهما السلام اللذين أذهب الله عنهما الرجس...

وبعد فإن وجه المصلحة أظهر من أن يخفى على الحسين عليه السلام فيحتج على أخيه الأكبر بهذه الشدة.

وفي وداعة الحسن عليه السلام وحلمه المعروف ما يمنعه عن مقابلة أخيه بهذه الغلظة، وفي أدب السبطين عليهما السلام ما يعصمهما عن المراشقة بفضلات الكلام وأوساخ اللغة، وليت التاريخ نقل لنا بعض هذه الشدة من الحسن عليه السلام على أصحابه الآخرين الذين اعترضوا عليه في أمر المصالحة وقالوا في كلماتهم ما قالوا. إن الحديث كاذب دون ريب، ولكن التاريخ يقول ذلك، والمؤرخون يصرّون على تدوين ما يقول.

وقال رحمه الله:

حسين مني وأنا من حسين:

ما هذه الحبسة التي ملكتني أكثر من يومين، وأنا أريد أن أعدّ هذا الحديث؟.

ما للكلمات تموت على شفتيّ حتى كدتُ أن أيأس، وأن ألقي اليراع؟.

ثم مالي أريد أن أقول: يا للبشرى، فيكتب قلمي يا للأسى، فهل أنا في حفل مولد أم في ذكرى شهادة؟.

لا أكتمكم -أيها السادة- أني بكيت قبل أن أكتب، وبكيت بعدما كتبت، وما أدري ما هو شأني إذا وقفت لأقرأ لكم ما كتبت؟.

ما هذه العاطفة العاصفة التي لا تفارق ذكر الحسين عليه السلام حتى عند الابتسامة لميلاده؟.

وقد قال الأثر الكريم: إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشّر في يوم ميلاده فبكى، وإنه دخل على ابنته الصديقة عليها السلام ليهنئها بوليدها فبكت، وإن أهل البيت الطاهر عليهم السلام قد استقبلوا هذا الوليد الحبيب بالإبتسامة والدموع.

.. بدموع الحزن.. نعم، وأحزان أهل البيت هي الأفراح لهم في الصميم!!.

أحزان أهل البيت عليهم السلام هي أفراحهم الأثيرة عندهم، لأن الغايات العظمى التي أنيطت بهم لا تتحق إلا بهذه الأحزان.

وكان السهم الذي ينالونه من قِبَل هذا الوليد هو السهم الأوفر، ولذلك كان الحزن بمقدمه أكبر، وعلى ذلك المقياس الخاص بهم كان فرحهم بمولده أكبر.

الحسين شريك جده صلى الله عليه وآله وسلم

أيها السادة..

يقول العلماء -وهم يفسرون كلمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المشهورة أو المتواترة: «حسين مني وأنا من حسين»-..

.. يقولون: إن الكلمة تعني أن الحسين عليه السلام شريك جدّه في الدعوة.

ومن عقائد شيعة أهل البيت: أن الأئمة الاثني عشر عليهم السلام أجمعين شركاء لجدهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة، فهو المؤسّس لها، والقيّم الأكبر عليها، وهم -من بعده- الأمناء القوّامون على حفظها.. فما هذه الخاصة التي يعنيها العلماء بقولتهم تلك؟.

إن الجواب عن هذا -مبسطاً- يتشعب به القول ويطول، وحسبي أن أقف على ناحية واحدة تتصل بموضوعي الذي بدأت به الحديث.

ان الإسلام دين الله العظيم الذي اصطفاه للناس، وتوجّ به الشرائع، وختم به الأديان.. إن هذا الدين منهاج إنساني متكامل، شرّعه الله لتنظيم هذه المجموعة الضخمة من الغرائز والعواطف والمشاعر والأحاسيس.. لتنظيم هذه المجموعة التي يسمّونها (الإنسان).

والإنسان -كما تعلمون- موجود واحد، وركائزه النفسية المذكورة، وإن كثرت وتنوعت آثارها واختلف تأثيرها، إلا أنها متشابكة متداخلة، ووحدتها -بعد- آتية من قِبَل القوة الحيوية الواحدة، التي تحرّك جميع هذه القوة، والطاقة العامة الواحدة التي تمدّها، والإرادة الإنسانية الواحدة التي تصرّفها، والعقل المفكّر الواحد الذي يملك ان يتحكّم فيها.

ومن أجل هذه الوحدة بين نواحي الإنسان، وهذا التّشابك بين غاياتها، وبين مجالات نشاطها، أصبحت كذلك متبادلة التأثير، فلكل واحدة منها أثر قويّ أو ضعيف في سلوك الأخرى، وفي اتجاهاتها إلى أهدافها.

والدين الذي يروم إصلاح الإنسان وتقويم أخلاقه وضمان الخير الأعلى له في حياته هذه الأولى المنقطعة، وفي حياته الأخرى الدائمة، لا محيد له من أن يسع هذه النواحي كلّها تنظيماً، ويعمّها تهذيباً وإصلاحاً.

وكيف يبلغ غايته إذا هو لم يصنع ذلك؟

بل، وكيف يمكنه أن يُصلح بعض نواحي الإنسان دون بعض إصلاحاً حقيقياً كاملاً، بعد أن كانت لها هذه الوحدة الملحوظة، وهذا الترابط المحسوس؟.

وهذه المحاولة البلهاء هي السقطة التي مُنيت بها المسيحية القائمة، لما وزّعت هذا الكائن إلى جسد وروح، ثم حاولت إعلاء الروح بإرهاق الجسد، وكبح غرائزه..

أقول: هي السقطة التي منيت بها المسيحية القائمة المحرّفة، وإلاّ فان دين الله الذي أنزله على السيد المسيح عليه السلام أسمى من هذا التفكير.

عموم الهدى يتطلب عموم التربية

الإسلام منهاج متكامل، شرّعه الله لتنظيم علاقات الإنسان وسلوكه، وتهذيب غرائزه وعواطفه، وإصلاح سرّه وعلانيته، وأعماله وصفاته..

وبدهـيّ أن الديـن لا يسـتطيع أن يدرك هـذا المدى من الإنسـان، وأن يحقق له هذه الغاية مالم يثّبت عقائده وأسسـه في عقل الإنسـان ومشـاعره، وما لم يمتزج بعواطفه وأحاسيسه، وبلحمه ودمه.

وكيف يملك أن يهدي العقل ما لم يتّصل بالعقل؟.

وكيف يقوى أن يوجّه العاطفة ما لم يمتزج بالعاطفة؟.

وكيـف يقـدر أن يهذّب الأخلاق والعـادات ويصلحها إصلاحـاً جذرياً ما لم يتّصل بينابيعها من النفس، وبجذورها من الطبع؟.

إن الدواء -مهما احتوى تركيبه من العناصر القوية الفعالة- لن يحقق الشـفاء حتى ينفذ إلى مكمن الداء، وإن الدين -مهما جمع تشـريعه من دقائق الحكمة- لن يقوّم طباع النفس حتى يصل إلى أعماق النفس.

والبراهيـن التي عضدت هذه الدعوة في كتابها الكريم، وفي حديث رسـولها العظيم ﷺ تنير آفاق النفس من الإنسان، كما تضيء آفاق العقل، فهي مدد للفكر ليقتنـع، وهي مـدد للقلب ليؤمن، وهي مدد للمشـاعر والعواطف، ومنافذ الشـعور ومصادر الإحساس لتعترف وتتوجّه.

وبرهنة القرآن قوليّة حين تمدّ الفكر، وفعليه تمثيلية حين تكون مدداً للنواحي الأخرى.

ولكن العاطفة -أيها السادة-، ولكن هذا الشعور الرقيق.. ولكن خفقة القلب الإنسـاني بالجمـال، تبغي ما هــو أقرب من ذلك وألصـق.. إنها تبغـي قرباً.. تبغي امتزاجاً..

لقد تعودت عاطفة هذا الكائن أن لا يشـفيها إلاّ القرب، فلابد للدعوة أن تلج العاطفة وتمتزج بها.

فكيف السبيل؟.. وكيف الوصول؟.

إلا بدم الفداء من وريد أبي الشهداء.

وقد قام حسين بهذا الدور من الدعوة، أفليس شريكاً لجده فيها؟.

مؤلفاتهُ في المرحلة الثانية

ألفَّ شيخنا رَحِمَهُ الله في المرحلة الثانية من تاريخه العلمي، أو قبل مرجعيته عدداً من الكتب الهامة موضوعاً ومنهجاً وأسلوباً، لقد أوضح رَحِمَهُ الله في هذه الكتب الرؤية والتصور الإسلاميين في أكثر المسائل النظرية والعلمية القائمة في تاريخ وواقع الحياة، والفكر الإنساني، أمس واليوم، والتي هي محل تحدّ في ساحة المواجهة بين الإسلام وبين المبادئ والفلسفات الأخرى، ولم يكتف بما قام به من هذا الإيضاح، بل وقام بالمقارنة والموازنة العلمية بينهما وبين المبادئ الأخرى على الصعيدين النظري والتطبيقي.

وبذلك هيأ بهذه الكتب بمجموعها -وبلغة العصر وأسلوبه- ركائز فكرية متكاملة اعتمدها المؤمنون في الفهم والتبشير والدفاع، ولا شك أنها مهمة كبيرة كانت المرحلة تتطلبها بالحاح، غير أنها ما كانت لتحصل بهذا الشمول والدقة من جهة، وبهذا البيان والأسلوب المشرق من جهة أخرى لولا شيخنا رَحِمَهُ الله، فإن مؤهلاته مجتمعه لا توجد في تلك المرحلة لدى أي شخص آخر.

لقد عكست بعض هذه المؤلفات اتجاهه الأخلاقي المتواشج مع خط أهل البيت عليهم السلام والذي هو -كما ذكرنا- أبرز صفات شخصيته وخصوصياتها المنظورة، نفسياً ونظرياً وعملياً، بينما تصدى في بعضها الآخر للمفاهيم الخاطئة التي ساهم بعض المؤلفين والكتاب، من واسعي الشهرة وقليلي التحقيق والموضوعية في نشرها.

أما البعض الثالث منها فقد فرضته الظروف التي حدثت بعد ثورة تموز ١٩٥٨ ومنها بروز الفكر الماركسي كموجة تطرح المفاهيم المادية وتطبيقاتها بتحدٍّ وعنف وغوغائية، وبمختلف السبل المدعومة مادياً ومعنوياً من الداخل والخارج، وكان المؤمنون في ذلك الظرف يفقدون الركائز العلمية في المواجهة، ومنها الكتاب الإسلامي الذي يطرح المفاهيم الإسلامية المقابلة بعلمية ووضوح. وكان ممن استجاب لتحقيق هذه المهمة آنذاك شيخنا رحمه الله وابتداءً من ذلك انفتح عليه باب الأسئلة من المسلمين في مختلف أنحاء العالم بصورة مباشرة وغير مباشرة، وكانت أجوبته مادة بعض كتبه التي صدرت في هذه المرحلة أيضاً.

وعلى كل حال فإن المؤلفات المعروفة لشيخنا مطبوعة ومخطوطة في هذه المرحلة هي التالية:

١- الأخلاق عند الامام الصادق عليه السلام.
٢- مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية.
٣- العفاف بين السلب والايجاب.
٤- الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته. وهي مقدمة لسلسة من الكتب كان (قدس سره) يطمح ان يقدم فيها المدرسة الإسلامية التي تعتمد في ايضاح المفاهيم العطاء القراني وتراث أهل البيت عليهم السلام خاصة.
٥- إلى الطليعة المؤمنة. وهي مجموعة رسائل أجاب فيها قدس سره عن أسئلة شتى في مختلف القضايا والمفاهيم الإسلامية العامة.
٦- رسالات السماء. وهي رسالة مفتوحة إلى شاب مسيحي كان يراسله فانقطع عن المراسلة وكتب إليه هذه الرسالة عسى ان تقع في يديه.
٧- من اشعة القرآن. القسم الأول والثاني، وفيها أجاب عن العديد من الأسئلة التي وجهت إليه بشكل يختلف عن أسلوبه في الرسائل التي طبعت في كتاب إلى الطليعة المؤمنة.

٨- من أشعة القرآن القسم الثالث وهو مجموعة محاضراته وكلماته في مختلف المناسبات الإسلامية.

آثاره المخطوطة:

٩- مجموعة خطبه في الجمعات تبلغ -لو طبعت- جزأين كبيرين أو أكثر.

١٠- ديوانه (أمالي الحياة) وبعض ما وجد من شعره في المناسبات المختلفة.

١١- رسائله المتبادلة مع شاب مسيحي حاول التعرّف على بعض المفاهيم الإسلامية.

١٢- تقريرات بحث أستاذه المرحوم الشيخ ضياء العراقي ﵀ في الأصول وهي دورة كاملة توجد منها المسودة فقط، أما المبيضة وهي التي عليها تعليقاته وأراؤه الشخصية في الأصول. فهي مفقودة، وكان ﵀ كثير الأسف لضياعها.

١٣- تقريرات متفرقة لدروس أستاذه المرحوم الشيخ محمد حسين الأصفهاني ﵀ في الفقه.

١٤- تقريرات دروسه في الفلسفة ويوجد جزءٌ منها ليس كبيراً يبدأ من الاستدلال على أصالة الوجود.

أما مؤلفاته بعد المرجعية فسنذكرها في موضعها هناك ان شاء الله.

أسلوب في الحوار العلمي

قال (تعالى): ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

ومن تطبيقاتها في القرآن الكريم بلسان رسوله، قوله (تعالى): ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

فساوى بينه وبينهم في احتمالي الكون على الهدى أو الضلال.. ولا أحد يتصور أن ذلك كان يقصد به الواقع. وإنما قصد به استيعاب أنانية الطرف الآخر وأخذها في الحساب لدى المخاطبة.

أما تطبيقاتها في السنة فأكثر من أن تحصى، أن الدين بطبيعته -كمعرفة وإيمان- لا يمكن أن يقوم على القسر، فالطريق -كما علمنا الله تعالى - هو اللغة العلمية والتفكير الهادئ ومما هو معروف أن ما يحول بين كثير من الناس وبين قبول بعض الحقائق هو التعصب.

فإذا ماتجنبنا في طرحنا ومحاوراتنا نفح الكبر في نفوسنا الذي يشعر الطرف الآخر بالتعالي عليه، وتجريحه حتى بالصورة غير المباشرة، فإنه سيكون قطعاً أكثر استعداداً للإصغاء، وأقرب إلى الموضوعية حين يوازن ليختار. وحين يشعر فوق ذلك بالإحسان والحب فإن قلبه سيستجيب ممهداً الطريق لعقله لكي يفهم ويستوعب. تلك مسألة نفسية ثابتة.

قال (تعالى) لرسوله ﷺ -مشيراً إلى دور أخلاقه في نجاح الدعوة- ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾.

ومن المفارقات المؤسفة أن يتعامل بعض أهل الدين مع الناس بجفاء وغلظة وتعالٍ لا مبرّر له، مما يؤدي إلى بعد نفسي ونفرةٍ لدى البعض على الأقل..

والأمثلة في التاريخ والواقع على ذلك موفورة، وذات أرقام، ولا ينفع في مسالة كهذه التنبيه، فهي ذات صله بتكوين الإنسان نفسياً وأخلاقياً، أي أنها تنبع من داخله متأثرة بسعة وضيق صدره، وسعة وضيق افقه، وليست متعمدة ولا مقصودة لدى أصحابها.

وشيخنا -قدس الله نفسه- من الأمثلة النموذج في حسن الحوار وحكمة

المخاطبة. إنه يُشعر مخاطبه -وفي أول وهله-، إن كان كبيراً في السّن أنه أمام أخ عالم واسع الأفق، مشرق النفس، كبير العقل والقلب.. وإن كان أقل سناً مماهو، أنه أمام أب عالم حكيم يمتلئ حناناً وحباً. وأنه لفرط إيمانه ووضوح حجته صاحب رؤية لا صاحب خبر، والشواهد في تعامل شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ لدى من تعرف عليه في ذلك كثيرة، وهي قائمة في كتاباته بالمستوى الذي أشرنا إليه. لافرق عنده في ذلك بين قريب وبعيد.

إنه من أحكم الناس في مخاطبة وحوار ومناقشة، ومن أصفاهم وأرقهم في تنبيهٍ وعظةٍ، فاقرأ مثلاً -إن شئت- حواره مع الدكتور أحمد أمين في (المهدي والمهدوية) فهو يبدؤه بقولهِ:

صلتي بالدكتور أحمد أمين قديمة... أنه يؤشر إلى صلة سابقة ليعطي لنفسه حق السؤال والمناقشة، ويدعو له رغم أنه -كما يفترض- في موضع خصومة.

وحين تقرأ كتابه: (إلى الطليعة المؤمنة)، وكتابه (من أشعة القرآن) تجد شواهد كثيرة تؤكد لك أن ذلك هو أسلوب الشيخ وسلوكه الدائم، لأنه رشح أخلاقه ومعرفته.

فاقرأ هنا ما نقله لنا في ص١٦٣ من كتابه (إلى الطليعة المؤمنة) ط (١) من حوار دار بينه وبين أحد العلماء من أتباع المذاهب الأخرى. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(كان هذا الأخ إلى جانبي في المسجد النبوي الشريف ورآني قد آفترشت مصلى من الأسل الهندي لأسجد عليه فقال لي -نضر الله وجهه-: ما بال أخي يصلي على الأسل؟ ولماذا لا يسجد على هذه؟، (وأشار إلى الطنافس التي كست أرض المسجد).

فقلت: لأنني لا أستجيز السجود على الطنافس.

فقال: وعلى أي المذاهب تقول هذا؟

«لم يقل شيخنا رحمه الله إنه على مذهب أهل البيت عليهم السلام لأنه يعلم أن للمسألة أدلتها في المأثور لدى المذاهب الأخرى» أيضاً وقال:

فقلت: وما شأن المذاهب هاهنا يا أخي ونحن بين يدي صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم؟، فلماذا لا نرجع إلى ما يقول؟.

فاستحسن كلمتي وابتسم، قال لي: وما يقول صاحب الرسالة في هذا السبيل؟.

فقلت: يقول صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه المستفيض أو المتواتر بين جميع علماء الحديث من المسلمين: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا».

وقد أغنى الشيخ بحث هذا الموضوع بما ذكره قبل ذلك وبعده بما لا يحتاج معه إلى مزيد، فراجعه من ص ١٥٨ - ١٧٠ من كتاب إلى الطليعة المؤمنة.

وأقرأ أيضاً رسالته إلى الأستاذ عبد القادر العماوي من مصر على أثر نشره لكتابه: بعنوان (مستقبل الإسلام)، في ص ١٢٨ إلى ص ١٣٠ من كتاب شيخنا السابق تجد دليلاً مضافاً في ما قلناه عن أسلوبه في الحوار. قال رحمه الله: في رسالته وكان ذلك بتأريخ ٣٠ جمادي الثاني ١٣٧٢ هـ:

«أحييك على بعد الدار تحية المسلم الصحيح والعربي الصميم.

أقول: على بعد الدار نزولاً على حكم المسافات البعيدة التي يعدّها الناس فاصلاً بين البلاد. والمسلمون أين ما حلّوا من بقاع المعمورة والمؤمنون إخوة أشقاء مادامت العقيدة التي تملأ قلوبهم وتوجه إراداتهم عقيدة واحدة. والأعمال التي توجههم إلى الله وتقربهم منه أعمالاً واحدة، ومادامت روح القرآن تنفذ إلى قلب كل مسلم، ولغة القرآن تهيمن على لسان كل عربي، وكل مسلم.

ثم يقول له رَحِمَهُ اللَّهُ:

أخي: كم يحز في نفسـي وفي نفس كل غيور من أنصار الإسلام وأبناء القرآن هذا التناحر الذي نجده بين المسلمين، وبين الكتّاب المسلمين على الأخص؟. كم يحزّ في نفوسـنا هذا التناحر حول هذه الأسماء التي سموها فرقاً واعتبروها مذاهب فأضاعوا بها جوهر الإسلام ولوّثوا بها قداسة القرآن؟

أليس من العجيب – أيها الأخ – أن يعمد الكاتب المسلم الذي يريد أن يساهم في خدمة الإسـلام فيصوّر أخاه المسـلم الذي يجتمع معه في أهم الروابط وأقواها، ويتحد معه في أكثر الأشياء التي توجب الوحدة.. أليس من العجيب ان يصور أخاه هذا بابشع صورة ويسمه باقبح سمة؟؟.

أليـس من العجيـب أن يختلق الأكاذيب اختلاقاً ليصف أخاه بأشـنع الصفات، وهو لا يعلم من آراء أخيه الخاصة به شـيئاً ولا يعرف من سـيرتهِ قليلاً ولا كثيراً، وكل ما يعرفه عن آرائه وأقواله سخافات يتقوّلها مستشرقون وخيالات يتوهمها مغرضون.

تأمل -أيها الأسـتاذ- فيما لو قابله أخوه بالمثل -وبيده قلم أجرى، وبين جنبيه قلـب أجرأ - فـكال له بالصاع صاعـاً، وكافأه علـى العمل جزاءاً بشـريعة القصاص، واقتداءاً بسنة العدل، فوضع له صورة تشبه الأولى في الوضع، وتزيد عليها في القبح؟.

تأمل -أيها الأسـتاذ- ماذا يأخذ الغرباء عن هاتيـن الصورتين من تصوير فني للإسـلام، بأيـدي أبنائه، وتفكرّ في مايجر عليه ذلك من بـلاء وما يعقبه من ويلات، ثم انظر أليست المسؤولية تقع في ذلك على المسلم الأول الذي أراد أن يساهم في خدمة الإسلام فأوقع الضربة الكبرى على رأسه.

تأملـوا ايها الكتّـاب في ما تكتبـون، وتجـرّدوا للعقل عن العاطفة، وسـايروا البرهان في استنتاجاتكم، ثم اكتبوا بعد ذلك ما تشاؤون.

تأمّلوا فإن الكتابة ليست حبراً على ورق، ولكنها تحكّم في عقول، وحكم على مبادئ ضعوا لهذا التنابز حداً فإن في الحقائق غنى عن الخيال.

بعد هذه المقدمة التي لا يستطيع أحد أن ينكر ما فيها من منطقية وحرص وتجاوزه الإطار الخاص والشخصي في طرحها إلى إطارها العام الشامل بصورة جعلته يحس معها بوحدة الموقف في المسألة عاد ليقول:

كان بوسعي -أيها الأخ- أن أمرّ على كتابك (مستقبل الإسلام) كريماً، وأن أقول: سلاماً، كما علمني القرآن أن أمرّ وأن اقول. ولكن حق الإسلام يلزمني أن أوقفك على ما فيه وقفة إجمالية، أما حين يحتاج الأمر إلى التفصيل فإني أفضّل السكوت لئلا أكون شريكاً في الجريمة.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد يبدو هنا قاسياً بصورة يظهر فيها كما لو كان خارجاً على طريقته، ولكن الأمر الذي جاء في الكتاب -بما فيه من اللاعلمية والتعصب- يستحق ذلك، وقد مر في التمهيد ما يحتمل هذا التصعيد.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:- والكتاب الذي يقول عن الشيعة الاثني عشرية: إنهم يعتقدون بإمام خامس وبمكرّر الخامس، وبإمام سابع وبمكرّر السابع، والذي يعتمد في ماينسبه إلى طوائف المسلمين على كتاب الغرب البعيدين عن روح الإسلام، البعيدين عن معرفة مذاهبه جدير بالسكوت عن كل ما فيه، وقد عرفت أنك تشتهي أن تضع كل شخص قيل بامامته في قائمة الأئمة الاثني عشر، وتجعله على حساب الشيعة الاثني عشرية، وعلى هذا القياس كان من اللازم أن تدرج في القائمة أسماء أخرى غير زيد وإسماعيل، وكان كل واحدٍ من الاعداد الإثني عشر يحتاج إلى مكرر أو مكررين أو أكثر.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ آخر الرسالة:

وقد رأيتك تتحدث عن عقيدة المهدي عند الشيعة، وكنت قد تحدثت مع الدكتور أحمد أمين حول هذه العقيدة، فأرسلت إليك نسخة من الكتاب للاطلاع

عليها، وختاماً. تحياتي الطيبة لكم ولكل أديب مسلم في مصر.

وخذ ثالثا من الشواهد -على أسلوب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وطريقته هذا الحوار الحاني الجميل في مسألة يبدو الطمع في جعل -من هو طرف فيها مستوعباً للاسس الحكيمة والعادلة للرأي الإسلامي- فيها صعباً ومعقداً. لكن شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بلغ الغاية في بيان ذلك.

نقل لنا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (١٤٠ ال ص ١٤٧) من كتابه من (أشعة القرآن) القسم الثاني ط٢، مطبعة الزهراء- بيروت قال:

«سلم باحترام وجلس بأدب وأطرق قليلاً ثم تنحنح وقال: ما جنايتي أنا يا سيدي: فابتسمت له وقلت: وما علمي أنا بجنايات الناس يا عزيزي؟، ومن أنت لأعرّفك ذنبك إذا كنت مذنباً، وإذا كنت أنا عارفاً به كما تظن؟.

فقال: أنا (فلان) من عشيرة (كذا) ومن أهل قرية (كذا).

فقلت: ولا أزال في حاجة إلى مزيد من التعريف. فمن أبوك؟.

فأطرق الشاب خجلاً، وسمعته يبتلع بقايا ريقه، وقال بصوت خافت: هذا مصدر بليتي. وهو كذلك سبب سؤالي عن جنايتي، ليس لي أب يعرفني به الناس (أنني ابن زنا)، ولكن ما ذنبي أنا إذا كان أبواي قد أجرما بفعلتهما؟، ما هو ذنبي أنا لتحرمني شريعة الله العادلة من حقوق شرّعها الله لجميع الناس؟.

ألست أنا من الناس؟.

لماذا لا أرث قريبي إذا مات. كما يرث الناس أقرباءهم إذا ماتوا؟.

ولماذا لا أرشح للجهات التي يرشح لها أمثالي إذا أنا ساويتهم في الشرائط التي تعتبرها الشريعة ماعدا طهارة المولد؟، فلا أكون إماماً في جماعة - مثلا - ولا

في جمعة، ولا أكون أهلاً لقضاء ولا لإفتاء. ولا. ولا.. ما هو ذنبي لأحرم من كل هذه الحقوق؟؟.

فقلت: وكيف عرفت أنك ابن زنا لتجهر وتسأل هذا السؤال؟. فقال - وهو يتمتم - هذا ما يقوله الناس عني.

فقلت: إنني سألتك كيف علمت، ولم أسألك عما يقوله الناس عنك وأنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً.

أيستطيع هؤلاء القائلون أن يأتوا بأربعة من الشهداء لإثبات هذه الفعلة الشنعاء النكراء، ثم إثبات أنك من نتاج هذه الصلة غير الشرعية؟.. أيستطيعون ذلك؟. فهذه هي البينة التي يشترطها دين الإسلام لإثبات هذه الجريمة...

أما الوسيلة الثانية لإثباتها فهي الإقرار.وللإقرار بهذه الجريمة توابعه ولوازمه في أنظمة الإسلام.

إن الناس ليقولون قولاً عظيماً، ويرتكبون جريمة موبقة، وإنك لترتكب مثل جريمتهم حين تردّد قولتهم دون علم ودون بينة.

إن الزاني غير المحصن إذا ثبت زناه، وانتفت في حقه الشبهة، ولم تسبق منه التوبة يجلد مائة جلدة في قانون الجنايات الذي شرعه الإسلام، أما من يقول هذه القولة دون بينة فانه يجلد -في شريعة الإسلام- ثمانين جلدة لقذفه الأب ويجلد كذلك ثمانين جلدة لقذفه الأم، ويعزّر بما يراه الحاكم الشرعي لإهانته الوليد الذي نشأ عن هذه الصلة.

واقرأ -إذا شئت- قول الله -سبحانه- في كتابه: **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[١].

(١) النور: ٤ - ٥.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[1].

أرأيت؟ أرأيت؟.

جلد ثمانين جلدة، وإهدار كرامة وحرمة، فلا تقبل له شهادة أبداً، ولا يرشح للمقامات الرفيعة التي يرشح لها العدول من المسلمين، وطرد عن رحمة الله في الدنيا، وطرد عن رحمته ورأفته في الآخرة، وشهادة عليه من جوارحه بما اكتسب واستحقاقه العذاب العظيم بما اجترم.. هذه هي العقوبات التي ترصدها هذه الآيات الكريمة للذين يرمون المحصنات المؤمنات، وبديهي أن تتضاعف العقوبة إذا رمى الرجل مع المراة، وبديهي ان تزداد شدّة وتغليظاً إذا أصابت رميته الوليد في ما أصابت.

وإذا كان عظم العقوبة في القانون دليلاً على عظم الجريمة في رأيه، تبين لنا أن جريمة القاذف قد تكون أكبر من جريمة الزاني في نظر الإسلام، والناس يجهلون فضاعة هذه الخطيئة فيستسهلون أمرها، ويستسيغون ارتكابها ويستخفّون بآثارها.

غير أن الآثار الواقعية تعمل عملها. علم الناس بها أم جهلوا، وعدل الله يرصد الجزاء الوفاق لانتهاك محارمهِ. جدّ الناس بها أم هزلوا، والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة دون علم، ودون بينة صحيحة من أشد المجرمين عقاباً وأعسرهم حساباً.

لماذا أرصد الدين هذه العقوبة؟

---

(١) النور: ٢٣ – ٢٥.

فاطرق الشاب يفكر وأ مهلته قليلاً، ثم قلت:

أو تعلـم - أيهـا العزيـز - لمـاذا أرصـد الدين هـذه العقوبة؟، ولـم حـذّر هذا التحذير؟.

لقد أرصد الدين هذا الإرصاد ووقف هـذا الموقف الحاسم من أجلك انت.

نعـم، من أجلك أنت، كي لا تلوك النـاس صلتك بأبويك وصلتك بالمجتمع المسـلم الطاهر، كي لا يجترئ ذو لسـان فيقول: إنه نشأ من صلة دنسة، فلا يستحق ان يندمج بالمجتمع الطهور.

أفلا يرضيك هذا الاحتياط الشديد لك - أيها العزيز -.

مـن أجلـك أنت هـذا الإرصاد وهـذا التحذير، ومـن أجل أبويك أيضـاً، فإن الإسـلام يعـزّ عليه أن يوصم فردان مـن أبنائه، وعضوان من مجتمعـه بهذه الوصمة التـي تبعدهمـا عن طهر الإسـلام ونقاوة مجتمعـه، وقد تجرهما الفريـة عليهما إلى إتيان الجريمة، وإن كانا لم يفكرا في إتيانها من قبل.

بل ومن أجل القاذفين أنفسهم، فإن هذا الدين يكره لأحد من أتباعه أن يمضغ الفاحشة بفم، ويتجاهر بقولتها بلسان، ويكره له أن يثير حقداً أو ينطوي على ضغينة، هكذا يريد الإسلام لمجتمعه أن يكون رفيعاً عن الحقد، نزيها عن قالة السوء، بعيداً حتى عن توهّم السقطة، والخوض في أحاديثها.

والعقوبـة التي ينزلها الشـرع بأبويك حين تثبت عليهمـا الجريمة، وتنتفي في حقهما الشـبهة؟، لعل اجترامهما في حقك له الأثر الأكبر فيها. والحظّ الأوفر منها، افتدري ما هو اجترامهما في حقك؟.

إنهما هيّآ لنشأتك هذا الجوّ النجس، وتحكّما في مصيرك هذا التحكّم الشائن، وهي -بعد- جريمة اجتماعية، فقد شـلاّ من المجتمع عضواً صالحاً، ونفسـاً زكية،

أفلا يستحقّان -من أجل ذلك- العذاب الأليم؟، ألا يستحقان أن لا تأخذنا فيهما رأفة في دين الله - كما يقول في كتابه-، وأن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين؟.

إنها جريمة فردية وجريمة أجتماعية، كما هي جريمة في حق الشرع الذي حرّمها وتوّعد بالعقاب عليها، وليست جريمة شخصية فتسقط بالتراضي بين الرجل والمرأة -كما يقول المشرعون الوضعيون- ولست الآن بصدد بحث المسألة من هذه النواحي، وحسبي أن أشير إليها إشارة.

من أجلك أنت، ومن أجل الدفاع عنك، والدفاع عن صلتك ومركزك في المجتمع، ومن أجل المجتمع المسلم الحي الذي يعزّ عليه أن يشلّ عضو صالح من أعضائه، وأن يبتر جزءٌ قويّ من أجزائه. من أجلكما كل هذا الاحتياط وكل هذا التشدّد.

وإذا لم تجد هذه المحاولات؟

ولكن ....

إذا لم تجد فتيلاً كل هذه المحاولات وكل هذه الاحتياطات، والتقى الرجل المسعور الذي لا يأبه لحرمة الله وحرمة الدين، وحرمة الاجتماع، بالأنثى التي تضاهيه في ذلك أو تزيد، وكانت الصلة النجسة الدنيئة الدنسة، وانعقدت النطفة كما إرادتها العهارة والدعارة، فماذا يريد الناس من الإسلام بعد ذلك؟.

أيريدون من الإسلام أن يدمج هذه النطفة بالمجتمع الطهور، فلا يميزّ الفرد الصحيح عنه بحكم ولا بميزة.

أيريدون من الإسلام ان يتغاضى عن القصور الذاتي لهذا المخلوق، عن قصوره الذي يقعد به عن المجالات العالية التي يبتغيها الإسلام لأبنائه؟.

أيريدون منه أن يتناقض فلا يجعل فارقاً بين الصلة التي أقرّها واعترف بها والصلة الأخرى التي أنكرها، وشدّد في النكير عليها؟. أيريدون منه أن يصنع كذلك

ليقولوا -بعد هذا-: إن الإسلام قد تناقض، ولم يجرِ مع الأصول التي سنها لتشريعه؟.

يقولون: أي ذنب جنى هذا المخلوق؟.

لا. لا. إنه لم يجن أبداً ولم يرتكب إثماً، وسيوفى جزاء عمله إذا عمل صالحاً، ولا يظلم فتيلاً من جزائه، ولا يبخس مثقال ذرة من أعماله، ولا يحمل شيئاً من جريمة أبويه التي اقترفاها.

أما أن شهادته لا تقبل وإن كان عدلاً. وأنه لا يصلح -في موازين الشريعة- لإمامة الجمعة والجماعة، ولا يتولى القضاء ولا الإفتاء.. أما هذه الأحكام التي قررها الشارع في حقه واستثناه فيها دون غيره، فليست عقوبات أرصدتها له الشريعة ليسأل الناس عن جنايته التي ارتكبها، واستحق العقوبات من أجلها، بل لأن لقبول الشهادة واستحقاق الإمامة وتولي الولايات العامة أحكام لن تثبت الا بشروط، ولن تعطى إلا بقابليات. وقصور هذا المخلوق في ذاته أمر لا ينكره أحد، وبعض القوانين الوضعية المتزنة تعترف بذلك إلى حدما، والفارق أن القوانين لا ترتب أثراً على هذا الاعتراف، لأنها لا تنظر في تشريعها إلى الركائز العميقة في الإنسان.

أما الدين -ودين الإسلام على الخصوص- فلا بدّ وأن يرتب الأثر مادامت نظرته في التشريع لابد وأن تتغلغل في الأعماق وتسبر الأغوار.

إن الإسلام لا يهوي بهذا الإنسان في مستوى يمكنه أن يصل إليه بالاختيار، ولكنه لا يرتفع به إلى أسمى مما يدرك، ولا يذهب به إلى أبعد مما ينال.. إنه يبوّئه المكانة التي تخوّله إياها طبيعته، وكفى بذلك نصفاً، وكفى بذلك عدلاً.

أما الميراث، فأي حقّ له فيه مادام الإرث فرعاً عن ثبوت الصلة في النسب، ومادامت صلته تلك غير ثابتة في نظر الشارع؟. وليس منع الميراث حكماً خاصاً به وحده. فإن أباه وأمه لا يرثانه كذلك إذا مات قبلهما، كما لا يرثهما هو إذا ماتا قبله، وهكذا كل قريب له

بواسطتهما إذا مات القريب قبله أو مات هو قبل القريب، فلا توارث من الجانبين.

ليس لذلك المخلوق المسكين ذنب -يا عزيزي-، وليست الأحكام جزاء على ذنب، ولكنها الطبيعة القاصرة الناقصة تتحكم في صاحبها، وتقعد به في المجالات، وما يصنع الشارع تجاه الأمر الواقع إلاّ أن يعطيه القدر الذي يستحق؟.

أما أنت.. أما أنت، فأرجو أن تعدّل من موقفك في الحياة، ومن نظرتك إلى نفسك.

لا.. لا تلبس حياتك هذا القناع الأسود، الحالك السواد.

لا. لا تنظر إلى نفسك هذه النظرة الحاقدة، البالغة الحقد، ولا تسأل عنها هذا السؤال الجائر الشديد الجور.

لا. لست ابن زنا وإن لم تعرف لك أباً منذ نشأتك، وإن قال الناس عنك، وقالوا وإن اكثروا فيك وأقلّوا، ولو أنك ضمنت لي بقية الشرائط لقبلت شهادتك أيها العزيز.. فهل أنت فاعل؟.

فابتسم الشاب ابتسامة عريضة عميقة، ظننتها ابتسامته الأولى في عرضها وعمقها، ثم وّدعني وقام، وقد رأيته يثبت قدميه على الأرض اكثر منه حين دخل.

مراسلاتـهُ...

هناك جانبٌ هامٌّ من نشاط شيخنا رَحِمَهُ الله وعمله في خدمة الأمة الإسلامية والرسالة. نرى أن نفردة لما له من أهمية – تتصل بكل ما سبق لنا التحدث عنه. ثم إنها تحتلّ جزءاً كبيراً في آثاره.. ذلك هو مراسلاته.

وقد وثق بعضها في كتابيه: (إلى الطليعة المؤمنة). و(من أشعة القرآن).

إن رسائل شيخنا – قدس الله نفسه– والتي سنقّدم منها أمثلة في ما يأتي

تمثل أنموذجاً عالياً فريداً في آداب المراسلة، وهي تعبّر - كما لا يعبر غيرها - عن إمكانياته المتميزة في الأدب الإنشائي الفنّي التي سبق التأشير اليها، وتعبّر -بنفس الوقت- عن أسلوبه في الحوار العلمي وعن خلقه وعرفانه.

فهو لا يتحدث فيها من خلال آفاقه العلمية والفكرية الواسعة. وإدراكه لما يفرضه العدل في تقويم آراء الآخرين ومواقفهم، وتقديره لآثار الكلمة الطيبة في نفوسهم فحسب، بل ومن خلال قلبه الكبير وحبّه الصادق للناس أيضاً، وحرصه على أن يشركهم -بما أراه الله من الهدى- لافرق في ذلك لديه بين من كان من داخل الأمة أو من خارجها..

إن من يقرأ رسائله رحمه الله يجد لأول وهلة أنه يلاشي الحواجز والمسافات بينه وبين من يراسله أو يحاوره، فهو أبٌ حانٍ حريص بالنسبة للبعض، وأخ صميم صادق الصلة والمحبة بالنسبة للبعض الآخر، لافرق في ذلك بين ما يكون به مجيباً أو مبتدئاً، وذلك سرّ ما تركته هذه الرسائل من أثر، ومن فعل نفسي وفكري لدى من كانوا الطرف الآخر فيها، فلنقرأ -كمثلٍ- هاتين الرسالتين:

أولاهما رسالته للشيخ أحمد حسن الباقوري (وزير الأوقاف في مصر -سابقاً-) إثر إدخال الفقه الإمامي ضمن ما يّدرس في الأزهر، قال رحمه الله:-

تحية الإيمان، وثناء العلم، وشوق الاخوة.

أخي، والله يعلم أنها أحب نسبةٍ إلى قلبي، وألمسها لعاطفتي. وأبقاها أثراً في نفسي.

أخي، والله يعلم أنها ألذّ دعوة في فمي، وأعزّ جامعة يناضل عنها قلمي.

أخي، والله يعلم أنها أصدق النعوت في رأيي، وأرفع المنازل في ديني، وأبر الدعوات عند ربي.

إنني أقول: أبي فاستبين صغري للكبير الذي انسبهـ وأقول: ولدي فأدل بكبري على الصغير الذي أنجبه، واقول أخي فأشعر بأرض تسويني بمن ادعو على القدم، وبسقف يظلني وإياه على سواء، وبسبب جمعني وإياه في الوجود، ولبن شركني معه في الغذاء، وأحسّ بصلةٍ تلفني به لفّ النظير بالنظير، وضم الظهير للظهير، واذكر شريعة ماثلته بي في الحقوق، وعادلتني معه في الواجبات، وكافأتني به في الحرمة..

بلى، وأذكر يداً كريمة عليا باركت لنا هذا النسب، ووطّدت بيننا هذهِ الصلة، وعقدت بيننا ميثاق الولاية، ومدته بقانون النصرة.

أخي. بتّ الله حوادث ظالمة أقصتني عنك، وباعدتك عني، فما وصل الله هذا السبب ليقطع، وما نصب هذا الذمام ليخفر، وما حصّن الرسول هذه الوحدة لتتمزق.

لم أر -كالإسلام- ديناً يتسّع لمذاهب الفكر ويكبر نتاج العلم، ولم ار -كالقرآن- كتاباً ينشّط حركة الرأي، ويكره خمود الوعي، ثم لم أر -كالمسلمين- أتباعاً يحرجون بما أنفسح له دينهم، ويبرمون بما نشط له كتابهم.

إن المسلم يرث من سلفٍ له قولاً، أو يرى باجتهاد منه رأياً، فيخال أن الإسلام حكر على رأيه، فلا إسلام وراء الأكمة، ولا إيمان خارج المضيق.

وإذا لم يكن إسلام، فلا أخوّة ترتجى. بل ولا كرامة تحتشم. ولا رأي يحترم.. ماهذا؟ ماهذا؟..

لقد فصلتني عن أخي فواصل، نعم. ولكن أليس بيني وبينه ما يجمع؟..

أليس من حقي أن أحصي ما لديه من ثراء فلعله اختصّ بشيء من تراث أبي؟..

أقول: اختص، ولا أقول: استأثر، لأنني أراه يدعوني لمشاركته ما بيديه.

واخي، أليس من حقه أن يطلع على مابيدي؟.

لئن كان هذا الإعراض عن زهد، فإن الزهد هنا مما يضحك، وإن كان من قطيعة فإن القطيعة هنا مما تبكي.

وإذا لم يكن محيص عن القول في أخي، وإذا لم يكن بدّ من الخصام، أفليس من واجب العلم أن أطلع على القول الذي أنقد فانقل بأمانة، ثم أخاصم على علم؟.

أخي، آن لنا أن ننظر ببصر يخرق الحجب، وببصيرة تمزّق الغشاوات، وبصبر يتحّدى المعوقات.

آن لنا أن نستيقن أن حجباً فرّقت بيننا في الصورة لا تقوى على أن تباعد ما بيننا في الجوهر، ولا تشجع أن تخالف ما بيننا في الروح، ولا تملك شيئا من ذلك ولن تملكه أبداً ما دامت ضالّتنا الهدى، وما دام قائدنا الرسول الكريم ﷺ، ورائدنا القرآن العظيم.

وقضية السنة والشيعة - كما قلتم - قضية إيمان وعلم معاً- وإذا كانت كذلك فمن أولى بحلها من العالم المؤمن؟.

.. من أولى بحلها من العالم المؤمن إذا كان يستطيع أن يقول، ويستطيع أن يعمل؟ وقد بدأتم الشوط.. وكانت خطواتكم موفقة مبرورة، يباركها الله، ويباركها العلماء المؤمنون.

يباركها العلماء المؤمنون لأن القضية قضيتهم، والشوط شوطهم، والمدى مداهم ومن يبخل من العلماء المؤمنين أن يكون نصيرا الله على غايته، ورِدءاً للعلم والإيمان في قضيتهما؟.

بدأتم الشوط وكانت خطواتكم موفقه مبرورة وإن الإيمان والعلم ليبتهلان

إلـى الله أن يسـدّدكم في الخطـى، وأن يوفقكم لإتمام السـعي، وأن يهنئكم النجاح ويلقيكم عقبى الفائزين.

ثانيتهما رسـالته إلى صديق له شـاب مسيحي راسلـه في غضون سنة ١٩٥٦م وهو -كما عرّفه لقرائه في مقدمة لكتابه (رسالات السماء):

صديقيَ وصديق القراء (ط.ظ) شـاب مسيحي حر، رفض الباطل على اقتناع وبينـه وطلـب الحق ليقتنع بـه عن بينه، وهو حين رفض الباطـل وحين طلب الحق يحمـل روح الوداعـة، ويعتمـد على التفكيـر المنصـف والنقد المنطقـي الرصين، ويستمد من ثقافة وأدب مقبولين.

وأسـميه ط.ظ لأنني لسـت أعرف له اسـماً غير هذا لرمز وقد درجنا عليه معاً في رسـائلنا، والعجيب أن واسطته في المراسلة (وهو حانوتي مسلم) كان لا يعرف له اسماً آخر.

وأقـول: شـاب علـى ما توسـمته من أحاديثـه في رسـائله وعلى مـا وصفه بِهِ واسـطته الأنف ذكره لما سألته عنه.

وقد لخص حديثه بقلمه، قال في رسـالته الأولى التي أرسـلها إليَّ في البصرة بتاريخ (٨ مارت ١٩٥٦).

«سـيدي ومن أصلي مخلصاً للرب إلهي أن يفتح بتوجيهه بصري وينير قلبي: تحيـة الديـن العظيـم المقدس الصحيـح الذي مازلـت أطلبه جهد طاقتـي من عهد بعيـد، منذ ميزت بفاكرتي بين ما هو حسـن وما هـو قبيح، وما هو ضار وما هو نافع، ومذ فرّقت في شـعوري بين المعقول وغيره. وتحية جمـال الخلق، ورحابة الصدر وسعة الأفق التي وجدتها وأحسست بها لمـا قرأت كتابكم (من أشعة القرآن) ذلك الكتاب الذي قد وقفتم فيه ووفقتم لرد فضول بعـض المتاجرين بالكذب والمتدينين

بالسباب، ويخجلني كثيراً -وعظمة الرب الإله وذمة الدين الحق- ان يكونوا من المسيحيين، بل ويخجل المسيح ذاته -السيد المعظم رسول السلام والوداعة- أن يكون هؤلاء القوم من متبعيه، والمنتحلين لدينه والمتسببين لاسمه الكريم.

(ويستطرد فيذكر نشأته ومعاناته مع دينه الذي كان عليه ثم محاولته لطرق أبواب أخرى وبدئه بدراسة القران) وأخيراً يقول:

«فأرسلت إليك يا سيدي بكتابي هذا لأنبئك بقصتي ومقصدي وأستأذنك في السؤال عن جملة من الخواطر التي تدور وتتردد في ذهني، طالبا منك حلها والتوجيه فيها، وبعض هذه التي اسميها خواطر تدور حول مضامين الكتاب (من أشعة القرآن) وبالطبع أن جميعها يحوم حول دين الإسلام، وليسمح لي السيد عن قصوري في اللغة فإني لست من رجال هذا السياق».

فأرسل رَحِمَهُ ٱللَّهُ إليه هذه الرسالة التي كانت مفتاحاً لنيف وعشرين رسالة متبادلة بينهما:

أخي في الله وأمانتي منه، وعديلي في الصلة به، حيّاك الحق الذي تطلب، وسدّدك التوفيق الذي تتمنى والغاية التي ترتجى.

عهد قطعه الله عليك أنت يوم آتاك هذه النفس الطلوع، وهذا العقل الطموح وهذه الحرية الفكرية التي لا ترضى أن تستعبد، وهذا الميزان العدل الذي لا يطمع أن يحيف في حكمه مثقال ذرة، ولا يسمح أن يظلم من حقه قيد شعرة.. عهد قطعه الله عليك يوم آتاك هذه الهبات أن تطلب الحق ما وسعك الطلب، وأن تجاهد لنجاتك ما أمكنك الجهاد، وأن تخلص في طلبك وجهادك ما قدرت على الإخلاص، وعهد قطعه الله عليّ أنا يوم أسلمت له وجهيّ ودنت له بعقيدتي، وتعبدت له بإرادتي: أن أدل عليه ما وسعتني الدلالة، وان انصح له ما قدرت على النصح، وأن أخلص في دلالتي وفي نصحي ما وجدت إلى الإخلاص سبيلاً.

كل أولئك امور تفرض عليك أن تطلب، وتحتم عليَّ أن أجيب، ومن الله العون لك على الطلب، والإسعاد لي على الإجابة، والمدد لنا معاً على بلوغ الغاية.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أخي وعزيزي: ليس عجباً من الإنسان، وهو الذي خلقه الله حراً، ويريد له أن يبقى كذلك حراً. وليس عجيباً منه أن يتخلص من عقائد أسلافه ومألوفاتهم، مهما كانت لاصقة بالنفس، وعالقة بالشعور ومرتبطة بالعادة.. ليس عجيباً من أمر الإنسان أن يركل هذه برجله متى أدرك أنها تخالف الحق الصريح، وتباين المنطق الصحيح، بل العجيب منه -وهو يدعي الحرية لنفسه- أن لا يفعل ذلك..

قد دلّتني لهجتك في كتابك على ثورة نفسية متقدة، تدفع بها القوة إلى الظهور، وتمنعها الملابسات أن تنفجر، فلقد أنكرت واستنكرت، ثم رجعت واسترجعت، وأنت بارّ محق في كل ما صنعت، على أني أنصح لك بالأناة، فللعجلة مغبة لا تحمد.

أما هؤلاء المتاجرون بالكذب المتدينون بالسباب، فما شأن طالب الحق معهم؟.

ليأخذ سبيله مجدًّا وليذرهم في طغيانهم يعمون، وما شأن السيد المسيح بهم؟، أنه ليس منهم في شيء وما جرأتهم على محمد بأفحش كذبا من دعوى متابعتهم للمسيح، ولا تقوّلهم على الإنجيل بأقل إجراماً من تحاملهم على القران. كل ذلك في نظر الحق سواء بسواء.

وأما الإنصاف والعلم والحق وسائر الحرمات التي غضبت من أجلها، أما هذه المعاني النبيلة فهي أبعد مرتقى، وأسمى منزلة من أن ينالها هؤلاء الظالمون، ومحمد في القمة من هذه المعاني.. إي وعينيك إنه في القمة العليا منها. أقولها لا لأني مسلم أغار لإسلامي، بل لأني إنسان أفخر بإنسانيتي، والمنصفون من الناس

كافة يعرفون صدق ما اقول.

لا تعجل -أيها العزيز- فتحسبني بهذا القول أدعوك إلى الإسلام، فهذا ما لا أنصحك به قبل أن تستوضح في حكمك. وقد قلت في (أشعة القرآن) إن الإسلام لن يقبل إيماناً لا ينهض على أساس مكين.

وبعد أن تستوضح بنفسك السبيل فيه فإن الأمر سيكون إليك أيضاً، فمن اسس الإسلام الثابتة أنه لا إكراه في الدين.

أخي: لم أعتب أنا، ولم يعتب أحد من أعلام المسلمين لأعمال هؤلاء الباغين ولأقوالهم، ولكنها حقائق يسجّلها الباحثون من أمثالي ليطّلع عليها الأحرار من أمثالك.

والذي استغربته منك هو تبرمك بالشك، والشك -كما يقول بعض الفلاسفة- باب اليقين، وبيّن أن البساطه في الجهل خير من التركيب، ودليل ذلك -ومن الأمور ما هو غني عن الدليل- أنك تؤمن بأنك في حالتك الأخيرة أدنى إلى الصواب منك في حالتك الأولى.. أليس كذلك؟.

وغريب أيضاً قولك -أيها الأخ-: إن مرحلتك الأولى من الدراسة قد ذهبت أدراج الرياح، وانك تأسف لها، وتأسف لزمان أضعته بسببها. غريب -وحقك- ذلك، لأن طالب الحق إنما يستبينه ببطلان الباطل، ولا بدّ له -للوقوف على ذلك- من جهود يبذلها في البحث، ولابدّ له من زمان يقتله في التنقيب.

وبعد، فلولا مرحلتك هذه التي تذكرها من الدراسة لم تكن لتصل إلى النتائج التي توقن بها الآن، وتحمد الوقوف عليها.

وعرفت الثقة التي أوليتني بها على البعد، وهو لطف جديد من ألطاف الله علي إذا كانت ثقتك في موضعها، وحافز كبير لي على العمل بموجب هذه الثقة إذا لم تكن صادفت موقعها، وعلى أي حال فنصيحتي هنا أن لا تلجئك هذه الثقة إلى

التقصيـر في البحـث أو التقليد في الرأي فأنت من الطلاب الأحرار، ولسـت أدّعي العصمة لنفسي وإن كنت ادّعيها وأومن بها لديني.

وأما رحابة الصدر، وسعة الأفق، المعاني التي توسّمتها فيّ فائذن لي أن أقول لـك أنها من خصائص ديني وليسـت من خصائـص ذاتي، ولله المنّـة عليّ إذا صح توسمك، فارتسم على روحي شبح من هذه الخلال.

عزيـزي وأخي: ليكن لك ما تؤثر، فاكتب وانقد واسـتفهم، ممدوداً بعون الله مكلوءاً بحفظه، اكتب وانقد واسـتفهم عما شـئت، والله -سـبحانه- هو المستعان، وسأعرفك بتغير عنواني إذا انتقلت إلى موضع أخر، وسأرشدك إلى تأخير المراسلة إذا قضت الملابسـات علي بشـيء من ذلك، ففي عزيمتي سفر قريب ولكن سأنجر ما أعدك به بتوفيق الله -سبحانه-.

وأحسب أن السيادة والقداسة وما إليهما من الألفاظ التي تكثرها في خطابك ممـا تفـاوت بيننا في المنزلة، فأرجو أن تبدلها بالأخـوة، فإنها ألمس للقلب وأدنى إلى الصواب.

١٠/ مارس/ ١٩٥٦
محمد أمين زين الدين

المرحلة الثالثة: مرجعيتـهُ

تـمهـيـد

ظل شـيخنا رَحِمَهُ اللهُ بعد اجتهاده واسـتقلاله في الرأي -كما هـو- يأبى أن يعلن نفسـه مرجعـاً، فقد كان يـرى ضـرورة أن يكمل مسـيرته التربويـة والإصلاحية في تنشئة المجتمع المسلم، وبناء الثقافة الإسلامية والقرآنية المتكاملة، وصياغتها بلغة العصر بشكل تملأ وعي أبناء الإسلام، وتقود مسيرتهم في الحياة، حتى دفعه بعض

عارفي فضله من الفقهاء وفضلاء الحوزة العلمية، ومن هؤلاء - في ما نقل لي بعض الثقاة- آية الله العظمى الشيخ محمد طاهر المحمري ﭬ، فقد قال له ما معناه: «إلى متى ياشيخنا تظل معنياً بالكتابات الفكرية والأولية وأنت فقيه، لماذا لا تطبع رسالتك العلمية».

وحين رأى شيخنا رحمه الله أن المرحلة التي كان يكتب بها لإغناء المكتبة الإسلامية بالأسلوب الذي ذكرناه قد انتهت، وأنه لم يعد -بحكم الحال والسن- ينشط لها، وأن الظرف يتطلب اضطلاعه بالمرجعية الفقهية، تقدم لهذه المهّمة التي طلبته - قبل أن يطلبها -.

ولعل أول مطبوع اطلعت عليه يعلن فيه ذلك: تعليقته على (الرسالة الصلاتية) للفقيه الكبير المرحوم الشيخ يوسف البحراني صاحب (الحدائق الناضرة) ﭬ. والتي طبعت قبل ١٩ عاماً من وفاته أي سنة ١٤٠٠ - ١٩٧٩. في مطبعة الآداب. فقد كتب رحمه الله في مقدمتها -بعد البسملة والحمد لله والصلاة على النبي وآله- يقول: وبعد فهذه قيود وضعتها حين نظرت في مدارك هذه الرسالة الشريفة للفقيه العليم المتبحّر غارس الحدائق الناضرة -نضّر الله وجهه وقدس تربته- أثبت فيها مواضع افتراقي عنه في الرأي، ومن الله -سبحانه- استمدّ التوفيق والهدى لنفسي ولإخواني في ديني.

ثم جاءت تعليقته على العروة الوثقى للفقيه الكبير السيد اليزدي الطباطبائي ﭬ والتي طبعتها دار مكتبة وليد الكعبة سنة ١٤٠٤ - ١٩٨٤ في مجلدين كبيرين فقد جاء في مقدمة الجزء الأول منها - بعد البسملة والحمد والصلاة:

أما بعد فهذه نتائج فقهية عمليه حرّرتها تذكرة لنفسي، في غضون مراجعتي كتاب (العروة الوثقى) أمضيت فيها ما أمضيت فيها من فتاوى مؤلفه العظيم ﭬ.. وقيّدت فيها ما قيدت، وأثبت ما خالفته فيها في الرأي.

وإلى الله – سبحانه – أبتهل أن يقيني عثرة القلم، وزلّة القدم، وأن ينيلني العدة التي رجوتها من عونه، والغاية التي أملتها من فضله.

وكانت قد طبعت – قبل هذا التاريخ – بعض أجزاء رسالته العمليّة الموسوعية (كلمة التقوى) والتي بلغت بمجملها تسعة أجزاء طبعت بعشرة مجلدات، ويمتاز أسلوبه في هذه الرسالة بالوضوح والسلاسة وسعة المسائل، بشكل لم يسبق له نظير في الرسائل العلمية المعروفة، وهي دورة فقهيه كاملة عدا كتاب الحدود والتعزيزات والقصاص والديات، إذ لم تفسح له الظروف الصحية التي أصبح عليها في أخريات أيامه مجالاً لإنجازها.

دوره في إصلاح الحوزة ودعمها:

وكما هو المؤمل في شيخنا رحمه الله وهو يحمل المزايا التربوية والإصلاحية التي عرفنا عنها، فقد طبعت هذه المزايا مرجعيته بخصائص مميزة، كان يمكن أن يكون لها تأثيرات أكبر لو أنه دخل هذا العالم في غير هذه الظروف التي دخلها، ومع هذا فقد برز من الجوانب الإصلاحية والتربوية في الدراسات الحوزوية خاصة ما يمكن أن يقتدى به مع الزمن ويمكننا أن نذكر من هذه الجوانب:

١ – التركيز على إقامة حوزات علمية في كل بلد إسلامي يوجد به رجال دين فضلاء، يمكنهم القيام بعبء تدريس المواد العلمية المطلوبة في الدراسات المنهجية في الحوزة، وعدم انتقال الطلاب إلى الحوزات العلمية الكبرى في النجف أو غيرها إلا بعد استكمال الاستفادة من العلماء الموجودين في تلك البلاد، وكان رحمه الله يهدف من هذا إلى:

أ- التجديد المستمر لمعلومات أولئك الفضلاء وخبرتهم في تلك المواد الضرورية الإساسية لمهمتهم، وأدائهم لمسؤولياتهم في المجتمع.

ب- استقطاب أكبر عدد ممكن من الطلاب الذين لا يمكنهم السفر إلى

الحوزات العلمية الكبرى، بسبب الظروف المعيشية أو غيرها من الموانع.

جـ- إشاعة الثقافة الإسلامية الأصيلة في كل مكان يتواجد فيه مثل أولئك العلماء والطلاب بشكل منهجي متكامل، فوجود الطلاب بين ذويهم وأصدقائهم مما يدعوهم دائماً إلى طرح معلوماتهم في المجتمع بكل وسيلة يستطيعون فيها ذلك.

د- عدم تأثر الدراسات العلمية بالظروف الاجتماعية والسياسية العامة، التي لها أثرها الكبير في سفر الطلاب وإقاماتهم في الأقطار التي فيها الحوزات العلمية الكبيرة.

إلى غير ذلك من الإيجابيات التي كان يكررها ﺗﻨﺌ في كل مناسبة، وليس أقلها البركات الإلهية التي جُعلت لطلب العلوم الإسلامية في أي بلاد وتحقق فيها مثل هذا الطلب.

٢- تقريره -وبمساعدة بعض الفضلاء الذين يعتمد عليهم في الحوزة العلمية في النجف الأشرف- منهجا عاما للدراسة في الحوزة العلمية فيها كما في غيرها من البلاد، حيث يتواجد وكلاؤه المعتمدون، وبموجب هذا المنهج قرّر مساعداته المادية التي يعطيها لطلاب الحوزة بعد إجراء الامتحانات اللازمة لذلك.

فكما هو معروف عن الدراسات الحوزوية أنها ذات طابع حرّ في الأسلوب والاستقلال، والوقت، إلا أن الجدية المطلوبة في الدراسة التي أناط سماحته بها مساعداته استوجبت تحديد مقدار معين لكل مرحلة ينبغي للطالب اجتيازه خلال فترة معينة، وهكذا فقد قسّم هذا المنهج المراحل الدراسية المعروفة إلى اثنتي عشرة سنة، في كل سنة مرحلتان فيكون المجموع ٢٤ مرحلة ومن خلالها يستطيع الطالب أن يحاسب نفسه بل ويحاسب أساتذته حين يريد لنفسه تحقيق الحد الأدنى للدراسة الجدية المطلوبة والمنهج هو

ت	الكتاب	آخر الموضوع المطلوب	الكتاب	آخر الموضوع المطلوب	الكتاب	آخر الموضوع المطلوب
١	منهاج	العبادات	الآجرومية	بأجمعها	منية المريد	مع عقائد الإمامية بأجمعها
٢	الصالحين	المعاملات إلى آخر المشتركات	قطر الندى	النواسخ	خلاصة المنطق	بأجمعه
٣	للسيد الخوئي	المعاملات إلى آخر الكتاب	قطر الندى	آخر الكتاب	المنطق	التصورات
٤	شرائع الإسلام	الاعتكاف	شرح الألفية	الفاعل	المنطق	التصديقات
٥	شرائع الإسلام	الضمان	شرح الالفية	الإضافة	البلاغة	الصناعات الخمس
٦	شرائع الإسلام	النفقات	شرح الألفية	آخر الكتاب بما فيه الصرف	البلاغة	علم المعاني
٧	شرائع الإسلام	الأطعمة والأشربة	المعالم	العام والخاص	شرح الباب	علمي البيان والبديع
٨	شرائع الإسلام	الفرائض	المعالم	آخر الكتاب	الحادي عشر	العدل
٩	شرائع الإسلام	آخر الكتاب	الأصول	للشيخ المظفر (ج١)	البيان	آخر الكتاب
١٠	اللمعة	الصلاة	الأصول	للشيخ المظفر (ج٢)	البيان	الأمور العامة
١١	اللمعة	الأمر بالمعروف	الأصول	للشيخ (ج٣) إلى السيرة	شرح التجريد	المقولات العشر
١٢	اللمعة	الربا	الأصول	للشيخ إلى آخر (ج٤)	-	آخر الكتاب
١٣	اللمعة	الجعالة	الكفاية	الجزء الأول/ المشتق	-	الوسائل ج ١١
١٤	اللمعة	النفقات	الكفاية	الجزء الأول/ المقدمة الموصلة	الأخلاق	-- ج١١ إلى ص٣٠٤
١٥	اللمعة	الأطعمة والأشربة	الكفاية	الجزء الأول/ اجتماع الأمر والنهي	-	-- ج١١ - ص٤٨٦
١٦	اللمعة	المواريث	الكفاية	الجزء الأول/ آخر الكتاب	علوم القرآن	يقدم تقرير لا يقل عن ١٠٠
١٧	اللمعة	آخر الكتاب	الرسائل	أدلة حجية الظن		صحيفة
١٨	المكاسب	الغناء من المكاسب المحرمة	الرسائل	اشتباه الواجب بغيره		يقدم تقرير لا يقل عن ١٠٠
١٩	المكاسب	الأرض المفتوحة عنوة	الرسائل	آخر الأقوال في الاستصحاب		صحيفة
٢٠	المكاسب	الاختيار من شرائط المتعاقدين	الرسائل	آخر الكتاب		
٢١	المكاسب	نقل المصحف إلى الكافر	الكفاية	ج٢/ حجية الخبر الواحد		
٢٢	المكاسب	الاختلاف في التغيّر	الكفاية	ج٢/ الدوران بين المتباينين		
٢٣	المكاسب	خيار الغبن في كل معارضة	الكفاية	ج٢/ تنبيهات الاستصحاب		
٢٤	المكاسب	آخر الكتاب	الكفاية	ج٢/ آخر الكتاب		

ويلاحظ هنا أنه رحمه الله عقب على هذا المنهج بملاحظات مهمة هي:

١. أعد هذا المنهج لتوفير الحد الأدنى من الدراسة الحوزوية، حيث يجتاز الطالب مرحلتين في كل سنة، وحيث يجري الامتحان السنوي لسماحة آية الله العظمى الشيخ زين الدين (دام ظله).

٢. المطلوب هو النجاح في مواد كل مرحلة بمستوى الكتاب المذكور فيها، ولا تفرض دراسة نفس الكتاب المذكور، إذ يكفي استيعاب المواد وان كانت الدراسة في كتب أخرى.

٣. يمكن للمجدّين من الطلاب تقديم إجابة لأكثر من مرحلتين في امتحان واحد مع المحافظة على التسلسل المطلوب.

كما الحقت به إعلاناً بينت فيه علقته رحمه الله مع طلاب الحوزة العلمية ومساعدته لهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خيرته من خلقه محمد وآله المنتجين.

وبعد، فتنفيذاً لأمر سماحة آية الله العظمى الشيخ زين الدين (دام ظله) بمراجعة المنهج الذي أمر بإملائه سابقاً، والأخذ بنظر الاعتبار للنتائج التي أفرزتها التجربة الماضية معه، والملاحظات البناءة التي طرحها الأساتذة والطلاب حوله، فقد تّمت – بعون الله – هذه المراجعة فأقرّ سماحته تعديل بعض النقاط الواردة في المنهج وبموجبه نعلن ما يلي:

١ – مساعدته (دام ظله) للطلاب (حتى المرحلة الأخيرة من المراحل المذكورة في المنهج المرفق مع هذا الإعلان) مشروطة بالنجاح في الامتحان

السنوي العام (الذي يجري كل سنة). أما طلاب البحوث الخارجة فيشترط أن ترد أسماؤهم كمدرّسين لطلاب ناجحين في بعض المراحل المتقدمة، مع مراعاة مايلي:

أ- أن لا تقل الدروس التي يلقونها عن درسين.
ب- أن يُقرن ذكر الطالب لاسم المدرّس بشواهد الحال المثبتة لذلك.
ج- أن يكون التدريس بالشكل المتعارف في الحوزة العلمية.

٢- لا يكتفى بمجرد الحضور في البحث الخارج بل لا بدّ من معرفة كفاءة الطالب فيه بما يلي:

أ- تدريس ما لا يقل عن المواد الواردة في المرحلة العاشرة فما فوق من المنهج المرفق.
ب- تزكية استاذ البحث الخارج بأن ما يكتبه الطالب على بحثه مستوفٍ لمطالبه فيه.
ج- تأييد الفضلاء الذين سعيّنون لهذه المهمة - إن شاء الله -.

٣- تخفيفاً على الطلاب الأعزاء -ولتعدد الامتحانات المطلوبة منهم- يجعل الامتحان سنوياً بعد أن كان كل ستة أشهر، على أن يقدم الطالب في كل امتحان إجابة لمرحلتين من المراحل المذكورة في المنهج، وسيكون موعد الامتحان السنوي هو العشر الأواخر من شهر محرم الحرام كل عام، ويعطى الراسبون فرصة ثانية بإجراء امتحان ثان لهم بعد شهر من الموعد السابق في الدروس التي رسبوا فيها. أما الدرجة المطلوبة في النجاح فهي (٧٠٪).

٤- يمكن للطالب الراسب في الامتحان السنوي والتكميلي أن يتدارك الأمر على نفسه فينتظم في الامتحان اللاحق بنفس المراحل التي رسب فيها.

٥- مساعدة الطالب الناجح في المرحلة الرابعة فما فوقها مشروطة بشهادة

النجاح في صحة قراءة القرآن الكريم من اللجنة المعينة لهذه المهمة.

٦- الطالب الذي لم يحالفه الحظ في النجاح يُعطى نصف المساعدة المقرّرة للمرحلة الأخيرة التي رسب فيها حتى الامتحان السنوي اللاحق، فإن نجح فيه استؤنفت له مساعدة المرحلة كاملة منذ نجاحه وإلا قُطعت عنه المساعدة نهائياً.. وهذا الاستحقاق مشروط بما يلي:

أ - أن يكون ناجحاً في الامتحان الذي سبق رسوبه.

ب- أن يكون منتظماً في الدراسة الحوزوية.

ج - أن يقدّم عذراً شرعياً مقبولاً لعدم النجاح.

٧- الطلاب الجدد الذين لا يستطيعون الانتظام بالامتحان السنوي العام يجرى لكل منهم امتحان خاص في المرحلة التي يختارونها، ومع النجاح يعطون مساعدة المرحلة التي نجحوا فيها.

٨ - استحقاق المساعدة مشروط بأن لا يكون للطالب أو الأستاذ أومن يعيله مورد آخر غير الحق الشرعي مما يكفيه للحياة الكريمة بما يناسب شأنه.

٩- المحافظة على التقوى والصلاح والورع بما يتناسب ومكانة طالب العلم في المجتمع وأدائه لرسالته العظمى بين الناس.

والله سبحانه هو الموفق والمامول لتسديد خطى الجميع في صراطه القويم.

٣- أما مساعداته لطلاب الحوزة العلمية فهي تجري بشكل متنامٍ، لاحظ فيها المستوى العلمي للطالب وفق المرحلة التي ادى فيها الامتحان، مع عدد أفراد الأسرة الذين يعول بهم.

فالطالب المجرد الذي أدى امتحانه بمستوى الرسالة العملية له مقرر المرحلة مضروباً × ٢، أما الطالب الذي أدى الامتحان في إحدى مراحل كتاب

شرائع الإسلام فيضرب × ٣، ويصعد الرقم إلى ٤ في اللمعة، و٥ في المكاسب، و٦ لطالب البحث الخارج فحين يكون مقرر المرحلة ١٥٠٠ دينار مثلاً فطالب الرسالة العملية المجرد يستلم ٣٠٠٠ دينار، وطالب الشرائع ٤٥٠٠، وهكذا ثم يضاف إليه مقرر أفراد العائلة -إذا كان معيلاً- ويتصاعد هذا بدوره مع كل فرد يعول به.

وهو بهذه الطريقة الفريدة استطاع تقدير الدرجة العلمية التي يبلغها الطالب من جهة، مع مراعاة اعالته في الوقت نفسه من جهة أخرى.

ومعروف في الحوزة العلمية في النجف أن مساعدات سماحة الشيخ تَتَرَّك كانت من أعلى المساعدات التي يتلقاها الطلبة.

٤- تبنّي بعض الأساتذة الاكفاء لتدريس المواد العلمية في الحوزة بموجب المراحل المذكورة في المنهج الذي أقره لسد بعض الثغرات التي مني بها الطلاب المجّدون نتيجة لنقص الكادر التدريسي في الحوزة العلمية في بعض الظروف.

٥- تبنّي بعض الأساتذة الأكفاء في تدريس علوم القرآن والتجويد، وهيأ لهم مساعدات خاصة لذلك وأناط النجاح في امتحان المرحلة الرابعة من منهجه السابق فما فوقها، واستحقاق المساعدة المادية بالنجاح في قراءة القرآن وصحة هذه القراءة بالشكل المناسب لطالب ديني مسؤول.

٦- لم يحصر توزيع هذه المساعدات بالمسؤولين عنها من قبله، بل كان بعضها عن طريق بعض المراجع الآخرين فالمهم لديه هو وصولها إلى مستحقيها وتحقيق الهدف منها.

دَورُهُ في مساعدات العوائل الفقيرة والمؤسسات الصحية العامة أثناء الحصار

كان لشعور سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما مني به أبناؤه المؤمنون من شظف العيش

وعوامل الفقر، ولا سيما ما أصيب به الناس في العراق نتيجة الحصار أثر عميق في نفسه، كعاطفة أبوية وكمسؤولية إسلامية معاً.

ومما يعرفه ذوو العلاقة القريبة به أنه خفض مستوى معيشة بيتهِ ومصارفه اليومية الخاصة إلى المستوى الأدنى مما لم يألفه في الأوضاع العادية، ليس من حاجة، بل من شعور أخلاقي وديني تفرضه المرحلة على مثله، أشبه بما عبّر عنه الإمام علي عليه السلام في قوله: «لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل».. إلى قوله عليه السلام.. «أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر».

ولهذا فقد أوعز إلى وكلائه في خارج العراق خاصّة بالعناية بالفقراء في بلادهم بقدر الإمكان، وإرسال مقدار مما يستلمونه من الحق الشرعي إليه لمساعدة الحوزة العلمية في النجف، والعوائل المحتاجة في العراق، ثم ومنذ سنتين قبل وفاته رحمه الله تقريباً ألزمهم بارسال الثلث مما يستلمونه بحسب وكالتهم عنه، حيث ضاقت به الأمور هنا، وبموجب الرقم الذي يستطيعُون إرساله فتح باب التسجيل للعوائل المحتاجة، معتمداً على بعض المؤمنين الذين يثق بهم في جميع أنحاء العراق حتى بلغ مجموع من سُجّل في قوائم المستلمين ما يقارب ٣٥ ألف فرد، مع طلبة الحوزة العلمية وعوائلهم، إضافة إلى مساعدات أخرى كان يقوم بها في بعض المؤسسات وكان توزيع المساعدات يجري كما يلي:

أ- إعطاء العائلة بموجب عدد أفرادها، بإضافة فرد لربّ العائلة، فحين يعين ٧٥٠ ديناراً للفرد -كما جرى في الأشهر الأخيرة قبيل وفاته- تعطى العائلة ذات ٥ أفراد مثلاً ٤٥٠٠ دينار وهكذا.

ب- إعطاء مساعدات إضافية في بعض مواليد أهل البيت عليهم السلام وبعض الأشهر المباركة كشهر رمضان وقد يصل الإعطاء إلى الضعفين أو الثلاثة أضعاف المساعدات الشهرية. وقد تكون المساعدة بشكل عيني كالتمر والطحين والرز والملابس وغيرها.

ج- وهناك مساعدات محدودة لمن يروم الزواج من الفقراء وفق شروط خاصة.

٤- أوعز ﷺ إلى المؤمنين الزائرين الوافدين من خارج القطر بجلب ما يمكن جلبه من الأدوية لمساعدة من كان يثق به من الأطباء الاختصاصين في علاجهم للمرضى وخصوصاً الفقراء، حيث لا تتوفر مثلها في الصيدليات، ولا يستطيع الفقراء شراءَها لغلاء ثمنها، وكانت استجابة المؤمنين مشكورة إذ أمكن بهذه الطريقة توفير كميات جيدة من الأدوية في وقت عزّت فيه.

٥ - يقدم مساعدات لترميم بعض المستشفيات وسداد بعض نقائصها وتصليح بعض أجهزتها الضرورية وتوفير بعض مستلزماتها التي تهمّ المرضى.

٦- ومما يلاحظ -ونحن بهذا الصدد- ما قام به ﷺ وباقتراح من بعض الفضلاء من وكلائه من أجل التحفّظ على الحقّ الشرعي، وإغناء رغبة أولئك الذين يودّون الاشراف بأنفسهم على صرف حقوقهم الشرعية، تشكيل لجنة من ثلاثة من وكلائه يضاف إليهم المكلف صاحب الحق، الشرعي وتوضع خطة مناسبة لصرف ذلك الحق واجراء الصرف بموجبها، ويوكل تنفيذها إلى بعض الثقاة بإشراف تلك اللجنة، وخصوصاً إذا كان المبلغ كبيراً.

٧- ولأنه ﷺ كان كثير التحّرز والاحتياط، فهو قليل الوكلاء حتى في البلاد التي يرجع معظم أبنائها بالتقليد إليه، فهو لا يعطي الوكالة إلا بعد إحرازه الثقة التامة بالوكيل، وبإمكان أن يكون هذا -في سلوكه العام والخاص- صورة صادقة عنه؛ ولأن هذه النظرة أوجبت ضيقاً في تلك البلاد، فقد أعطى لبعض وكلائه السابقين الذين يثق بهم سعة في الوكالة يستطيعون بموجبها توكيل آخرين من ثقاتهم على أن يكون هؤلاء محاسبين أمام أولئك الوكلاء، وفي الحدود التي تضمنتها وكالاتهم الاصلية.

مؤلفاته بعد المرجعية:

أَلَّف شيخنا بعد المرجعية عدداً من المؤلفات الفقهية الهامة، منها:

١- تعليقه على الرسالة الصلاتية، للفقيه الشيخ يوسف البحراني (صاحب الحدائق) ﯟ وقد طبعت في مطبعة الآداب في النجف سنة ١٤٠٠هـ.
٢- تعليقه على العروة الوثقى للفقيه السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي ﯟ وقد طبعت في مجلدين في دار مكتبة وليد الكعبة في بيروت سنة ١٤٠٤هـ.
٣- رسالته العلمية (كلمة التقوى) في تسعة أجزاء طبع أول أجزائها سنة.
٤- المسائل المستحدثه طبعت مستقله سنة ١٤٠٧هـ.
٥ - بين المكلف والفقيه وهي مجموعة مما ورد إليه من استفتاءات مع إجاباته رحمه الله عليها، جمعها الشيخ محمد جواد الشهابي طبعت في البحرين سنة ١٤١٧ هذا عدا إجاباته ﯟ عن الأسئلة المختلفة التي كانت توجه إليه من أنحاء العالم العربي والإسلامي والتي لو جمعت لشكلت سفراً مضافاً.

بعض اجوبته في مسائل عقائدية وبعض فتاواه

(مسألة): ما يقول.. في معنى دلالة الذات، كما جاء في الدعاء المنسوب للامام أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «يا من دل على ذاته بذاته».

الجواب: الكلمة المسؤول عن معناها فقرة من دعاء الصباح المعروف. المشهورة نسبته إلى سيد المسلمين وأمير المؤمنين، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم نعثر في كتب الحديث لهذا الدعاء على سند متصل نثبت به صحة نسبته إلى الإمام عليه السلام من حيث الرواية. ولكن جماعة من الثقاة الأعلام قد أوردوا الدعاء في كتبهم. ونسبوه إلى الإمام عليه السلام، غير مترددين في نسبته إليه.

ويضـاف إلى ذلك علو مضامين الدعـاء، وموافقة معاني فقراته لما ورد عنهم عليهم السلام، وعن جدهم الرسـول صلى الله عليه وآله في الأحاديث والأدعيـة الصحاح، بل وموافقة كثير منها لمعاني القرآن الكريم، وفي كل هذا مايغنينا عن التحدث في ناحية سنده.

والكلمة المسـؤول عن معناهـا بذاتها فقرة عالية المضمـون، رصينة المبنى، يستبين الناظر البصير فيها قبساً من أنوار النبوة، ونفحة من نفحات العصمة.

وهي موافقة المعنى لكثير من اقوال المعصومين عليهم السلام، الثابتة عنهم بالأسانيد المعتبرة كقول الإمام الحسين عليه السلام في دعائه يوم عرفة: كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدِل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي ترشد اليك.

وقوله عليه السلام في الدعاء نفسه: «منك أطلب الوصول إليك وبك استدل عليك، فاهدني بنورك إليك، وأقمني بصدق العبودية بين يديك».

وقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء السحر الذي رواه عنه الثقة الجليل أبـو حمزه الثمالي رحمه الله: بك عرفتـك وانت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدرِ ما أنت.

وهـذا هو المعنى الذي أراده الرسـول صلى الله عليه وآله لما سـئل: بمـاذا عرفت ربك؟، فقال: بالله عرفت الاشياء. يعني فالله –سبحانه– دليل ذاته أولاً، لأنه الظاهر بنفسه المظهر لغيره من الكائنات، وبه عرفت الأشـياء ثانياً، لأنه علتها وموجدها ومكونها بعد ان كانت معدومة ولولا وجوده وتدبيره لما كانت ولما دبرت.

بلى.وهـذا هـو المعنـى الذي دلـت عليـه الفقرة الأخيـرة من قولـه (تعالى): ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ

﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١]. فهل يحتاج إلى آية تثبت وجوده وهو الشهيد على كل شيء، الذي لولا وجوده لما ثبتت الأشياء.

وهو أحد معاني قوله (تعالى): ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢]. كما ذكره المحققون من علماء التفسير، فإن اظهر خواص النور كونه ظاهراً في ذاته مظهراً لغيره، وإلى هذا يؤول ما رواه الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد عن الإمام الرضا عليه السلام -في معنى الآية الكريمة-: «هاد لأهل السماوات وهاد لأهل الأرض».

ومعنى لفظة (دل) في اللغة: هدى وأرشد، والدلالة هي الهداية والتسديد إلى الطريق، سواء كان ذلك عن قصد أم عن غير قصد.

فمن استعمال المادة في الهداية عن قصد قوله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣]. ومن استعمالها في الهداية عن غير قصد قوله (تعالى): ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾[٤].

ولفظة (دل) قد تأتي قاصرة وقد تاتي متعدية، فمن استعمالها قاصرة قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المشهور (الدال على الخير كفاعله)، ومنه قول أبي العتاهية:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ومن استعمالها متعدية الآيتان الكريمتان الآنف ذكرهما.

وتتعدى إلى المفعول الثاني بالى، فتقول: دللته إلى الشيء. والأكثر في

(١) ٥٧ فصلت.
(٢) النور ٣٥.
(٣) الصف: ١٠.
(٤) سبأ: ١٤

الاستعمال تعديتها بعلى، فتقول دللته على الشيء، ومنه الشواهد المتقدم ذكرها، ومنه كذلك فقرة دعاء الصباح المسؤول عن معناها: «يا من دل على ذاته بذاته».

ولفظة (ذات) تستعمل -لغة- في عدة معان، منها حقيقة الشيء وخاصته، وقد ذكر هذا المعنى الكثير من اللغويين، واستدركه صاحب تاج العروس على الفيرزابادي لما تركه في القاموس.

ويراد بحقيقة الشيء وخاصته هنا: وجوده الخاص الذي يتميز عما سواه، سواء اكان ذلك الشيء جوهراً أم عرضاً. فيقولون: ذات هذا البياض وهذا الخط، كما يقولون ذات زيد وذات ذلك الجسم.أي تلك الحقيقة الخاصة المتميزة بوجودها عما عداها من الحقائق والموجودات.

وبهذا المعنى صح إطلاق كلمة الذات على الحق -سبحانه-، وصحت اضافتها إليه، فيقال: هو -عز اسمه- ذات لا كالذوات، أي وجود ثابت متميز عما سواه من الكائنات لا يشبهه شيء منها، كما يقال: هو شيء لا كالأشياء، وكما صحت إضافة النفس إليه في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] وغيرها من الآيات الكريمة.

وقد أضيفت كلمة الذات إليه -سبحانه- في كلمات كثير من البلغاء، منها قول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة الأشباح: وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته.

وقوله عليه السلام في خطبة له في التوحيد: ولا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ماهو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثهُ، إذاً

(١) الأنعام ٥٤.

لتفاوتت ذاته ولتجزّأ كنهه، ولا متنع من الأزل معناه.

وقوله عليه السلام في خطبة أخرى: الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال وجوده، وحجب العقول عن أن تتخيل ذاته.

وفيها كذلك: بل هو الذي لم يتفاوت في ذاته، ولم يتبعض بتجزئة العدد في كماله.

وقوله عليه السلام في خطبة أخرى: أسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفرقة بينه وبين خلقه.

ومنها قول الإمام الحسين عليه السلام في دعائه يوم عرفة: إلهي أنت الغني بذاتك أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عني.

وقول الإمام الصادق عليه السلام لم يزل الله -جل وعز- ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور.

وفي كتاب للإمام الرضا عليه السلام: الممتنع من الصفات ذاته ومن الأبصار رؤيته، إلى كثير من كلمات الأئمة من أهل البيت المشتملة على ذلك.

وفي حديث ابن عباس: تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله، أخرجه البيهقي.

وفي الحديث الذي أخرجه الحاكم النيسابوري وصححه في كتابه المستدرك على الصحيحين، واخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي سعيد الخدري، قال (واللفظ للإمام أحمد): اشتكى علياً الناس، قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا خطيباً، فسمعته يقول: أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله أنه لأخشن في ذات الله.

وفي لسان العرب، وتاج العروس، وصحاح الجوهري، ونهاية ابن الأثير:

أخيشن في ذات الله، والمراد انه خشن في سبيل الله أو في طاعته، أو في دينه لا تأخذه لومة لائم.

وقريب منه في المعنى قول حبيب بن عدي الصحابي الأنصاري، أورده البخاري:

ولست أبالي حين اقتل مسلماً على أي شيء كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وأن يشأ يبارك على اوصال شلوٍ ممزع

وقول حسان بن ثابت: كما أورده ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري:

وإن أخا الأحقاف إذ قام فيهم يجاهد في ذات الإله ويعدل

وقول النابغة:

محبتهم ذات الإله ودينهم قديم فما يخشون غير العواقب

وقول أبي تمام:

يقول فيسمع ويمشي فيسرع[1] ويضرب في ذات الإله فيوجع

وقد أكثرت من ذكر الشواهد على ذلك من أحاديث الرسول ﷺ وكلمات أوصيائه الأئمة المعصومين عليهم السلام، ومن أقوال الشعراء الذين لا يشك في أصالتهم في اللغة لئلا يبقى ريب في صحة هذا الاستعمال.

وذهب قوم إلى المنع منه فلا تطلق كلمة (الذات) على الله، ولا تصح إضافتها إليه.

وقد احتجوا لذلك بأن (ذات) مؤنث (ذو) بمعنى صاحب، أحد الأسماء

---

(١) كذا ورد في ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي.

الستة المعروفة عند النحويين. فيقال: هو ذو مال، وهي ذات مال، وتاؤها هي تاء التأنيث، ولذلك فلا يصح إطلاقها على الله، لأنه سبحانه لا يسمى ولا ينعت بما لحقته علامة التأنيث.

وقد عرفت أن كلمة الذات التي تطلق عليه تعالى إنما هي بمعنى حقيقة الشيء وخاصته، وقد نص عليه اللغويون، وترادفها كلمة النفس والعين، وهي غير ذات بمعنى صاحبة التي لحقتها علامة التأنيث.

واحتجوا لعدم صحة إضافة الذات إليه بأن ذات الشيء نفسه فلا تصح إضافتها إليه لأن الإضافة تقتضي المغايرة بين المضاف والمضاف إليه.

وهذا الوجه واضح الفساد لأن العرب يقولون: جاء زيد نفسه، واخذت الشيء بعينه، وفي القرآن الكريم ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[١]، ومعنى هذا أن الإضافة صحيحة، وأن المغايرة في الاضافة يكفي أن تكون من وجه ما، ولو من جهة العبارة.

على أن هذا الوجه لو صح لاقتضى المنع من إضافة الذات إلى أي شيء، فلا يقال ذات زيد، ولا ذات الشيء، ولا يختص المنع بإضافتها إلى الله كما يدّعون.

ومن الغريب أن الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن أنكر مجيء الذات بمعنى عين الشيء ونفسه في اللغة، فقال في مادة (ذو): وقدا استعار أصحاب المعاني الذات فجعلوها عبارة عن عين الذات جوهراً كان أو عرضاً، واستعملوها مفردة ومضافة إلى المضمر وبالألف واللام وأجروها مجرى النفس والخاصة، فقالوا: ذاته ونفسه وخاصته، وليس ذلك من كلام العرب، ثم قال في مادة (نفس) وقوله (تعالى): ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾[٢]

---

(١) الأنعام ٥٤.

(٢) المائدة ١١٦.

وقوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[1]: فنفسه ذاته فأضاف الذات إلى ضمير الجلالة وجعلها تفسيراً لكلمة (نفسه) في الآيتين الكريمتين.

والباء في قوله عليه السلام: يا من دل على ذاته بذاته، هي الباء التي تدخل على الدليل في مثل هذا التعبير، كما في قولك: دل فلان بفضله على كرمه وبتجاوزه على حلمه، والجار والمجرور متعلق بدلّ، فهو -سبحانه- دال، وهو دليل، وهو مدلول.

ويحتمل أن تكون الباء سببية، نظيرها في قول المتكلمين: هو واجب الوجود بذاته، أي أن وجوده وجب بذاته لا بسبب علة أخرى خارجة عنه، وليس معنى ذلك ان ذاته علة لذاته،فانه محال، بل معناه أن ذاته الوجود، فيستحيل عليه العدم: لان سلب الشيء عن نفسه محال ومؤدى الفقرة - على هذا الاحتمال - ان دلالته سبحانه على ذاته ذاتية لا تستند إلى علة، ولا تفتقر إلى جعل، وهو معنى في منتهى الرفعة والعلو.

ودلالته -سبحانه- على ذاته بذاته هي طريقة الواصلين الكاملين في معارفهم، الذين ارتاحت نفوسهم، وسمت أرواحهم وصفت قلوبهم، فأشرقت عليهم أنوار القدس، فأبصروها بأعين البصائر، وشهدوها بمشاهدات السرائر، والله -سبحانه- هو مفيض النور عليهم لما استأهلوا، ومتم النعمة عليهم لما استكملوا، نعم وبتلك الأنوار أبصروا ما دونها من الآثار.

وهذا هو معنى قولة الرسول صلى الله عليه وآله في الحديث الشريف الذي قدمنا ذكره لما سئل: بماذا عرفت ربك؟. فقال صلى الله عليه وآله: بالله عرفت الاشياء.

تجلّت على قلبه العظيم انوار العظمة فابصر بها حقيقة الحقائق، وأولى الأوائل، ثم أبصر بنورها ما وراءها من عوالم ومعالم، فقال هذه القولة العظيمة:

---

(١) آل عمران

بالله عرفت الاشياء.

وهـذا هو معنى قول الإمام الحسـين عَلَيْسَّلِا في الفقرات التـي قدمنا نقلها من دعائـه يـوم عرفه، وقولـه عَلَيْسَّلِا في الدعاء نفسـه: الهـي أمرت بالرجـوع إلى الآثار فأرجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار، حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها، ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها، إنك على كل شيء قدير.

والسـبيل المـؤدي إلى هـذه الغاية التي يطمـح إليها الطامحـون، والقمة التي يحاول أن يسمو إليها العارفون، هو تطهير النفس بطهور الشريعة من جميع الأوضار والأوزار، وتهذيـب أخلاقهـا وطباعها وسـرها وعلانيتها باتباع مناهـج الله وتطبيق قوانينه، والارتقاء بها إلى حيت الكمال الأعلى والصفات المثلى.

وهنالك حيث يتم للنفس الصفاء والنقاء، تكمل لها الأهلية وتسـتحق الفيض ويشرق النور وتتم النعمة.

بلى، حيث تتوفر للنفس المؤهلات والمكملات، ويتم لها الاستعداد.

فـإن هبـات الله لا تكال جزافاً، ولا تؤتى دون اسـتحقاق، ونور الله لا يتجلى للقلب المظلم والضمير المعتم، والحقيقة العظمى الطاهرة الزكية لا يمكن أن يبدو إشعاعها في غير القلب النقي الزكي.

هذا هو السبيل المؤدي المضمون الأداء إلى هذه الغاية الكبرى.

نعـم، هنا أوجه مـن البراهين يذكرها بعض الأكابـر للدلالة على الحق بالحق -جلـت عظمته-، ومـن هذه البراهين ما أفاده أسـتاذنا الفيلسـوف المحقق الشـيخ محمـد حسـين الأصفهاني تغمـده الله برحمتـه، والبرهان -علـى اختصاره- قوي متين، بل وهو في غاية القوة والمتانة لمن كان له قلب.

وهو: أننا إذا تصورنا مفهوم واجب الوجود لذاته، أي ما يتحتم لذاته أن يكون موجوداً، ويستحيل أن يكون معدوماً، فهذا التصور بنفسه يوجب لنا القطع بوجود واجب الوجود، لأنه لو لم يوجد لكان عدمه إما لأنه ممتنع ليكون معدوماً لذاته، وإما لأنه ممكن ليكون معدوماً عند عدم تمام علته، ولا قسم للمعدوم غير هذين، وهو خلف لأنا فرضناه واجبا.

وبتقرب آخر أوضح واصرح: إذا كان معنى واجب الوجود هوما يتحتم لذاته أن يكون موجوداً، فكيف يتصور أن لا يوجد؟، بل وكيف يحتاج وجوده إلى إثبات والشرح المطابق لذلك المعنى: أن ذاته الوجود، ومن البديهي أن سلب الشيء عن نفسه محال، وهو واضح -بحمد الله- لمن تأمل، نيّر لمن تفكر، يغني الطالب عن أي دليل وأي تعليل.

واحتمل بعض شراح الدعاء الشريف أن يكون المراد -من قوله عليه السلام: يا من دل على ذاته بذاته-: يا من دل على وجود ذاته بآثار ذاته، وأنه من حذف المضاف في الموضعين للعلم به، فيكون إشارة إلى الاستدلال بالمعلول على وجود العلة الذي تشترك فيه عامة الناس من الخواص والعوام، بل ويكون إشارة إلى دليل الفطرة الموجودة في نفس كل إنسان تهدية إلى وجود القوة العظمى المسيطرة التي بيدها التقدير والتدبير، فإن الله -سبحانه- هو الذي بث الآثار في هذا الملكوت، وركب الفطرة في نفس الإنسان، وانطقها جميعاً بالدلالة عليه، فهو الذي دل بهذه الآثار على وجوده.

وهذا المعنى الذي احتمله قدس سره -مضافاً إلى بساطته- يحتاج إلى تكلف تقدير المضاف في العبارة في الموضعين، فالمعنى الاول اجلى واعلى.

ومن فتاواه رحمه الله نقرأ:

(مسألة): قد وجد في وقتنا هذا من يطلق على نفسه ويطلق عليه أتباعه عنوان (نائب باب المولى)، مدعيا النيابة عن (الحسين بن روح) -رضوان الله عليه- السفير

الثالث في زمن الغيبة الصغرى الواقع واسطة بينه وبين الإمام المنتظر -عجل الله فرجه الشريف- حاضراً، وهو يدّعي رؤية الإمام القائم عليه السلام في المنام، وأنه قطع بأنه هو، وقد أرسله إلى الشيعة يأمرهم وينهاهم في المسائل الخاصة والعامة، ويأخذ منهم الخمس، وقوله وأمره ونهيه كل ذلك مقدم عند أتباعه على ما يأتي من الفقهاء مع التعارض، وطريقه في هذه التبليغات والأوامر والنواهي رؤيته المنامية للإمام القائم - عجل الله فرجه - نفسه أو الحسين ابن روح، كما تدعى له الملاقاة لهما في عالم اليقظة.

وقد حدث أن أعلن هو نفسه اشتباهه وتخليه عن دعواه أمام جمع من العلماء، وكتب تقريراً موقعاً بذلك ومذيلاً بتعليق من العلماء الذين حضروا مجلس الاعتراف والتخلي، إلا أن دعوته لا زالت قائمة ويتجمع الأتباع، وأن من تابعه من العلماء من وكلائه لازال يؤمن بصدق دعواه وحقانيتها، وإن ادعى توقف الدعوة إليها، الأمر الذي يشهد الواقع بخلافه.

ويقوم تسليم هؤلاء ومن قاربهم بهذه الدعوى على ما ينقلونه عنه من إخبارات بأمور خفية، وما جاء على يده ينسبه للإمام القائم (عج) من نصوص يلفظها يرون أنها فوق مستوى الناقل، وأنه يمتنع عليه أن يأتي بها من نفسه في ظروف لا يحتملون معه أنه يستمدها من غيره من دون الإمام (عج)، مما جعلهم -كما يقولون- يقطعون بصحة دعواه.

والصفة السائدة في هذه النصوص استعمالها لغريب اللغة الشاذّة جداً.

أولاً: ما هو الرأي المذهبي في إمكان هذه الدعوى؟

ثانياً: ما هو توجيهكم -حفظكم الله- لهؤلاء الوكلاء والأتباع ومنهم من كان معروفاً بالوثاقة والحرص على الدين؟

ثالثاً: من يصر من هؤلاء على دعواه بعد بذل الجهد من العلماء معه في بيان بطلان الدعوى، هل يجوز الاقتداء بصلاته وحضور محاضراته وخطاباته وجلساته

وتدريسه، أو يمتنع عن ذلك، ولو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيقاف سريان البدعة.

ملاحظتان:

١ - تحت يد الرجل منجد لغوي، والنصوص تحمل العيب المذكور من ناحية الفصاحة وأنها لا ميزة بلا غية لها، والبيان الأول منها - وهو خطاب للشيعة بالاستجابة للدعوى، وهو منسوب إلى الإمام (عج) لا يخلو من أخطاء نحوية.

٢- المبتدع في الدين مع انتفاء الشبهة هل يبقى عادلاً أم لا؟

بسمه تعالى: دين الإسلام -ومذهب أهل البيت عليهم السلام على الخصوص- أعظم شأناً وأكبر خطراً، وأقوى حجة، من أن يعتمد في دعوته على مثل هذه الأساليب الملتوية، أو يلجأ إلى حجج غير منطقية، أو غير شرعية، أو على وجوه متناقضة وغير صحيحة، أو على أطياف وما يشبه ذلك مما ذكرتموه في السؤال، والإمام الحق -عليه وعلى أبائه الطاهرين أفضل الصلاة والسلام- أسطع نوراً وأجلّ مقاماً وأجلى حجة من أن يفعل مثل ذلك أو يوقع شيعته في مثل هذه الأخطاء والأخطار، ولاسيما في مثل هذه الظروف، ولذلك فيجب الابتعاد -جهد المستطاع- عن هؤلاء ومقاطعتهم وعدم الحضور في مجالسهم، وعدم الاستماع إلى دعوتهم، فضلا عن الصلاة معهم، ولا ريب في أنتفاء العدالة ممن يرتكب ذلك مع انتفاء الشبة. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

(مسألة): ما رأي سماحتكم -أدام الله ظلكم- في الفرق بين طائفتي المحدثين والأصوليين؟

وهل صحيح أنّ هناك فروقاً جوهرية بينهما؟، وما وصيتكم لنا في المسألة؟

أفتونا مأجورين أعزكم الله وأعز بكم الإسلام والمسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعض أبنائكم المؤمنين

باسمه تعالى:

لم أجد فرقاً رئيساً بين مسلكي المحدثين والأصوليين، فما في السؤال من التعبير بالطائفتين خطأ. وإنما هي طائفة واحدة تنتهل من معين أهل البيت عليهم السلام وتستمسك بعروتهم الوثقى.

والفروق التي تذكر لا تتجاوز ما يحدث بين أي فقيهين ولو من مسلك واحد، وخصوصاً في هذه العصور حيث كان للشيخ صاحب الحدائق والشيخ الأنصاري (قدس الله سرهما) الفضل في جلاء الكثير من الحقائق التي كانت غامضة قبلهما، فجزاهما الله عن الإسلام وأهله خير جزاء المحسنين.

على أنّ معظم تلك الفروق - حتى فيما قبلهما من الزمن - لم يختصّ بأحد المسلكين دون الآخر، فهناك فقهاء من ذوي المنهج الأصولي قد وافقوا الإخباريين في اختيار ما قيل باختصاصهم به من المسائل وبالعكس.

وفي كتابي الحدائق والدرر النجفية مباحث قيّمة في هذا الشأن.

أما وصيّتي للأحبة من أبنائي المؤمنين فهي: ضرورة المحافظة على وحدة كلمتهم وترك الخوض في هذه الأمور التي هي من شؤون فقهاء أهل البيت عليهم السلام الورعين الأتقياء، فهم المؤتمنون على أحكام شريعة الله (تعالى)، وهم الذين أمر المعصومون عليهم السلام شيعتهم بالاقتداء بهم في العمل بتلك الأحكام، وهم حجة الإمام صاحب العصر (عج)، وهو حجة الله - كما في المكاتبة عنه عليه السلام -.

عصمنا الله وإياكم عن مجانبة هداه، ووفقنا جميعا لنيل رضاه. إنه سميع مجيب..

وفاتــه وأصداؤها

لبـى نـداء ربـه عصر يوم الأربعاء التاسـع والعشـرين من شـهر صفـر ١٤١٩ الموافـق لليـوم الرابـع والعشـرين مـن حزيران سـنة ١٩٩٨ فتلقت الحـوزة الدينية والمؤمنيـن في أنحاء العالم نبأ وفاتـه بأسـف وحـزن صادقين، وهرع الناس – على اختـلاف طبقاتهم لتشـييع الجثمان الطاهـر صبـاح يوم الخميس الثلاثين من شـهر صفـر بعفويـة وكثافة حتـى ووري الثرى في دار الواقعة في محلة العمارة في شـارع السـور مقابل مقبرة وادي السـلام، وأقيمت الفواتح في داخل العراق وخارجه على روحه الطاهرة.

وابّنـه بتأثر وحـزن عميقين عدد مـن أهل العلم والأدب مـن خلال الكلمات التـي القيت، أو البرقيات والرسـائل المرسـلة إلى نجله العلامة الشـيخ ضياء الدين زين الدين(حفظه الله).

وتقدم عدد من هؤلاء بعفوية وبدافع المشاركة الوجدانية بقصائد شعريه عبّروا بها عن مشـاعرهم، القـي بعضها في مجالس الفاتحه وبعضهـا الآخر في المجالس التأبينية التي اقيمت على روحه الطاهرة في ذكراه في الأربعينية.

ومثـل ذلك مـا أقيم له مـن الحفلات التأبينية في محافظـات العراق الأخرى وفي اقـطار أخرى من العالم الإسـلامي كالشام ولبنان والبحرين والسعودية وايران أو الجاليات الإسلامية في بعض البلدان الاوربية وغيرها.

ونتعجـل فنشـير إلـى أن أعظـم ما يبدو مـن دلالة في تلك المراثي – شـعرية ونثرية – اتفاقها في إعطاء نفس الصورة لشـيخنا المعظم (قدس الله نفسـه) درسـاً وعلماً ونتاجاً فكرياً وتقى وسـلوكاً وفقاهة، فهو فيها جميعاً صورة (نموذج) لرجل العلم والمفكر والمرجع.

ولعلها ستنشر -بعون الله- حينما يستكمل جمعها من اماكنها المتفرقه ومنه المدد والتوفيق.

ومما قيل في تاريخ وفاته من الشعر:

أودى الــردى بفقيـه أمـة أحمد ومـنار حجـتها وليث عرينها
وعـدا على مـن تستنير بـرأيـه الـ ـوضّـاء فكراً في شـرائع دينها
علم الهـدى الـورع الأمين محمد صمـصام أربــاب التقى ويمنيها
فأبو (ضياء الدين) (أظلم) بعده ربع المكارم واكتسث بدجونها
ويكتبه دنيا المكرمات وكيف لا تبكي ابن بجدتها بفيض شؤونها
وبفقده طويـت صحائف سيرة عبقت محا فلـنا (بنشر) متونها
والدين قوض صرحه أرخ (كـما فجعت شـرائع ديننا بأمينـها)

فسلام على شيخنا المعظم يوم ولد، ويوم توفي، ويــوم يبعث حياً

٢٠ جمادي الثانية ١٤١٩هـ



الفقيه الشيخ محمد أمين زين الدين (ت ١٤١٩هـ)

فقيه الأدباء وأديب الفقهاء

اية الله الدكتور الشيخ عبدالهادي الفضلي

هدف البحث:

يهدف هذا البحث - كما يومئ إليه عنوانه - إلى بيان ما قام به أستاذنا الكبير، فقيه الأدباء وأديب الفقهاء، الشيخ محمد أمين زين الدين (١٣٣٣-١٤١٩هـ)، من نشاط أدبي ساهم في إنماء الحركة الأدبية في النجف الأشرف، ومن أعمال إبداعية شاركت في تطوير الحركة المشار إليها.

أهمية البحث:

إن الكتابة عن الشيخ زين الدين تعني الكتابة عن أستاذ مُرَبٍّ مرموق من أساتذة الأجيال في النجف في حقبة زمنية كانت تمثل العصر الذهبي للنجف الأشرف علمياً وأدبياً، وقد استمرت لأكثر من خمسين عاماً تقريباً، وضمّت علماء عظماء وأدباء لامعين.

والكتابـة عنه تعني، أيضـاً، الكتابة عن هذه الحقبة الحافلـة بالإنتاجات الكثر الخيرة، والمعطيات الوفر اليانعة.

من ها هنا تأتي أهمية الموضوع، فأهمية البحث فيه.

طريقة البحث:

اعتمـدت فـي بحثي هذا طريقة الاسـتقراء من واقع مشـاهداتي حين زياراتي لأستاذنا الجليل، ولقاءاتي به في المناسبات وغيرها، ومدة تلمذتي عليه، ومن واقع قراءاتي لما وقع بين يديّ من نتاجه الأدبي مطبوعاً ومخطوطاً.

خطة البحث:

ويتألف هذا البحث من الموضوعات التالية:

١- لمحة عن تاريخ الحركة الأدبية في النجف الأشرف: نشأتها وتطورها.
٢- تعريف موجز للأدب النجفي: خصائصه، أجناسه، عوامله.
٣- شخصية الشيخ زين الدين الأدبية.
٤- دوره في إنماء الحركة الأدبية في النجف.
٥- دوره في تطوير الحركة الأدبية في النجف.

مصادر البحث:

١- الأعلام، خير الدين الزركلي.
٢- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات.
٣- تاريخ التشريع الإسلامي، عبد الهادي الفضلي.
٤- دليل النجف الأشرف، عبد الهادي الفضلي.
٥- الديوان (المقدمة)، د. مصطفى جمال الدين.
٦- سحر بابل وسجع البلابل (المقدمة والتعليق)، الشيخ آل كاشف الغطاء.

٧- شعراء الغري، علي الخاقاني.
٨- طبقات أعلام الشيعة، الشيخ آغا بزرك الطهراني.
٩- ماضي النجف وحاضره، الشيخ جعفر محبوبة.
١٠- معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، د. محمد هادي الأميني.
١١- موسوعة العتبات المقدسة (قسم النجف)، جعفر الخليلي (إعداد).
١٢- الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال (إشراف).
١٣- نحو أدب إسلامي، عبد الهادي الفضلي.

الحركة الأدبية في النَّجف:

من الظواهر المعروفة في تاريخ المراكز العلمية الإسلامية في العالم انبثاق الأدب من واقع الحركة العلمية ونشأته، نمواً وتطوراً، في أحضانها. وفي الغالب يزدهر بازدهارها ويضمر بضمورها.

والنجف الأشرف، باعتباره مركزاً من المراكز العلمية الإسلامية، لم يختلف عن لداته من المراكز العلمية الإسلامية الأخرى في وجود هذه الظاهرة التي تمثل العلاقة بين العلم والأدب، في انبثاق الثاني من الأول، ونشأته في أحضانه، وفي أجواء بيئته الطبيعية والثقافية.

ومن المعروف، تاريخياً، أن بدايات وجود الدرس العلمي الديني في النجف الأشرف كانت في القرن الرابع الهجري.

إلا أن تلكم البدايات لم ترتفع إلى المستوى المساعد على انبثاق الأدب من العلم فيها، لأنها كانت بدايات صغيرة ومحدودة، وسبب هذا هو بطء حركة الهجرة إلى النجف والسكن فيه آنذاك.

وعندما انتقلت المرجعية الدينية من بغداد إلى النجف الأشرف في القرن الخامس الهجري، متمثلة بالشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، المرجع الديني للشيعة الإمامية آنذاك، حيث هاجر من بغداد إلى النجف الأشرف، وهاجر معه طلابه وأصحابه ومريدوه من رجالات الشيعة الإمامية، ازدهرت الحركة العملية، ولكن لم يقدر لها أن تتمخض عن حركه أدبيه ملازمه لها، لانشغال الشيخ الطوسي ومن معه بإرساء وتثبيت دعائم الحركة العلمية وتنظيم أوضاعها، وترتيب أحوال أساتذتها وطلابها.

وبعد وفاة الشيخ الطوسي، ضمرت الحركة العلمية في النجف، وسبب ذلك نشوء مدينة الحلة، وانتقال الحركة العلمية الإمامية إليها، فـ«في أخريات القرن الخامس أنشأ الأمير العربي سيف الدولة منصور بن صدقة بن دبيس الأسدي الحلة».

«وبعد تأسيسها بقليل انقلبت الحضارة العراقية إليها، وتقدمت تقدماً باهراً حتى على الزوراء، ولا سيما بعد مزعجات التتار عليها، التي سلمت الحلة منها، وهي إلى جنبها، ثم اتسعت معارفها وتكاثرت فيها العلماء حسب اتساعها وحضارتها».

«وبعد نصف قرن من ظهورها نبغت فيها أساطين الإمامية ونوابغ الدهر وعجائب الدوران، كإبن إدريس الحلي صاحب السرائر أستاذ نجيب الدين بن نما الحلي، وهو أستاذ نجم الملة والدين الشهير بالمحقق على الإطلاق، صاحب كتاب الشرائع، وحسبك العلامة الحلي الشهير بابن المطهر وولده فخر المحققين صاحب الإيضاح، وكثير من أمثالهم».

«وكانت الحلة من أول القرن الخامس إلى أربعة قرون هي دار الهجرة لطلب العلم عن الشيعة الإمامية».

ومنذ القرن التاسع الهجري، حيث أخذ نجم الحلة بالأفول، عادت الحركة العلمية في النجف تأخذ بالنمو فالازدهار.

وعند حلول القرن العاشر الهجري، أخذ أبناء القبائل العربية بالهجرة إلى النجف الأشرف لطلب العلم في الحوزة العلمية، والمجاورة لمرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مدينة النجف. والأدب، كما هو معروف، وبأشكاله الفنية، شعرية ونثرية، من السمات البارزة في حياة العرب، وقد نبغ منهم العديد من الشعراء والخطباء والكتاب، وفيهم الأفذاذ الذين اشتهروا على مستوى القطر العراقي، وعلى مستوى العالم العربي، كما فيهم النوادر الذين اشتهروا على مستوى العالم، أمثال الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، والأستاذ محمد مهدي الجواهري والسيد أحمد الصافي النجفي.

ومن أولئكم القبائل العربية التي هاجر بعض من أبنائها إلى النجف واستوطنوها خلال القرن العاشر: آل البلاغي وآل الجزائري وآل محيي الدين.

ثم توالت هجرات بقية أبناء القبائل العربية الأخرى.

ففي القرن الحادي عشر هاجر إلى النجف عوائل من آل الأعسم وآل النحوي وآل قسام.

وفي القرن الثاني عشر الهجري هاجر إلى النجف جل أبناء العشائر العربية النجفية المعروفة الآن، الذين برز منهم في العلم والأدب النخبة من الرجالات النوابغ، وهم: آل كاشف الغطاء، وآل بحر العلوم، وآل الظالمي، وآل الشيخ عبد الرسول، وآل الفرطوسي، وآل قفطان، وآل المظفر، وآل أطميش، وآل زاير دهام.

وفي القرن الثالث عشر الهجري هاجر إليهم آل الشبيبي، وآل الدجيلي، وآل سميسم، وآل السوداني، وآل مطر، وآل الغراوي، وآل الخرسان، وآل العصامي،

وآل زوين وغيرهم.

وارتبطت هذه الحركة الأدبية النجفية بمثيلاتها في البلدان العربية، أمثال مصر وسورية ولبنان، وتفاعلت مع مثيلاتها الأخرى في البلدان غير العربية، وبخاصة في إيران، للرابط المذهبي بين أبناء النجف وأبناء إيران، ولأن الحوزة العلمية في النجف تضم الوفرة من العلماء والطلاب من الجالية الإيرانية.

ولا يخفى تأثير هذا التفاعل الثقافي والأدبي بين الحركة الأدبية في النجف الأشرف والحركات الأدبية الأخرى في البلدان العربية فقد مرت بنفس المراحل التي مرت بها تلكم الحركات، خلال هذه الحقبة من الزمن الممتدة من القرن العاشر الهجري حتى عصرنا هذا، وهي:

- العهد العثماني.
- عهد النقلة.
- العهد الحديث.

ففي العهد العثماني، كما هو معلوم، اعتمد الأسلوب الأدبي في الشعر والنثر، معطيات علوم البلاغة العربية التي ذكرت في أمثال كتب الزمخشري والسكاكي والتفتازاني، حيث التأكيد على اللفظ على حساب المعنى، والذهاب في تقديس اللفظة إلى حد الإسراف، حتى هيمنت على الصورة الأدبية، شعراً ونثراً، الألوان البديعية ذات الجمال المصنوع.

وقد استمرت هذه المرحة إلى بدايات القرن الرابع عشر الهجري حيث داخلت مرحلة النقلة الأدبية.

وقد كنت أطلقت هذا العنوان، (مرحلة النقلة الأدبية)، في بحث لي سابق عن هذه الحقبة الأدبية من الزمن، لخضرمة أعلامها من الأدباء بين العهد العثماني

وعهـد النهضة العربية الحديثة، ولتطعيم نتاجاتهم الأدبية بشـيء مما عرف فيما بعد إنه من سمات الأدب العربي الحديث، بما ساعد على تحول الأدب العربي مما كان عليه في العهد العثماني إلى ما آل إليه في العهد الحديث.

ولأن الدوريات الأدبية كان لها الدور الأهم في التطورات الأدبية، لنا أن نطلق علـى مرحلة النقلة الأدبيـة عهد العروة الوثقـى، المجلة الثقافية التـي كان يصدرها في باريس السـيد جمال الدين الأفغاني والشـيخ محمد عبده منذ عام ١٨٨٤م، وقد «صـدر منهـا ١٨ عدداً، وكانت لسـان حال جمعية العـروة الوثقـى الداعية إلى عزة الإسـلام وحريـة العالم الإسـلامي»، وذلـك بالنظر إلى انتشـارها بين أبنـاء العرب آنـذاك، ولدعوتها للتجديد علمياً وأدبيـاً، وللنهضة من الجمود على القديم الذي لا قـدرة لـه على التفاعل مع الحياة العربية الإسـلامية وما يدور فـي فلكها من أحداث تستدعي التغيير إلى ما هو أفضل.

فقـد تأثـر بها جلُّ العلماء العرب المعاصرين لهـا، وكان خاتمتهم في النجف الأشرف الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ)، وتمثل طابع النقلة فيما نشـر من شـعره، وفي كتابه الشـهير الدين والإسـلام، فقد لمسـنا فيهما صدى الفنون البلاغية العربية كالسـجع والجناس، وهو مـن القديم، وقرأنا فيهما بعض ما أفرزته الثقافة الحديثة، وهو من الجديد.

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري كانت بدايات العهد الأدبي الحديث في النجف الأشرف.

ولنا أن نسـمي هذه البدايات بمرحلة أدب الرسـالة، المجلـة الأدبية التي كان يصدرها في القاهرة الأستاذ أحمد حسن الزيّات (ت١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، منذ عام ١٩٣٣م حتـى عام ١٩٥٣م حيث احتجبـت، ثم عادت للظهور عام ١٩٦٣م ثم بعد فترة احتجبت.

وفي عام ١٣٥١هـ، هاجر شيخنا زين الدين من مسقط رأسه مدينة البصرة إلى النجف الأشرف، لإكمال متطلبات دراسته الدينية في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، والتقى فيها بأدبائها وحضر مجالسها الأدبية الخاصة والاحتفالات بذكريات أهل البيت عليهم السلام العامة، واختص أدبياً بصديقة الحميم ورفيق دربه في مسيرته الأدبية الشيخ سلمان الخاقاني (١٣٣٢هـ - ١٤٠٨هـ)، واستقر في النجف مستوطناً حتى وفاته، رضوان الله عليه.

وسأعود إلى هذا بعد أن أحاول تعريف الأدب النجفي في أهم خصائصه وأنواعه وعوامله.

الأدب النجفي:

إن أهم سمه عرف بها الأدب النجفي هي الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

ويرجع هذا إلى عاملين مهمين ساعدا على ذلك، هما:

١- وجود مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف.

٢- وجود الحوزة العلمية في النجف، تلك الحوزة التي احتضنت فكر آل البيت عليهم السلام عقيدة وتشريعاً.

إن هذا الولاء انعكس على الإنتاج الأدبي النجفي، فجاء أكثره في ذكر أهل البيت عليهم السلام وإحياء ذكراهم.

إن ذلك الارتباط بأهل البيت عليهم السلام هو السمة التي غلبت على الأدب النجفي.

أما أجناس الأدب النجفي فهي:

١- الشعر الفصيح بأنواعه المختلفة: القصيدة، الرواية، البند، التخميس، التشطير، الموشحات، الملاحم، الدوبيت، الرباعيات، الأراجيز.

٢- الشعر العامي (باللهجة العراقية الدارجة) بأنواعه التالية: القصيدة، الأبوذية، الأهزوجة، الرّدَة.
٣- النثر بأنواعه التالية: المقالة، الرسالة، المقامة.
٤- الخطابة بأنواعها التالية: الحسينية، الوعظ، في المناسبات الخاصة والعامة.

ويكتسب النجفي الأدب من الأجواء الأدبية التي تحيط به ويحيط بها، وهي:
١- المجالس الأدبية: وكانت تعقد في المنازل ليلتي الخميس والجمعة وليالي شهر رمضان المبارك.
٢- الحفلات: وتقام عادة في المناسبات، أمثال: ذكرى أهل البيت عليهم السلام، زفاف صديق، مولود لصديق، قدوم حاج، وفاة شخصية كبيرة.
٣- الجمعيات الأدبية: وذلك بما يعقد فيها من ندوات ومجالس وحفلات.

وأهم هذه الجمعيات التي أسهمت إسهاماً مباشراً وحياً في التنمية الأدبية، هي:

١- جمعية الرابطة الأدبية: أسست سنة ١٣٥١هـ، ومن أعضائها: السيد عبد الوهاب الصافي، والشيخ محمد علي اليعقوبي، والسيد محمود الحبوبي، والشيخ جواد آل الشيخ راضي، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين، والشيخ محمد حسن الصوري، والأستاذ محمد علي البلاغي، والشيخ علي الصغير، والشيخ عبد المنعم الفرطوسي، والسيد مصطفى جمال الدين، والسيد محمد بحر العلوم.

٢- جمعية منتدى النشر: أسست عام ١٣٥٤هـ ومن أعضائها: الشيخ محمد رضا المظفر، والسيد محمد تقي الحكيم، والشيخ عبد المهدي مطر، والسيد هادي الفياض، والشيخ أحمد الوائلي، والشيخ مسلم الجابري، والسيد محمد جمال الهاشمي، والدكتور محمود المظفر، والسيد عبد الحسين الحجار.

٣- **جمعية التحرير الثقافي**: أسست سنة ١٣٦٠هـ، ومن أعضائها: الشيخ عبد الغني الخضرمي، والسيد محمد علي عليخان، والشيخ عبد المنعم الشميساوي، والشيخ محمد حسين الصغير.

٤- **الدوريات الأدبية**: وأوسعها شهرة وأبعدها تأثيراً، هي:

١- مجلة الهلال، لجرجي زيدان، أصدرها عام ١٨٩٢م واستمرت حتى عام وفاته ١٩١٤م، ولا تزال تصدرها دار الهلال بالقاهرة.
٢- مجلة العرفان، للشيخ أحمد عارف الزين، أصدرها عام ١٩٠٩م حتى عام وفاته ١٩٦٠م، ثم تولى إصدارها نجله الأستاذ نزار الزين.
٣- مجلة الرسالة، للأستاذ أحمد حسن الزيات، أصدرها عام ١٩٣٣م حتى عام ١٩٥٣م.

وغيرها من المجلات المصرية واللبنانية والسورية.

أما الدوريات النجفية التي شاركت في النهضة الأدبية الحديثة فأهمها:

١- مجلة العلم، للسيد هبة الدين الشهرستاني.
٢- جريدة الهاتف، للأستاذ جعفر الخليلي.
٣- مجلة الاعتدال، للأستاذ محمد علي البلاغي.

ثم المجلات التالية:

١- الغري، شيخ العراقين آل كاشف الغطاء.
٢- البيان، علي الخاقاني.
٣- الدليل، عبد الهادي الأسدي.
٤- البذرة، طلبة كلية منتدى النشر.
٥- العقيدة، فاضل الخاقاني.

٦- الشعاع، هادي العصامي.
٧- العدل الإسلامي، محمد رضا الكتبي.
٨- النجف، هادي فياض.
٩- النجف، كلية الفقه.
١٠- الأضواء، جماعة العلماء.

٥- الحلبات الشعرية: وأعني بها تلك التي يتبارى فيها الشعراء بمناسبة ما، منها: ما ذكره الخاقاني في كتابه شعراء الغري، ترجمة السيد جعفر الخرسان، حيث قال: «وآل الخراسان من الأسر النجفية العريقة... أنجبت أفذاذاً فرضوا أنفسهم على التاريخ بما نالوه من مكانة سامية في العلم والأدب والتقوى والصلاح في القرن الثالث عشر، كالعلامة السيد حسن المتوفى ١٢٦٥هـ، والذي شارك في رثائه أكثر من عشرين شاعراً بارزاً».

ومنها منسابة قدوم المرجع الديني الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء من باكستان بعد حضوره المؤتمر الإسلامي المنعقد هناك عام ١٣٧١هـ، فقد أستمر الاحتفال باستقباله الذي أقيم في مدرسته الخاصة مدة أسبوع، وساهم فيه جمع من شعراء النجف آنذاك، منهم: الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، والسيد مصطفى جمال الدين، والشيخ محمد الهجري، والشيخ محمد حيدر.

ومنها مناسبة وفاة المرجع الديني الشيخ محمد رضا آل ياسين (ت١٣٧٠هـ)، وكذلك شارك فيها جمع من الشعراء، منهم: الشيخ محمد تقي الجوهري، والسيد محمد جمال الهاشمي، والشيخ علي الصغير، والشيخ عبد المنعم الفرطوسي، والسيد مصطفى جمال الدين، والسيخ عبد الزهراء العاتي، والسيد مير حسن ابو طبيخ.

وقد أصدرت مجلة البيان النجفية عدداً خاصاً بهذه المناسبة.

٦- **الحلقات الأدبية**: منها:

١- حلقة السيد إبراهيم بحر العلوم(ت١٣١٩هـ)؛ يقول الشرقي: «وهو، يعني السيد إبراهيم، أكثر رجالات الأدب المتأخرين تعهداً لمن يستفيد منه، وحرصاً على تخريج من يأخذ عنه، ولذلك كانت له حلقة تلتف حوله من عشاق مسلكه، ولا يزال الناس يذكرون حلقته هذه ويصفون في كلامه وحسن تصويره للخاطر الذي يختلج في باله حتى كأنه يشير إلى شيء محسوس في الخارج».

٢- حلقة الشيخ مهدي الحجار(ت١٣٨٥هـ)؛ يقول الخاقاني: «وكانت له حلقة أدبية تضم العشرات من الشباب الذين كانوا يرجعون إليه في فصل الخصومات الأدبية».

ومما ينبغي أن يشار إليه هنا الظواهر التي جرت بمناسبة حديث الأدب، منها:

أولاً: إن الشعر كان يعتمد في إسماعه الحضور على طريقة الإنشاد، وكانت لهذه الطرقة أناس مختصون يعهد بها إليهم، ثم تحول من طريقة الإنشاد إلى طريقة الإلقاء. يقول الخاقاني في كتابه شعراء الغري: «وتولى إنشاد شعره بنفسه، ولعله أول شاب رأيناه من إخواننا أستعمل ذلك يوم أن كان مستغرباً فقد عرف بإنشاد الشعر آنذاك: الشيخ حسن سبتي والسيد خضر القزويني، ومن قبلهما الشيخ محمد شريف».

ومن المنشدين المعروفين أيضاً السيد هاشم كمال الدين.

ثانياً: تنظيم الاحتفالات، وذلك بوضع منصة للإلقاء وجدول بأسماء الأدباء المشاركين في الاحتفال، وتعيين عريف يقوم بتقديم المشاركين، والبدء بتلاوة آي من الذكر الحكيم، والختم بكلمة شكر.

يقول الخاقاني في ترجمة الجعفري أيضاً: «وزاد على ذلك بأن سعى إلى قلب المجالس النجف وأنديتها إلى شكل احتفالات أدبية على طراز ما يقتضي العصر الحديث، مما هو مستعمل في مصر وسورية».

ثالثاً: الشعر السياسي، يقول الخاقاني في ترجمة صالح الجفري، بعد المنقولة المذكورة في أعلاه: «وإدخاله الشعر السياسي في المحافل الدينية والأندية الأدبية مما سبب تحامل الرجعيين واتهامه بشتى الاتهامات التي كانت مبتذلة آنذاك لاتخاذها سلاحاً فاشلاً ضد المتيقظين».

رابعاً: التأثر بالأدب الفارسي، عُرف الأدب الفارسي، ولا سيما الشعر، بالظواهر التالية: عذوبة الإيقاع ودقة الألفاظ وسعة الخيال ودقة التصوير.

وعرف الأدب العربي، وبخاصة الشعر، بانعكاس طبيعة بيئة البادية على الكثير منه، تلك الطبيعة التي كانت تتمثل في فخامة الألفاظ ومتانة المعاني وعفوية الأخيلة.

مثل هذا الانعكاس في شعره تمثيلاً نموذجياً الشاعر السيد إبراهيم الطباطبائي (ت١٣١٩هـ)، «ذكره الشيخ علي الشرقي في مقدمة ديوانه فقال: نشأ وفيه ميل فطري للآداب فعكف عليها في إبان شبابه، وكان مغرى بغريب اللغة وشواردها، ذا حافظة قوية للغاية، مفضلاً لأسلوب الطبقة الأولى طبقة البداوة على الأساليب الصناعية الحادثة.

«ولم تَمْضِ برهة حتى طار ذكره في البلاد وأشتهر في شعره بطريقته العربية الصرفة التي أحياها بعد اندراسها، حتى تألف لها حزب من أدباء العراق على عهده، وتعصب لها قوم تخرج جماعتهم عليه».

«وهو أكثر رجالات الأدب المتأخرين تعهداً لمن يستفيد منه، وحرصاً على

تخريـج مـن يأخذ عنـه، ولذلك كانت له حلقة تلتف حوله من عشّـاق مسـلكة، ولا يزال الناس يذكرون حلقته هذه ويصفون لهجته في كلامه وحسـن تصويره للخاطر الذي يختلج في باله، حتى كأنه يشير إلى شيء محسوس في الخارج».

والعلاقة الثقافية بين النجف الأشـرف وإيران علاقة وثيقة فالكثير من أساتذة وتلامذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف هم من الإيرانيين.

وأيضاً، كثيراً ما يسـافر الشـيوخ والطلاب الحوزيون العرب إلى إيران بقصد زيـارة مرقـد الأمام الرضا عليه السلام بمشـهد، ومرقد أخته السـيدة فاطمـة بقم، وبقصد السـياحة والاصطيـاف والتعـارف، فيلتقون هناك بـالأدب الفارسـي ويتعرفونه عن طريق رجالاته والمنشور من إنتاجاتهم الأدبية، ويتفاعلون مع تلك الطبيعة الموهوبة بالحسن والواهبة للشعر.

وقد بان أثر هذه العلاقة الثقافية على النتاج الأدبي النجفي، وذلك في مثل:

١- شعر أحمد الصافي النجفي (ت١٣٩٧هـ)، فقد سافر الصافي إلى إيران وتعلم اللغة الفارسـية بإتقان، وقرأ الأدب الفارسـي بإمعـان، فأفاد منه براعة التصوير، وانسـيابية التعبير، حتى عاد نموذجاً مميزاً في شـاعريته وشعره.

٢- شعر علي الشرقي (ت١٣٨٤هـ)، سافر الشرقي إلى إيران ثلاث مرات، وأفاد من سفراته هذه ما ظهر أثره على خياله الشعري.

وكمـا تأثـر الصافي والشـرقي، وهما مـن أعلام الشـعراء النجفييـن العرب، بـالأدب الفارسـي، تأثر شـاعران نجفيـان آخران، وهمـا من أصل فارسـي بالأدب العربي، فكانا من أدباء النجف المعدودين، وهما:

١- آغـا رضا الأصفهاني (ت١٣٦٢هـ)، فقد اعتبره الأسـتاذ الخاقاني، ممن تأثر في شـعره بالشـاعر المعروف صفي الدين الحلي ومدرسـته «فقد عشـق البديع

وأنواعه، وتأثر بالنكات الأدبية الدقيقة، ويكاد لا يخلو بيت له من ذلك».

وفي تعليق الشيخ كاشف الغطاء على ديوان السيد جعفر الحلي: «وللشيخ آغا رضا المذكور مع وفر حظه من العلم والفضل والتقى والصلاح حظ وافر من الأدب، وباع طويل في النظم والنشر وشعر رائق جمع بين طرافة الفرس وفصاحة العرب».

٢- أبو فضل الطهراني (ت١٣١٦هـ)، هو الآخر فارسي الأصل، تأثر بالأدب العربي، ونظم الشعر العربي وأجاد فيه.

إن هذا التلاقح بين الأدبين العربي والفارسي كان عاملاً مساعداً على التجديد في الشعر النجفي الحديث.

خامساً: التأثر بالأدب المصري، فالصلة الأدبية بين النجف ومصر قديمة، إذ كان العرب - ومنهم النجفيون - يتابعون أخبار النهضة الأدبية الحديثة عن طريق الدوريات الادبية المصرية، أمثال الرسالة والرواية والثقافة والهلال والكاتب المصري والكتاب، وغيرها.

ثم تأكدت هذه الصلة عن طريق المبتعثين من أبناء النجف إلى القاهرة للتخصص في اللغة العربية، أمثال: الدكتور عبد الرازق محيي الدين، والدكتور مهدي المخزومي، والأستاذ إبراهيم الوائلي، فقد تأثروا بالأدب المصري الحديث، وانعكست أصداؤه على نتاجهم الأدبي.

وخير مثال يذكر هنا الأستاذ إبراهيم الوائلي، فإنك لتلمس طابع ما ذكرت في قصيدته بذكرى الإمام علي عليه السلام:

صهر النبوة حسبي منك إيحاء   دنياك صوت ودنيا الناس أصداء
آمنت بالحق لم تعصف بموكبه   هوج الخطوب ولم تفلله أرزاء

وبالصراحة أدنى ما يراد به للخلق أن يتساوى الذئب والشاء
يا أيها الآية العظمى ألا قبس من الهدى فواحشي الأفق ظلماء
أشرف على السفح وانظر كيف جانبه فإنه اليوم لا نبت ولا ماء

ومثال آخر أستاذنا الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، وقصيدته في تأبين شاعر القطرين مطران(ت١٩٤٩):

سل عن الشاعر أو خه مثالا تغن عن شعب جواباً وسؤالا
تلتقي الأفاق في أبعاده وهو دون العين مرأى ومنالا
ضلت الألباب عن إدراكه ومضت تخبط رشداً وظلالا
ليس تدري أية تنسبه أملاك حط أم جنٌّ تعالى
وبماذا تتحامى شره وترجى الخير منه والنوالا

وكان لدخول دواوين علي محمود طه: الملاح التائه وليالي الملاح التائه وأرواح وأشباح وخمر والرياح الأربع، دور واضح قرأنا أثره في شعر غير واحد، منهم: الشيخ محمد حيدر، والأستاذ صالح الظالمي، والأستاذ جميل حيدر.

كما كان لقراءة مؤلفات الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم، وجيلهما من أدباء مصر، أثر بعيد في صقل الموهبة الأدبية النجفية وبخاصة في مجال النثر الفني.

وانعكاس هذا واضح في كتابات أمثال أستاذنا السيد محمد تقي الحكيم والسيد محمد بحر العلوم وغيرهما.

سادساً: التأثر بالأدب الشامي، السوري واللبناني، وكان هذا بالدرجة الأولى عن طريق شعر بدوي الجبل وشعر الأخطل الصغير، ودواوين الأستاذ الحوماني وغيرهم.

كما كان عن طريق زيارات أدباء النجف للبنان والالتقاء بأدبائه وحضور ندواته الأدبية.

وكذلـك عن طريق الأدباء اللبنانيين الذين كانوا في النجف للدراسـة الدينية، وهم على صلة بالأدب اللبناني والأدباء اللبنانيين.

وأوضح مثال يذكر، هنا، أخونا السيد محمد حسين فضل الله، وقد بينت هذا في تقديمي لديوانه يا ظلال الإسلام.

ولا ننسـى أن نشـير هنا إلى دور مجلة العرفان في الربط بيـن الأدبين اللبناني والنجفي؛ فقد كانت الجسر الذي وصل بين الثقافتين اللبنانية والنجفية.

يقـول خير الدين الزركلي في الأعـلام، ترجمة أحمد الزين، وهو في معرض الحديث عن مجلة العرفان: «كانت أعظم ميدان لأقلام كتاب عصره، (يعني صاحب العرفان)، من العاملين على الخصوص والشيعة الإمامية بصفة عامة.

«وكان لمطبعتها الفضل في نشر جملة من كتب الأدب والتاريخ».

وكذلك نشير إلى مجلة العروبة للأستاذ الحوماني فقد كان لها شيء من التأثير.

كمـا لا ينبغي أن ننسـى، هنـا، دور مؤلفات جبـران خليل جبـران، وميخائيل نعيمة ومارون عبود، وجيلهم من الأدباء اللبنانيين.

شخصية الشيخ زين الدين الأدبية

وكمـا مر بنا، هاجر أسـتاذنا الشـيخ زيـن الدين مـن البصرة إلـى النجف عام ١٣٥١هـ، حيث البدايات الأولى للصراع الثقافي بين القديم والجديد في دنيا أدب النجف، فكان عليه، وهو الطموح الذي يتطلع لأن يكون أديباً من أدبائها، أن يدخل هـذا المعتـرك، ولأنه كان ابن الثامنة عشـرة فـي حينها كان عليـه أن يكون في صف الشبان، أي مع الجديد.

وكمـا ألحمت، ففـي النجف التقى بصديقـه الحميم ورفيق دربه في مسـيرته

الأدبية الشيخ سلمان الخاقاني.

والخاقاني من الشبان القلائل الذين كانوا يعنون بمتابعة الكتب الأدبية الحديثة أمثال مؤلفات الدكتور طه حسين، والدكتور زكي مبارك، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم المازني، ومصطفى صادق الرفاعي، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وأحمد حسين الزيات، وأحمد أمين، ويوسف السباعي، وسيد قطب، ويحيى حقي، ونجيب محفوظ، ومارون عبود، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة...الخ.

وكذلك الدوريات الأدبية الحديثة أمثال: الرسالة والرواية والثقافة والهلال والكاتب المصري والكتاب والعرفان والعروبة والهاتف والاعتدال...الخ.

وممن كان يتابع النتاج الأدبي الحديث من قرناء الخاقاني سناً: الأستاذ صالح الجعفري، وأستاذنا السيد محمد تقي الحكيم، والسيد محمد جمال الهاشمي، وآخرون قليلون.

وكان لأستاذنا زين الدين متابعة أيضاً، ولكن ليس عن طريق الاقتناء شأن من قدّمت أسماءهم لقلّة ذات يده، فكان متابعة لما تصدره المطابع من إنتاج أدبي حديث عن طريق الاقتناء في حدود الميسور، وعن طريق الاستعارة من زميله الشيخ الخاقاني.

وبطريق الاقتناء استطاع، مع مرور الزمن، أن يكوّن لنفسه مكتبة أدبية مغنية كمرجع أدبي خاص.

نثره:

وكان لمجلة الرسالة دور العامل الأهم في تكوين أسلوبه الأدبي لكتابة المقالة، فقد تأثر بافتتاحياتها تلك التي كان يحررها صاحب الرسالة الأستاذ أحمد حسن الزيّات، والتي طُبعت فيما بعد تحت عنوان وحي الرسالة بأربعة أجزاء، وكانت من مقتنيات شيخنا زين الدين ومحفوظات مكتبته الخاصة، وقد رأيته كثير

القراءة لها والتأثر بها في كتاباته، لاسيما مقالاته الأولى.

وبعد أن استقلّ بشخصيته الأدبية استقلّ بأسلوبه الخاص به الذي ينتمي أدبياً إلى أسلوب الزيّات، أو قل إلى مدرسة الرسالة في أسلوب المقالة.

والعوامل التي ساعدت أستاذنا زين الدين على الاستقلال بأسلوب أدبي اختصّ به في كتاباته النثرية هي:

١- طموحه، فقد كان بعيد الطموح وذا نزعة قوية في الطلوع إلى قمة الكمال.
٢- ثقته بنفسه، في القدرة على الفهم والإدراك، والنقد والرد، والتحليل والتعليل، وعلى الاختراع والإبداع.
٣- اعتداده بشخصيته بعمق وقوة.

وكل هذه عوامل نفسية تساعد مساعدة فاعلة على الوصول إلى الهدف المنشود.

وتمثّل أبعاد أسلوبه في النثر الفني بالتالي:

١- اهتمامه بانتقاء اللفظة المناسبة لموضعها في سياق الجملة والكلام.
٢- حرصه على أن تكون اللفظة خفيفة الإيقاع، حيث تتطلب الفكرة ويقتضي السياق، وثقيلة الجرس عندما تفرض المناسبة أو الموقف ذلك، مع المحافظة على عذوبتها ذوقاً، وسهولة أدائها نطقاً.
٣- محافظته على العفوية، أي البعد عن التكلف، في انسيابية الألفاظ ضمن عقد تعبيري متناسب ومتناسق.
٤- تأكيده على صفاء العام للمقالة، إلى مستوى لا يرى القارئ فيها إلا ترابطاً عضوياً في اللفظ والمعنى، فلا نبوة للفظ ولا كبوة لمعنى.

وقد أكثر من كتابة المقالات، وبخاصة في مناسبات ذكريات أهل البيت عليهم السلام التي كانت تقام في البصرة والنجف الأشرف وسامراء، حيث يُقيمُ موكب النجفيين، الذي اعتاد أن يذهب إلى سامراء بمناسبة وفاة الإمام الهادي (ع)، في اليوم الثالث من شهر رجب من كل عام، مهرجاناً كبيراً بالمناسبة.

نموذج من نثره الأدبي «بلال يؤذن»:

من أروع مقالاته الأدبية مقالته بعنوان (بلال يؤذن)، التي نشرها الأستاذ علي الخاقاني في مجلته البيان، وفي كتابه شعراء الغري ضن ترجمة الشيخ.

وقد لاقت عند نشرها استحساناً كبيراً من طبقة الأدباء القدامى وطبقة الأدباء المحدثين، وأعطته شهرته الأدبية في الوسط الأدبي النجفي كأديب له أسلوبه النثري المتميز.

ولأنها النموذج الممثل لأسلوب أستاذنا الجليل، رأيت نشرها هنا لتسليط بعض الضوء على ما فيها من أبعاد فنية... وها هي:

«ينعقد الحفل ويكتظ النادي بالمجتمعين، ويعم الجميع صمت رهيب وسكون خاشع، ومحمد يتحدث بصوت متزن الإيقاع، سماوي النبرات، يأخذ بالقلوب قبل الإسماع، ويمتلك العقول قبل النفوس، وكأن المجتمعين أهل طبقة واحدة، قد سوّت بينهم أخوة الدين الجديد، وجمعتهم سياسة النبي الحكيم، فلا فوارق ولا مميزات».

«تلك هي الجامعة المثالية التي أسسها محمد يوم وصوله إلى يثرب، فهي مجلس التشريع ومحكمة العدل، وهي هيكل العبادة ومسجد الصلاة، وهي مدرسة التهذيب ومعهد الثقافة، ومصدر جميع ذلك قرآن محمد وإرشاده».

«وللمسلمين كل يوم في ذلك المحفل أكثر من اجتماع واحد، تتزاحم فيه

المناكـب، وتتطـاول فيه الأعناق، وترهف فيه الأسـماع لاسـتجلاء حكمة جديدة، واستطلاع رأي سديد».

«يتحدث محمد ويشـير، والقلوب رهن إشارته وحديثه، والعيون تحصي كل لمحة من طرفه، وكل إشارة من كفّه».

«وينتهـي النبـي من حديثه فيسـكت، وسـكوته إذنٌ للقوم بالـكلام، فيبتدئون القـول، ويسـتعرضون فـي كلامهم أمـر الصـلاة، وأي عمل عند المسـلم أعظم من الصلاة، وأي حديث أشهى إليه من حديث الصلاة».

«إنها اجتماع أرواح وائتلاف أبدان وقلوب، ثم هي تَحوّلٌ من حال إلى حال، وارتفاعٌ من كون إلى كون، حيث يلتقي العابد بالمعبود، ويتصل الخالق بالمخلوق».

«ويذهب القول شـعوباً، ويتخذ فنوناً وطرائق، ثم يلتقي عند الأذان فيتسـاءل الحاضرون باسـتغراب: إن لكل دين من أديان السـماء شـعاراً يبلغ أهله أمر الصلاة إذا أوكلنـاه إلـى الصدفـة، ولـم لا يتّخـذ المسـلمون إحدى هـذه العبادات شـعاراً لصلواتهم»؟!

«فيقول أحدهم: إني رأيت أبواق اليهود أبلغ في إيصال الدعوة إلى المصلين».

«ويقول الثاني: ولكن ناقوس النصارى أشـجى نغمة، وأكثر اتصالاً بخشـوع العبادة».

«ويقـول الثالث: ولكن عرب قبـل اليهودية والنصرانية، فهـلاّ نتخذ لصلاتنا ناراً كنار القرى، ولنسمّها إذا شئنا «نار الصلاة». ويقترح آخرون طرائق أخرى».

«يقولون هذا، ومحمد مطرق لا يفوه بشيء، لأن الوحي لم يزوّده بشيء، ولنه يكبر دينه أن تدخله أمثال هذه العادات التي لا تشبه العبادة ولا تمتّ إلى العقيدة».

«ليكن نداء الصلاة نداء أرواح لأنها اجتماع أرواح، ولكن الوحي لم يأته بعد بشيء، فهو مطرق».

«وينفض الحفل والأذان حديث كلّ فم، وفكرة كلّ قلب، وتمرّ على المدينة ليلة قلقة يتناول الرأي فيها كلّ أحد، ويشترك في القول كلّ فرد، لأن الصلاة حق للجميع فالتفكر في شأنها من حقوق الجميع ما دام النبي لم يصدر رأياً، وما دام المحي لم يعيّن أمراً».

«وينتهي الهزيع الأول من الليل، فتسري في المنتديات همسة من الرجاء، وتطوف عليها بارقة من الأمل، إنهم سيسمعون عند الفجر أول نداء للصلوات، ولكن ماذا يكون ذلك النداء، ويبيت الجميع في نشوة من الأمل، ووله من الانتظار، يتطلعون بشائر الفلاح عند الصباح».

«ويتقلص ظل الليل الطويل، وتبدو طلائع الفجر الأول، تحمل تباشير النور، فيزدحم المسجد الأعظم، وتكتظ الشوارع القريبة، وتمتلئ الأفنية والسطوح».

«ماذا يتأمل هؤلاء المزدحمون»؟

«إنهم ينتظرون نداء الصلاة، وعظم نداؤها، وعظمت القوة التي تملك الموجودات قبل وجودها».

«ويبتسم الفجر، فينطلق صوت بلال بالأذان الأول (الله أكبر)، فتهتز قلوب، وتجري دموع، وترتفع إلى السماء أصوات متشابكة، هي مزيج من زغاريد النساء، وتكبير الرجال».

«ويبدو وجه محمد أمام المسلمين، ويقيم الصلوات، فترتد الأنفاس، وتسكن الأصوات».

«يقول التاريخ: الأذان رؤيا صالحة رآها عبد الله بن زيد».

«ويقول الأئمة من أهل البيت: الأذان وحيٌ تنزّل من السماء».

«فهل لنا أن نصدق التاريخ إذا لم يعترف بصحته أهل البيت»؟!

«وهل لنا أن نجوّز على النبي أن يعتمد في الأذان على الرؤيا، وهو المقيّد بالوحي فيما يقول وما يفعل».

«الدين الإسلامي أبعد من أن يؤسس أحكامه على الرؤى مهما كان الرائي عبداً صالحاً».

«ومن لنا أن نجعل رؤيا الأذان نوعاً من أنواع الوحي حجب عن محمد ليراه عبد الله بن زيد»؟!

«وسواءً أكان الأذان رؤيا صالحة أم كان وحياً إلهياً، فقد أصبح شعيرة من شعائر الدين، وأصبحت لبلال مكانة جديدة عند المسلمين يوم كلّل جبينه وسام المؤذن الأول، واعتمده الرسول أميناً على أوقات الصلوات».

«يسمع المسلمون صوت بلال في اليوم الواحد خمس مرات، ثم لا يزيد هذا التكرار أذانه إلا طلاوة، ولا يؤثر في قلوبهم إلا لهفة وشوقاً».

«وتدول الأيام فيقبض الرسول، وينقطع الوحي، ويختم القرآن، وينقطع صوت داعي السماء».

«وعاهد بلال أن يترك الأذان وفاءً لنبيّه، ولا بد له أن يفي».

«ثم تمر على ذلك العهد أيام، وقلوب المسلمين متعطشة إلى صوت بلال».

«وتمرض وحيدة النبي، (فاطمة)، فيعودها كبار المسلمين، ويأتيها الشيخ الوفي مع العائدين، فترحب به ثم تقول: لقد اشتقت إلى صوتك يا بلال، فيطرق بلال ثم يبكي».

«إنه اقتراح عظيم بلال، ولكن لا بد له أن يجيب، لأن تقترحه هي وحيدة في الأمة».

«لقد ترك الأذان وفاءً لنبيّه، فليؤذن هذا اليوم وفاءً لنبيه أيضاً».

«نعم سيؤذن بلال هذا اليوم، ولكن أذانه اليوم غير أذانه بالأمس».

«يشيع النبأ فتجتمع الأمة وتزدحم كازدحامها بالأمس، إلا أن الفراق جليّ بين اليومين، فإن الدموع لا تشبه الدموع، والخشوع لا يماثل الخشوع».

«و بلال ينتظر الوقت وهو مطرق، لا يدري أيحسن الأذان هذا اليوم أم لا»؟!

«ويجيل طرفه جولةً في السماء فيعرف الوقت، ثم يجهد ليؤذن فلا يستطيع».

«وبعد برهة يرتفع صوته مزيجاً من البكاء والتكبير، وتستحيل المدينة صرخة واحدة، يشترك فيها عويل النساء وبكاء الرجال».

«ويجيء النذير إلى بلال، إن وحيدة رسول الله قد ماتت، فيقطع الأذان وينزل بين الحسرات والدموع».

«لم تمت فاطمة يومئذٍ ولكنها ذكرى عهدِ حبيب تثير منها كامناً فتصعق، والوجد إذا تضاعف قتل».

إطلالة على نثره من خلال النموذج:

هذه رائعته الأدبية المشهورة، لوحة فنية تزهو بالألوان الجميلة، رسمت بريشة فنّان مبدع استمد فكرتها من التاريخ الإسلامي، وهنْدَسَ هيكلها من موحيات موهبته الأدبية، تلك الموهبة التي تحمل زخماً عاطفياً ولائياً بتأثير ما كان يعيشه (قدّس سره)، من عشق إلهي أخذ عليه كلّ أطراف تفاعله مع الفكرة، فأبرزها نوراً يرسل أشعته حزمة ضوء آسر، وقوة جذب ساحر، وكل هذا جاء نتيجة الأبعاد التالية:

١ - **عاطفة الكاتب**: إن أستاذنا المقدس، الشيخ زين الدين، ممّن راضوا أنفسهم على التقوى، فسما بنفسه روحانياً حتى تعلق بالملكوت الأعلى تعلقاً إيمانياً واعياً أكسبه الولاء الخالص لله تعالى، ولمن أمر الله تعالى بولائهم وهم أولياؤه المصطفون الأبرار محمد وآله عليهم السلام.

وكان من نتائج هذا الولاء ما لمسناه فيه من رقة تأخذ عليه كل أبعاد عاطفته، عندما يكون بين يدي الله تعالى، وليس أجلى مصداقاً لذلك من أن يكون عند فكرة إسلامية عبادية يكتب فيها قاصداً وجه الله تعالى والنصرة للحق.

وإنك إذ تقرأ هذه المقالة، «بلال يؤذن»، ترى عاطفته فيها واضحة وضوحاً بيّناً، وذات مستوى واحد من أول المقالة حتى آخرها، وهذا يدلنا على أنه كتبها وهو مستحضر للغاية من كتابتها، وهي النصرة للحق والزلفى عليه تعالى.

أو قل تفاعل مع الفكرة وانفعل بها انفعالاً سايره في الكتابة عنها وفيها، مشبوب العاطفة حتى آخر حرف منها.

ومما أفادته التجارب في الكتابة الأدبية أن العاطفة المتفاعلة مع الفكرة تعمل وبقوة على تدفق الأسلوب على الكاتب، تدفقاً يستطيع معه الإجادة في التعبير كما يريد، وهو ما تجلّى بوضوح في صياغة هذه المقالة من ناحية تعبيرية.

٢ - **إيقاع الألفاظ**: إن النثر الفني لا يختلف عن الشعر الفني في ضرورة توافره على العنصر الموسيقي، أو ما يعرف بالإيقاع.

وكما أن السعر عندما تتوهج عاطفة الشاعر أثناء نظمه يتناغم إيقاعه، ويتناسق جرسه، كذلك النثر الفني.

ولأن الشيخ زين الدين، كما أسلفت، كتب مقالته هذه وهو متوهّج العاطفة، جاء الجرس في ترابط الألفاظ كأنه إيقاع فاتن لقصيدة حب صوفية.

٣- جمال التعبير: في المفردة والجملة، ثم المقالة كاملة، وهو ما يعبّر عنه في الدرس النقدي بالصورة أو الشكل، ويقوم عنده، استخلاصاً من المقالة بين يدينا، على العناصر التالية:

أ- انتقاء الألفاظ الجميلة المناسبة وذات الإيقاع الفنّي المناسب.

ب- الموازنة والمواءمة بين الألفاظ في السياق الواحد، حيث اعتمد طريقة المقاطع القصيرة المتوازنة تنغيماً، وطريقة الفواصل المقفّاة سجعاً.

ج- توليد العبارة من الأخرى، للدلالة على معنى واحد، أو قل إعطاء المغنى الواحد بأكثر من عبارة واحدة، وهو ممّا يفرضه الأسلوب الخطابي، بغية شدّ المتلقي بالفكرة شدّاً قوياً لتدخل أعماق قلبه فتربطه عاطفياً إليها.

٤- خطابية الأسلوب: هناك فرق جليّ بين أسلوب علمي يُصاغ بعبارة أدبية، وأسلوب أدبي يحتوي فكرة علمية، حيث لا نلمس في الأول أثراً للخطابة، بينما تبين في الثاني بوضوح.

كما أن الأول يخاطب العقل مباشرة، والثاني يخاطب القلب أو العاطفة، وعن طريقها ينفذ إلى العقل.

والأسلوب في المقالة، موضوع الدرس، من النوع الثاني، ولكل واحد من الأسلوبين مقامه المناسب له، وهو ما يسمى في علوم البلاغة بـ«مقتضى الحال» أي ما يتطلبه الموقف.

وقد تفرد شيخنا زين الدين بهذا الأسلوب في حينه، بينما التزم معاصروه، كأستاذنا الشيخ محمد رضا المظفر، الأسلوب الأول.

ومن هنا يأتي دور الأستاذ زين الدين في الانتقال بأسلوب المقالة وكتابتها من

مدرسة العروة الوثقى إلى مدرسة الرسالة - كما سيأتي.

وكما مارس الشيخ زين الدين كتابة المقالة، مارس أيضاً كتابة الرسالة، وقد تمثلت نماذجها فيما تبادله من رسائل مع صديقه وزميله الشيخ سلمان الخاقاني، وما أرسله إلى أخيه أستاذنا الشيخ علي زين الدين.

وهي - فيما أعلم - لا تزال مخطوطة.

كما أنها لا تختلف في أسلوبها الأدبي عن أسلوبه في كتابة المقالة. وربما كان فيها ميل إلى أسلوب الرافعي في رسائله المنشودة بعنوان أوراق الورد.

شعره:

كتب شيخنا زين الدين الشعر، ولكن على قلة، وكان يتحرج أن يعرف به لأنه في محيط لا يستسيغ ذلك، لأنه يريد من أهل العلم التفرغ للعلم.

وكأن قولة الإمام الشافعي:

ولولا الشّعْرُ بالعُلماءِ يزري لكُنْتُ اليومَ أشعرَ من لبيدِ

لا تزال تأخذ مفعولها في الأوساط العلمية الدينية.

فمن غلب عليه الشعر من الفقهاء عُدَّ في رأي الناس في مصافّ الشعر، ونُسيت فقاهته، وأوضح مثال لهذا الشريفُ قديماً، والسيد الحبوبي حديثاً.

ومن هنا كان الفقيه يقول الشعر، ولكنه يعمل على أن لا يغلب عليه، وهذا بيّن في أمثال الشريف المرتضى قديماً، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء حديثاً، فقد غلبت فقاهتهما على شعرهما.

وللأستاذ علي الخاقاني -وهو ثورة على القيم الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك، وهي غير قائمة على أساس متين يدعمها- موقف من موقف الشيخ من

الشعر ذكره في كتابه شعراء الغري عند ترجمته له، قال:

«وقد حباه الله بمواهب عالية في الأسلوب، فهو موفّق فيه يستولي على الألباب الواسعة، ويهيمن على القلوب المتحجرة، وكتبه التي ألّفها دلّت على خبرته وإتقانه للأسلوب الأخاذ المشفوع بالخواطر الجليلة، وكتابه الأخلاق عند الإمام الصادق أبرزه بين مؤلفي العصر كعَلَم على خلوده».

«وبقدر ما أوتي موهبة في الأسلوب النثري، فقد حاز على مقياس كبير في الشعر، ولكنه وقد أصبح زعيماً دينياً في قريته لا يستسيغ هذا اللون، ولا يحب نسبته إليه، وقد كلمته غير مرة بأن هذا الرأي لا قيمة له، وأن ما عندك أرجو أن أقف عليه، فكان يجاملني ويعتذر بوجود أشغال له تتعلق بدروسه وتدريسه، وكنتُ قد أحببت بأن أثبت روايته التي وصف بها المسلول وشخّص هذا الداء الذي استفحل في بلادنا، غير أنه كان يواصلني بنفس العذر، ناسياً أن هذا اللون من السلوك رجعي لا قيمة له، وناسياً أن الخلود لا يصيبه من ناحية رأيه السلبي بل من الطرق الإيجابية التي تخدم المجتمع بأس أسلوب، نثراً كان أو نظماً، وبهذا السلوك عرّفني أنه لا يزال في حظيرة الرجعية التي ستقضي على كثير من مواهبه وتقبرها».

ولكل محيط اجتماعي، علمياً كان أو غير علمي، أعرافه السائدة التي وجدت بسبب عوامل فرضتها، قد تكون تلك العوامل ناهضة بالتسبيب، وقد تكون غير ناهضة.

ويرجع واقع استمراريتها وعدمه إلى أن الأعراف إذا كانت في مجتمعات سريعة التغيّر سرعان ما تتغير، وإذا كانت في مجتمعات بطيئة التغير تـُبطئ في تغيرها، وربما لا تتغير حتى مع وجود ما يتطلب تغيرها، ومن هذه العرافُ الاجتماعية في الأوساط الدينية.

والحق أنه لا بد من الجمع بين الفقه والأدب، ذلك أن الفقيه في مجال الاستنباط يتعامل مع النصوص الشرعية من القرآن الكريم والحديث الشريف، والأدب يساعد مساعدة مباشرة وفاعلة على فهم دلالات النصوص الشرعية

ومؤدياتها، فالفقيه الأديب أدرى بشعاب مكة لأنه من أهلها.

ومن هنا صنّف المعاصرون الفقيه إلى:

- فقيه ذوقي، وهو الذي يصل إلى مؤدى النص ودلالته عن طريق ذوقه الأدبي.
- فقيه صناعي، وهو الذي يعتمد القواعد العلمية، بعيداً عن الأدب في فهم النص.

يقول الشيخ عبد الحسين الحلّي، وهو من الفقهاء الأدباء:

«إن طالب العلم الأديب عارف بأخبار (أحاديث) الأئمة عليهم السلام، إذ إن لديه ذوقاً أبياً يميز به الإمام من غيره، ويعرف بذوقه سبك العبارات وتراكيبها، فالعالم الأديب أعرف بكثير من العالم غير الأديب».

ولكن القضية، كما يقال، أمر مرفوض إلا أنه واقع مفروض.

ولشيخنا قدس سره قصائد قليلة جداً، منها:

١ - قصيدة طويلة في ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عنوانها: «شعلة من النور».

٢ - قصيدة أخرى في طفلته الأولى عنوانها «طفلتي الجميلة».

٣- وله ديوان أسماه أمالي الحياة، وهو مجموعة من الثنائيات والثلاثيات والرباعيات، أملتها عليه تجاربه في الحياة، أو التجارب أخرى تعرّفها من سواه، وهو -في حدود علمي- لم يطبع بعدُ، ومنه قوله:

إنما الدين وحدة القلوب ... قلب الجور حبّهنّ لبغضِ
وإذا رثّت العقيدة يوماً ... ربط الحب بعضهن لبعض

وقوله:

شدّ الزمان على يدي ليقول لي ... إني بقية ظاعنين ترحلوا
حلم يمرُّ بفكرة مخمورة ... قد ينطوي عَجلاً وقد يتمهل

وقوله:

سِـر في الظلام فقد تخامر فكرة للزيت حين يـؤجّـج المصباحا
والـحـرُّ إن ركـب الصعاب لغاية فـي نفسه وجـد الـظـلام صباحاً

وله رواية شعرية بعنوان المسلول، ويأتي الحديث عنها وذكر نماذج مما جاء فيها.

ولنذكـر هنـا قصيدته في المولد النبوي الشـريف، لكي نحـاول التعرف على أجوائها وأبعادها، وها هي:

شعلة من النور

أرج مـن الـزهـر الـمـندّى قـد ضـوّع الآفـاق نـدّا
وعـلا عـلـى الـوادي ضيا ء مـن قـراراتـه تـبـدّى
قـبـسٌ مـن الـنـور استطا ل فـشـعّ فـي الأجـيـال وقـدا
مـن بـيـت هـاشـم والـجـوا هـر مـن مـعـادنـهـا تـبـدى
حيـث الـمـفـاخـر لـيـس تُـحـ ـصى والـفـضـائـل لـن تُـعـدّا

***

مـاذا بـمـكّـة فـهـي تـز هـو مـنـظـراً وتـمـيس قـدّا
مـن زلـزل الأصـنـام عـن أنـصـابـهـا قـسـراً وأردى
نـبـأ يـجـلّ مـقـامـه عـن أن يُـعـرّف أو يُـحـدّا
نـبـأ لـه قـلـب الـجـزيـ ـرة كـاد أن يـنـقـدّ قـدا
يـا لـيـلـة الـمـيـلاد والـمـجـ ـد الـمـؤثّـل مـنـك يـبـدا
يـا غـرّة الـتـأريـخ يـشـ ـرق نـورهـا فـي الـكـون سعداً
لـك مـنّـة لـسـنـا نـو فّـي حـقـهـا شـكـراً وحـمـداً
ألْـبـسـتِ هـذا الـكـون ثو بـاً لـلـمـحـاسـن مـسـتـجـدّا
وبـنـيـت مـجـد الـعـرب بعـ ـد أن انـطـوى زمـنـاً وأكـدى

بطحاء مكّة فاخري ... شهب السما شرفاً ومجدا
بشراك يا مهد النبو ... وة قد سعدت اليوم جدّا
وطويت عهداً للشقا ... فاستقبلي للسعد عهداً
واستقبلي الآمال با ... سمة فقد أمَّتك وفداً
عقدت على مهد الوليـ ... ـد رواقها (كلفاً ووجداً)
وتوسّمت في الطفل أن ... ستنال في مسعاه قصداً
ومحمد يستقبل الوفـ ... ـد تكريماً ووعداً
بادي البشاشة قد تلـ ... ـفّع من جلال الله برداً

عهد النبوة:

عهد النبوّة طبت عهداً ... لبست بك الأيام عقدا
وبنورك استهدت قلو ... ب في عمايتها تردّى
والدهر إن دام الفخا ... ر فمن علاك قد استمدّا
حيث الجزيرة والضلا ... ل يعمّها سهلاً ونجداً
ونواقص العادات قد ... ضربت على الخلاق سدّا
والظلم عمّ فلا ترى ... إلا ظلوماً مستبدّا
فاستأصلت حتّى البنيـ ... ـن بظلّها قتلاً ووأدا
وتفنّنت في الجهـ ... ـل حتّى ألّهت نسراً وودّا
سيل من الأوهام قد ... غمر العقول وسال مدّا
وإذا بأحمد يملأ الأسمـ ... ـاع إيضاحاً ورشدا
وإذا به يتعرّض الأو ... هام تحليلاً ونقدا
فرد يقود إلى الكفا ... ح من الحفاظ المرّ جندا
متدرّعاً بالصبر درعاً ... مرهفاً للعزم حدّا
وأقام يهتف بالجمو ... ع فلا تعي للقول ردّا

عـنـدت عـن الـحـق الـريــ ـــح وأعـلـنـت كـفـراً وجـحـدا
وأبــت لــهــا الأهــوا إلاّ أن تـضـلّ الـحـق عـمـدا
يـا مـنـقـذ الإسـلام قـد أوريــت لـلإسـلام زنـدا
جـهـلـت قـريـش فـمـا رعـت لـك بـيـنـهـا رحـمـاً وودّا
ورمـتـك بـالأحـقـاد حيــ ـث استهدفتك أذىً وطـردا
فـبـعـيـن ربّ الـبـيـت مـا قـاسـيـتـه فـي الـلـه جـهـدا
وبـعـيـن رب الـبـيـت تـنــ ــأى عـن جـوار الـبـيـت بُـعـدا
جـهـلـت بـأن الـبـيـت يـثــ ـكـل حـيـن تـبـعـد عـنـه صـدّا
فـرحـلـت مـيـمـون الـنـقـيــ ــبـة مـنـجـزاً لـلـه وعـدا

إلى المدينة:

يـا قـبّـة افـسـلـم خـلـداً (جـدّي فـإن الـدهـر جَـدّا)
هـذا مـحـمّـد يـقـطـع الـ آكـام تـعـريـسـاً ووخـدا
وأتـاك والـشـرف الـرفـيــ ــع يـسـيـر فـي مـسـراه حشدا
فـاسـتـقـبـلـيـه وارفـعـي بـذراك لـلإسـلام بـنـدا
لـبّـيـت دعـوتـه فـكـنــ ــت لـسـيـف دعـوتـه فـرنـدا
فـتـقـدّمـي لـلـذبّ عـن إسـلامـه شـيـبـاً ومُـردا
ولـتـرعـي الأمـم الـرهـيــ ــبة لـلـثـرى وجـهـاً وخـدّا
هـذي قـريـش أقـبـلـت لـتـفـلَّ مـن عـلـيـاك حـدّا
فتجمّـعـي لتقـاتـلـي مـن جـهـلـهـا خـصـمـاً ألـدّا
واسـتـنـهـضـي لـلـزحـف غُـل ــبـاً مـن جـنـود الـلـه أسـدا
تـبـدو وقـائـدهـا الأمـيــ ــن يـشـدهـا لـلـحـرب شـدّا
يـقـفـو بـهـا سـنـن الـهـدى ويـدلّـهـا الـرأي الأسـدّا
وأتـت قـريـش تـمـلأ الـ آكـام إبـراقـاً ورعـدا

زحفت بأفئدة تكا د تفور بالأضغان حقدا
وكواذب الأحلام تأ مل أن تعيد الحرّ عبدا
فحبت لها أبطال يثـ ـر كالهضاب الشمّ سدّا
تستهدف الألباب طعناً والطلا ضرباً وحصدا
فاسأل قريشاً ما الذي شهدت به بدراً وأُحدا
عرفت نتيجة جهلها فتنكّدت صدراً ووِرْدا
من حارب الأقدار كا ن لحتفه يسعى مُجدّا

إطلالة على شعره:

وبعد، فإدخال أن القاريء الكريم يدرك، وهو يقرأ هذه الملحمة الشعرية الجميلة، أن أستاذنا ﵀ متأثر إلى حدّ بعيد بنثره، وبخاصة في الجوانب التالية:

- انتقاء الألفاظ.
- صفاء الديباجة.
- ترابط السياق.
- شبوب العاطفة.
- التفاعل مع الفكرة.

والقصيدة، عروضياً، من مجزوء بحر الكامل، وهو من الأوزان الراقصة التي تتناسب والمناسبة حيث السرور والحبور.

اعتمد فيها، حسبما تفرض المناسبة، طريقة السرد التاريخي، وتسلسل الحوادث منذ مولد رسول الله وآله وما تلاه.

ويبدو أن المذكور في المصدر ليس القصيدة بكاملها.

كتابة الرواية الشعرية:

أما روايته الشعرية، فقد كتبها وسط أجواء دخول روايات أحمد شوقي إلى النجف، أمثال: مجنون ليلى، عنترة، مصرع كليوبترا، قمبيز.

والشاعر أحمد شوقي (ت١٩٣٢م) هو رائد الرواية الشعرية في نهضتنا الأدبية الحديثة. يقول الزيات في تاريخ الأدب العربي: «وأما الفن الروائي المسرحي فظل غريباً عن الأدب العربي لا يألفه ولا يعرفه حتى علمه من الدب الغربي عن طريق المشاهدة والنقل، فهبّت طائفة من الذين درسوا الآداب الغربية أو زاروا البلاد الأجنبية، يزاولونه بالمحاكاة والاحتذاء دون أن يتجهّزوا له بجهازه ويستعينوا عليه بأدائه، فالتوى عليهم وأعضل حتى كاد يسمهم بالعجز عنه، الّلهم إلاّ ما كان من أمر شوقي، فقد حاول أن يسدّ النقص الموروث في الشعر العربي، فاستحدث الشعر التمثيلي، وخطا به في طريق الكمال خطوة موفقة بنظمه روايات: علي بك الكبير، ومصرع كليوبترا، ومجنون ليلى، وقمبيز، وعنترة، والست هدى، ثم توفاه الله قبل أن يبلغ به الغاية».

شاعرية عذبة:

ولأن شيخنا زين الدين كان رقيق العاطفة، مرهف الشعور، عميق التفاعل مع الأفكار التي يتعامل معها، جاء شعره فيها خفيفاً في عذوبة، وأنيقاً في صفاء.

وممّا أحفظه منها قوله:

بعين الحب ما يلقاه هذا البدن العاني
وفي ذمّة من تهواه هذا المدمع القاني

وقوله:

إليّ حياة النفس فالدهر ساعة نناجي بها أحلامنا وهوانا

ونشرح أسرار الهوى بدموعنا فدمع الهوى منّا أرقّ بيانا
خذي مهجتي واستعرضيها فإنها بقية روح تستحيل دخانا
مناي هل الدنيا تظلّل غيرنا وهل كنف الحبّ البريء سوانا
يقولون في الخلد النعيم وإنما بسرّ الهوى أمست تعدّ جنانا
هو الحب أرواح تذوب وادمع تصوب وأكباد تفيض حنانا

وقوله:

وما قيس سوى شبح عظيم بناه الحبّ من كلف ووجدِ
سئمنا في الغرام حديث ليلى فصف للعالمين جمال دعدِ
وشبّب بالعراق وصف رباه فقد بعد الزمان بعهد نجدِ

من كتاب الشعر التمثيلي في النجف:

وممّن نظم في الشعر التمثيلي النجفي من جيله ثم من جيل تلامذته:

١- الشيخ سلمان الخاقاني: يقول علي الخاقاني في شعراء الغري، عند ترجمته له: «والمترَجم له تذوّق الشعر التمثيلي ونظم فيه، وتأثر بالذوق الحديث الذي جاء به أحمد شوقي التمثيلي ونظم فيه، وتأثر بالذوق الحديث الذي جاء به أحمد شوقي في رواياته، وقد عثرت له على رواية تمثيلية تاريخية، أسماها الطاق، ويريد به طاق كسرى، ذات أربعة مشاهد، وفي فصل واحد، وهي تاريخية، وفيها مغزىً ديني لطيف، وهو مولد الرسول الأعظم وتأثيره على إطفاء نيران فارس».

والرواية منشورة في الكتاب المذكور.

٢- الشيخ علي الصغير: له رواية بعنوان مرغيت، مطبوعة.

٣- السيد مصطفى جمال الدين: له رواية بعنوان جميل بثينة تقع في تسعمائة بيت تقريباً، ذكرها الخاقاني وهو يترجم له في كتابه شعراء الغري.

٤- الشيخ محمد حيدر: له رواية باسم هيفاء، ذكرها الخاقاني في شعراء الغري.

هذه إطلالة تعريفية مختصرة لشعر شيخنا العزيز، عسى أن نرى قريباً من يقوم بجمعه ودراسته أدبياً ونقدياً.

دوره في إنماءِ الحركة الأدبية في النجف:

أعني بالإنماء هنا توسّع الحركة عمودياً، بأن تستمر في انتقالها من الجيل السابق إلى الجيل اللاحق، وتوسعها أفقياً بأن تمتدّ من بلها الجغرافي الذي هي فيه إلى بلدان أخرى.

وذكرت في تاريخ الحركة الأدبية في النجف الأشرف أن من أهم عوامل نموّ المجالس الأدبية، تاريخياً وجغرافياً، أنها كانت تعقد في الأماكن الخاصة كالمنازل والمدارس ليلتي الخميس والجمعة وليالي شهر رمضان المبارك، ويحضرها ثلة مختارة من الشبان يديرون الحوار بينهم.

وربما كان هذا تحت إشراف شيخ مربّ يرشد وينقد، كي يضع هذه الثلة من الشبان على الطريق السوي في بناء شخصياتهم أدبياً.

والشيخ زين الدين أستاذ موهوب، يمتلك من القدرات التربوية ما أهّله لأن يكون أستاذاً من أساتذة الأجيال في النجف أدبياً وعلمياً، وما دفعه إلى أن يقوم بما أهّل له من أدوار تربوية في العلم والأدب.

وغرفته التي كان يسكنها في مدرسة الأخوند الوسطى، الواقعة حالياً في شارع الإمام الصادق "عليه السلام" قريباً من الحرم العلوي الشريف، كانت أحد المجالس الأدبية النجفية.

تردّد عليها وارتادها منتدىً أدبياً جَمعٌ من مريديه، في طليعتهم الشيخ سلمان الخاقاني الذي كان مؤازره في دور تربية الشبان الذين كانوا يترددون على الغرفة.

ومن هؤلاء الشبان: السيد مصطفى جمال الدين، والسيد حسين بحر العلوم، والسيد محمد بحر العلوم، والشيخ محمد رضا العامري، والشيخ صالح الظالمي، والشيخ ضياء الخاقاني.

وقد أشار إلى دوره هذا في التربية الأدبية الأستاذ عبد النبي الشريفي في كتابه ومضات الشباب.

كما أشار إليه الأستاذ علي الخاقاني في كتابه شعراء الغري، عند ترجمته للسيد مصطفى جمال الدين، قال: «ولد في قرية المؤمنين عام ١٣٤٦هـ، ونشأ بها على أبيه وجده فعنيا بتربيته وحسن توجيهه، ولم أحسّا منه النبوغ المبكر والذكاء المفرط بعثا به حيث منهل الفضل والعلم، وكان ذلك عام ١٣٥٧هـ. فاتصل بالعلاّمة الشيخ محمد زين الدين الذي عُرف بصدق تدريسه وقوة توجيهه، فأخذ عليه مختلف العلوم الأولية، من نحو وصرف ومنطق ومعان وبيان، واقتبس منه المعلومات الأدبية الكافية مما ولّد عنده قوة الشاعرية وفهم الأَدب وحسن البيان».

والسيد جمال الدين نفسه أشار إلى هذا في مقدمة الديوان، وما بعدها تحت عنوان «الشجرة التي احتضنتني برعماً» قال:

«وصاحبنا الذي نكتب سيرته، ونحاول أن نتعرّف تجربته، واحد من هؤلاء الوافدين إلى النجف من قرى سوق الشيوخ، كان يبحث عن مدرّس في النحو يأخذ عليه شرح ابن الناظم لألفية أبيه محمد بن مالك، لأن الدراسة في النَجف، كما هي في أكثر مراكز الدراسة الدينية، دراسة فردية أغلب مراحلها، والطالب فيها له حريّة اختيار مدرّسِه، وكما يكون الطالب طالباً، يكون في الوقت نفسه مُدرّساً، فهو إذ يدرسُ ألفية ابن مالك عند زيدٍ، يدرّس عمراً قطرَ الندى لابن هشام، وأستاذه مثله أيضاً، حتى إذا تقدم في دروسه كان نظام الحلقات في انتظاره، ثم ينتقل إلى الحلقة الكبرى، عند أحد مراجع الدين التي تسمى بـ«الخارج»، لأن الدرس فيها ليس له

كتاب مقرّر، فهو خارجُ الكتبِ المقرّرة، ولكنه يمتاز بموضوعه. وموضوع الخارج إما في الفقه، أو في أصول الفقه، واستحدث أستاذنا الخوئي درساً في التفسير هو إلى الخارج أقرب منه إلى الكتاب المقرّر».

«وظلّ صاحبنا يبحث عن هذا المدرّس حتى وقع اختياره على المرحوم الشيخ علي زين الدين من البصرة، وجرّته صِلتُهُ بالشيخ علي إلى صلتِهِ بأخيه الشيخ محمد أمين زين الدين، وهو اليوم أحد مراجع الدين في النجف، حفظ الله مهجته، وجعل خير الحوزة على يديه. وكان هذا الشيخ، بالإضافة إلى علمه الجمّ، شاعراً من طراز متقدم، وكاتباً بارعاً ذا أسلوب متميّز، لعله أقرب إلى أسلوب الزيّات، تدل عليه رسائله إلى الطليعة المؤمنة وكتابه الرائع الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته، ولعله أول كتاب يظهر في النجف عن الإسلام بلغةٍ مشرقة الأسلوب، حديثة المعالجة لقضايانا الفكرية. كما كان فيلسوفاً أخلاقياً تشهد له الأخلاق عند الإمام الصادق، ورسالته كلمة التقْوى في عشرة أجزاء أكبر دليل على فقاهته، وغير ذلك من مؤلفاته. وكان هذا الشيخ الجليل محور حلقة من العلماء يمتازون بثقافتهم الواسعة، وأساليبهم الرائعة، منهم المرحوم الشيخ سلمان الخاقاني، وهو من أقدم تلامذة السيد الخوئي المرموقين، وله ولع بالشعر، واطلاع واسع على أغلب ما يصدر في الكتبة العربية، وفي مكتبته العامرة. وبإرشاده وتوجيهه قرأنا ما جَدّ من الكتب المصرية واللبنانية، وتابعنا مجلات الرسالة والرواية اللتين أصدرهما الزيات، والثقافة التي صدرت عن لجنة التأليف والترجمة والنشر برئاسة أحمد أمين، والكاتب المصري برئاسة طه حسين، والكتاب التي أصدرتها دار المعارف بتحرير عادل الغضبان، وسلسلة إقرأ وغيرها من السلاسل والكتب والقصص التي كنا لا نهتدي إليها لولا إرشاد أبي المهدي وتهيئتها لنا، أمثال كتب طه حسين، والعقاد، وتوفيق الحكيم، والمازني، وأحمد أمين، وسلامة موسى، وعبد الله العلايلي، ونجيب محفوظ، وغيرها».

«هذان العلمان الكبيران، زين الدين والخاقاني، هما اللذان وضعاني على

الطريق الذي أنا الآن في نهايته».

«كنت أدرس على الشيخ علي زين الدين شرح الألفية، وقسماً من المختصر للتفتازاني، ودرست حاشية ملا عبد الله في المنطق على الشيخ محمد رضا العامري والشرائع على الشيخ عبد الكريم شمس الدين، والمعالم واللمعة على المرحوم الشيخ محمد على الصندوق، ولكني تمحّضتُ في أكثر دروسي بعد ذلك على الشيخ محمد أمين زين الدين، فأخذت عنه الكفاية والرسائل وقسماً من المكاسب وأكثر شرح منظومة السبزواري في الفلسفة الإسلامية، وقد تنقلت في حياته الدراسية على أساتذة كثيرين، ولكني لم أجد من هو أجلى بياناً، وأكثر إيصالاً من الشيخ محمد أمين زين الدين».

«وكانت لأستاذي هذا رحلات سنوية قد تمتد أشهراً في بعض الأحيان، يستوطن فيها قريته نهر خوز في قضاء أبي الخصيب، أو يذهب فيه للإرشاد والتوجيه الديني إلى أتباعه في البحرين، فأجد عناءً كبيراً في العثور على أستاذ أنسجم مع بيانه انسجامي مع الشيخ زين الدين، حتى إذا أكملتُ مرحلة السطوح، كما كانت تسمى في النجف، وانتقلت إلى مرحلة الخارج في بحث سيدنا الإمام الخوئي ﵀ استرحت من هذا العناء».

«أمّا حياتي الأدبية، والشعرية بوجه خاص، فإذا كنت مديناً فيها لأحد فلهذين الشيخين الجليلين: محمد أمين زين الدين وسلمان الخاقاني، فهما اللذان وضعا اللبنَة الأولى في أساس ظللتُ أبني عليه، بعد ذلك، حتى خُيّل إليّ أنه أعجب كثيراً من النّظارة».

دوره في تطوير الحركة الأدبية في النجف:

أعني بالتطوير هنا، الإضافات الأدبية الجديدة التي أضافها الشيخ ﵀ وكانت من إبداعاته بما يعد تطويراً في عالم الحركة الأدبية النجفية.

وتتمثل تلكم الإضافات في الموضوعات التالية:

١- أسلوب المقالة الأدبية.

٢- الرواية الشعرية.

٣- الدب الإسلامي الملتزم.

سبق أن أوضحت أن الشيخ زين الدين تأثر، إلى حد بعيد، بأسلوب الأستاذ أحمد حسن الزيّات، من خلال ما كان يكتبه الزيّات افتتاحيات لأعداد مجلته الشهيرة الرسالة، ثم استقلّ، أعني أستاذنا الشيخ، بأسلوبه الخاص الذي تميز به، والذي رأينا نموذجاً منه في مقالته «بلال يؤذن».

وقد تأثر غير واحد من تلامذته وغير تلامذته فنحوا منحاه أو منحى التحديث في كتابة المقالة الأدبية.

وقد كان هذا التأثر انتقالاً ممّا أسميته مدرسة العروة الوثقى في كتابة المقالة إلى ما أسميته مدرسة الرسالة في كتابة المقال.

أو قل، لكي يكون العنوان شاملاً: كان هذا التأثر انتقالاً من عهد النقلة في كتابة النثر الفني إلى العهد الحديث.

وتؤلف مقالات شيخنا مجموعة نثرية من روائع المجموعات الأدبية النثرية، لو قدر لها أن تُضمّ بين دفتين ثم تُطبع إحياءً لذكراه وإفادة لطلاب الأدب وهُواته.

أضيف إليه أن هذه الإضافة الإبداعية الجديدة تدخل عنصراً مهماً في تاريخ الأدب النجفي، فلا بد لمن يريد دراسة الأدب في النجف من تناوله في بحثه أو دراسته.

أما الرواية الشعرية، فالذي يبدو لي أنه إذا لم يكن شيخنا هو الرائد الأول في كتابتها من بين من كتبوا فيها من النجفيين، فهو من الرواد الأوائل في كتابتها، قد لا

يسبقه أحد في هذه الرواية سوى السيد محمد رضا شرف الدين الذي ينص الأستاذ الخاقاني، في كتابه شعراء الغري، أنه نظم روايته الحسين عليه السلام عام ١٣٥٢هـ، وطبعها ببغداد في العام نفسه، قال: «نظم، في عام ١٣٥٢هـ، روايته الشهيرة الحسين وطبعت بنفس العام ببغداد، وهي باكورة إنتاجه الأدبي وأعقبها بنظم رواية قيس ولبنى وهي لم تطبع».

وبخصوص الأدب الإسلامي الملتزم فهو أول من كتب فيه، وذلك بكتابيه: الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته، وإلى الطليعة المؤمنة.

كما أنه أول من عقد حلقة تدريس له، وكان ذلك في مقبرة سلامة الواقعة جوار مدرسة السيد البروجردي، قريباً من دورة الحرم الشريف.

وكنا نحضر عنده عصراً، أنا والشيخ مهدي السماوي والسيد مهدي الحكيم والشيخ محمد حيدر والسيد محمد باقر الحكيم، وآخرون لا تحضرني أسماؤهم في هذه العجالة.

وكان قدس سره يقوم بعملين، هما:

١- يقرأ فصلاً من كتابه الإسلام كنص أدبي ثم يقوم بالشرح والتعليق.
٢- يُلزمنا بكتابة موضوع يختاره، وفي الغالب كان الموضوع يدور حول آية قرآنية.

وكنا نكتب ونقدم كتاباتنا إليه في الدرس القادم، وكان يأخذ معه ليعود بها في الدرس التالي، وقد أشّر على مواضع تتطلب التعليق عليها، ثم يوضح لكل طالب منّا ما ينبغي إيضاحه له من ناحية الأسلوب.

وكان هذا منه لأن الساحة يومذاك لم يكن يوجد فيها أديب إسلامي ملتزم، سوى أستاذنا الشيخ زين الدين نفسه، وأستاذنا السيد محمد باقر الصدر.

فكان لشيخنا زين الدين دور آخر في الدعوة إلى تعلم الكتابة الإسلامية

والتدرب عليها وممارستها.

ويرجـع هذا، فـي عوامله ودوافعـه، إلى انتشـار الأدب الاشـتراكي الملتزم، وكانت تمثله بوضوح وقوة مجلة الآداب التي أصدرها عام ١٩٥٣م ببيروت الأستاذ سهيل إدريس، وكان يكتب فيها أقطاب الاشتراكية من الأدباء العرب، وكانت تنتشر انتشـاراً واسعاً، وكانت تصل إلى النجف الأشـرف، وكان لها مفعول مجلة الرسالة في الاستقطاب والتأثير.

جـزى الله أسـتاذنا العظيم لقاء ما قـام به من أعمال في خدمـة المبدأ والأمة، ووفقنا للسير عل هيه، إنه تعالى وليّ التوفيق وهو الغاية.



المرجع الديني الشيخ محمد أمين زين الدين

الشيخ حسن الصفار
أحد علماء المنطقة الشرقية - القطيف

كلمات في البدء

أثناء زيارتي لدمشق في صيف ١٩٩٨م تلقيت دعوتين كريمتين للمشاركة في إحياء ذكرى المرجع الديني الكبير الشيخ محمد أمين زين الدين رَحِمَهُ اللهُ، بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته. الأولى من قبل آية الله الشيخ محمد الخاقاني، والثانية من قبل المنتدى الثقافي العراقي في لبنان.

ورأيت نفسي مندفعاً للاستجابة للدعوتين الكريمتين، لأداء بعض الحق والواجب تجاه هذه الشخصية العظيمة، ولحاجة الساحة الإسلامية إلى دراسة حياة هذا الرجل المصلح، وما تنطوي عليه من تجربة إصلاحية رائدة.

وكنت أرقب الشيخ زين الدين من بُعد، وعبر ما أسمعه من تلامذته والقريبين منه، ومن خلال اهتمامي وتتبعي لتطور

الثقافة والحركة الإسلامية في المنطقة، حيث وجدت للشيخ فيها دوراً تأسيسياً وتجديدياً هاماً.

واختزنت في ذاكرتي صورة شفّافة مرهفة لسماحته حينما تشرفت بلقائه في مدينة سيهات - القطيف، خلال إحدى زياراته لها. وكنت في الثانية عشرة من عمري، وقد بدأت ممارسة الخطابة، وأحاطني مجتمعي بتشجيع كبير، نظراً لحداثة سنيّ، فدعيت للخطابة في حسينية الناصر في سيهات، وهناك فوجئت بوجود شيخ وقور يتزاحم الناس على مصافحته ولثم أنامله وتقبيل غرته الكريمة، وقيل لي إنه الشيخ محمد أمين زين الدين.

حينها لم أكن أعرف شيئاً عن سماحته، ولا أدري كيف تجرّأت على الإلقاء بحضرته، وماذا قرأت. لكنني أتذكّر أنه غمرني بالكثير الكثير من تشجيعه ولطفه، وأبدى إعجابه بجرأتي وحافظتي على صغر سنّي آنذاك، ودعا لي بالخير والمستقبل الزاهر.

هذا اللطف والاهتمام جذبني إليه، فتكرر حضوري لصلاة جمعته وجماعته فترة وجوده في سيهات، كان ذلك في سنة ١٣٨٩هـ تقريباً.

كما زرته في النجف الأشرف أثناء هجرتي للدراسة الدينية من سنة ١٣٩١هـ، وكانت أخلاقه وتواضعه وتشجيعه عنصر انشدادي إليه. ولما قرأته فيما بعد وتفاعلت مع أفكاره الرائعة وأطروحاته التجديدية، وتعرفت على شيء من مسيرة حركته وجهاده، حالت الظروف بيني وبين الالتقاء به، فكنت أعيش الأمل بتجديد العهد بلقائه بعد أن اتضحت لي معالم شخصيته الرسالية. لكن خبر وفاته المفجع بدّد ذلك الأمل وأصابني بالحسرة والألم.

وجاءت الدعوة للمشاركة في إحياء ذكراه العطرة لتشكل فرصة لاستجماع الأفكار حول شخصيته الكريمة، واستلهام الدروس والعبر من حياته وسيرته،

فكانت هذه السطور المتواضعة والتي قدمتها كبحث ألقي في الحفل التأبيني الذي أقامه المنتدى الثقافي العراقي في بيروت بتاريخ ١٢ / ٤ / ١٤١٩هـ، الموافق ٥ / ٨ / ١٩٩٨م، كما تحدثت عن أهمّ مضامينها في المحاضرة التي ألقيتها في المجلس التأبيني الذي أقامه سماحة الشيخ محمد الخاقاني في منطقة السيدة زينب بدمشق الشام، بتاريخ ١٤ / ٤ ١٤١٩هـ، الموافق ٧ / ٨ / ١٩٩٨م.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

***

مدخل:

كلّما اشتدّت التحدّيات الخارجية على الأمة، ازدادت ضرورة الإصلاح والتّطوير الداخلي.

ذلك لأنّ الجمود والرُّكود يقعد بالأمة عن الاستجابة للتحديات التي تواجهها، وإذا كان العالم من حول الأمة في حركة وتقدم، فإنّ تسمّر الأمة في مكانها يعني التخلّف والتراجع.

فلابد للأمة من انبعاث متجدّد، وتطوّر دائم لتواكب مسيرة التقدّم الحضاري، ولتنفض عن نفسها غبار الزمن وتراكم النّواقص والثّغرات.

بيد أنّ عملية الإصلاح والتطوّر الداخلي أشقّ وأصعب من المواجهة المباشرة للتحديات الخارجية، لذلك اعتبر رسول الله ﷺ قتال الأعداء جهاداً أصغر، وجهاد الذات جهاداً أكبر، فيما يُروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّ رسول الله ﷺ بعث سرية -فرقة صغيرة من الجيش- فلمّا رجعوا قال: «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر».

قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟.

قال:«جهاد النفس»[١].

لأن المصلح ورائد التّغيير والتّطوير يواجه معركة حامية الوطيس داخل المجتمع، ولهذه المعركة بعدان:

الأول: تجاه الأفكار الإصلاحية التّغييرية التي يتبنّاها المصلح، حيث يتشبّث المجتمع بالأفكار التي ألفها والسُّلوكيات التي اعتاد عليها. وبالتّالي فإنّه غالباً ما يُواجه أيّ فكرة جديدة تخالف الموروث، أو برنامجاً حديثاً يغاير المعتاد، بالتحفّظ والرّفض.

فيحتاج المصلح إلى الكثير من الجهد والصبر ليتمكّن من بثّ أفكاره الإصلاحية، وليقنع الناس بها، ويعالج تحفّظاتهم نحوها، ويكسر حدّة رفضهم لها.

أمّا البعد الآخر والأعنف للمعركة فيدور حول ذات المصلح وشخصيته.

لأنّ الجهات النّافذة في المجتمع، والقيادات المسيطرة، ومراكز القوى المتحكّمة، يخيفها ويثير توجّسها ظهور شخصية قيادية جديدة، تسحب من تحت أرجلها البساط وتكتسح ولاء الجمهور، وتشكّل منافسة خطيرة لمواقع نفوذها.

من هنا تبدأ حالة تحسّس حادة تجاه شخص المصلح، وتُثار حوله التساؤلات والإشكالات، وعلامات الاستفهام، وتُوجّه له الاتهامات، وتزرع في طريقه العقبات والعراقيل والألغام. ومن ثم يستدرج المصلح إلى معركة الدّفاع عن الذات.

وهذا هو المأزق العنيف الذي واجه ويُواجه المصلحين عبر التاريخ، فلا يتحقّق الإصلاح والتّطوير إلاّ بوجود قادة وروّاد يحملون مشروعه ولواءه، لكن ذواتهم وشخصياتهم تثير تحسس الآخرين وخوفهم على مواقعهم وزعاماتهم.

---

(١) العاملي: محمد بن الحسن الحر [تفصيل وسائل الشيعة]: (ج١٥/ ص١٣٦)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم.

فهل يمكن الفصل بين ذات المصلح ومشروعه؟.

إنّ المصلح مُطالب بالإخلاص لرسالته، وأن لا يستهدف الظُّهور وحبّ الزّعامة والرّئاسة، ولكن هل يتجاوز المأزق بتحقيق هذا المطلب في ذاته؟.

إنّ عملية التّبشير بالإصلاح، والعمل من أجله،يستلزمان شيئاً من حضور الذّات، فالمصلح لابدّ أن يتكلم ويخطب ويكتب ويبادر ويُؤسّس ويتحرّك ويعمل، وهذه الأنشطة بدورها تفرض حضور الذّات، وكونها في موقع الظُّهور والبروز.

والزّعامات التّقليدية والجهات النّافذة، لحرصها على مواقعها، لا تقنعها التّطمينات التي يُبدي بها المصلح زهده في ما تخاف منه عليه، بل تبقى فزعةً قلقة من حركة الإصلاح ومن ظهور المصلحين.

وإذا ما قرأنا واستقرأنا تجارب المصلحين، وطريق تعاطيهم مع هذه المشكلة، ونتائج خوضهم لهذه المعركة في بعدها الشّخصي الذّاتي، فسنُواجه حالات متعدّدة ومختلفة.

فبعض المصلحين يُصاب بالانهيار، وينهزم في معركة الإصلاح والتّطوير حينما تستهدف ذاته السِّهام، وتمعن في تمزيق شخصيته الرِّماح.

وبعضهم يجبن في الدّفاع عن ذاته، ويُبالغ في التّواضع والزُّهد في التصدِّي لتحمُّل المسؤولية، على حساب مصلحة الرِّسالة، ذلك لأنّ هناك خيطاً فاصلاً دقيقاً بين الزُّهد في المواقع وبين التصدِّي لتحمُّل المسؤولية، وهو ما يشير إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله:

«أما والذي فلق الحبّة، وبرأ النّسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود النَّاصر، وما أَخَذَ الله على العلماء ألاَّ يُقارُّوا على كِظَّه ظالم، ولا سَغَب مظلوم، لألقيتُ حبلها على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكأس أوَّلها، ولألفيتُم دُنياكُم

هذه أزهدَ عندي من عفطة عنز »(١).

وبعضهم على العكس من ذلك تماماً، حيث يتضخّم لديه مشروع الذّات، بمبرّر الدّفاع عن النّفس، والاستجابة للتحدّي، ولحاجة الإصلاح إلى قيادة ورمز وواجهة. فيصبح برنامج الطّرح الشّخصي أوسع رقعة من طرح الأفكار، ويأخذ الدَّور المحوري في الحركة والعلاقات والتَّحالفات. فالولاء لذات القائد، والتّمجيد لشخصية الرَّمز هي مقياس الإخلاص وعليها تتحدّد درجة القُرب والبُعد.

وحينئذٍ قد تلتفّ حول المصلح مجاميع لا شأن لها بأهدافه وأفكاره الإصلاحية، لكنّها تزايد على الآخرين في الولاء له والتملُّق لشخصه..

وتتعدّد برامج التّكريس، وألوان الطّرح للحالة الرَّمزية والشَّخصية.. من اختيار للألقاب، وتثبيت للعناوين والصِّفات، ومن التفنُّن في نشر الصُّور واحتلال المواقع البارزة لها، ومن اقتناص فرص الطَّرح الإعلامي، ومن استقطاب الأسماء اللامعة، ومن تجيير للمشاريع والمؤسّسات باسم القائد الرَّمز.. إلى ما هنالك من أساليب ووسائل تحوّل الشَّخص إلى مشروع، والرَّمز إلى حركة، والذَّات إلى هدف، وما قد يؤدِّي إليه ذلك من صنمية وتقديس مطلق يتجاوز حدود الشّرع والعقل في كثير من الحالات.

ويقدم الخلّص من المصلحين الصَّالحين نموذجاً آخر في التّعامل مع هذه المعركة الشّرسة في بُعدها الشّخصي والذّاتي، والتي لابدّ لـرُوّاد التّغيير والتّطوير من خوضها.

فهم لا يفرّون من الزّحف، ولا ينسحبون من المعركة، ولا يستولي عليهم الانهيار.

---

(١) الرضي: الشريف [نهج البلاغة]: (خطبة رقم٣).

كما لا يقعون في فخ تضخيم الذّات، وتورّم الحالة الرّمزية.

ولكنّهم في نفس الوقت يعرفون قيمة أنفسهم، ويُدركون قدر ذواتهم، في إطار تحمّل المسؤولية، والتصدِّي للواجب الشّرعي، والوظيفة الرِّسالية.

إنّهم يعتمدون منهجاً دقيقاً منذ الوهلة الأولى لتحرُّكهم الإصلاحي، وحركتهم التّغييرية، يتّسم بالحذر من الظُّهور والبُروز، والتّخفيف من حضور الذّات إلاّ بمقدار الضّرورة. ومن ثمّ يوجِّهون كلّ جهدهم واهتمامهم إلى ما يخدم أهدافهم المبدئية، وتطلّعاتهم السّامية.

وبذلك يقلِّلون من توجيه الأنظار إلى ذواتهم فيقلّ بذلك استهدافهم، كما يوفّرون كلّ إمكانياتهم فلا يتبدّد شيء منها في معارك شخصية وجانبية، بل هي موجّهة صوب الهدف ونحو الغاية.

وهو منهج صعب مستصعب يحتاج إلى مستوى متقدّم من الخلوص والإخلاص، وإلى إرادة قوية للتّحكم في النّفس واتخاذ الحكمة في المواقف، ويحتاج بعد ذلك كله إلى توفيق وتسديد إلهي حتى تكون الظُّروف والأُمور مساعدة على إنجاح هذا المنهج والبلوغ بصاحبه إلى المطلوب.

في رحاب التَّجربة

إنَّ حياة المفكر الإسلامي الكبير الفقيه المربِّي المرجع الديني الشيخ محمد أمين زين الدين تعتبر تجربة رائدة رائعة في مجال العمل الإصلاحي، دون إثارات ودون الدُّخول في معارك أو صراعات شخصية وجانبية.

فهو من أوائل الفقهاء المعاصرين الذين أدركوا عُمق التحدِّيات التي تواجهها الأمة، ويظهر ذلك جلياً في كتاباته وخطاباته وسيرته.

كما أدرك أنّ هذه التّحدِّيات لا يمكن أن تُواجه إلاّ بتغيير وتطوير في ذهنية

الأمة وأفكارها وسُلوكها.

وقد قرّر تحمُّل مسؤوليته الدِّينية والاجتماعية، وخوض هذه المعركة المقدّسة.

لكنه وهو يعيش في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ويعرف طبيعة أوضاعها وأجوائها والمعادلات السّائدة فيها، لابدّ له أن يحسب ألف حساب لكلّ خطوة يخطوها، وأن يتسلَّح بأعلى درجة من الاحتياط في كلِّ عملٍ يقدم عليه.

فأجواء النجف الأشرف كانت تسودُها حالة من التحفُّظ الشَّديد، والتحسُّس المبالغ فيه تجاه أيِّ جديد أو تغيير أو تطوير، خوفاً على المبادئ والقِيم، والأعراف والتَّقاليد، من مؤامرات الأعداء، ودسائس الدُّخلاء، وانحرافات المغرضين، وإفساد الجهلاء.

هذا الخوف والقلق الصحيح في منطلقاته ومبرّراته، والخاطئ في أساليبه ووسائله، أصاب الحوزة العلمية بالرُّكود والجمود، وسبَّب لها التخلُّف عن مواكبة تطوّرات العصر والحياة، ودفع بها إلى حالة من الانكفاء والانطواء، بينما ساحة الأمة تعيث فيها الأفكار الوافدة والمبادئ المستوردة فساداً، تحت شعارات التقدُّم والخلاص، وعناوين التحرُّر والوحدة.

وفي النجف الأشرف يتواجد الآلاف من رجال الدين، والمئات من الفقهاء والمجتهدين، والعديد من المراجع المقلدين، مما يعني وجود كيانات ومراكز قوى بيدها أزمة الأمور، وتتمتّع بالسيطرة والنُّفوذ، وتحتدم بينها معارك التَّنافس والصِّراع بين الحواشي والمكاتب والأطراف والأتباع، ثمّ بين الانتماءات والتَّوجهات المختلفة.

ممّا جعل انطلاق مهمّة التَّطوير والإصلاح داخل الحوزة العلمية صعبة

معقّدة، أوّل وأشدّ أخطارها التورُّط في صراع ونزاع داخلي مع بعض المراجع والأقطاب والحواشي والأتباع، والانزلاق إلى معادلة الاختلاف بين الانتماءات والتّوجُّهات.

في هذه الأجواء والأوضاع بدأ الشيخ زين الدين مهمّته الإصلاحية وبذر بذور الصَّحوة الإسلامية في العراق والمنطقة المحيطة به.

معالم المنهج

مع خُطورة الدَّور التَّأسيسي الذي قام به الشيخ محمد أمين زين الدين، في العمل الإسلامي المعاصر، ومع أهمية الجهود التي بذلها، والنّتائج التي تحقّقت على إثرها؛ إلاّ أنَّك لا تكاد تجد للشيخ إسماً في خضمّ الأحداث، ولا موقعاً بارزاً في معارك الصِّراع الدَّاخلية والخارجية التي واكبت الصَّحوة الإسلامية في المنطقة.

لقد حالف التّوفيق الشيخ زين الدين حينما اختار منهجاً عميقاً هادئاً نطلق عليه «منهج الإصلاح دون حضور الذات» فما هي معالم هذا المنهج؟ وكيف مارسه الشيخ في سيرته وحياته؟

إنّ على أبناء الصَّحوة الإسلامية أن يدرُسوا حياة المؤسِّسين والرُّوّاد الأوائل، ليأخُذوا منها الدُّروس والعِبر، وليتلافوا الثَّغرات والنَّواقص، وليستكمِلُوا البناء على أسُسه السَّليمة وقواعده الصَّلبة.

والشيخ زين الدين في طليعة القادة الدِّينيين الذين شقُّوا للأمة طريق الإصلاح والتَّغيير في هذا العصر، وقاموا بمهمّة التّجديد والتّطوير في الفكر والثّقافة الإسلاميين.

وإذا كانت حياة الشيخ زين الدين تحت سلطة الحكم العراقي تمنع الباحثين الرِّساليين من تسليط الأضواء على شخصيته ودوره، حرصاً على وجوده، وحفاظاً

عليه من الظُّلم والعدوان، فإنّ رحيله إلى عالم الملكوت، وإلتحاقه بالرّفيق الأعلى، يفتح المجال واسعاً للعودة إلى تجربته التّأسيسية الرّائدة، لقراءتها وبحثها ودراستها، للإفادة منها، ولإيفاء بعض حقّه من التّقدير والتّكريم.

وفي هذا السِّياق نرصد في بحثنا هذا أبرز المعالم في منهجه الإصلاحي:

١- الابتعاد عن التّنافس على المواقع:

فمع قدراته العلمية المشهودة، وطاقاته الفكرية المتميّزة، إلاّ أنّه لم يُرشِّح نفسه،ولم يقبل التّرشيح لأيّ موقعٍ بارز. وحتى التّصدِّي للمرجعية والإفتاء، ومع إقتناع بعض المؤمنين في بلدانٍ عديدة بتقليده، إلاّ أنّه كان حريصاً على أن لا يحوط نفسه بمظاهر الطّرح المرجعي المألوف، فالرِّسالة العملية التي تتضمّن فتاواه وآراؤه الفقهية لم يخرجها للطّبع إلاّ متأخراً وفي العقد الأخير من حياته، ولم تطبع في النجف الأشرف، مركز المراجع والحوزة وساحة الطّرح المرجعي، وإنما طبعت في البحرين سنة (١٤٠٩هـ)، وتقع في عشرة أجزاء بعنوان [كلمة التّقوى] لسد حاجة عملية لدى مقلِّديه هناك، وليس ضمن خطّة للتّبشير أو العمل لمرجعيته.

لكنّ تميّز هذه الرسالة العملية بالأُسلوب الرَّصين، واللغة الواضحة، والطرح التَّأسيسي، حيث لم تكن تعليقةً على متن سابق، ولإحاطتها وإستيعابها لمختلف أبواب الفقه وتفريعات مسائله، بمنهجية متقنة، كلُّ ذلك أوجد إقبالاً عليها من قبل الفُضلاء والعُلماء ممّا دفع لإعادة طبعها في قم المقدّسة وبيعها عبر المكتبات.

وهو لم يترأس جماعة، ولم يتزعّم مؤسّسة، ولم يرض بإحتياز ألقاب محدّدة، ولم تُنشَر له صور، ولم تُكتب عنه مقالات، ولم يُطرح إسمه للتَّبشير بمرجعيته، كما هو متعارف في طرح المرشّحين للمرجعية، وخاصة بعد فقد أيّ مرجع من المراجع.

ونقل أحد الفُضلاء أنَّ الشيخ زين الدين دخل مرّة« مسجد الطوسي » في النجف الأشرف، لحضور مجلس فاتحة فهتف أحد الحاضرين بالصّلاة على محمد وآله، كما هو متعارف عند دخول أيِّ مرجع معروف، فعاتبه بعد ذلك الشيخ زين الدين ووبّخه وحذّره من أن يكرِّر ذلك معه مرّة أخرى.

«لقد انطلق في خط المرجعية، وكانت رسالته من أغنى الرسالات وأكبها، بكل هدوء وبكل صمت، وبكل وعي وبكل تقوى، حتى كان ينكر ذاته في موقعه، وموقعه كبير كبير... كان المتواضع كأعظم ما يكون التواضع، في الوقت الذي يملك فيه الكثير مما يستعرض الناس فيه عضلاتهم، لا سيّما أنه كان مميزاً في طاقاته التي يتحرك فيها ... كان بإمكانه أن يستعرض دوره، لكنه كان الإنسان الذي ينكر ذاته، ويعطي بدون حساب وبدون منّ...»[1].

٢- تجاوز الخلافات والصِّراعات:

وجُود الخلاف والإختلاف طبيعي في كل مجتمع، وخاصّة في الوسط العلمي، حيث تتعدّد المدارس، وتتباين الآراء، لكنّ التّعاطي مع هذه الحالة يختلف من شخص لآخر، فهناك من يستهويه الخلاف، ويشمّر له عن ساعديه، ويستعرض فيه عضلاته، على قاعدة: جاء دريد شاهراً رمحه.

وهناك من يقف عند حدود الدّفاع، فيستدرج إلى معارك الصِّراع، حيث يأبى لنفسه أن يكون ضعيف الجانب مهيض الجناح، بل يعمل على أساس﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾[2].

وهناك من يسمو بنفسه على حالات الخلاف، وينفس بطاقاته وجهوده أن

(١) السيد محمد حسين فضل الله، (جولة في أزقة الذاكرة) المرجع الإسلامي الكبير محمد أمين زين الدين في ذكرى الأربعين، إعداد حميد الخاقاني، ص ١١-١٢.

(٢) سورة البقرة: (الآية ١٩٤).

يتبدّد شيء منها في صراعات جانبية ثانوية، فهو لا يبدأ أحداً بخلاف، ولا يستجيب لمن أراد إستدراجه. فمن قال له: إيّاك أعني.. أجابه: وعنك أغضي. كما ورد ذلك عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام إن لئيما اعتدى عليه فسبّه، فأشاح عليه السلام بوجهه عنه، فانتفخت أوداج اللئيم وراح يقول له: (إياك اعني) وأسرع الإمام قائلاً: (وعنك أغضي).

وهذا هو منهج الشيخ محمد أمين زين الدين.

فلم يسجَّل عليه الدُّخول في أيِّ خلافٍ أو صراع، ولا المشاركة في أيٍّ نزاع أو سجال.

ورغم أنّه يصنَّف ضمن مدرسة المحدِّثين الأخباريين، ويُنظر إليه كمرجع وفقيه بارز لهذه المدرسة، إلاّ أنّه كان يعيش في وسط وعمق المدرسة الأُصولية النَّجفيه، حيث حضر بحث الشيخ ضياء الدين العراقي (توفي: ١٣٦١هـ) في الأصول لمدة سبع سنوات، وكتب تقريرات درسه في دورة كاملة لعلم الأُصول. ولم يظهر منه أيَّ اعتراضٍ أو تبنٍّ لرأي مخالف، في الوسط العلمي الأُصولي الذي يحيط به، فهل هو أخباري محدّث أم فقيه أُصولي؟.

إنَّ الأخباريين يعتبرونه زعيمهم، والأُصوليين يَرونه أحد أعلامهم.

وحينما طبع رسالته العملية [كلمة التّقوى] تجاوز« باب التقليد » والذي يبدأ به الفقهاء رسائلهم العملية جرياً على ما فعله السيد محمد كاظم اليزدي في [العروة الوثقى] لكي يتلافى طرح المسائل المختلف عليها في هذا الباب.

كما عاصر الشيخ زين الدين الصِّراع المحتدم بين الخطِّ التّقليدي المحافظ في حوزة النجف والسَّاحة الدِّينية، وبين الخطِّ التَّجديدي النَّاهض، لكنَّه لم يُحدِّد له موقعاً في الصِّراع ضمن أي من الخطين.

ومع أنَّ رُوَّاد خطِّ الإصلاح والتَّغيير قد تربُّوا في أكناف بُحوثه ودرُوسه ومجالسه، ونهلوا من أفكاره وآرائه وتوجيهاته، إلاّ أنّه كان وثيق الصِّلة بكبار المراجع، يحظى بثقتهم واحترامهم، ويعتمدون رأيه في بعض شؤونهم وقضاياهم.

ومن ذلك مثلاً أن السيد محسن الحكيم، وكان المرجع الأعلى في عصره، يُشجِّع ولده السيد مهدي الحكيم على الإستفادة من الشيخ زين الدين وحضور دروسه[١].

وحينما بدأت ظاهرة السُّفور في الإنتشار في أوساط نساء العراق، بتشجيع التَّوجهات الشّيوعية، طلب السيد الحكيم من الشيخ زين الدين مواجهة هذه الظّاهرة المخالفة للإسلام ثقافياً وفكرياً، بإعداد بحث مناسب يبين فلسفة الحجاب في الإسلام ومفاسد التبرُّج والسُّفور، واستجابة لهذا الطلب ألَّف الشيخ زين الدين كتاب [العفاف بين السَّلب والإيجاب]، وحينما منعت الرقابة طبع الكتاب تدخّل السيد الحكيم مباشرة بالإحتجاج على السُّلطات حتى فسح طبع الكتاب[٢].

«وعندما أصدر الكاتب المصري أحمد أمين كتابه (المهدي والمهدوية) الذي عالج فيه الفكرة بطريقة سلبية، كلّف المرجع الكبير السيد محسن الحكيم الشيخ زين الدين للرد على أحمد أمين، لمعرفته بمقام الشيخ وجدارته وعمق فكره وغور نظره، فكان كتابه (مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية)».

والسيد الخوئي، الذي تسنَّم المرجعية العُليا بعد السيد الحكيم، حينما أراد طبع كتابه [البيان في تفسير القرآن] كان للشيخ زين الدين دور أساس في إعادة صياغة الكتاب والإرتقاء بلغته الأدبية، ليكون مناسباً لمقام السيد الخوئي ومكانته[٣].

---

(١) الحلو: السيد عامر [أحكام الدين بين السائل والمجيب]: (الحلقة التاسعة – ص٢٢).
(٢) المصدر السّابق: (ص٢٤).
(٣) المصدر السّابق: (ص ٢٧).

هكذا كان الشيخ زين الدين يجمع بين دوري إعداد الجيل النَّاهض والتَّواصل مع القيادات المحافظة والمراجع الكبار.

٣- تربية جيل الإصلاح والتَّغيير:

هذه الأمة الكبيرة المترامية الأطراف لا يمكن لشخص واحد أن يدفعها نحو التّحرُّك والنُّهوض.

وذلك الجمود المتراكم على الأذهان والنُّفوس لا يستطيع قائد لوحده أن ينُوء بأعباء نفضه وإزالته.

كما أنَّ من يُباشر القيام بهذا الدَّور يتورَّط في الجانب الذّاتي والبُعد الشَّخصي من المعركة، وهو ما كان يحرص الشيخ زين الدين على تلافيه وتجنُّبه.

فلابدّ إذاً من إعداد وتربية جيل للقيام بهذه المهمّة العظيمة الشّاقة.

هذا ما أدركه الشيخ زين الدين واتّجه له، فاحتضن نخبة من أبناء الحوزة العلمية، ومن أعرق بيوتاتها، ومن مناطق وبلدان مختلفة، وفتح لهم صدره وقلبه، وربّاهم على أساس التطلُّع والطُّموح، وتحمُّل المسؤولية تجاه واقع الأمة.

ومن خلال ما تحدّث به بعض تلامذته، ومن ملاحظة مستويات وتوجُّهات أُولئك التّلامذة الذين تربَّوا على يديه، يمكننا أن نلمح في مدرسته التربوية ما يلي:

(أ) تنمية القدرات العلمية: فعُمقه العلمي وبيانُه الواضح كانا خير دافع ومعين لتلامذته على فهم وإستيعاب المناهج الدِّراسية العلمية، ومن هنا كان تلامذته من النُّخبة العلمية التي عُرفت بالعُمق والنُّضج العلمي، ومنهم أخوه الشيخ علي زين الدين، (توفي: ١٤٠٦هـ)، والذي« كان من أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ومن أبرز من اشتُهروا بتدريس كتاب[كفاية الأُصول] حيث تخرَّج به

العدد الكبير من طلاّب الحوزة النجفية »[١].

ومنهم أيضاً الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي العالم والباحث المعروف؛ والدكتور السيد محمد بحر العلوم؛ والسيد حسين بحر العلوم؛ والدكتور السيد مصطفى جمال الدين؛ والشيخ محمد مهدي الآصفي؛ والشيخ أحمد البهادلي؛ وأمثالهم وهي شخصيات مشهودٌ لها بالعلم والفضل.

يقول الدكتور السيد مصطفى جمال الدين: تمحَّضتُ في أكثر دروسي بعد ذلك على الشيخ محمد أمين زين الدين، فأخذت عنه [الكفاية]، و[الرسائل]، وقسماً من [المكاسب]، وأكثر[شرح منظومة السّبزواري] في الفلسفة الإسلامية، وقد تنقّلت في حياتي الدِّراسية عل أساتذة كثيرين، ولكني لم أجد من هو أجلى بياناً، وأكثر إيصالاً من الشيخ محمد أمين زين الدين. وكانت لأستاذي هذا رحلات سنوية قد تمتدُّ أشهراً في بعض الأحيان، يستوطن فيها قريته(نهر خوز) في قضاء(أبي الخصيب) أو يذهب فيها للإرشاد والتَّوجيه الدِّيني إلى أتباعه في البحرين، فأجد عناءً كبيراً على العُثور على أستاذ أنسجم مع بيانه إنسجامي مع الشيخ زين الدين[٢].

(ب) التَّشجيع على الإنفتاح الفكري والثَّقافي: على العكس ممّا كان سائداً في أجواء الحوزة من تحذير الأساتذة لطلاّبهم من الإنشغال بغير كتب الدِّراسة، ومن الإقتراب من وسائل الإعلام الحديثة، كالراديو والتلفزيون والصُّحف، ومن إقتناء كتب الضّلال، وتعني -عند الأغلب- كلّ الإصدارات الفكرية والثّقافية الجديدة.

وبذلك ينشأ طلاب العلوم الدينية في جوٍّ منغلق، وفي حالة من العُزلة والإنكفاء عن كلِّ ما يحدث في العالم من تطوّرات.

على العكس من ذلك، كان الشيخ زين الدين يُشجِّع تلامذته على الإنفتاح

(١) الفضلي: الدكتور الشيخ عبد الهادي [مجلة الموسم]: (العدد ٩ - ١٠/ ص١٨٤).
(٢) جمال الدين: السيد مصطفى [الديوان]: (ص٣٠) دار المؤرخ العربي - بيروت(١٩٩٥م).

الفكري والثّقافي والسِّياسي، ليُواكبوا تطوُّر العالم والحياة، وما كان يخشى عليهم من ذلك الإنفتاح وقد تسلَّحُوا بالأصالة، وامتلكوا قُوّة الفِكر والثِّقة بالنَّفس والمبدأ.

وقد تحدّث السيد مصطفى جمال الدين عن الحلقة الأدبية التي أنشأها الشيخ زين الدين، وإنضم إليها السيد مصطفى، وكانوا يُتابعون فيها« الإطّلاع على كلِّ جديد يصدر في المكتبة العربية وصحفها ومجلاتها.. على أيِّ حال كنّا نمتاز عن الأجيال الأدبية التي عاصرناها في النجف، أننا كنّا كثيري القراءة والمتابعة لكلِّ ما هو جديد، فإذا كان زاد النّاشئة التي نتعايش معها دواوين السيد محمد سعيد الحبوبي؛ والسيد حيدر الحلي والشّبيبي واليعقوبي من الجديد، ودواوين المتنبي والبحتري والشريف الرضي ومهيار الديلمي من القديم، فقد أضفنا إلى ذلك كلَّ ما تيسَّر لنا من دواوين الشُّعراء العرب المحدثين، بما فيها موجة الشِّعر الحديث، بل إنّ بعضنا أخذ يكتب تجاربه بطريقة -التَّفعيلة- التي لا يعتبرها أكثر نُقّاد النجف شعراً. وإذا كان النقد المسيطر على هذه الأجيال التي عاصرناها هو نقد الجاحظ وقدامة بن جعفر وضياء الدين بن الأثير فقد أضفنا إلى ذلك نقد أحمد الشّايب وسيد قطب ومارون عبود وميخائيل نعيمة ورئيف خوري وكثيراً من الدِّراسات الأدبية المترجمة في موسيقى الشِّعر، وأصوات اللغة، عن الفرنسي «غويار»، والأمريكي«سابير»، والرُّوسي «كوندراتوف»، والإنجليزي«إليوت»..»[1].

هذا المنحى في مدرسة الشيخ زين الدين هو الذي جعل تلامذته نخبة متنوّرة منفتحة، قادرة على التّعاطي مع التطوّرات العلمية والفكرية والأدبية في السّاحة.

(ج) تفجير الكفاءات العملية: فقد كان طالب العلوم الدينية في الحوزة يتعبأ من العلم، دون أن يتدرّب أو يتعلّم أساليب بثِّ العلم ونشره، فليست هناك دروس للكتابة أو الخطابة أو الإدارة أو العمل الإجتماعي، بل كان هناك تكريس للعزوف

(١) المصدر السابق: (ص٤٢ - ٤٤).

عـن هذه الأنشـطة والممارسـات، لأنها تشـغل الطالب عـن العلم، وهـي أدوار لا تتناسـب مع الوزن العلمي. لذلك يتحدّث السـيد مهدي الحكيم عن الضُّغوط التي مُورسـت على والده لكي يمنعه من الخطابة الجماهيرية وإلقاء المحاضرات، فتلك وظيفة الملالي و« الروزخونية » والقُرّاء، ولا تتناسب مع المقام العلمي!!

وحينما اهتمّ الشـيخ باقر شـريف القرشـي ببحـث حياة الأئمـة والتحقيق في سـيرتهم والكتابة عـن تاريخهم، وأصدر كتابيه المشـهورين[حياة الإمام الحسـن] و[حياة الإمام الكاظم] قرّر بعض موزّعي رواتب الطَّلبة من قبل المراجع قطع راتبه ومكافأته الشَّهرية، لأنه ما عاد يصدق عليه أنه طالب علم بل كاتب وقرطاسي!!

أمَّا الشِّعر والأدب فإنَّه يزري بالعلماء، كما قال أحدهم:

ولـولا الـشِّـعـر بالعلماء يـزري لـكـنـتُ الـيـوم أشـعـر مـن لبيد

وقـد ذكر الأسـتاذ علـي الخاقاني في موسـوعته [شـعراء الغـري] عن بعض العلماء أنّهم أتلفُوا دواوين شعرهم حفاظاً على سمعتهم العلمية.

كان هذا هو الجوُّ السَّـائد في الوسط الحوزوي، ولكن الشيخ زين الدين وهو يهيّـئ طلابه وتلامذته للقيام بدورهم الرِّسـالي، ووظيفتهم الشَّـرعية في اسـتنهاض الأمـة، وتوعيتهـا بدينها وواقعها، ودفعها نحو بناء المسـتقبل الأفضـل لذلك توجّه لتفجير كفاءاتهم العملية، وتشـجيعهم على الإمسـاك بسـلاح القلم، وصقل سـيف اللسان، وامتلاك لغة الأدب الحديث.

كان الشيخ زين الدين يشقّ أمام تلامذته طريق الأدب المعاصر وقدَّم لهم من كتاباته وشعره نموذجاً ونهجاً يقتفون فيه أثره.

يقول الأستاذ علي الخاقاني:

«ولـمزيـد فضلـه فقـد أخذ عليـه الفقه والأصـول رعيل مـن شـبابنا المثقَّف،

واطمأنَّ إلى خبرته الأدبية فريق من الأدباء المعروفين من النَّاشئة. وقد حباه الله بمواهب عالية في الأسلوب، فهو موفّق فيه يستولي على الألباب الواسعة ويهيمن على القلوب المتحجِّرة، وكُتبه التي ألَّفها دلَّت على خبرته وإتقانه للأُسلوب الأخَّاذ المشفوع بالخواطر الجليلة... وبقدر ما أُوتي موهبة في الأُسلوب النَّثري فقد حاز على مقياس كبير في الشعر»[1].

وهو صاحب أوّل مبادرة لتدريس الأدب الإسلامي في الحوزة العلمية، كما كان يُشجِّع طلابه ضمن حلقته الأدبية على التمرُّس في فنون الشِّعر والأخذ بألوان الأدب.

يقول السيد مصطفى جمال الدين: «كنت أنا واحداً ممّن انضمّ إلى حلقة الشيخ زين الدين. وكانت في أول أمرها في مدرسة الخليلي ثم انتقلت إلى مدرسة الآخوند الوسطى. وفي هذه المدرسة انضمّ إليها قطب آخر هو الشيخ سلمان الخاقاني بما له من ثقافة واسعة، واطلاع على كل جديد يصدر في المكتبة العربية وصُحفها ومجلاّتها، وكان نشاطنا الأدبي يُثيره فيها كل من الشيخ زين الدين والشيخ الخاقاني بأسئلة شعرية يطلب الإجابة عنها شعراً، أو اقتناص موضوع طريف يتسابق فيه الجميع، ثم يحكّم أحد شعراء النجف البارزين يومئذٍ كاليعقوبي أو الجعفري للحكم بأجود قصيدة لهؤلاء المتسابقين، وهكذا»[2].

ويقول أيضاً: «أمّا حياتي الأدبية والشِّعرية بوجه خاص فإذا كنت مديناً فيها لأحد فلهذين الشّيخين الجليلين: محمد أمين زين الدين.. وسلمان الخاقاني، فهما اللذان وضعا اللبنة الأولى في أساس ظللتُ أبني عليه بعد ذلك»[3].

(د) تهذيب النَّفس وصقلها بمكارم الأخلاق: حيث كان خير قدوة لتلامذته،

---

(١) الخاقاني: علي[شعراء الغري]: (ج٧/ ص٢٩٥)، مكتبة آية لله العظمى المرعشي (رقم ١٤٠٨).

(٢) جمال الدين: السيد مصطفى [الديوان]: (ص٤٣).

(٣) المصدر السابق: (ص٣٠).

وما كان بحثه عن الأخلاق عند الإمام الصّادق عليه السلام، والذي طبع في كتاب مستقل إلاّ بلورة وصياغة لبعض أحاديثه وتوجيهاته الأخلاقية لطلاّبه.

كما كان يغرس في نُفُوس تلامذته هُموم الأمة، ويضعهم أمام مسؤولياتهم في التّصدِّي لمهمّة الإنقاذ والتَّغيير.

لذا نرى تلامذته وقد أصبحوا قادة لمسيرة الإصلاح والنَّهضة في مجتمعاتهم، وروّاداً بارزين في ساحة الصَّحوة الإسلامية المعاصرة.

ونشير إلى بعض تلامذته كنماذج للتَّدليل على هذه الحقيقة.

١- السيد مهدي الحكيم: أُستشهد سنة (١٩٨٩م) كان اليد اليُمنى لوالده الإمام الحكيم ومعتمده في المهام السياسية بشكل خاص، حيث كان يقيم في بغداد، وكانت السُّلطات الحاكمة تنظر إلى دوره الفعّال بقلق وإرتياب، وتراه مصدر خطر على إستبدادها وسياساتها القمعية الفاسدة.. فحاكت ضدّه المؤامرات حتى اضطُرّ لمغادرة العراق، واستقرّ به الأمر لبضع سنوات في إمارة دبي، حيث نظم شؤون المؤمنين هناك وجمع شملهم، وأشاد مؤسسة لإدارة أوقافهم، وحينما تحرّكت السّاحة الإسلامية في العراق بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كان له دور قيادي سياسي بارز، حيث انتقل إلى لندن والتي أصبحت منطلقاً لنشاطه، وأسّس«رابطة أهل البيت»، واغتيل في الخرطوم من قبل المخابرات العراقية.

٢- الدكتور السيد مصطفى جمال الدين(توفي سنة ١٩٩٦): من أبرز أُدباء العرب المعاصرين، ويحتل مكانة علمية وسياسية وإجتماعية مرموقة، وكان له ثقله في ساحة العمل الوطني والإسلامي في العراق.

٣- الشيخ مهدي السماوي: وكان العالم الدِّيني لمدينة السماوة العراقية، ومن طلائع الحركة الإسلامية في العراق، ومن العلماء الرِّساليين العاملين، وقد

أُستشهد سنة (١٩٧٩م) على يد أجهزة النظام العراقي.

٤- الدكتور السيد محمد بحر العلوم: وهو علم بارز في المجال السياسي للقضية العراقية، إضافة إلى مكانته العلمية والأدبية.

٥- الشيخ محمد مهدي الآصفي: وهو من قادة الحركة الإسلامية في العراق، وله عطاء علمي وفكري متميّز في السّاحة الإسلامية.

٦- الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي: وهو من أبرز علماء الأحساء المعاصرين، تميّز ببحوثه الفكرية، وتحقيقاته العلمية، وبعطائه الثّقافي الذي جعله في الطَّليعة من مفكِّري الصَّحوة الإسلامية.

٧- الشيخ عبد الأمير الجمري: من أفاضل علماء البحرين وخطبائها المرموقين، ومن قادة الحركة الإسلامية فيها، حيث يحظى بشعبية كبيرة ونفوذ جماهيري واسع.

٨- الشيخ أحمد البهادلي: من أساتذة جامعة النجف الأشرف وكلية الفقه، وكان عضواً في منتدى النشر، وأبرز مؤلّفاته [محاضرات في العقيدة الإسلامية].

هذه النَّماذج المتميِّزة من العلماء والمفكِّرين وقادة الإصلاح والعمل الإسلامي تُدلِّل على منحى مدرسته، ونوعية التَّوجيه التربوي فيها.

وحقاً ما قالته «منظمة الإعلام الإسلامي» في الجمهورية الإسلامية ضمن التَّقديم لكتابه [الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته] حيث قامت بإعادة طبعه سنة (١٩٨٥م)، وأطلقت على الشيخ زين الدين لقب «أُستاذ الجيل العراقي المسلم».

وحقّاً ما قاله فيه سماحة السيد محمد حسين فضل الله:

«وقد انطلق سماحة الشيخ زين الدين في تربية مجموعة من الشباب استطاع

أن يثبت فيهم روح الوعي وحركيه الثقافة الأدبية في الإسلام والفكرة، فكان منهم الكتّاب والشعراء، ولذا فقد أطلق البذرة الأولى في أرض الحوزة في النجف الأشرف في نشوء جيل مسلم منفتح على العصر بأسلوب العصر، وفي دائرة ذهنيته؛ وبهذا يعتبر سماحة الشيخ زين الدين من أوائل المجددين في هذا الاتجاه».

٤- التجديد الفكري والثقافي:

كانت الأمة تعيش تناقضاً حاداً بين الفكر الديني التّقليدي في أُسلوبه وطروحاته، وبين الفكر المادّي الحديث بقسميه الغربي والشّرقي في شعاراته الجذّابة وأُسلوبه الرّائق.

فمع انشداد أبناء الأمة لدينهم، ورغبتهم في التمسّك بأصالتهم، لم يكن الخطاب الديني مشجعاً ولا قادراً على الاستقطاب والإقناع، فأُسلوبه قديم، وأطروحاته متخلّفة عن مواكبة قضايا الحياة، ومواضيعه لا تلامس هموم العصر. وفوق ذلك كلّه فهو قليل التوفّر والحضور في أوساط الجمهور.

أمّا الفكر المادي الوافد فقد أطلّ على نخبة الأمة وجماهيرها في لغة عصرية شيّقة، وعبر آليات وقنوات متنوّعة، كالقصّة والرّواية والمسرح والصّحافة ووسائل الاعلام المتطوّرة.

وهو يقدّم الحلول -ضمن منحاه المادي- لمشاكل يعيشها الناس، ويضع المعالجات لقضايا تستقطب اهتمامهم، ويرفع شعارات الإنقاذ والخلاص.

لقد عانى جيل الأمة المعاصر، منذ مطلع هذا القرن، استقطاباً حاداً، وتناقضاً عنيفاً بين ما يرغب فيه من أصالة دينية، وإلتزام مبدئي، وبين ما يحتاج إليه من حلول ومعالجات لواقعه المتأزم، ومشاكله اليومية الحياتية، ولغة عصره المعاش.

وكان الشيخ زين الدين من أوائل علماء الشيعة في العالم العربي الذين أدركوا

عمق هذا التحدّي، وشخّصوا حقيقة المشكلة، واتجهوا إلى معالجتها وتلبيتها.

وكتابات الشيخ زين الدين تعتبر من الكتابات التأسيسية للتجديد في الفكر الإسلامي، ولعله أول قلم ديني لفقيه يتجاوز لغة الماضي في أُسلوبه، ويكتب بلغة الأدب المعاصر، كما هو واضح في كتابه [الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته [وكتابه] العفاف بين السّلب والإيجاب [وكتابه] إلى الطليعة المؤمنة] وسائر كتبه.

يقول الدكتور مصطفى جمال الدين:

«وكان هذا الشيخ -زين الدين- بالإضافة إلى علمه الجمّ، شاعراً من طراز متقدم، وكاتباً بارعاً ذا أُسلوب متميّز، لعلّه أقرب إلى أُسلوب الزيّات، تدلّ عليه رسائله [إلى الطليعة المؤمنة] وكتابه الرائع [الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته] ولعله أول كتاب يظهر في النجف بلغة مشرقة الأُسلوب، حديثة المعالجة لقضايانا الفكرية، كما كان فيلسوفاً أخلاقياً يشهد له كتابه [الأخلاق عند الإمام الصّادق عليه السلام]، ورسالته [كلمة التقوى] في عشرة أجزاء، أكبر دليل على فقاهته، وغير ذلك من مؤلّفاته، وكان هذا الشيخ الجليل محور حلقة من العلماء يمتازون بثقافتهم الواسعة، وأساليبهم الرائعة»[(١)].

ويقول سماحة السيد حسن النوري:

«وأحسب أن قلم شيخنا الفقيد كان فريداً في حوزة النجف من حيث الجمال والشفافية، وإن كان هذا لا يعني عدم وجود أقلام أخرى تميزت بجوانب أخرى من الكمال.

كانت الحروف والكلمات تنساب على لسانه بيسر وطلاقه، كما كانت تفعل حيث يجري قلمه. وإنه ليأخذك من غير اختيار في موضوعاته لأن المضامين رائعة والأسلوب أروع».

---

(١) المصدر السابق: (ص٢٩).

٥- الانفتاح على الجمهور:

النَّمط المعتاد في حياة الفقهاء هو العيش ضمن إطار الحوزة العلمية، والتَّعاطي مع العلماء والطلاب والتلامذة فيها، دون أيّ انفتاح أو تواصل مع جماهير الأمة إلاّ عبر قنوات ونوافذ محدودة قليلة.

فالفقيه والمرجع لا يغادر الحوزة العلمية إلاّ نادراً، وفي حدود الضّرورة. ولا يسافر إلى سائر المناطق والبلدان، ولا يكتب لعموم الناس، وإنما يكتب في مجالي الفقه والأصول وفي مستوى الإستدلال العلمي، ولا يخاطب الجمهور وإنما يلقي بحث الخارج للتلامذة المتخصّصين.

هذا الإنقطاع من قبل المراجع والفقهاء عن ساحة جماهير الأمة، والذي تفرضه الظروف في بعض الأحيان، وتقتضيه الأعراف والتّقاليد غالباً، له آثار سلبية على الفقهاء وعلى جمهور الأمة.

فالفقيه لا يُلامس قضايا الناس، ولا يباشر التَّعاطي والتَّعامل معهم، وبالتّالي فمعرفته بهم وإدراكه لآلامهم وآمالهم محدودان ومتأثّران بالقنوات والنَّوافذ الموصلة بينه وبينهم.

كما أنَّ حضور الفقيه وسط الجمهور يعطي للناس زخماً معنوياً كبيراً، ويكرِّس انشدادهم وارتباطهم بالدين والقيادة الدِّينية.

من هذا المنطلق، كان الشيخ زين الدين حريصاً على الحضور والتَّواجد في ساحة الجمهور، عبر رحلاته التي كان يقوم بها سنوياً إلى البحرين والقطيف والبصرة، فيؤمّ الناس في صلاة الجماعة، ويُلقي فيهم الدُّروس والخطب، ويستقبلهم ليجيب على تساؤلاتهم، ويتحادث معهم، ويتقبّل دعواتهم، ويدخل بيوتهم ومنتدياتهم.

يقول الأستاذ سالم النويدري:

«كانت له زيارات منتظمة للبحرين في كل عام، حيث يقضي في ربوع قرية آبائه -كرزكان- على السّاحل الغربي للبحرين ثلاثة أشهر متّصلة، يُقيم الجمعة في جامعها المشهور الّذي تؤمُّه جماهير البحرين المؤمنة من مختلف المدن والقرى، وكان يتنقّل في أرجاء البلاد ليتحف المؤمنين بمحاضراته القيّمة ومواعظه المؤثّرة.

«ومثل ذلك كان يفعل في -القطيف-، وفي مسقط رأسه بمدينة -البصرة- ثمّ يعود أدراجه إلى دار هجرته في -النجف الأشرف- ليرفد طلاّبه الّذين ينتظرون قدومه متلهفين بفيض معارفه وزاخر علمه وناصع بيانه، ويكلأهم برعايته وحنانه الأبوي الفيّاض..

ولئن نسيت، فلا أنسى تلك المجالس التي كانت تجمعنا بسماحته في البحرين حيث يتحلّق الشّباب المؤمن من حوله، وكلّهم آذان صاغية لذلك السّلسال العذب من الألفاظ، وهو يردّ على أسئلة الحاضرين، فيشيع في أرجاء المجلس روحانية قلّما تلحظها في مجالس أخرى.

وكانت هيبته ووقاره لا يمنعان الشباب -ولو كانوا في سنّ الحداثة- من الإرتشاف من معينه العذب، لما يلمسونه فيه من إقبال منقطع النّظير على احتضانهم والإقتراب من حياتهم، والولوج إلى أعماق مشاكلهم، وهذا ما لم يعهدوه حتى فيمن دونه رتبة ومقاماً، من حملة العلم وأرباب الفضل في مجتمعهم»[١].

ويقول الحاج كاظم يوسف التميمي: «كانت زياراته المنتظمة للبصرة في فصل الصيف أشبه بمواسم التثقيف والتوعية، حيث تستضيفه مكاتبها الإسلامية فيسارع إليه المؤمنين ويجتمع لديه الدعاة العاملون في سبيل الله، يستمعون إليه

---

(١) النويدري: سالم [أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين]: (ج٣/ ص٣٢٦) - الطبعة الأُولى (١٩٩٢م).

محاضراً في موضوع أو متحدثاً في مناسبة، وفي حديثه من قبسات الفكر والمعرفة وهدي القرآن وسيرة الرسول ﷺ وآل البيت عليهم السلام وجهاد المسلمين في صدر الإسلام ما يغرس في النفوس حتمية انتصار الإسلام، ويهوّن أعباء الطريق الطويل، ويخفف عنهم ضغوط الواقع المختلفة.

كما يتوافدون إلى بيته في نهر خوز في زيارات جماعية، فكان ديوانه المتواضع ملتقى لمريديه، وأغلبهم من الشبان المتحمسين لتلقّي أفكاره وتوجيهاته، وقد كان لي شخصياً شرف الحضور والإفادة من أفكاره السليمة وآرائه السديدة، مع بعض الأخوة البصريين ومن الشهيد الشيخ عارف البصري، وهو من مريديه والمقربين إليه، وأول من دعاني لزيارة الفقيد وعرفني عليه. ومنهم المرحوم الشيخ سهيل نجم السعد وآخرون. كما كانت للشيخ الفقيد رحمه الله زيارات عمل ونشاط فكري وتربوي في البحرين والقطيف وسيهات على الساحل الشرقي للخليج، يتجول بين مدنها وقراها، وتنعقد مجالس الوعظ والإرشاد أينما حلّ، ولا يفوتني أن أذكر أنه كان يدفع المرتبات الشهرية لطلبة الحوزة العلمية في النجف، ويسهم في إعالة ما يقرب من ثلاثة آلاف عائلة في النجف والبصرة بعد فرض الحصار على الشعب العراقي».

وكان للشيخ زين الدين انفتاح مميّز على الطّبقة المتعلّمة والمثقّفة من الأمة من أساتذة الجامعات وطلابها، حيث وجدوا فيه ملاذاً للإجابة على إشكالاتهم وتساؤلاتهم، وكان يرفدهم بالتشجيع والدّعم الرُّوحي، ويُعطي من نفسه ووقته للإجابة على أسئلتهم تحريرياً حينما يراسلونه وبشكل مسهب مفصّل، وقد جمع بعض تلك الإجابات وطبعها في كتاب بعنوان [إلى الطليعة المؤمنة] اشتمل على ثمانية وأربعين رسالة.

ويُشير في فقرة من احدى تلك الرسائل إلى اهتمامه بمراسلة أولئك الشباب على كثرتها، وأنّه يعطيها الأولوية على سائر بحوثه وكتاباته، فيقول في سياق

الإعتذار لأحدهم لتأخره في الإجابة على أسئلته:

« وقد وردت عليّ أمنيّتك هذه أيُّها العزيز وأنا في ضائقة من الشَّواغل، فماذا أعمل، وماذا أصنع؟.

فهل تعلم أنَّ بين يديَّ أكثر من عشرين عملاً يتطلَّب الإنجاز؟

وفي ضمن هذه الأعمال أكثر من ثلاثين سؤالاً ينتظر الجواب؟

وأنَّ بعض هذه الأسئلة يفتقر إلى أكثر من خمس صحائف في الشَّرح والتَّعليق؟

هل تعلم أنِّي منذ شهرين كاملين، لم أكتب جملة واحدة في الحلقة الثَّانية من كتاب [الإسلام]؟!»(١).

ويقول ضمن رسالة أخرى:

«إنَّني لا أتساهل -ما استطعت- في أمر تفرضه عليَّ الدَّعوة إلى الله والدَّلالة على سبيله، وإنَّ من مهمّات هذه الأُمور لديّ أجوبتي على مسائل الشباب الميامين الذين أعقد عليهم الأمل، وأتوسَّم فيهم الخير، والَّذين يجعلونني موضعاً لثقتهم فيفضون إليَّ بشبهاتهم، ويبثُّون إليّ شجونهم في رسائلهم.

لا أتسامح ما استطعت وما يكون لي أن أتسامح وأنا أعلم أنَّها أمانة كبيرة يحاسبني الله عليها ويسألني عن الوفاء بها، أمَّا محاسبة الضَّمير ومسألته فهما دون ذلك في موازين أهل الدعوة وفي موازين أهل الدين»(٢).

---

(١) زين الدين: محمد أمين [إلى الطليعة المؤمنة]: (ص٢٠٥) - الطبعة الثالثة(١٩٨٥م)، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
(٢) المصدر السابق: (ص٥٥).

تلك كانت بعض المعالم من منهج الإصلاح والتّطوير في حياة الشيخ محمد أمين زين الدين، والتي يتلاشى فيها حُضُور الذَّات إلى أقصى حدٍ ممكن، بينما يتركّز فيها العمل من أجل الهدف المقدَّس، والإخلاص للرِّسالة المنقذة، والحركة والنِّشاط لتطوير الأمة، فهي تمثّل تجربة رائدة في الإصلاح دون حضور الذات.

بالطّبع فإنَّ لكل تجربة ظروفها وخصائصها، ولكلٍّ مصلح أُسلوبه وطريقته، وحينما نقرأ أيَّ تجربة فإنَّها لا تُغنينا عن سائر التَّجارب، ولا تلغيها ولا تخدش من قيمتها، بل تجعلنا أمام أفق جديد، وخيار آخر ودروس إضافية.

رحم الله الشيخ زين الدين ورفع درجته ومقامه في الجنّة، ووفَّق الله أبناءه وتلامذته والعاملين المخلصين من أبناء الأمة لمتابعة مسيرته وتحقيق أهدافه الإسلامية العظيمة.

ملامح من أفكاره وآرائه

فقرات مقتبسة من بعض كتابات الشيخ زين الدين بمثابة عينات على فكره الرسالي وآرائه الإصلاحية

تصحيح نظرة رجال الدين إلى الشباب:

«والمظنَّة التي يظنها فريق من أصحاب المنابر ورجال الدين ببعض الشباب فيبعدون عنهم، وينفرُّونهم من قُربهم، هذه المظنّة السيّئة هي مصدر البلاء الذي حاق بنا يا عزيزي والذي جنينا ثماره وحملنا آصاره.

وما ضرّ رجل الدين أو خطيب المنبر، أن يبسط خلقه وعلمه للنّاقد من الشباب أو غير الشباب، حتى يحيله مادحاً، وللجاهل حتى يصيره عالماً، وللغاوي حتى يجعله رشيداً.

وهـذا الشـاب أو الغاوي ليس بأحطّ نفسـاً ولا أسـوأ قصـداً ولا أقلّ قيمة من ذلـك البـدوي الغليظ الجافي الذي كان الرسـول ﷺ يسـتقبله بإبتسـامة العطف واللطـف، ثـم يفترش معه الحصى ويكـبّ عليه يفحـص أدواءه داءاً داءاً، ويعالجها واحداً واحداً، ولا يفارقه إلا وهو أحب الناس إليه وأشدّهم إنقياداً لقوله.

إنهـا دروس رفيعة رفيعة يا عزيزي لو أننا اتبعناها في مجالاتنا من الدّعوة إلى الله، لأفدنا منها خيراً كثيراً وكفينا شراً كثيراً.

ومنبر الدّعوة لم يُؤسِّس حين تأسَّس لتعليم العالم وإرشاد الرَّشيد، ولو كانت هذه مهمته لفقد جدواه وبطلت حكمته»[1].

التديّن الانطوائي بعيد عن روح الإسلام:

«أمّا الإيمان القاصر المنطوي فإنّه بعيد عن روح الإسلام الهادية المتفائلة التي تريد أن تفتح الدنيا وتنير أقطار المعمورة وتعمر آفاق الناس وقلوبهم وضمائرهم.

أي وعينيك، إنَّ هذا اللون الحائل من الإيمان أبعد الأشياء عن روح الإسلام.

وأسـميه قاصـراً منطوياً لأنه قد يمـلأ جانباً واحداً من جوانـب النفس الكثيرة ولكنه لا ينفذ إلى جوانبها الأخرى.

فقد يتلقّى الإنســان عقيدة الإسلام بفكره المجرّد فينظر فيها نظراً ثاقباً ويؤمن بهـا إيماناً شـديداً، ولكـن النّواحي الأُخرى من نفسـه، ولكن حبَّـه وآماله وعواطفه ومشـاعره، تكـون بعزلـة كاملة عن ذلك، فلا تؤثّر فـي إيمانه شـيئاً ولا تتأثَّر به، كأنَّ الأمر لا يعنيها بشيء أبداً.

ومعنى ذلك أنَّ هذا الإنســان آمن إيماناً جافاً صلداً ليس فيه طراوة الحب ولا

---

(١) المصدر السابق: (ص٣٣).

نبضة العاطفة ولا تجدّد المشاعر ولا ابتسامة الأمل.

ومعنى ذلك أنه آمن إيماناً يائساً متشائماً قاسياً يظن في ما حوله الظنون وينظر إليه بريبة، يحكم بالضّلال على من خالفه لأقلّ بادرة، وييأس من صلاحهم لأدنى تهمة، وهو من أجل هذه الأزمة التي تأخذ عليه آفاق نفسه، لا يجهد بإبلاغ دعوة ولا يأمل في إقبال فتح، ولا يرجو إشاعة صلاح أو تقويم عوج.

إنَّ هذا الإيمان المنطوي أبعد الأشياء عن روح الإسلام وعن رشد القرآن، وعن هدي الرسول، والدعاة المسلمون هم الذين يستقبلون أعداءهم الأشدّاء الألدّاء بإبتسامة الحب وعطف الأُخوّة، ويتلقونّهم بسماح الإسلام وأخلاق الرسالة فيفعلون العجائب ويحقّقون المعجزات»[1].

الإسلام يرفض التّمييز بين المواطنين:

«أيَّ دين هذا الذي يشعر أتباعه بالسمو على المواطنين الآخرين في الحقوق والواجبات والحريات الفردية والجماعية التي يعترف بها الدين، وأمام محاكم العدل، وسلطان التنفيذ؟

أيَّ دين هذا الّذي يشعر أتباعه بالسُّمو على المواطنين الآخرين في شيء من ذلك؟ والدين الذي يرتكب ذلك يثبت بطلان نفسه، ويناقض العدل الذي يكدح هو وأتباعه في الدّعوة إليه.

أمّا الإسلام على الخصوص فإنّه أعظم الأديان براءة وأشدّها نزاهة عن هذه الهنات... وتاريخه النيّر المشرق، ومناهج تشريعه العادلة براهين صدق على هذه الدّعوى.

والمواطنون الآخرون حين يعلمون أنَّ الدين الرَّسمي للدولة يصون لهم

(١) المصدر السابق: (ص٣٦).

حقوقهـم كاملة، ويضمن لهم حرياتهم دون ميل ودون انحراف، لا يشـعرون بغربة أو ببعد عن الفئة ذات الدين الرسمي ويشعر الجميع بالمساواة والطمأنينة كما يدعو إليها الإسلام، ويتعاون الجميع من أجل مصلحة الدولة ومصلحة البلاد.

إنَّ الإسـلام يُنمِّـي الكفـاءات في أتباعـه وفي مواطنيـه على السَّـواء، ويمهِّد للمواهـب أن تظهـر وأن تتفتّـق، ويهـيء لهـا الأجـواء الصَّالحـة، ويمدُّهـا بالتّربية الموجّهـة، ويسـتثمرها جميعـاً لمصلحة المجتمـع ومصلحة الدولـة دون ميل ولا مواربـة، إلاّ أن ينحـرف ذو الكفـاءة فيعمل طاقته في هدم الإسـلام وشـلِّ حكومته والكيـد للمسـلمين والفتـنة لهم في دينهم، وإذا ثبـت ذلك فلا جور ولا ضير في أن يؤدَّب المعتدي»[1].

لنتجاوز الحديث عن الأمراض إلى تقديم العلاج:

إنَّ السـبب -للواقع السيئ- هو الجهل، ومصدر الجهل هو تقصيرنا نحن في تقديـم الغـذاء النافع لأبنائنـا والدواء النّاجـع لأدوائهم، تقصيرنا الـذي لا بدّ لنا من الإعتراف به والإستغفار منه، والعمل للتخلص من نتائجه.

لقد عرفنا السـبب وعرفنا المصدر الذي حدثت عنه جرثومة الدّاء، وقد آن لنا أن نفيد من التجربة، وأن نعمل لحسم الدّاء، وإقتلاع جذوره وإبادة بذوره.

هذه هي الثّمرة الصّحيحة المحمودة التي يجب أن نجتنيها من تشخيص الدّاء وتعداد الأخطاء.

أمّا أن نشـغل أوقاتنا وأنفسـنا بتعداد الذُّنوب والإعتـراف بالتَّقصير دون عمل مجـد، فهـذا مـا لا يجرّ لنا إلا خبالاً ووبـالاً.. لا يثمر لنا غير إضاعـة الوقت وتكرار الخطيئـة، وتضخم النتائج وإرهاق النفوس بالشـعور بالإثم، وإضعافها بل وإذلالها

(١) المصدر السابق: (ص٤٣).

بالإيحاء إليها أنّها لا تستطيع فكاكاً ولا تملك علاجاً.

فلنعمل إذن مجدّين، فقد مضى وقت الكسل والهزل.

لنبيّن للناس ما يرشدهم ويصلحهم ولنوضح للنّاشئة ما يصونها ويثبتها، ولنقدم للعقول ما يغذيها ويزكيها.

لنثبت لأبنائنا إثباتاً ليس بعده مجال للشكّ أنّ دين الله أولى بالقبول وأنّ دعوة الله أحقّ بالإستماع وأنّ مبدأ الله أحقّ بالإتباع.

ليعمل كلٌ منّا في هذا السّبيل قدر طاقته ومبلغ جهده وحسب اختصاصه»[١].

متى ترتفع راية الإسلام:

«متى ترتفع راية الإسلام؟ ومن سيرفعها وأين سترتفع؟

ستتحقّق هذه الأُمنية ـ بإذن الله ـ يوم يجدّ العاملون من أبناء الإسلام في تطبيق مناهج دينهم وحدود كتابهم، يوم ينتشر الوعي الإسلامي الصحيح بين أبناء الأمة، وتنمو التربية الإسلامية لناشئتها، والتفهم الكامل لأسرار الشريعة، ويخلص الجميع في حمل الدعوة إلى الله وتأدية الواجب في الدين.

سترتفع راية الحق بأيدي تلك الفئة المجاهدة في سبيل الله وفي تلك البلاد التي تسمو بالخضوع لحدود الله ويتآزر أهلها لإعلاء كلمة الله.

أمّا إذا رغبنا نحن أن نكون من تلك الفئة وأن تكون بلادنا من تلك البلاد فإنَّ علينا أن نحمل تلك الأعباء ونؤدِّي ذلك الثمن»[٢].

---

(١) المصدر السابق: (ص٥٨).

(٢) المصدر السابق: (ص٦١).

الشَّخصيّة الإسلامية:

«ما هي الشَّخصيّة؟

مجموعة من السِّمات والخصائص، تجتمع فتكوّن للفرد هويَّة خاصَّة تميِّزه عن الأفراد الآخرين، وبمقتضى علو تلك الصِّفات والخصائص وهبوطها، واستقامتها وإنحرافها، يتعيّن مركز الفرد في مجتمعه، علواً وهبوطاً، واستقامةً وإنحرافاً، وهي سرُّ نجاحه أو إخفاقه في الحياة، وهي أساس قبوله أو رفضه لدى الآخرين.

هذه هي الشَّخصية، فإذا تألف من تلك المجموعة نظام كامل مترابط سميت الشَّخصية متكاملة.

وتقابلها الشَّخصية المنحلَّة المفكَّكة: التي لا يكون بين مجموعة صفاتها ترابط، وتقابلها من وجه آخر الشَّخصية القلقة: التي تصطرع فيها عدَّة من الصِّفات المختلفة النُّزوع، المتضادّة الإتجاه.

والشَّخصية الإسلامية المتكاملة: هي التي تكون مجموعة الصِّفات والخصائص فيها كلها من صنع الإسلام ومن إشعاعه، ويكون التّرابط ما بينها على ضوء مناهجه وتربيته.

هي التي يصوغها الإسلام وفق مناهجه، ويمدّها من قوته، ويوجّهها إلى غايته، فلا ضعف ولا قلق، ولا تفكّك ولا إنحراف»[1].

ثقافة المرأة وأدوارها الاجتماعية:

« لماذا لا نفتح لفتياتنا المدارس والمعاهد والكليات الخاصة بهنَّ، ونهيّء

---

(١) المصدر السابق: (ص٢٤٧).

لهنَّ الأستاذات القديرات ذوات الكفاءة، اللاتي يضمن لتلميذاتهنَّ بلوغ الغاية في أيِّ حقل من حقول الثقافة، وفي أي فرع من فروع العلم؟

وحاجة بعض النِّساء إلى الخبرة والتَّجربة لا تقلُّ عن حاجة الرجال.

ماذا تعمل التَّاجرة التي ورثت عن أبيها أو قريبها تجارة كبيرة متعدِّدة الجوانب، متَّسعة الأقطار، ألا تفتقر إلى تجارب وخبرة تدير بها تجارتها، وتدبّر أعمالها ومعاملها، وإن كانت من وراء حجاب؟

والملاّكة التي انتقلت إليها بالوراثة الشَّرعية وفرة من الأراضي والأملاك، متباعدة الأمكنة مختلفة الإنتاج، ألا تحتاج إلى خبرة وتجارب تدبّر فلاحيها ووكلاءها وتستثمر أراضيها، وإن كانت لا تختلط بالرجال؟

ومملكتها الصَّغيرة: بيتها، زوجها، أطفالها، أُسرتها، ألا تفتقر في تدبيرها وحسن رعايتها إلى خبرة واسعة وتجارب مضمونة؟

الإسلام لا ينكر قابلية المرأة، ومن أجل ذلك فرض عليها طلب العلم كما فرضه على الرجل، وفسح لها باب العمل كما فسحه للرجل، ووعدها بالدرجات الرفيعة والحياة الطيبة -إذا عملت صالحاً- كما وعد الرجل، سواءٌ بسواء.

والإسلام لا يعيّن للمرأة نوعاً من الثَّقافة، ولا فرعاً من العلم، فلها أن تختار ما تشاء منها، وهو يحبّ لها أن تبرز وتتفوّق في النوع الذي تختاره من الثّقافة، والفرع الذي تتخصص به من العلم، مع مراعاة حدودها الشَّرعية.

وأمّا علم الدين: علم ما يبين لها عقيدتها، ويصحّح لها عملها، فهو واجب عيني عليها، كما هو واجب على الرجال، والإزدياد منه على هذا المقدار واجب كفائي على الجميع، وفي النساء من بلغن الدرجات العالية في هذه الحقول، وفي النساء المعاصرات من شهد كبار المجتهدين لها ببلوغ درجة الإجتهاد، وحصافة

الرأي في الفقاهة»[١].

حرية الرأي في بلاد الإسلام:

« وقد كان للسُّلطة -العراقية- القائمة في تلك البرهة موقف من الكتاب [العفاف بين السَّلب والإيجاب] لا يحمده الإسلام، ولا ينساه المسلمون في النجف، والله وحده هو الرقيب الحسيب.

ولقد عجبت كثيراً وعجب أصدقائي الذين قرؤا الكتاب، وسيعجب الآخرون الذين سيقرؤنه بعد هذا، لماذا كان ذلك المنع، ولماذا كان الإصرار عليه والمبالغة فيه؟!

تمنع كلمة الإسلام، أن يجهر بها في بلاد الإسلام، وبين أبنائه، وفي حكومة يعلن دستورها المؤقت والدائم أنّ دينها الذي لا تستبدل به ديناً سواه هو الإسلام؟!

تمنع كلمة الإسلام أن تُقال في هذه البلاد وتحت ظلِّ هذه الحكومة، ثم لا تمنع كلمات وأقوال وكتب ونشرات تنابذ الإسلام، بل وتنال من قدسه؟

ولست أقصد من قولي هذا أن تمنع هذه الدَّعوات والإدِّعاءات، فإنَّ الإسلام لا يخشى منها أبداً ولا يهوله أمرها، ولا يجد فيها ما يصلح أن يُعدّ منافساً، ولكنّ المقصود من ذلك القول أن يفسح المجال لكلمة الإسلام كما يفسح لغيرها سواء بسواء، فتنتشر دعوته دون تحريف، وتعلن حجته دون منع، وتبين حكمته دون ميل، أن يصنع كذلك ليتخذ العقل الواعي سبيله في البحث الحر والموازنة الكاملة والإستنتاج الصحيح.

أمّا أن تخنق وتوأد هي وحدها دون ما سواها فهذا ما لم يدر في حسبان!!

---

(١) المصدر السابق: (ص٢٥١ - ٢٥٦).

وبعد الإستنكار الشديد من الطبقات المؤمنة في النجف، وبعد الإحتجاج البالغ من المراجع العليا في الدين عادت النسخة المخطوطة الوحيدة المصادرة من الكتاب وعلى كل صفحة منها ختم للمنع، وتحت كل سطر منها خط أحمر، حتى تحت الآيات القرآنية التي ذكرت في طوايا الكتاب»[١].

التّمييز بين النافع والضّار في الحضارة الغربية:

والتقدم والحضارة، هل معناهما التقليد البليد لعادات الغرب والإتباع الأعمى لخطواته والرجع المردّد لنغماته، على غير تمييز بين النّافع منها والضّار، وبين المعوجّ والمستقيم؟

من القبيح بالأمة أن لا تكون مستقلة بذاتها حتى في هذه البداءة، وحتى لا تفكر إلا بعقول غيرها ولا تشعر إلاّ بشعوره ولا تنظر في مصالحها وصوالحها إلاّ بمنظاره!!

من القبيح بالأمة أن تكون إمعّة إلى هذه الحدود! والذي لا يستطيع أن يفكر لنفسه بنفسه، ولا يستطيع أن ينتزع عوائده من صميم حياته ومن ملابسات مجتمعه، كيف يؤمل به أن يسمو إلى ذروة أو ينهض بأعباء؟!

والتقليد معرّة كبيرة شديدة، فمعناه الصريح هو الجهل، ومردُّه الواضح هو الضعف وفلسفته الغريبة هي الصغار وعدم الإستقلال، وهي في المجتمع أشدّ نكاية منه، في الفرد.

وقد لا تلام الأمة عليه إذا كان تقليداً فيما ينفع، فإنَّ من العقل أن يفيد الإنسان من تجارب غيره، ولكنها تمتهن وتحتقر ويسخر منها ومن سلوكها إذا كان تقليداً في ما يضر، وتكون أكثر استيجاباً للمهانة والزراية والسخرية إذا كانت تعتقد مع ذلك

---

(١) زين الدين: محمد أمين [العفاف بين السّلب والإيجاب]: (ص٩ - ١١).

أنَّ هـذا التقليد ضروري لهـا ولحياتها، لأنه جهل مكـرّر، وضعف متمكّن، وصغار ذاتـي قاتـل، وهذه هـي الأدواء الأولى التي تفتـك بالأمم وتقتـل معنوياتها وتحكم عليها بالدمار وعلى أمجادها بالإندثار»[١].

الحضارة والتقدم:

«الحضـارة والتقدم تطور في الثّقافة، وتمكّن فـي العلم وإرتقاء في الصناعة، وارتفـاع في الإنتاج والعمـران، والحضارة والتقدم علوّ في الأخلاق وإسـتقامة في السُّـلوك، وصـدق فـي المعاملة وقوة فـي الحفاظ واعتصـام بالكرامـة، والحضارة والتقدم التفاف من الأمة حول مبادئها القويمة وإستمسـاك منها بدينها الحق وقيمها العاليـة، وجمعهـا لأسـباب القـوة وتوكيدهـا لوشـائج الأُخـوّة وتعزيزهـا لمظاهر التضامن.

وليـس مـن الحضارة أبـداً، ولا من التقـدم ولا من العلم ولا مـن المدنيّة، ألا تضاع في الموازين والهبوط في القيم والترهُّل في السُّلوك والتملّق للشَّهوة.

ليسـت هذه الأشياء من الحضارة ولا من التقدم ولا من العلم ولا من المدنية في شيء أبداً، وإن اتخذت أسماء، أُخر وتحلَّت بسمات أُخرى، فإنَّ الواقع لا تُغـيّره الأسماء ولا السِّمات»[٢].

الأقلام والكتابات الطّائفية:

« وفريق آخر من الكُتـّاب المسلمين ملكت عليهم العصبيات الطّائفية مذاهب القول، وأوصدت عليهم منافذ التّفكير، يبغون أن يعرفوا الإسـلام فيصدعون شـمل المسـلمين ويقطعون أواصرهـم ويمزقون وحدتهـم، نعم ويثكلون الإسـلام غايته

---

(١) المصدر السابق: (ص٣٥).

(٢) المصدر السابق: (ص٣٧).

الأثيرة التي قاسى الرسول ﷺ لإنشائها ما قاسى، وكابد المسلمون السابقون لتوطيدها ما كابدوا، وتحمّل التّابعون في تعزيزها ما تحمّلوا!!

مستبدُّون ينظرون في الإسلام من نافذة ضيّقة، ثم يحكمون في أمره ويتحكّمون ويقولون في أهله ويتقوّلون، والله حسيبهم على ما يصنعون.

أرأيت المسلم يكيل التُّهم لأخيه المسلم دون عدّ، ويختلق الأكاذيب عليه دون مراقبة؟!

أرأيت المؤمن يُصوِّر قريبه المؤمن كما يُصوّر الغول، ويتحدّث عنه كما يتحدّث عن الخرافة، ويقسو عليه كما يقسو على الخصم الألد؟!

ثم أتريد أن أضع بيديك ثبتاً طويلاً بأسماء هذه الكتب وبأعلام هؤلاء الكُتّاب؟

اطمحُوا بأبصاركم عالية أيها الإخوة لتروا أنَّ الإسلام أرفع من هذا الحضيض الذي تتنسمون، وأرحب من هذا المضيق الذي تتوهّمون.

الإسلام دين يعصم العقول أن تنقاد لهوى، وعقيدة ترفع النفوس أن تتهم بسوء، ومبدأ ينقي الأفئدة أن تنطوي على ضغينة، وشريعة تطهر الألسن أن تنطق بكذب.. فهل نحن كذلك؟

والإسلام دين تعاطف وأُخوّة، وشريعة مودّة ورحمة، ومبدأ إخلاص وولاء، أليس المؤمنون إخوة كما يعلن كتاب الإسلام في مواضع منه، ورحماء بينهم كما يذكر في مواضع أخرى، وبعضهم أولياء بعض كما يقول في آيات غيرها، ولقد كانت هذه نعوت أسلافنا من قبل، فهل نحن كذلك؟

لا يُلام باحث أن يستعرض المذاهب بالموازنة المنطقية، ويستوعبها بالنَّقد النَّزيه ويحكم في قواعدها البرهان الصحيح، لا يُلام باحث أن يفعل لك تثبيتاً

للحُجَّـة وإسـتيضاحاً للحق، وقد يكـون مثاباً عند الله سـبحانه على فعلـه متى كان حسن النية فيه.

ولكنـه يكون ملومـاً يوم يتحزّب ويتعصّب، ويكـون مُؤاخذاً أعنف المؤاخذة وملومـاً أعظـم اللوم يوم يجرُّه التَّعصُّب إلى ما لا يُحمـد، فلا يبصر غير مطاعن ولا يذكر إلاّ مثالب»[1].

مقاومة الظُّلم والظَّالمين:

«إنَّ الإسـلام لا يرضـى مـن المسـلم أن يخضـع للدَّنـيـّة ويستسـلم للهوان، ويحتّـم عليـه أن يثـأر لكرامته وحريتـه، ويحتم عليـه أن يلزم العدل فـي ثورته وفي إستيفاء حقه، والمسلم يعلم، ما دام ملتزماً بالعدل، أنَّ الله ناصره من الظلم ومجيره من البغي: ﴿**ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّه الله**﴾[2].

فـإذا أعيـا على المظلـوم أن يُـدرك حقّه، وإذا عـزَّ عليه النَّاصـر وصعب عليه الإنتصار، فهل يباح له في شريعة الإسلام أن يتطامن للذُّل وأن يستلين مهاده؟

إنَّ الإسلام يحرِّم عليه هذا النَّمط المرذول من الحياة، ويأبى له الإقامة عليه.

يُحـرِّم عليـه أن يخلد إلى الهون، ويوجب عليه الهجـرة عنه، ويأنف له من أن يفتدي قراره في مكان ما بكرامته.

وليسـت كرامة الفرد في رأي الإسـلام حقاً من حقوقه الخاصة ليكون مختاراً فـي إهدارهـا. إنَّ كرامة الفرد المسـلم هي بذاتهـا كرامة الإسـلام وكرامة المجتمع المسلم فليس من حقِّ الفرد ألبتَّة أن يتغاضى عنها ويتساهل فيها.

إنَّ الإسـلام يأبى الضَّيم، ويأبى لأحد من أبنائه أن يقرّ عليه أو يهادنه، أو يجد

---

(١) زين الدين: محمد أمين [الاسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته]: (ص١٩ - ٢٠).
(٢) سورة الحج: (الآية٦٠).

مسلماً يرزح تحت أثقاله ثم لا يخف إلى نصره وإلى فكِّ إساره، وهو يجنِّد لذلك ضمير المسلم وإرادته وقواه وعامة مشاعره، ويُوطئ له في عقيدته ويربط به أعماله، ويُؤسِّس على ذلك بناء المجتمع المسلم ويقيم عليه صلاته ويحكم وشائجه.

وقد غنم الثَّائرون في تاريخ الإسلام -المصلحون منهم والمفسدون- هذا الإحساس القوي الملتهب في نفوس المسلمين فصرفوه لغاياتهم، ومن أجل ذلك كثر الناهضون في الإسلام وربا عديدهم ولم يعرف التاريخ لهم ضريباً في ذلك»[1].

***

الشيخ محمد أمين زين الدين: سطور من تاريخه وحياته

* الشيخ محمد أمين بن الشيخ عبد العزيز بن الشيخ زين الدين بن الشيخ علي بن زين الدين.
* ولد في «نهر خوز» من قرى البصرة في العراق سنة (١٣٣٣هـ - ١٩١٤م).
* بدأ دراسته الدِّينية في محل ولادته ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة (١٣٥١هـ).
* أسرته من أهالي البحرين، وقد هاجر منها جدُّه الشيخ زين الدين إلى البصرة وأصبح من علمائها، وكذلك كان أبوه الشيخ عبد العزيز المتوفي سنة (١٣٤٧هـ) من علماء البصرة.
* توفي عن عمر يناهز (٨٤ عاماً)، وذلك بتاريخ (٢٠/ ٦/ ١٩٩٨م)، في النجف الأشرف.

(١)(٢) زين الدين: محمد أمين[الاسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته]: (ص٧٩ـ٨٠).

من أساتذته:

١- الشيخ ضياء الدين العراقي: (توفي سنة ١٣٦١هـ) في أُصول الفقه.
٢- الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني: (توفي سنة ١٣٦١هـ) في الحكمة والفقه.
٣- السيد حسين البادكوبي (توفي سنة ١٣٥٨هـ) في الحكمة.
٤- السيد أبو الحسن الأصفهاني(توفي سنة ١٣٦٥هـ) في الفقه.
٥- الشيخ محمد طاهر الخاقاني (توفي سنة ١٤٠٥هـ)في الأصول.
٦- السيد محسن الحكيم (توفي سنة ١٣٩٠هـ) في الفقه.

من تلامذته:

١- الدكتور السيد مصطفى جمال الدين: درس عنده الكفاية والرسائل وقسماً من المكاسب وشرح منظومة السبزواري في الفلسفة.
٢- الشيخ علي زين الدين: -أخو المترجم- توفي سنة(١٤٠٦هـ).
٣- الشيخ أحمد البهادلي.
٤- السيد حسين بحر العلوم: درس عنده الجزء الثاني من [كفاية الأصول] و[شرح التجريد] في الكلام للعلامة الحلي.
٥- السيد إبراهيم الزنجاني: درس عنده المكاسب.
٦- الشيخ مهدي السماوي: (أُستشهد سنة١٩٧٩م).
٧- الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي.
٨ـ الشيخ عبد الهادي الربيعي البحراني.
٩- الشيخ محمد حسين الخزاعي.
١٠- الشيخ محمد رضا العامري.
١١- الشيخ صالح الشيخ مهدي الظالمي: من أساتذة كلية الفقه في النجف الأشرف.

١٢- الدكتور السيد محمد بحر العلوم.
١٣- السيد مهدي السيد محسن الحكيم: (أُستشهد سنة١٩٨٩م) درس عنده الأدب الإسلامي.
١٤- الشيخ عبد الأمير منصور الجمري: من أبرز العلماء في البحرين.
١٥- الشيخ ضياء الدين زين الدين: (ابن المترجم).
١٦- السيد رؤوف جمال الدين: درس عنده العلوم اللغوية والأدبية.
١٧- الشيخ إبراهيم المبارك البحراني: درس عنده [معالم الأصول].
١٨- الشيخ محمد مهدي الآصفي: حضر دروسه في الأخلاق.
١٩- الشيخ محمد حسين حرز الدين.

مؤلفاته:

١- [الأخلاق عند الإمام الصّادق عليه السلام]: مطبوع.
٢- [الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته]: مطبوع.
٣- [إلى الطَّليعة المؤمنة]: مطبوع.
٤- [رسالات السّماء]: مطبوع.
٥- [العفاف بين السَّلب والإيجاب]: مطبوع.
٦- [مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدويّة]: مطبوع.
٧- [من أشعّة القرآن]: مطبوع.
٨- [من أمالي الحياة]: ديوان شعر مخطوط.
٩- [كلمة التّقوى]: (عشرة أجزاء) مطبوع.
١٠- [المسائل المستحدثة]: مطبوع.
١١- [تعليقة على العروة الوثقى] للسيد الطباطبائي اليزدي: مطبوع.
١٢- [تقريرات]: بحث أستاذه الشيخ ضياء الدين العراقي في الأصول، دورة كاملة، مخطوط.

مصادر ترجمته:

١- [أحكام الدين بين السّائل والمجيب]: السيد عامر الحلو (الحلقة التاسعة) - منشورات مركز أهل البيت الثّقافي الإسلامي، فيينا - النمسا (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
٢- [نقباء البشر في أعلام القرن الرّابع عشر]: الشيخ آغا بزرك الطهراني (ج١).
٣- [معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام]: الشيخ محمد هادي الأميني (ج٢).
٤- [شعراء الغري]: على الخاقاني (ج٧).
٥- [أعلام الثّقافة الإسلامية في البحرين خلال١٤ قرناً]: سالم النّويدري (ج٣) - الطبعة الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
٦- [الدِّيوان]: الدكتور السيد مصطفى جمال الدين، الطبعة الأولى(١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) - دار المؤرخ العربي - بيروت.
٧- المرجع الإسلامي الكبير محمد أمين زين الدين في ذكرى الأربعين، إعداد حميد الخاقاني.

مصادر البحث

١ـ القرآن الكريم.
٢ـ العاملي: محمد بن الحسن الحر[تفصيل وسائل الشيعة]: (ج١٥)، مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث ـ قم.
٣ـ الموسوي: الشريف محمد الرضي[نهج البلاغة].
٤ـ زين الدين: محمد أمين[كلمة التقوى].
٥ـ الحلو: عامر[أحكام الدين بين السائل والمجيب]: (الحلقة التاسعة).

٦ـ الفضلي: عبد الهادي(ذكرى الشيخ ميرزا محسن الفضلي)[مجلة الموسم]: (العددان التاسع والعاشر) ـ المجلد الثالث(١٩٩١م).

٧ـ جمال الدين: مصطفى[الديوان]: دار المؤرخ العربي ـ بيروت(١٩٩٥م).

٨ـ زين الدين: محمد أمين[الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته]: (الطبعة الثانية ـ ١٩٨٥م) منظمة الإعلام الإسلامي ـ طهران.

٩ـ زين الدين: محمد أمين[إلى الطليعة المؤمنة]: (الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٥م) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

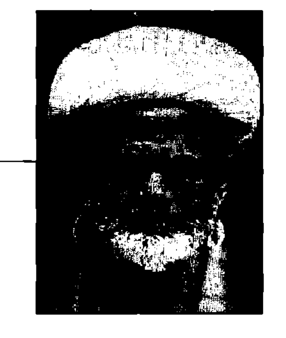
١٠ـ زين الدين: محمد أمين[العفاف بين السّلب والإيجاب]: مؤسسة النعمان ـ بيروت(١٩٩٢م).

١١- الخاقاني، حميد (إعداد) المرجع الإسلامي الكبير محمد أمين زين الدين في ذكرى الأربعين.

١٢- القرشي، باقر شريف، حياة الإمام زين العابدين، دارة الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

١٣- الخاقاني، علي، شعراء الغري، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، ١٤٠٨هـ.

١٤- النويدري، سالم، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.



رجل العلم الديني
خصائصه وموقف الأمة معه

سماحة العلامة الحجة الشيخ ضياء الدين زين الدين
العراق-النجف الاشرف

محاضرة ألقيت في الذكرى السنوية الأولى لرحيل فقيد الأمة الإسلامية آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين ت في البصرة -أبي الخصيب- نهر خوز في اليوم الثالث لربيع المولد- سنة ١٤٢٠هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم أهل الحمد، وأثني عليك بما أثنيت به على نفسك، وأستعينك بما استعانك به حملة عرشك، وأصفياؤك وأدلاء خلقك، وأصلي وأسلم على خيرتك من بريتك، محمد وآله المنتجبين وخلصاء أوليائك إلى يوم الدين.

مقدمة

السلام عليكم أيها الاخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته.

عام مضى على توديعنا لهذا المشعل الخالد من مشاعل دين الله، والنور العظيم من أنوار بصائره، والعَلم الكبير من أعلام كلمته في هذا الجيل، وما سيعقبه من أجيال. عام مضى على فقدنا لهذا الأب البارّ، والمربّي الفذّ، الذي نذر نفسه ووجوده وحياته لبارئه، ولدينه القويم والذبّ عن حياضه، والذود عن كلمته، فاستقام به سلوكه، وأنارت به مقولته، وتجسّدت به بصائره. نعم - أيها الأحبة - فقدناه نوراً، ونحن أحوج ما نكون إلى مثله في هذه الدياجير المظلمة التي نعيشها. وفقدناه مثلاً رفيعاً للحق، في وقت عزّت به مثله، وتهاوت به صروحه، فكان الألم بفقده امضّ وأنكى.

وفقدناه قبساً من قبسات الرحمة الإلهية في عالم تكتنفنا فيه الصعاب وشدائد الحياة، حيث أنشبت الإحن والضغائن مخالبها فينا من كل الاتجاهات.

وسلام الله عليك يا سيدي يا أبا الحسن الكاظم) فما أصدق مقولتك الخالدة!!: (إذا مات المؤمن (الفقيه) بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها، وأبواب السماء التي كانت تصعد منها أعماله، وثلم في الإسلام ثلمة لايسدّها شيء.. لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها).

ولكن رضاً بقضاء الله. وصبر على جميل بلائه، ولنا بمصائبنا بمحمد ﷺ وآله المطهّرين خير عزاء، فقد:

أنست رزيتهم رزايانا التي سلفت وهونت الرزايا الآتية

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الفقهـاء حصون الإسـلام أيهـا الاخوة الأعـزاء.. وبعيداً عـن مقتضيات آلام العاطفـة وإن كانـت حـرّى، لنغتنم هـذه اللحظات الثمينـة لاجتماعنا هـذا في هذه الذكرى العزيزة، ولنقف قليلا عند الفقرة الأخيرة من حديث الإمام الكاظم عليه السلام.. عند قوله عليه السلام: «لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها».

وهذا المضمون مما يؤكد عليه المعصومون عليهم السلام في العديد من الأحاديث، إذ يقـول الإمـام الصـادق عليه السلام: «علماء شـيعتنا مرابطـون بالثغر الـذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشـيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شـيعتنا كان افضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم».

ويقول الإمام أبو الحسـن علي بـن محمد الهـادي عليه السلام: «لو لا من يبقى بعد غيبـة قائمنـا من العلماء الداعيـن إليه، والدالين عليه، والذابين عـن دينه بحجج الله (تعالـى)، والمنقذيـن لضعفاء عباد الله من شـباك إبليس (لعنه اللـه) ومردته، ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله (تعالى)، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاءِ الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله (عز وجل)».

وهـذا الموقع الرفيع الذي تضع فيه هذه الأحاديث المباركة وأشـباهها علماء الأمـة كما يعيّـن المهمة الدقيقـة المنوطة بهـذه الكوكبة الزكية مـن حملة الحق في الديـن، وقيـام حجته في الحياة، تشـير إلـى الكثير من الآفاق والحـدود التي تتجلى ضمنها مسـؤولياتهم في المجتمع أيضاً، وكذلك هي تلفت الأمة إلى أسـس علقتها المباركة بهم، وطبيعة الرابطة فيما بينها وبينهم، ولئن خصّ بعض الأحاديث الفقهاء بالذكر فذلك لكونهم القمة في هذا السلك، إلا أن تلك المهمة ومسؤوليتها مشتركة بين حملة العلم عامة، كل بحسب طاقته، وكل بحسب موقعه في المجتمع.

ونحـن نقف عند نقاط سـريعة ومهمة من هـذه النواحي التي ذكرت، حيث لا يمكننا الاستيعاب في موقف ضيق وسريع كالذي نحن فيه.

مسؤوليات رجل العلم النقطة الأولى:

في بيان عظم المسـؤولية التي يرسـمها لسـان العصمة لرجل العلم، سواء في قيـام معالـم الديـن ذاتها، أم في تمام حجتـه أمام البصائر، أم في شـد المجتمع إليه، وبناء حياته على حقائقه.

فليـس رجـل العلم الدينـي هو ذلك الشـخص الذي يملـك الإحاطة بأحكام الديـن والإطـلاع على شـرائعه فقط، وليـس الفقيه هـو الرجل الـذي يملك إرجاع الفروع إلى الأصول فحسب كما تعارف بين الناس في إطلاق أمثال هذه الكلمات، بـل إن رجـل العلـم الديني -قبـل هذا وبعـده- طليعـة الذائدين عن حيـاض الدين الحق، والمحامي الأول عن سلامة أركانه، والكافل العام للرابطـة ما بينه وبين الأمة المؤمنة، والنصوص السـابقة -كما قرأناها- تؤكد هذه المسـؤولية بصريح العبارة، وهي -في الوقت نفسه- مضمون متواتر في أحاديث العصمة. إذ يقول النبي ﷺ: «العلمـاء رجـلان: رجل عالـم آخذ بعلمه فهذا ناج، وعالـم تـارك لعلمه فهذا هالك، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالـم التارك لعلمه»[١].

وعـن أبي عبـد الله عليه السلام قال: «إن من العلماء مـن يحب أن يجمع علمه ولا يحب أن يؤخذ منه، فذاك في الدرك الأول من النار..»[٢].

وحين نلتفت إلى أن الصراع بين الحق والباطل هو سنة الحياة منذ أن خلق الله آدم عليه السلام، وهو ابدي دائم حتى آخر بشـري على الأرض، كما انه شـامل لمختلف ميادين الحياة، منذ الأعماق الأولى في نفس الإنسان، ومما يملكه من ميول وأهواء

(١) (المحجة ص ١٢٦).
(٢) (المحجة ص١٢٩ ج١).

تقـود إرادته وقناعاته، وحتى آخر علاقة للإنسـان مع غيره من المجتمعات والأفراد بل والأشـياء الأخـرى أيضاً.كما انـه تصاعدي في حدّتـه ودقّته مع التطـور العلمي والحضاري للبشرية.

أقول: وحين نلتفت إلى الصراع وطبيعته هذه نعلم ما يلي:

أولا: **مـدى عظـم هذه المسـؤولية ودقتها، وكذلـك أهميتها، إذ مـا لم تتعهد** طائفـة مختارة وزكية من أبناء الإسـلام في كل عصر الذود عنه، وبمسـتوى الصراع ومتطلباته، وخصوصاً في عالم الفكر والمذاهب، وبالدرجة التي تقتضيها العصور، وباللغـة التـي تفهمها الأجيال، لا يمكن أن تقام به الحجة على العقول، أو تسـلم له قاعدة بين الأديان.

والإمـام الصـادق عليه السلام يبين بعـض دلائل هـذه الناحية وأهميتهـا في حديثه المعـروف: «إن العلمـاء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثّـوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورّثـوا أحاديث مـن أحاديثهم، فمن أخذ بشـيء منها فقد اخذ حظـاً وافياً، فانظروا علمكـم هذا عمن تأخذونه، فإن فينا -أهل البيـت- في كل خلفٍ عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

ثانياً: ضرورة الحذر الشديد من الباطل وأدعيائه في هذا الميدان..

فمـن المعروف أن للشـيطان مداخله فـي النفوس، ولأعوانـه تأثيرهم الفعال في المجتمع، وفي مختلف طبقاته ومسـتوياته -بمن فيهم السلك العلمي، وطلاب العلوم الدينية-.

وهي إحدى الحقائق المرة التي يجب التسـليم بهـا، والانتباه إليها بكل تبصر ووعـي.. وهي ليسـت وليدة هـذه العصور، بل هي قد واكبت الإسـلام في مختلف عصوره وأجيالـه، منذ بدء الدعوة وحتى اليوم، وقد حذّرت منها نصوصه المختلفة

وبألسـن متفاوتة، وسـنقرأ بعضاً منها _فيما بعد إن شـاء الله_ وأما هنا فنقرأ منها ما روي عـن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا رأيتـم العالـم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فإن كل محب لشـيء يحوط ما أحب. وقال صلى الله عليه وآله: «أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعـل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصـدّك عن طريق محبتي، فان أولئك قطاع طريق عبادي المريدين»[1].

ولكـن -وكما نعلـم- إن للصراع الأبدي بيـن الحق والباطل حكمه، وكما أن للحق كلمته ورجاله الذائدين عن قدسـه، المضحّين في سـبيله، فـان للباطل بدعـه والتواءاته ورجاله أيضا..

وهـو قد يتخـذ القنـاع العلمي وسـيلة فعالة لهـدم أركان الحق فـي النفوس، وطمـس دلائلـه في عقـول أبنائه، ولا سـيما بعـد أن أدرك أهمية الـدور الذي جعله الإسـلام لرجال العلم -والفقهاء منهم خاصة- في إقامة حجته، وتربية أبنائه، وبعد أن علـم سـمو موقع هؤلاء الرجال في قيـادة المجتمع المؤمن، وعمـق تأثيرهم في النفوس الطالبة للحق.

بل وهو قد يرى -وللأسـباب السـابقة وغيرها- أن هذا القناع يمكن أن يكون من أقرب السبل لتحقيق مآربه، فهو قد يستطيع من خلاله -وبأيسر وسيلة- أن يموّه علـى العقول من حيـث تتطلع الى كلمة الحق، ويسـتقطب الأذهان من حيث تنتظر بصائـر الهدى، ولو لفترة من فترات الغفلة، أو استسـلام أبنـاء المجتمع للعصبية أو لظروف أبعدتهم عن بصائر الله وجليّ بيناته.

وعلينا هنا أن لا نغفل الشـيطان ووسوسـته ومداخله الخفية في النفوس عامة دون اسـتثناء، إلا فـي تلـك الـذوات التي أخلصت نفسـها للـه (تعالـى)، وهذا مما يضعنا أمام تداخل في الصراع وشـدة وشـمولية تفوق كل تصور، مما يعني ضرورة

---

(١) (أصول الكافي :ج١ ص٤٦).

التمحيص الدقيق لكل شخصية تضع نفسها في ذلك الموضع الرفيع، بل ولكل موقف يصدر منها وقياسهما -معاً- بمقاييس الحق الثابتة، وموازين الإسلام الرصينة، حيث لا تستبعد الكبوة والانحراف -حتى ممن نذر نفسه للحق والعلم والذود عن حياضهما- ولو في بعض المواقف. ولكن الميزان الإسلامي الثابت «اعرف الحق تعرف أهله» -كما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو السبيل الواضح والمستقيم في هذا المجال.

وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: أيها الناس؛ إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولّى رجال رجالاً فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً، فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى»[١].

ولكن -ومع كل هذا وأشباهه- فإن للحق جلاءه، ولكلمة الله تمامها، ولهدى الإسلام وضوحه، ولموازينه أحكامها، سواء في بناء الشخصيات أم في دلائل السلوك وغاياته، فان الله -عز وجل- الذي تعهّد بان يكون الإسلام -دينه القيّم- هو فطرته التي فطر الناس عليها وان يكون صبغته التي طبع بها العقل الإنساني وتوجّهات إدراكه إذ قال (تعالى):

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[٢].

وقال (عز من قائل) أيضاً: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[٣].

---

(١) (أصول الكافي ج١ ص٥٤).
(٢) (الروم : ٣٠).
(٣) (البقرة : ١٣٨).

أقـول: إن الله الذي تعهد هذه الفطرية في الإسـلام والصبغة التي أنشـأ عليها توجهـات العقول جعل لتلـك الفطرة كلمتها الأولى في تمييز الحقائق من الدعاوى بعد أن أنار للعقل موازين القياس والتدبّر في الأمور بسـهولة ودون أدنى عسـر لمن يخلص للحق تطلعه، ويقيم عليه موازينه.

فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه»[١].

وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبـل، فأقبـل، ثم قال له: أدبـر، فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلا لي مـا خلقت خلقاً هو أحـب إلي منـك، ولا أكملتك إلا فيمن احب. أما إني إياك آمـر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب»[٢].

وفـي الحديـث عن الإمـام الصـادق عليه السلام -كما يـروي المفضل بـن عمر- قـال: «سـمعت أبا عبد الله عليه السلام يقـول: أما والله ليغيبنّ إمامكم سـنيناً من دهر كم ولتمحصـن حتـى يقال: مـات؟ قتل؟ هلـك؟ بأي واد سـلك؟ ولتدمـع عليه عيون المؤمنيـن، ولتكفـؤن كما تكفأ السـفن في أمـواج البحر، فلا ينجو إلا مـن اخذ الله ميثاقـه، وكتـب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه. قـال (المفضل): فبكيت، ثم قلت: فكيـف نصنـع؟، فنظر إلى شـمس داخلة في الصفـة، فقال: يا أبا عبـد الله ترى هذه الشمس؟، فقلت: نعم، فقال: والله لأمرنا أبين من هذه الشمس»[٣].

***

ثالثـاً: ضـرورة النظـرة الموضوعيـة، والتمييز الدقيـق بيـن ركام المدّعيات،

---

(١) (الوسائل :ج١٨ ص٧٨).
(٢) (أصول الكافي ج١ ص١٠).
(٣) (الكافي ج١ ص٣٣٦).

والإشاعات التي تطرح في تقويم الشخصيات العلمية وسلوكها ومواقفها..

إذ -كما أن للحق كلمته في هذا المجال- للباطل كلمته أيضاً. بل -وحين لا تتصور للحق إلا كلمة واحدة وموازين مقررة ثابتة، اعتمدت العقل والفطرة أصلا في بناء الفرد والمجتمع والاستقامة والوضوح سبيلاً للقناعة والإيمان- فإن للباطل تداخلاته الواسعة، ومتاهاته العمياء، والتواءاته غير المحدودة التي تزيغ بالبصائر، وتوهن العزائم، وتحيد بفكر الإنسان عن قويم المسالك.. ولا سبيل للتسامي على هذه التداخلات والالتواءات ومجابهة هذه المتاهات غير الانطلاق معها من كلمة الله (تعالى) وحدها، وموازين الحق الثابتة فقط.

بل، وتضطرد أهمية هذه النظرة الموضوعية الصارمة وضرورة الالتزام بمقاييس الحق، والوعي الكامل لحقائق الأمور، مع تطور الصراع، وتصاعد حدته، إذ كلما ازدادت هذه الحدة فرض الباطل جوانب جديدة من تداخلاته، وفتح منافذ أخرى للزيغ بالبصيرة لم تكن بالحسبان، وواتر من التواءاته أمام الفكر لينفرد به وبتوجّهاته، سواء في صعيد الفرد ام في صعيد المجتمع.

وفي المقابل فان للحق كلمته ومقاييسه في هذه الجوانب أيضا -كما قلنا-.

وطبيعي ان يكون رجال العلم الديني في المقدمة من قضايا هذا الصراع، سواء في آفاق مسؤولياتهم الدينية والاجتماعية، أم في كونهم بعض الأهداف المهمة لحرب الباطل، ومحاولاته لطمس معالم الحق فيهم.

وهكذا فحين يضع الحق أصوله وموازينه الإسلامية التي يعيّن من خلالها الشخصيات العلمية التي يمكن أن تحتسب عليه، والمواقف النبيلة التي يلتزمها منهم.

وحين يضع -على أساس واضح من حدوده ومناهجه- دورهم المطلوب،

ويعيّن مهماتهم الكبرى في بيان حجته والوفاء بمسؤوليته، قبل أن يشرّع سبل العلاقة المناسبة بين الأمة المؤمنة وبينهم..

وحين يسعى في الوقت نفسه إلى الذّود عن مقدساته وكشف الزيف في المدعيات الأخرى التي تنتسب إليه زوراً، أو المواقف التي تحتسب عليه بهتانا، أو الشخصيات التي تتسمى باسمه دون سند من واقع.

أقول: فحين يفعل الحق كل هذا -يقود البشرية إلى حيث السعادة الكمال اللذين تطمح إليهما البشرية في أصول نشأتها، واللذين جسدهما الله في دينه القويم- فان للباطل فاعليته المعاكسة أيضاً.

إذ أن له جهوده الكبيرة في طرقه الخاصة نحو غاياته الخاصة كذلك، سواء في الطعن على شخصيات الحق، أم في التشويش على منابع النور فيها، أم في الانحراف بنظرة المجتمع إليها، أم في توهين موقعها الكبير في حجة الله على العباد، وقيادة الأمة في سبيله، أم في علاقة الناس المؤمنين بهم.

كل هذا في الوقت الذي يسعى فيه إلى فرض رجاله ومواقفه وغاياته وطرائقه في الحياة على النفوس والعقول، إما عن طريق القوة أو عن طريق الإغراء، أو غير ذلك مما عرف عن الباطل ومداخله اللامحدودة، وهي مداخل يجب أن لا يستهان بها في حال من الأحوال، فهي من الخطورة والخفاء بدرجة لا يستبعد منها أحد إلا من «سبقت لهم من الله الحسنى» -كما في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام-.

وكل هذا مما يفرض على المؤمنين عامة -ورجال العلم المخلصين خاصة- الارتفاع بالنظرة والسلوك إلى مستوى المسؤولية، والاستشراف على جميع المدعيات، وملاحظة الحقائق برؤية إسلامية واضحة، تضمن لكل منهم سهولة إدراك الحق في معالمه، وبالأخص في الموضوع الذي نتحدث فيه، أي في تمييز الشخصيات العلمية التي ينبغي الركون إليها، أم في دورها المطلوب، أم في بناء

العلاقة الرشيدة بها.

وعلى الجميع أن يثقوا _ قبل هذا وبعده _ بعون الله ومدده، وضمانه لنصرة من نصره، وتثبيته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهي وعود أخذها الله على نفسه المقدسة بصريح كتابه الكريم، إذ قال (تعالى):

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وقال (تعالى): ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[2] وأعتقد أن عطاء السياق المبارك في إيضاح ما نحن فيه أجلى من ان يحتاج إلى تعليق.

خصائص رجل العلم ومميزاته

النقطة الثانية: ما تفرضه المهمة الكبرى السابقة على رجل العلم من المزايا والخصائص الذاتية التي يجب أن يستوفيها -وفي أسمى ما يكون الاستيفاء- في تكوين شخصيته وفي بناء سلوكه، إذ لا يمكن أن تتحقق منه تلك الغاية بدونها.

وهي مزايا وخصائص -كما يجب على رجل العلم أن يحققها لنفسه- يجب على الأمة -عامة- أن تلحظها -وبأدق ما تكون الملاحظة- فيمن تأخذ عنه دينها، وتجعلها ميزاناً ثابتاً ودائماً، تقيس -على أساسه- سلوكه ومواقفه على طول الخط في علقتها معه، دون أدنى مجاملة أو تهاون، فالموضوع اكبر من ان يتهاون به،

---

(١) (الحج: ٤٠).

(٢) (إبراهيم: ٢٤ - ٢٧).

والمسؤولية أدق من أن يجامل فيها أو عليها.

وهـي أمور وراء ما ينبغي أن يكون عليه رجل الدين من درجات في العلم، أو قدرة على فهم الأحكام الشرعية أو إحاطة بالأصول التي يستند إليها في هذا الفهم، أو غور إلى دقائق التصورات والحقائق والعقائد الإسلامية المختلفة، كما أنها وراء الشجاعة التي يجب أن يكون عليها قائد الحق.

فالوحـدة العامـة في الإسـلام تعني -فيمـا تعنيه من دلائل- وحدة شـخصية المؤمن بشـكل عام، ووحدة ما بين الكلمة والسـلوك فيها، ووحدة ما بين الوسـيلة والغاية في مواقفها، وهي أمور بدهية من الإسلام، وعليها قامت بيناته كافة، وعليها بنيت شـخصيات منتجبيه، والمصطفين لحمل رسـالته، وإبلاغ حجته، وإن تفاوتت الدرجـة لتفاوت الموقع -طبعاً-، فهي في المصطفيـن بدرجة العصمة الإلهية التي لا تحتمل الخطأ ولا النسـيان -كما هو معـروف- بينما هي في رجل الدين لا ترقى إلى هذه الدرجة، وإن كانت في اكبر درجات الإستقامة والضرورة

ونحـن نقف هنا عنـد خصائص خمس، لهـا أهميتها الكبرى فـي مهمة رجل العلـم، وفي الموقع الـذي وضعته فيه تلك النصوص السـابقة، والدور الذي أعدته له في الذود عن حياض الإسـلام، والدفاع عـن كلمته، وبناء عقول الأجيال،وتزكية نفوسها به.

الإخلاص للّـه (تعالى):

الخاصـة الأولى -وهـي الأكثر أهمية مـن بين الخصائـص-: الإخلاص لله (تعالى) في كل صغيرة من حياته أو كبيرة.

فالإخلاص لله (تعالى)-قبل أي مهمة وأي دور يلتزمهما الإنسان- هو الركن الأول للعبوديـة الصادقـة لله، والإسـلام المطلق إليه، لا في مجـال طلب العلم، أو

عالم الدعوة إلى الله فحسب، وإنما في كل شأن من شؤون الإنسان، وفي كل بعد من أبعاد علاقاته المطلقة ببارئه، وفي كل سلوك يأتيه.

فما لم يكن هذا الإخلاص لله هو الركن الأول في شخصية الإنسان، وما لم يكن عمله قائماً عليه كان وبالاً ليس على خصوص صاحبه فحسب، وإنما على جميع من يتصل به من قريب أو حتى من بعيد، حسب موقع المرء في المجتمع.

وطبيعي أن تزداد أهمية هذه الخاصة (الإخلاص) في رجل العلم المؤمن اكثر من غيره، إذ هو لا يستطيع أن يحقق هويته الشخصية -ذاتها- بدونها، فما معنى أن يكون أحد من الناس حصناً للإسلام في وقت أنه لم يصفُ بواقعه لله (تعالى)، ولم يسلم وجوده وعمله إليه؟، بل وعن النبي ﷺ أنه قال:

«من تعلمّ علماً لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار».

الاستقامة العامة:

الخاصة الثانية: الاستقامة العامة مع شريعة الله، في الإمتثال الشامل لكل أمر من أوامره،والإنتهاء عن كل نهي من نواهيه، وعدم تضييع حقّ من حقوقه، في أي قولٍ يصدر منه، أو عمل يأتيه او سجّية يتّصف بها. وهذا ما يسمى -بالإصطلاح الشرعي- بالعدالة.

فهذه العدالة -وبأرقى ما جعله الإسلام لها من معنى- كما أنها الوسيلة الكبرى التي تمكّن الداعية إلى الله من أداء تلك المسؤولية الكبرى، هي الرصيد الأول الذي يجب أن تعتمده الأمة المؤمنة في علقتها برجل العلم واتّباعها لكلمته في الإستجابة لتلك المسؤولية..

والتساؤل الكبير هنا هو: أيّ مهمة من تلك المهمات التي عيّنت له يستطيع القيام بها دون أن يملكٍ من القوة الذاتية في مضمار الحق ما يمكّنه من هذا القيام؟.

ونحن نعلم أن هذه القوة -في جوهرها-إنما هي هذه الاستقامة المطلقة مع الحق في كل حكم من أحكامه، وكل منهج من مناهجه، وكل حقيقة من حقائقه، بمعنى أن لا يتجاوز حداً من حدود الله (عز وجل)، أو ينحرف عن أمر من أوامره.

ثم أي طريق يمكنه أن يسلكه بالأمة وهو تابع ذليل لعامل الهوى، خاضع لدواعي الشطط والانحراف؟ ولا سيما بعد أن ملك من العلم والمنزلة في المجتمع ما يمكنه من تحقيق مآربه الخبيثة؟.

واعتقد أن الإجابة أوضح من أن تحتاج الى مزيد تأمل.

ويقول الرسول ﷺ في بيان هذه النقطة: «من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا».

***

نعم، إن علينا أن لا ننسى -ونحن في هذا الصدد- أن الإسلام وبيّناته وحججه هي في رعاية الله الأبدية، وفي دقيق رقابته ودائم حفظه.

فالله هو الذي تعهّد عصمة الرسول والرسالة من الناس، اذ قال (تعالى) له: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

وأنه ﷺ ورسالته بعين الله وحفظه وكلاءته حيث قال له أيضاً: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[1].

وأنه قد تعهد الذكر الذي أنزله بالحفظ الأبدي، نقيّ الحجة، بيّن الهدى، جليّ البصائر إذ قال (تعالى): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2].

---

(١) (الطور ٤٨).

(٢) (الحجر :٩).

كمـا تعهّد لكلمته -التي أتمّها صدقـاً وعدلاً- أن لا مبدل لها: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

وكل هـذا -وأشـباهه من التعهّدات الإلهية- تسـتوجب أن يلتفت من يحاول أن يضع نفسـه في المنازل الإسـلامية الرفيعة، أو يدّعى لنفسه بعض تلك المقامات العليا، إلى أن هذه المنازل والمقامات هي بعين الله (تعالى)، ودقيق رقابته، وبنظرة إمام العصر عليه السلام، الذي عهدت إليه مسـؤوليتها الأولى في زمان الغيبة، ومحال أن تترك لأحد من الناس يتلاعب فيها أنى يشـاء دون وازع، أو رقيب، أو سـلطان يقف به عند حدّه..

نعم هو قد يستطيع التمويه على عقول بعض العامة من الناس..

وقد يستطيع الانتشاء بطاعة الرعاع وتفانيهم في خدمته.

وقـد يسـتطيع الالتذاذ بما يناله من أموال، أو جـاه، أو منـزلة اجتماعية خاصة باسـم الديـن، بـل هو قد يمـدّ له في ذلـك زمناً قد يطـول، ولكنه ليعلـم أن الأيام لا تمضي به إلا لتسلمه إلى ضربة من ضربات القدر فتوقعه في ما يحذر، فإذا هو ركام من رماد، عبرة للمعتبرين، أو في موضع فتنة أبدية، تصبّ على رأسه سيئات أولئك الرعاع المتّبعين لبدعه وأضاليله، أو يصبح لعنة للاعنين إلى يوم يبعثون.

هـذا بينمـا يبقى الحق، ويبقـى دين الله، وتبقى حجته نقيـة صافية، بمنأى عن البدع والهذيان والممارسات القاصرة والمنحرفة التي تصدر منه أو من متّبعيه..

ومـن أوضح الشـواهد على هـذه القضية -بعد الآيـات الكريمـة والروايات الـواردة عـن المعصوميـن عليهم السلام في هـذا المضمـون- ما يشـهده المتتبـع للتأريخ الإسـلامي، وقيـام حجـة اللـه فيـه، بنقائها وصفائهـا الأبدييـن، رغـم كل الظروف

---

(١) (الأنعـام: ١١٥).

والمتاهات والممارسات التي جعلها الباطل في طريقها، ودأب على إقامتها -من جهة-، وقصور أو تقصير القائمين بمسؤوليتها خلال كل هذه العصور، ولكن ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[١].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢].

الخلق الإسلامي الرفيع

الخاصة الثالثة: ان يكون الخلق الإسلامي الرفيع هو الصورة البارزة لشخصية العالم الديني في تعامله أو في علاقاته مع المجتمع.

فمثل هذا التخلّق بالأخلاق الإسلامية الفاضلة- وبأرفع ما هو ممكن للمؤمن الحق -ومجانبة الرذائل، وداواني الصفات، ضرورات أساسية ينتظرها المجتمع من رجل العلم، ولا تستساغ منه المخالفة وإن كانت ضمن ما يسمح به الشرع الحنيف.

وهذه النظرة ليست -فقط-من أجل أن الأخلاق السامية هي بعض الحقائق الثابتة من الإسلام، ويفترض في رجل العلم ان يكون عاملا بما يعلم، فهذا مما يشترك به المسلمون عامة، بل السبب فيها -قبل هذا- ما يعنيه ذلك الموقع الرفيع الذي أعدّه الإسلام لرجل العلم في إقامة حجته على الناس، وما تستوجبه مسؤوليته الكبرى في المجتمع..

فذلك الموقع وهذه المسؤولية -وكما بيّنتهما مصادر الإسلام المختلفة- يتلخّصان في كون رجل العلم نبراسا هاديا لذلك المجتمع الذي يعيش فيه، ومثلاً

---

(١) (المجادلة: ٢١).

(٢) (الصف: ٦-٩).

تربـوياً لرسالته التي التـزمها في الجيل الذي تعهّد هدايـته، فهو المعـلّم الأمثل لهم في كلـماته، وهو القدوة الصـالحة لهم في أفعاله.

ولهذا فحين تعتبر الأخلاق الفاضلة من القضايا المكمّلة لشـخصية الإنسـان العـادي، تعتبر أحد الأركان الأساسـية في شـخصية رجل العلم المربّـي، إذ بدونها قد يصبح سـلوكه سـببا ليس في إبعاد الناس عن الغاية التي التـزم الوصول إليها في رسـالته فحسـب، بل وربما في تنفيرهم عن ذلك الهدف الذي ينشده لهم، وقد اعدّ نفسه لأن يصبح علماً في سبيله.

ولهـذا فـلا غرو أن نرى أن مدحة الله العظيم لرسـوله الكريـم إنما كانت بهذه الأخلاق الفاضلة، إذ قال (تعالى):

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وقد بيّن (تعالى) السـبب في هذه المدحة بقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2] وصدق الله العلي العظيم.

وعي المسؤولية

الخاصـة الرابعـة: أن يعي رجل العلم المؤمن مسـؤوليته الكبرى بدقة -وكما يقتضيهـا موقعه الخـاص في الحجة الإلهية والمجتمع-، وان يـدرك أبعـادها كافة، سـواء من خـلال ما يلزمـه به هذا الموقع من مواقف، وأصـول يجب أن تبنى عليها شـخصيته، أم من خلال ما أوجب الله على المجتمع تجـاهه، إذ لعلقته معه طابعها المميز، ومقتضياتها الخاصة في الأمة، وسنعرض لها فيما بعد -إن شاء الله-.

وحين نعلم أن من هذه المقتضيات: وجوب اتّباع المجتمع لمعالم الحق التي

---

(١) (ن: ٤).

(٢) (آل عمران: ١٥٩).

يحمل رجل العلم مسؤوليتها ومهمّة بيانها، والاهتداء بدلائل الهدى التي يطرحها ندرك مدى ضرورة أن يلتفت إليها في نطاق مسؤولياته كافة، حيث لا تكتمل الغايات التي يطمح إلى تحقيقها دون استيعاب مستلزماتها ضمن نظرة متكاملة مع مسؤولياته ومهماته عامة. ويمكننا هنا أن نلحظ بعض الآثار المهمّة لهذه الملاحظة:

١- ضرورة أن يزن رجل العلم كل ما يصدر منه من قول أو فعل من خلال الموازين العامة التي تقتضيها هذه المسؤولية. فهو لا يقول شيئا، ولا يفعل فعلا قبل ن يعرضه على هذه الموازين، وبأدقّ ما يكون العرض وبأسمى ما يتصور لها من أصول.

فلربّ قول أو فعل عفوي يصدر منه يحيد ببعض المطلعين عليه عن جادة الحق، وإن لم يلتفت إلى انحراف الفعل أحد من الناس لو كان قد صدر هذا الفعل من غيره، إما لعدم أهميته لديهم، أو لعدم وضوح انحرافه لهم لقلته، ولكن الخطأ منه -لو صدر- لا يمكن تداركه، والخطيئة منه قد لا يمكن تبريرها، أو حتى التوبة منها، لأنها قد تصبح سنّة تقتدى، ومعروف أن من سنّ سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها، ومن سنّ سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. والأحاديث بهذا المضمون كثيرة.

ومنها -مما يمسّ موضوعنا- ما عن النبي ﷺ: «من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

وعن الباقر عليه السلام قال: «من علّم باب هدى فله مثل اجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علّم باب ضلالة كان عليهم مثل أوزار من عمل به، ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً»[1].

٢- أن ينتبه دائماً -وهو يقول شيئاً في المجتمع، أو يقوم بعمل بين أفراده- أن لكلمته أو فعله نتائج وآثاراً هي أبعد مما يقصده في نفسه كشخص.

---

(١) (المحجة البيضاء: ص ٢٦ ج ١).

ولـرب كلمـة عابرة تصدر منه تصبح سـنّة حسـنة يقتدى بها في سـبيل الخير والصـلاح الاجتماعـي، فـي وقت تكـون كلمة أخرى ممـا تهدر به الدمـاء، وتهتك الحرم، أو -على الأقل- قد يقطع بها من الصلات والوشائج الاجتماعية ما أمر الله به أن يوصل، فليس كل الناس سواسية في إدراك الأمور، وليس كل الناس بمستوى واحـد في الإخلاص للحق، وليس كل الناس ممن يسـتمع القول ليتبع أحسـنه، بل ولعل بعض الناس ممن يتصل بالدين ورجاله لتحقيق مآرب خبيثة، أو ليفرّق الكلمة بين المؤمنين، أو حتى ليهدم الدين ذاته.

فهنـاك تفـاوت الغايات واختلاف المـآرب واضطـراب الاتجاهات، ويجب علـى رجل العلم أن يأخذها جميعاً بالحسـبان وهو يلقـي كلمته بين أبناء المجتمع، أو يفعل فعلاً بينهم، ليؤدي دوره بكفاءة تامة، في الوقت الذي يقطع فيه الطريق أمام المتصيدين بالماء العكر.

٣- أن يلتفـت إلى أنه نفسـه -ومن خلال موقعه الخـاص في المجتمع، ومن خـلال مسـؤوليته التي أخذها على نفسـه بين أبنائه- يشـكّل عاملاً مهمّـاً في وحدة المجتمع المسـلم أو في تفرّقه، وشـدّ أواصر الأخوة المؤمنة فيه أو انحلالها، وقيام الحب الإلهي بين أفراده أو إشاعة البغض أو الشحناء بينهم.

وهـذا يعنـي أن عليه أن يعلم أن لكل مقولة منه أو موقف أثراً إيجابياً أو سـلبياً في هذه الوحدة ومستلزماتها.

وهذه الناحية تحتّم على رجل العلم الديني أن يتّخذ كلا من هذه الأمور -وبما لها من حدّية إسـلامية دقيقة -بعداً من أبعاد مسـؤوليته الكبرى في المجتمع- وراء دوره كداعية إلى الله ومرشـد إليه- لئـلا ينصدع المؤمنون بتهاونه، وتتفرق كلمتهم بانفعالـه، وتنقطع الصلات ما بين بعضهم وبعـض ببعض ما يصدر منه، والمعروف في الحديث من سنة أهل البيت عليهم السلام أن من كسر مؤمناً فعليه جبره.

ومن هنا كان عليه أن يحرص -وبأشد ما يكون الحرص-على:

أ- التأكيد الدائم على الألفة في المجتمع المؤمن، ومحبة أفراده بعضهم للبعض الآخر، بشكل يصبح منه ظاهرة يقتدي به المؤمنون.

ب- لين الجانب وعدم الانفعال السريع، وان رأى التقصير من بعض الناس إزاءه، أو إزاء من هو قريب منه.

ج- التواصل والتشاور مع إخوانه المؤمنين ورجال العلم منهم بالخصوص في هذا المضمار حين تجدّ فتنة، أو يحدث حدث يمكن أن يكون له اثر سلبي على المجتمع ووحدته.

د- مواصلة الركون إلى المراجع العظام، وإطلاعهم على الطريقة التي يتّبعها في عمله الاجتماعي، وعلى النتائج التي بلغها في هذا العمل، وعلى مختلف حاجاته الفكرية وغيرها، دون مبالغة أو تهويل، ليصبح المراجع على قدر كاف في الرؤية الاجتماعية، والعلم بما ينبغي علمه في مراعاة الأولويات، وتعيين أدور الوكلاء، وتوجيه علماء المناطق، وتقديم الإرشادات اللازمة لهم، فالفقهاء هم أولياء الأمور، وقادة الأمة في سبيل الخير والصلاح.

٤- على رجل العلم أن يلتفت إلى انه لا يمكن ان يجرّد نفسه أمام الله وأمام رسالته من أي سلبية تتأتى من موقف يتخذه في المجتمع الذي يرتبط به، ويقتدي بقوله أو فعله، وخصوصا حين يكون هذا الموقف نتيجة تقصير أو انفعال، لا مبرر له أو انحراف في السلوك لا يستند إلى حجة شرعية.

مثل أعلى ومربّ

الخاصة الخامسة: أن يتذكر دائما أن علقته بالمجتمع الذي يقع ضمن مسؤوليته ذات بعدين أساسيين:

أولهما: كونه مربّيا له، ومعلّما يسعى للأخذ بيده في هذا الطريق.

ثانيهما: كونه مثلاً أعلى له في طريق الهدى حيث وضع نفسه في هذا الموقع الخاص.

ومع أن لكل من البعدين مسؤوليته الخاصة، إلاّ أن تكامل ما بين المسؤوليتين ضرورة مهمة أيضا، وإلاّ لم يدرك الغاية في أداء رسالته -كما هو واضح-.

وحيث كان من مسؤولية البعد الأول ما لاحظناه في الخصائص السابقة، فإن من مسؤولية البعد الثاني أمورا لها أهميتها أيضاَ.

ويمكننا هنا ملاحظة ما يلي منها:

أن يحيا عصره

١ - أن يعيش عصره الذي يحيا فيه، بما في معنى العيش من أبعاد، وبما يتطلّبه العصر من ضرورات، فالإنسان -وقبل أن يتخذ أي دور له في الحياة، أو يتخصص في أداء مهمة معينة له بين الناس- إنما هو ابن للعصر الذي يعيش فيه، إذ هو لا يستطيع ان يتجاوز -بفهمه وإدراكه وتوجهاته الفكرية- مقتضيات العصر ومتطلباته.

ولئن تمحض رجل الدين للدراسات الدينية، واختصّ بالمعارف الإسلامية، إلا أن هذا يجب أن لا يقطع ما بينه وبين عصره في النمو الثقافي والتطور العلمي، وملاحظة الأولويات التي يجب ان يتوجه إليها بالمجتمع الذي يقوده، بل العكس هو الصحيح..

فدور الريادة الذي أكد عليه الإسلام لأبنائه بين المجتمعات الإنسانية يقتضي أن تكون المرجعية والصفوة من رجال العلم الديني هم القادة في هذا الطريق، وعليهم فرض كلمة الإسلام على الفكر البشري في مختلف الآفاق، واستقامته في التوجهات الحضارية الإنسانية لتصبح المجتمعات الإسلامية -من ثم- هي القدوة الطيبة للمجتمعات الأخرى في أي صعيد من أصعدة الحياة، إذ لا يمكن ان ترتفع

للحجة الإسلامية راية تلفت البصائر، أو يمتنع هداه عن عاديات الباطل، أو تستقيم لـه عزته الإلهية بين الأديـان والمذاهب، بدون هذه الدرجـة المتقدمة للمجتمعات الإسلامية بين الشعوب.

السعي للنمو الذاتي

٢- ان يسـعى في ذات نفسـه إلـى النمو العلمـي، والارتفاع بمعرفتـه الدينية والعصريـة معـاً إلى القـدر الـذي يجعله يملـك الرؤيـة الواضحـة والمتكاملة فيما يطرحـه بين أبناء المجتمع من مسـائل وأحكام وحقائق، وبالقـدر الذي يحتاجه في تربيـة مجتمعـه في طريق الهدى -على الأقل-، إذ القصور في هذه الناحية قد يوقعه فـي أمـور هو في غنـي عنها، وكما قـال بعض الفضـلاء: «من تصدّر قبـل أوانه فقد تصدّى لهوانه». وهي حقيقة مشهودة، يدركها كل أحد من نفسه قبل غيره.

وهـذا الارتفـاع بالمعلومات وإنمـاء المعرفة إنما يتحققـان بمواصلة التعلم، والمراجعـة الدائبـة لمختلف المصادر العلميـة والثقافية التـي يحتاجها، والاتصال الروحـي بالعلمـاء الآخريـن -وخاصـة المراجـع منهم، وقـادة الفكر الإسـلامي- ليستلهم منهم المزيد.

ولا بدّ له -مع هذا- من احترام الوقت بشـكل جدّي وحازم، وعدم ترك الأمور الاجتماعيـة أو عوامل الكسـل -أو غيرها من الصـوارف- تأخذ منه أي مأخذ، فهناك تزاحم بين رسالته تلك وهذه الأمور وعليه أن يوازن بينها، ولا ريب ان للرسالة أهميتها على كل شيء في الحياة، وعجلة الزمن تتقدم، والصراع حاد وشامل ومتصاعد.

أن لا يتجاوز قابلياته

٣- أن لا يتجـاوز -فيما يطرحه من المسـائل والقضايـا- قابلياته الذاتية، وما يملكـه من حدود ثقافية وآفاق علمية، فهذا التجاوز في حقيقته من القول بغير علم،

ومـن حـق الله على العبـاد -كما يقول الإمـام الباقر عليه السلام- «أن يقولـوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ان الله -عز وجل- خصّ عباده بآيتين من كتابه: ان لا يقولـوا حتى يعلموا، ولا يردوا ما لم يعلموا. قال الله (عز وجل): ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِـمْ مِيثَـاقُ الْكِتَـابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّـهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، وقال: ﴿بَـلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾.

وعـن الإمام أبي جعفـر الباقر عليه السلام أيضا: «ما علمتم فقولـوا، وما لم تعلموا فقولوا: (الله أعلم)، ان الرجل ليسترعي بآية من القران يخرّ فيها أبعد مما بين السماء والأرض».

ضرورات العملية التربوية

٤- يفترض في رجـل العلم أن يلاحـظ أن عملية التربيـة الاجتماعيـة لا تقف ضروراتها في حدود إلقاء المسـائل الشرعية والحقائق الإسلامية بشكل عام، وبأي كيفيـة كانـت. فهناك الطرق التي تلقى فيها هذه المسـائل والحقائـق. وهناك الطرق التي تشدّ انتباه المجتمع إلى ما يلقيه المربي حين الإلقاء.

وهناك الطرق التي تطبع المعلومات في ذاكرة المستمعين.

وهناك المتابعة في التذكير ومراجعة المعلومات بين الفينة والأخرى.

وهنـاك ملاحظـة إلـى أي حـدّ تغلغلت هـذه المعلومـات في إيمـان الأفراد، وأوليـات سـلوكهم الشـخصي والاجتماعـي، لتصبح -مـن ثم- ظاهـرة اجتماعية وإنسانية عامة -كما هو المطلوب-.

ولا ريـب أن كلا من هـذه الأمور له أولياته في العطاء القرآني وهدى العصمة -أولاً- وفي الخبرة الإنسانية بشكل عام -ثانياً-.

فيجب أن لا تنسى نتائج الدراسات التربوية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وسائر العلوم الإنسانية، فهي نتائج ثرّة ومهمة في هذا المضمار.

بل ولا ننسى التجربة الخاصة لرجل العلم ذاته خلال ممارساته الخاصة لمهمته في المجتمع، ومدى نجاحه أو فشله خلال مسيرته معه، فهي مصدر مهم لخبرته الخاصة في هذه الناحية، وعليه ان يعير لها أهمية كبرى قد لا تقلّ عن تلك المقررات العامة للعلوم الإنسانية، بل إن تلك المقررات العامة لا تعطي ثمارها المرجوة إلاّ إذا صهرت في بوتقة الخبرة الشخصية، فلكل عامل خطته، ولكل مجتمع مشخصاته وضروراته -كما هو معلوم-.

وعلى أي حال، فعليه أن يسعى لتكوين تصورات مناسبة له في هذه الأمور كافة، ليستعين بها في عمله، حين يريد لنفسه ان يدرك الغاية في جهوده ضمن الوفاء بمسؤوليته، وعليه أن لا يحمّل الآخرين تبعة فشله في هذا الميدان أو ذاك، قبل أن ينظر الخلل في طرائق عمله، وملاحظة ما إذا كان قد وقع في أخطاء.

وقد اجمل القران هذه الضرورات كافة حين جعل الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بما هو احسن شرائط للدعوة إلى الله (تعالى)، وسبلاً مشرعةً في أداء هذه المسؤولية، إذ قال (تعالى): (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).

ويقول صاحب الميزان ﺗﺘﺮﺗﺘ في تفسير الآية الكريمة:

وقد فسرت الحكمة -كما في المفردات- بإصابة الحق بالعلم والعقل. والموعظة -كما عن الخليل- بأنه التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب. والجدال -كما في المفردات- بالمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة.

والتأمل في هذه المعاني يعطي ان المراد بالحكمة -والله اعلم- الحجة التي

تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا إبهام، والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرق القلب لما فيه من صلاح حال السامع لما فيه من الغبر والعبر، وجليل الثناء، ومحمود الأثر، ونحو ذلك.

والجدال هو الحجة التي تستعمل لفتل الخصم عما يصرّ عليه، وينازع فيه من غير ان يريد ظهور الحق». (يراجع تفسير الميزان في تفسير الآية المباركة).

ولان من الموعظة ما هو حسن وما هو غير حسن، ولان من الجدال مالا يراد به الحق، أو لا يؤدي إلى الحق وان قصده صاحبه، فان الآية الكريمة قيدت الموعظة بالحسنة، والجدال بما هو احسن لمناسبة هذه الأوصاف لمهمة الداعية إلى سبيل الله، ولا ريب ان الضرورات السابقة هي العدة التي لابد له منها، لكي يصل إلى هذا الهدف الأسمى -كما هو واضح-.

فضائل العلم

ولنختم حديثنا في هذه الخصائص بقراءة متأنية متدبّرة لحديث رواه الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي، فيه مجتمع هذه الخصائص وغيرها، بلغة مشرقة معجزة البيان والدقة، فعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«يا طالب العلم، ان العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والأمور،ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية،ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المدارة، وجيشه محاورة العلماء،وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ومأواه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار»[١].

---

(١) (المحجة البيضاء ص١٥٧ ج١).

موقف الأمة من رجل العلم

النقطة الثالثة: وهي موقف الأمة المؤمنة ودورها المطلوب منها تجاه علماء دينها.

وطبيعي ان لا يتبلور هذه الدور ولا تتضح معالمه الإسلامية قبل ان تضمن الأمة في رجل العلم الديني -إضافة إلى سمة العلم- جميع الخصائص التي سبق ان قدّمناها، إذ لا يمكن ان تطالب الأمة بموقف إيجابي تجاه من لا يستوفي شرائط مقامه ومسؤوليته التي أخذها على عاتقه، بل العكس، ولاسيّما في هذا المقام الجليل، والمسؤولية العظمى.

إذ تواترت الأحاديث، ونصوص العصمة في وجوب اليقظة والحذر من علماء السوء، وان كان لهم الباع الطويل في الإحاطة بكوامن العلم، والغور إلى أعماق المطالب، كما بينت اوجه السوء التي يجب على الأمة الحذر منها ومن تبعاتها..

ومن هذه النصوص ما رواه الشيخ الصدوق ﹾ في الخصال بسنده عن أبي عبد الله ﷺ قال: «ان من العلماء من يحب ان يجمع علمه ولا يحب ان يؤخذ منه فذاك في الدرك الأول من النار، ومن العلماء من إذا وعظ أنف، فذاك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يرى ان يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف، ولا يرى له في المساكين وضعاً، فذاك في الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين، فان ردّ عليه من قوله أو قصّر في شيء من أمره غضب فذاك في الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ويكثر به حديثه فذلك في الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول: (سلوني)، ولعله لا يصيب حرفاً واحداً، -والله لا يحب المتكلفين- فذلك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من

يتخـذ العلـم مروة وعقـلاً (أي يطلب العلم ليعـده الناس من أهل المـروة والعقل) فذلك في الدرك السابع من النار[١].

كما سبق ان قرأنا ما ورد عنه عليه السلام أيضا: «إذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فان كل محب للشيء يحوط ما أحب».

إلـى غير ذلـك من الأحاديث وهـي كثيرة، ويراهـا المتتبع فـي مختلف كتب الحديث.

ولكـن وحيث تتبلـور الخصائص المطلوبـة لرجل العلم الديني في شـخص معين، وبشكل متيقن،

فيتلخـص دور الأمـة منه ضمن خطوط وضوابط أسـتطيع أن أقدم بعضها في جوانب.

العلقة إسلامية

الجانـب الأول: أن يـدرك المؤمن أن الأصـل الذي تنبع منـه علقته مع رجل العلم الديني إنما هو الإسلام، وهدى الله وبصائره التي أخذ رجل الدين على عاتقه التبشـير والإنذار بها في المجتمع، وهي منابـع أعمق من أي منابع أخرى تقوم على أسـاس آخر، اجتماعي أو أسـري أو حيوي أو غير ذلك. فبالإسـلام يتجسد الكمال الذاتي للإنسـان في هذا الوجود، وبه تسـتقيم صلته الأولى بالله العظيم، وهي أولى الصلات وأعمقها طراَ. والإسـلام هو النور الذي أنزله الله هدى للبشرية ومناراً لها لبلـوغ مقتضيات حكمـة الله فيها، وليجنّبها مزالق السـقوط في دركات الانحراف. ومـن هنا بدأت ضـرورة الدين. ومن هنـا كان الدين الحق أحد الأمـور الحتمية في حكمة الله.

---

(١) (المحجة :١٢٩ ج ١).

ومن هنا وجب على الإنسان الاستمساك به مادام يريد لنفسه الخير والكمال في هذه الحياة، والنجاة من عذاب الله في الدنيا والآخرة. وبما أن المجتمع قد أحرز في رجل العلم الديني التزامه بما أخذه على نفسه من مسؤولية واستوفى جميع شرائط الموقع والمهمة التي تعهّدها أمام الله وأمام مجتمعه في أن يأخذ بيده -وبالقدر الذي يستطيع- في السبيل الأمثل، فيجب على المجتمع أن يبني أي علاقة له معه من خلال هذه الأصل خاصة أيضا،ويقيم أي موقف يتخذه تجاهه على هذه العلاقة قبل أي علاقة أخرى، وان رآها العرف الإجتماعي مهمة، وذات أثر كبير.

وهذا يعني أن لا تقف حدود القرابة، أو العشائرية، أو الطائفية، أو غيرها من العلاقات، حاجزاً ما بين أحد الناس وبين رجل العلم، لأن علقة الإسلام -كما قلت- أكبر وأعمق في موازين الحقائق الواقعية، ويدركها الإنسان بوضوح تام حين يريد لذاته الكمال والسعادة في الدنيا، والنجاح غدا في الآخرة، إذ لا سبيل له يوفّر له هذه الضرورات غير الإسلام.

شمولية العلقة مع رجل العلم

الجانب الثاني: مما يتبع النقطة المتقدمة ويتفرع عنها: ملاحظة أن أحكام دين الله شاملة تستوعب أبعاد الحياة كافة، «وأن لله في كل واقعة حكماً..» -كما في التعبير الوارد في بعض النصوص-.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن ما يستجدّ من القضايا والحوادث يجب الرجوع -للتعرف على أحكامها- إلى فقهاء أهل البيت عليهم السلام ورواة أحاديثهم.

ففي المكاتبة المعروفة المروية عن إمام العصر (عجل الله فرجه): «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا بها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله».

وهذا يعني أن دور رجل العلم الديني شامل لجميع آفاق الحياة، ومهمته عامة

لجنباتها كافة، سواء الشخصية منها أم الاجتماعية أم الاقتصادية أم النفسية أم غيرها.

وعليه فيجب أن يكون هذا العموم في جميع جوانبه طبيعة متأصلة في أي علاقة رابطة بين أحد من الناس ورجل الدين، فلا تقف -دون هذه الرابطة أو الإستظلال بها- عوامل تحدّ من الاستفادة منه بأي حال من الأحوال.

فلا يجوز أن يجعل فيها مجالاً لعامل الخجل والحياء، ولا يستكبر بعض الأمور أو يستهين بها، ولا يستبعد بعض الحقائق، فالحدود الإسلامية مقامة، وكلمة الله يجب أن تستلهم، والمسؤولية أدق من يتغاضى عنها، وليدرك المرء أنه حين يقف بين يدي الله العظيم، لا يشفع له -حين يكون من المقصّرين- أن يعتذر بخجل، أو عدم علم، أو استبعاده لأمر، أو تهاونه في قضية.

الأدب الإسلامي الرفيع

الجانب الثالث: أن يتأدب مع رجل العلم بكل ما سنّه الشرع الحنيف، وفرضه العلم على المتعلم من آداب مع معلّميه ومربّيه.

فهذا التأدّب هو بعض دلائل التزام الإنسان بالشريعة الإلهية -أولاً-.

وهي الأساس لاستزادة من العلم والمعرفة ممن يتعلّم منه -ثانياً-.

وهي المظهر الأسمى لشعور الإنسان بإنسانيته الكاملة -ثالثاً-.

ومن أوضح تلك الآداب التي ينبغي مراعاتها:

العلقة والمسؤولية

أ- أن يبني ارتباطه به على أساس من شعوره بمسئوليته تجاه رسالته الكبرى في هذه الحياة، قبل أي علقة أخرى، وعلى عمق هذه الرسالة في فكره وحياته، وعظم دورها في استقامته وسعادته في دنياه وآخرته، بمعنى أن يدرك أن العلم

الذي يحمله رجل الدين هـو سبب نجاحه وسعـادته تلك، وان دوره في حياته ينبثق من هذا المنـطلق خاصة، ولا ريب انـه دور يفوق أي دور آخـر.

وعليــه فينبغـي أن يشـعر المؤمـن أن الأبـوة الروحية في رجـل الدين له هي عنوان صلته به، وان حقوق هذه الأبوة وواجباتها هي الصورة التي يجب أن تتجسد فيهـا، إذ لا ريب أن لهذه الأبوة حدودها في الشـرع الحنيـف، وحقوقها وواجباتها، وما عليه إلاّ أن يرجع إليها هناك ليستوفيها حق الاستيفاء.

التواضع للعلم

ب- التواضـع لمقـام العلم الـذي يحمله رجل العلـم، وأقـول: التواضـع لمقام العلـم؛ لأشـير إلى إن التـواضع هنـا لا يعني خنوعاً أو ذلة، أو اسـتجابة عمياء لأحد من النـاس بمـا يتنافى وعزة الإيمـان أو كرامة الإسـلام، بل أقصد بالتـواضـع هنا هو ذلك التطلّع الموضـوعي الواعي لكلمة الله التي يلقـيها رجل العلم، والتزامها قبل الاستجـابة لها استجابة مطلقة من اجل النهوض بأعباء مسؤولـيته الإلهية، والوفـاء بها أكمـل وفاء.

بـل إن هـذا التواضع -وحده- هو الذي يحقق له حاجتـه من المعاني والمثل التي يتلقاها من رجل العلم، ومن خلالها يستطيع أن يسمو في سلّم الكمال، وترتفع درجته في المعرفة.

وفـي المقـابـل؛ فان التـكبر إزاء ذلك المقـام -لا لحق- يمكن أن يكون أول الأسـباب في إيصاد أبـواب الخير، وغلق منافـذ الوعي والتفكير عن اسـتماع كلمة الحق وهي تصدر من داعيته، ورؤية أنوار الهدى وهي تشرق فيها.

وفي هذا التواضع يقول الرسول ﷺ:

«من علّم أحدا مسـألة ملك رقّـه، قيل أيبيعه ويشـتريه؟، قال ﷺ: بل يأمره وينهاه».

ويقول ﷺ: «تعلّموا العلم، وتعلّموا -للعلم- السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعـلّمون منه».

الحرص على لحظات اللقاء

جـ- أن يحرص -أشد الحرص- على كل لحظة من لحظات لقائه برجل العلم، واجتماعه به، واستغلال كل بادرة للاستزادة من نمير علمه وعطائه التربوي الإسلامي، دون أي تفريط أو تهاون. وخصوصاً إذا كان رجل العلم ممن يملك من المؤهلات العلمية والدينية ما يحقق للمؤمن بغيته من التربية الذاتية، والسمو الثقافي، ويتبلور هذا الحرص عادة بمواصلة السؤال منه عما يحتاجه من معالم دينه، والتعرف على حقائق عقيدته، ومناهج تربيته وتعاليم أخلاقه، وغير ذلك.

والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في وجوب السؤال لتحصيل العلم كثيرة جداً، نقرأ منها:

١- ما ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال لحمران بن أعين في شيء سأله: «إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون».

٢- وعنه عليه السلام أيضا انه قال: «إن هذا العلم عليه قفل ومفتاحه السؤال»[1].

* * *

وهنا ينبغي الوقوف قليلاً لنلتفت إلى أمور غريبة تدخّلت في هذا الأدب الإسلامي الرفيع فاستوجبت التخبط فيه.

ومن هذه الأمور الغريبة خفاء في بعض القضايا الأساسية فيه مما استوجب التباساً على كثير من الناس..

---

(١) (أصول الكافي ج١ ص٢٠٠).

وهناك محاولات الدخلاء وبعض ذوي الغايات القاصرة للانحراف بتلك اللحظات الثمينة -لحظات لقاء المجتمع مع رجل العلم الديني- عن مسارها المجدي الصحيح.

وهناك القضايا الهامشية التي تشغل اهتمامات بعض الناس فيحاول أن يفرضها على تلك اللحظات فيحيد بها عن جديتها المطلوبة، وإن كان هذا الإنسان من المؤمنين الطيبين.

إلي غير ذلك من دواعي الإنحراف.

وكل هذه الأمور وأمثالها نفرض علينا الوقوف على بعض الأسس المطلوبة في هذا المضمار، لتؤخذ ميزاناً واضحاً يستبين من خلاله كلٌ من رجل العلم الديني نفسه، ومن يتصل به من المؤمنين، دوره المطلوب في كل لقاء، وليقيس على أساسه النتائج المتحصّلة منه دون خفاء..

التركيز على موضع الحاجة من المطالب

١- أن يهتم السائل -قدر الإمكان- بخصوص ما يحتاجه فعلاً من نواحي عقيدته أو أحكامه الشرعية، أو غيرها من مناهج الإسلام وتعاليمه، فيستوضحها قبل غيرها مما لم يدخل تحت ابتلائه الفعلي، إذ لا ريب أن ما يحتاجه حينها - هو مورد مسؤوليته الأولى، وهو الذي له الأثر الأبلغ في حياته الخاصة قبل غيرها.

نعم هذا لا يعني عدم أهمية الأحكام والحقائق الإسلامية الأخرى في نفسها، بل هي نور الله وكلمته وهداه، ولكن لكل من الناس حاجته وابتلاؤه ومسؤوليته كما هو معلوم.

استبعاد الشواغل

٢- أن يستبعد عن فكره -حين يلتقي برجل أو حين يلقي عليه سؤاله- جميع ما يشغل باله أو يعيقه عما ينبغي له معرفته منه، ويتجنّب كل ما يصرفه عن متابعة

حديثه وإجاباته عن الأسئلة المطروحة، وخصوصاً حين يبلغ الحديث إلي أمور تهمه أو كانت من الدقة بشكل يستوجب شدة الإنتباه، إذ الفرصة قد لا تعود، والمسؤولية الإلهيـة لابد من الوفـاء بها، وجوانب الحياة كلها -الخاصة منها والعامة- لا تعدو هذه المسـؤولية -كما قلنا في سـابق الحديث-، وما لم يسـتوضح الإنسـان كلمـة اللـه كما ينبغـي له فيها وقع في التخبّط في عقيدته وسـلوكه معاً، وهوى في دركات السقوط والانحراف من حيث يعلم أو لا يعلم.

عدم التكلف في الأسئلة

٣- أن لا يتكلـف المـرء في أسـئلته ومـا يطرحه من الموضوعـات على رجل العلم، أو يقصـد بها المماراة أو الامتحان، أو التوهين لمكانته في النفوس، أو إظهـار عجزه أمام الآخرين، فكل هذا مما تواتر فيه النهي الشديد عن المعصومين عليهم السلام.

فعـن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري بـه السـفهاء، أو يصرف به وجوه النـاس، فليتبوأ مقعده من النار. إن الرآسـة لا تصلح إلا لأهلهـا»[1]. وعلـى المؤمن أن يعـلم هنـا أن رجال العلم متفـاوتـون في الطاقات والقابليـات، وأن هناك المبتدئين في طلب العلم، وهناك اختلاف الإهتمـامات لدى طلبة العلوم الدينية والمراحل التي يقطعها كل منهـم في مسيرته الدراسية، وهكذا..

ومـا دام المؤمـن يعلـم أن رجل العلـم ممن تجلـت فيه الخصائص السـابقة بشـكل قاطع، وما دام يرى أن المجتـمع يستفيد مما لديه من معلومات، ويكتسب ممـا يتصـف به من اسـتقامة في السـلوك، فلا يجـوز لـه أن يتصدى للقـطـع ما بين إشعـاعه -وإن كان محدودا- وبين المجتمع، لئلا يكون مشمولاً بقوله (تعالى):

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

---

(١) (أصول الكافي ص٤٧).

احترام الوقت

د - على المؤمن أن يحترم وقت رجل العلم -كأي حق آخر من حقوقه- وليعلم أن لرجل العلم اهتماماته ومشاغله الخاصة والعامة، وله مراجعاته العلمية وطموحاته في ميدان التكامل العلمي والديني، وله مسؤولياته ضمن بيئته ومجتمعه، وليلتفت إلى أن التزام رجل العلم لتربية المجتمع وتبليغ الأحكام الشرعية لا يعني أن وقته مباح لكل أحد، دون ضوابط أو حدود.

وعليه؛ فينبغي أن لا يحاول إشغاله في غير الأوقات التي هيأ نفسه فيها لذلك، ولا يستغل أحد من الناس خجله وحياءه عن المصارحة في أن يفرض نفسه عليه، فهذا لا يعدو كونه إما من سوء الأدب، أو مضيعة للوقت، أو منعاً لبركات الغايات الكبرى التي يطمح إليها رجل العلم في متابعاته واهتماماته السامية.

استيعاب البصائر والتحفظ عليها

الجانب الرابع: أن يتتبع المؤمن ما يسمعه من رجل العلم من دلالات إلهية، ويتحفظ عليه قدر استطاعته.

وقد ذكر لهذا التحفّظ أسباب يمكننا تلخيصها فيما يلي:

١ - أن يتفهم حديث رجل العلم قدر إمكانه ويتابع ما يطرحه عليه نقطة نقطة، ولا يخجل من استيضاح الغامض عليه، إما من رجل العلم ذاته أو من غيره، ليخرج منه بمحصّل مطابق لما أراده رجل العلم تماماً دون تغيير.

٢- أن يكتب ما سمعه في مذكرات متناسقة يسهل عليه الرجوع إليها عند الحاجة، وقد ورد الحث على الكتابة من أهل البيت عليهم السلام.

٣- أن يراجع ما كتبه بين الحين والآخر مراجعة متأملة، يربط فيها بين مختلف

المسائل والأحاديث التي استفادها من اجتماعاته مع رجال العلم، أو من مطالعاته الخاصة، ويسجل ملاحظاته التي تعنو له في كل مراجعة.

٤ - أن يتذاكر ما استفاده من رجل العلم مع من يثق به من إخوانه المؤمنين ليتأكد من صحة المعلومات التي استوعبها ومن وضوحها، قبل أن يتخذها رصيداً فعلياً له في سلوكه وعقيدته، أو ينطلق منها إلى الآفاق الأرفع حين يشاء المزيد.

٥ - السير مع رجل العلم بخطوات متصاعدة، تشعر رجل العلم بثمرة غرسه في المجتمع، لان تكرار السؤال والجواب معناه الدوران في حلقة مفرغة دون أدنى استفادة، بل العكس هو الصحيح؛ إذ -وكما عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام-: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة».

وبدهي أن رجل العلم حين يشعر أن غرسه لا يؤتي ثماره المرجوة، ويرى أن من يتصل به لا يعني بإجابته بشكل كاف سيشعر بالإحباط، وقد يتخذ من المجتمع موقفاً سلبياً إذ الطاقات على التحمل متفاوتة، كما هو معلوم في الكثير من الحالات المشاهدة.

٦- أن يتعهد بتصحيح ما وصل إليه من معلومات في مختلف الأوقات ولا يغمض عن أي خطأ فيها، فلا عيب أن يخطأ الإنسان في فهمه، بل العيب في أن يركن إلى خطئه ويغضي عليه، وخصوصاً حين يعلم أن هذه الفكرة الخاطئة ستصبح جزءًا من عقيدته، أو مستنداً لسلوكه ومواقفه.

٧- وعليه أن يعلم -أخيراً- أنه -بهذا المنهج والتحفظ وحدهما- يستطيع أن يواصل المسيرة في الطريق الصحيح، ويستمر معه العطاء ويتجدد، وبهذا المنهج والوسائل ترتسم الحقائق في الذهن، وتوتي أكلها الجني في تثبيت الإيمان الحق، وبناء السلوك القويم.

تحقيق المفاهيم الإسلامية في الحياة

الجانب الخامس: أن يسعى المؤمن -قدر الإمكان- إلى تحقيق ما استوعبه من رجل العلم من المفاهيم الإسلامية -إضافة إلى ما بلغ إليه هو في سعيه الذاتي من تلك المفاهيم، ومراجعته لمختلف المصادر الثقافية الإسلامية- في واقعه الذي يعيشه وتجسيدها في حياته الخاصة والعامة على حد سواء.

ويتأتى هذا التحقيق عادة من خلال الملاحظات التالية:

١ - أن يجسّد هذه المفاهيم اتجاهات ثابتة في ذات نفسه، ويبنى عليها شخصيته في جانبي العقيدة والسلوك على السواء.

فالمعارف الإسلامية ليست ترفاً فكرياً، أو لذة علمية آنية، وليست قضايا تثقيفية هامشية يكفي أن يستوعبها الإنسان في ذهنه يتذوقها متى شاء، وإنما هي -قبل هذا وبعده- حاجته الفطرية التي لا يتكامل بدونها، وهي هدى الله وبصائره في غناء تلك الحاجة، وهي ميادين الوصول إلى الله (تعالى)، وهي الطريق القويم للفوز بالفلاح في هذه الدنيا وفي الآخرة، وهي أصول الحياة الفضلى في مختلف أبعادها، وفق ما يريده الله، وجبل عليه كيانه.

وكل هذا مما لا يقف في حدود التصوّر الفكري فقط، وإنما هو استيعاب لمختلف شؤون الحياة الخاصة والعامة، ولا بد من التطبيق الحدي والجدي فيه، منذ أولى علاقة للإنسان ببارئه،

ومروراً بعلاقته مع خاصة نفسه، وحتى آخر أثر لعلاقاته الاجتماعية مع بني جنسه أو التكوينية التي تربطه مع الموجودات الأخرى كافة..

إذن فلا يستساغ من المؤمن أن يقف مع المعارف الإسلامية التي يستوعبها من رجل العلم -أو من غيره من المصادر- عند حدود الفهم الذهني أو التذوّق

العاطفي فقط، بل الواجب عليه وراء هذا أن يجعل تلك المفاهيم والمعارف أركانا أساسية في بناء شخصيته، ويقيم عليها عقيدته وسلوكه في مختلف جوانب حياته.

٢- أن يتعهّد تعليمها لغيره ممن يتصل به من ذويه واخوته المؤمنين، فهذه المفاهيم -كما نعلم- هي من المعروف الذي يجب الأمر به، وان مخالفتها من المنكر الذي يجب النهي عنه، ومعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوليات الإسلام، وأسسه الرصينة، وبهما وبأهميتهما تواترت الآيات الكريمة في القرآن والأحاديث الشريفة الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

وما أكثر ما نقرأ من الآيات قوله (تعالى):

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقوله (تعالى): ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وغيرها من الآيات الكريمة.

ومن السنة قولهم عليهم السلام: «ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وقول النبي صلى الله عليه وآله: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم».

وفي حديث للإمام الباقر عليه السلام: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء. فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم

الأمر». إلى غير ذلك.

بل وليست علاقة المؤمن برجل العلم الديني -في أولياتها وأصولها التي سبق الحديث فيها- إلا صورة قائمة على هذا الركن الإسلامي الوطيد -كما هو واضح-، هذا كله من جانب..

ومن جانب آخر، فإن هناك ولاية المؤمنين بعضهم لبعض، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

وهناك الرعاية الإلهية العامة: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

وهكذا، فحيث يعلم المؤمن أن من عائلته وأهله وإخوانه ممن لم يسعفه الحظ للالتقاء برجل العلم واستماع ما يلقيه، أو لقراءة ما يكتبه المخلصون من الكتاب الإسلاميين من معالم الشريعة أو حقائق الأيمان، فان من الواجب عليه أن يتدارك الأمر بنفسه، فينقل إليهم تلك المعالم والحقائق بأمانة، ليسد لهم العوز، ويمنعهم من السقوط في دركات الهاوية التي قد تناله هو بنفسه آثارها وبنتائجها السلبية.

قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ جلس رجل من المسلمين يبكي وقال: أنا عجزت عن نفسي.. كلّفت أهلي؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عما تنهى نفسك». إلى غير ذلك.

وبعد فان من مشهور ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام -بل يكاد متواترا- قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون

لك حمر النعم».

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إن الذي يعلم منكم له مثلا أجر المتعلم وله الفضل عليه، فتعلّموا العلم من حملة العلم، وعلّموه إخوانكم كما علّمكموه العلماء».

٣- أن يعين المؤمنون رجل العلم الديني في مهمته في الدفاع عن معالم الحق في المجتمع، وقيامها بين الناس أصولاً ثابتة لحياتهم، وحدوداً أساسية تنتظم بها علاقاتهم الفردية والاجتماعية والأخلاقية والعبادية، بجميع أبعادها التي يريدها الإسلام، وأنزلت بها بصائره، فما كان يمكن للفقهاء ورجال العلم أن يحققوا الدفاع عن الإسلام أو يكونوا حصوناً له -كما في تعبير الإمام الكاظم عليه السلام- مع خذلان المجتمع لهم في هذه المهمة، ودون أن يصبح كل مؤمن من موقعه قاعدة صلبة تتحطم عليها العاديات التي تطمح إلى النيل من كيان الإسلام، أو موقعه في النفوس، بدءاً من إغراءات الشيطان ووسوسته في دخائل النفوس، إلى آخر غاية من غايات أعداء الله في أي صعيد من أصعدة الحياة الإسلامية.

وقد سبق أن أشرنا إلى عموم الصراع بين الحق والباطل، وشموله لجميع الأصعدة التي يستوعبها الهدى الإسلامي الذي يحيط بدوره بجميع نواحي الحياة.

ومن اجل أن تتم القوة والمنعة في كيان المجتمع المسلم، وان لا ينفذ الشيطان وجنوده فيه، فعلى المؤمنين عامة أن يشكّلوا -من خلال القبسات التي تعلموها من بصائر الله وهدى بيناته- صفاً واحداً يستمدّ قوته من الإيمان، ومن وضوح مفاهيمه واستقامة سبيله.

ومع أن لرجال العلم الديني الدور الطليعي في بناء هذا الصف -فهم الذين التزموا هذه المهمة في حياتهم، وتحمّلوا مسؤولياتها- إلا أن هذا لا يغمط الأدوار الأخرى أهميتها وضرورتها، فلكل مؤمن مخلص دوره، ولكل موقعه ومهمته، ومن أوضح هذه المهمات المتصورة هنا:

١ - أن يكـون كل مؤمن عيناً صادقـة لرجل العلم في التعرف على الأولويات التي يحتاجها المجتمع في بناء كيانه الإسـلامي، من المعارف والمفاهيم الإسلامية والأحكام الشرعية، والوقوف على الأدواء والسلبيات التي تنخر في كيان المجتمع المسـلم، أو الشـبهات التـي تزيغ بنظـرة أبنائه عن تطلعاتهـم المبدئية، فـي بدايات أطرواحتها ليتخذ رجل العلم دوره المطلوب إزاءها قبل أن تستفحل، ويقوم بواجبه في منهجية سليمة، متكاملة مع الحاجة، بعيدة عن التخبط والعشوائية.

فـإن رجـل العـلم -وبحكـم ظروفه وعلاقـاتـه الخاصة- قد لا يلتفـت إلى تلك الأوليـات في بداياتها، أو يقف على تلك الأدواء والشـبهات فـي بواكير طرحها، مما لا يمكّنـه مـن أن يتخذ منها الموقف المناسـب في تلك المراحل الأولى، وهذا قد يسـبب استفحال أمرها، وانتشار تأثيرها السلبي في المجتمع، مما يجعل معالجتها اصعب، وفي حاجة إلى مؤنه اكبر، سـواء في جهـوده أو في جهود المخلصين من المؤمنين الآخرين، هذا بينما ستكون النتائج أضمن والجهد اقل لو قوبلت في بدايات طرحها في المجتمع.

وواضـح أن المسـؤولية هنا لا تختصّ برجل العلـم وحده، بل هي تعم جميع المؤمنين المخلصين على حد سواء.

ب- أن يقـوم كل مؤمن بدوره في بناء الضمير الاجتماعي العـام الذي يعني بقـيام المثل والمفاهـيم والأحكام الإسـلامية في المجتمع بشكل جدي وحاسم، انطلاقاً من أصغر شـريحة اجتماعية في البيت وضمن العلاقات الأسـرية الخاصّة، إلـى العلاقات الاجتماعيـة العـامة، التي يسـتطـيع ذلك المؤمن التأثيـر فيها، فكما أشرنا:أن الرعاية الإلهية عامة، والولاية الإيمانية شاملة.

وليلتفت المؤمنون إلى أن التغاضي عن التقصير، والغضّ عن انتشار المفاسد سـوف ينتهي بالمجتمع كله إلى الانهيار والشـقاء في هذه الحياة، وإلى أليم عذاب الله، وشديد عقابه في الآخرة.

والنصوص الإسلامية متواترة في بيان هذه الناحية، ويكفينا أن نقرأ منها قوله (تعالى): ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وقول الرسول ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منها البركات، وسلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء».

وقول الرسول ﷺ: «إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله».

ومن حديث للإمام الباقر عليه السلام: «أوحى الله إلى شعيب النبي عليه السلام: إني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم. فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله -عز وجل- إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي».

وقانا الله وإياكم العثرات، وجنّبنا المعاصي والخطيئات، وجعلنا ممن سمع القول فاتبع أحسنه، ووعى كلمة الهدى واستنار ببصائرها، وسدد خطانا جميعاً لنيل رضاه. انه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وسلام على فقيد الإسلام الغالي يوم ولد، ويوم مات، ويوم يبعث حياً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣ - ربيع الأول - ١٤٢٠

ضياء زين الدين



آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين ﷺ

بقلم: سماحة العلامة القاضي
الشيخ يوسف عمروُ العاملي
-مفتي كسروان - لبنان

أ- الحديث عن الشّيخ ﷺ، والنّجف الأشرف:

الحديث عن سماحة آية الله العظمى الشيخ محمّد أمين زين الدين ﷺ، هو حديث عن حوزة النّجف الأشرف وجامعتها العظيمة، خلال أكثر من نصف قرن منذ سنة ١٩٣٠ م ولغاية أيامنا هذه، حيث قصدها فقيدنا طالباً في ريعان شبابه لطلب العلم على جهابذتها الأعلام.

وحديث عن ما رافق هذا التاريخ من صفحات مشرقة، من تأريخ العراق، وتأريخ الإسلام ابتدأ بنيل العراق استقلاله ودخوله في عصبة الأمم سنة ١٩٣٠م بفضل الله تعالى، وثورة النجف سنة ١٩٢٠ . وزيارة أحد مراجع النجف الأشرف الكبار الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ﷺ، لفلسطين

ومشاركته في مؤتمر القدس العالمي سنة ١٩٣٢، وإمامته لعلماء المسلمين المشاركين في المؤتمر في صلاة العشاء بعد خطبته الشهيرة التي خطبها بين العشاءين، وفضح فيها المخطط البريطاني الصهيوني على شعب فلسطين. وأعلن فيه رأي النجف الأشرف في الوحدة الإسلامية قائلاً: أن الإسلام هو دين التوحيد، وتوحيد الكلمة، إلى آخر هذه الصفحات المشرقة من حياة الأمة والتي كان لفقيدنا الكبير دوراً في المشاركة في صناعة بعض القرارات العلمية والحوزوية، ابتدأ من عام ١٩٨٥ م كما سوف تعرف.

وهو حديث أيضاً عن آل زين الدين الأسرة العلمية المهاجرة من البحرين إلى البصرة، وحديث عن بني عبد قيس وولائهم لأهل البيت عليهم السلام وعن جهاد هذه العشيرة وخدمتهم للإسلام وللغة العربية وللمُثل العليا للأخلاق.

وهو حديث عن أساتذة شيخنا الراحل وهم من أعلام النجف الأشرف، وسادتها في الفقه، والأصول، والفلسفة الإسلامية، ومن أصحاب النظريات العلمية في تلك العلوم وهم: الإمام الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني ﭬ، وآية الله السيد حسين البادكوبي ﭬ، وآية الله الشيخ محمد طاهر الخاقاني ﭬ، والإمام السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني ﭬ، والإمام السيد محسن الطبطبائي الحكيم ﭬ.

وهو حديث عن جمعية العلماء في النجف الأشرف التي تأسست سنة ١٩٥٨م في النجف الأشرف لمحاربة المدّ الإلحادِّي الشيوعي في هذه الجامعة برئاسة آية الله العظمة الشيخ مرتضى آل ياسين ﭬ حيث كان شيخنا الراحل ﭬ، من أقطابها مع سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (دام ظله)، وآية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين ﭬ، وسماحة حجة الإسلام الشيخ كاظم الحلفي صاحب مجلة الأضواء، التي كانت تصدر عن هذه الجماعة وغيرهم من

الأقطـاب الذين كانت مواقفهم وأقلامهم مدرسـة كبرى للثقافة الإسـلامية الحديثة التي وقفت في وجه المدِّ الشـيوعي الأحمر في العراق وفي سـائر البلاد الإسـلامية ومقارعتـه الحجّـة بالحجّـة، والدليـل بالدليـل كما وقفـت هذه المدرسـة في وجه المدارس العلمانية والقومية وسائر النظريات الأخرى.

لقد انتصرت هذه الجماعة في معارك كثيرة، وخسرت في معارك أخرى. ومن أهم الانتصارات التي حققتها الجماعة هو إدخال الإسلام إلى جميع الجامعات في العراق وفي بعض البلاد الإسلامية وفي بعض جامعت الشرق والغرب.

كما اسـتطاع مُلهم هذه الجماعة وسـيدها الإمام الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر ﵁ أن يقارع جميع الفلسفات والمذاهب الاقتصادية الحديثة بالدّليل والحجّة ويثبت بطلانها ويصوغ لهم نظرية المعرفة الإسلامية والمذهب الاقتصادي الإسـلامي وأطروحـة البنك اللاربوي في الإسـلام والأسـس المنطقية للاسـتقراء بأسـلوب علمـي خاص بذلـك.. وهو حديث عـن تلامذة شـيخنا الراحل ودورهم فـي المحافظـة على العلـم والأدب والأخلاق وهم حجج الإسـلام ومنهـم آية الله الشـيخ أحمد البهادلي، وآية الله السـيد حسن بحر العلوم، والعلامة الدكتور محمد بحر العلوم، والعلامة السيد إبراهيم الزنجاني، والعلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، وشـقيقه المرحوم العلامة الشـيخ علي زين الدين، وولده العلامة الشـيخ ضـياء زين الدين، ومنهم شـاعر العراق الكبير السـيد مصطفى جمال الدين (رحمه الله تعالى) وغيرهم من العلماءِ الأعلام.

والحديث الذي سوف نتكلم عنه في هذه المعالجة هو أسلوب شيخنا الراحل الفريد في بابه والقوي في حجته والرفيع في لغته..

حيث قيل في ذلك: «يمتاز الشـيخ زين الدين ﵀ بالإضافة إلى غزارة علمه وفقهه بأسلوب رائع وبيان أروع وهو منعكس عن ثقافة واسعة وممتدة غالى خارج

الحوزة العلمية مما أدى إلى أن يصبح محور حلقة من الطلبة الشباب الواعي الذي تأثر بأسلوبه المميز وبيانه وأدبه».

ب- الحديث عن أسلوب الشّيخ ﷺ:

والحديث عن أسلوب الشيخ ﷺ ومنهجه في البحث والكتابة طويل ومتشعب، سوف نقتصر فيه عن الحديث عن أسلوبه في استنباط فلسفة الأخلاق عند الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وفي رده على نظرية العقد الاجتماعي.

قال (رضوان الله عليه) في رسالته إلى ولده العلامة الشيخ ضياء الدين والمؤرخة في ١٤ رمضان ١٣٨٤هـ الموافق لسنة ١٩٦٣م، شارحاً نظرية العقد الاجتماعي عند الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسّو المتوفى سنة ١٧٧٨م وملخص النظرية ذاتها: إن الطبيعة قد زودت كل فرد من الناس بقسط من القوة يحفظ لنفسه البقاء، وقسطه هذا من القوة محدود، وهو لا يملك من القوة زيادةً على ما وهبته الطبيعة منها.. وهاهنا عوائق كثيرة وشديدة تضر بسلامة الأفراد وتهدد بقاءهم في الحال الطبيعية وتقاوم ما لديهم من القوى الخاصة التي يملكها كل فرد، حيث يصبح بقاء الناس متعذراً وهلاكهم محتوماً.. وليس للناس وسيلة للبقاء والتغلب على هذه المقاومات إلا التكتل.

ثم يتابع (رحمه الله تعالى) شرحه لهذه النظرية التي تنتهي إلى أطروحة وجود دولة ديمقراطية تحمي بقوتها شخص كل مشترك فيها وأمواله وحقوقه مع الاحتفاظ بالحرية الكاملة لكل فرد منهم من خلال العقد الاجتماعي التي تصبح فيه الدولة الديمقراطية قوةً كبرى والجميع عندها سواسية كأسنان المشط بعد أن يضع كل واحد من المشتركين في العقد الاجتماعي شخصيته وجميع قوته شركة تحت إدارة الإرادة العامة بحيث يكون المجموع هيئة ويكون كل عضو جزءاً منها.

وهو يعقِّب على ذلك بأنه إذ باع كل واحد من الأفراد نفسه بأسرها أصبح هذا الشرط متساوياً نحو الجميع، وإذا كان متساوياً نحو الجميع لم يكن لأحد منهم مصلحة في جعل الشرط ثقيلاً على الآخرين.

كما ذكر ﷺ في البداية أن الثورة الفرنسية قامت بعد موت الفيلسوف بأحد عشر عاماً وبعد ظهور كتابه (العقد الاجتماعي) بثمانية وعشرين عاماً فأحيت ذكر ذلك الفيلسوف وترسمت أهداف كتابه وجعلته إنجيلاً لها.

كما ذكر ﷺ أنّ روسّو لم يكن هو الواضع الأوّل لخطوط هذه النظرية فقد ذهب إليها من قبله الفيلسوفان البريطانيان (جون لوك) المتوفى سنة ١٦٧٩م على فارق بين آرائهم في وجه هذه النظرية وفي نتائجها ثم أشار (رحمه الله تعالى) إلى تلك الفوارق.

ثم بيّن وجهة رأي الإسلام في ذلك وأن جميع الناس مشتركون متساوون في العبودية لله والتعلق به والفقير إليه في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**(١).

ومن أجل ذلك كان الناس أحراراً في ما بينهم، فلا سيطرة لأحد على أحد متساوين في الفرص التي تؤهلهم للمقامات الكريمة في قانون الله ثم في عاد جزائه وموفور عطائه.

وقوام هذه الصلة بين الإنسان وأخيه الإنسان هي الإيمان بربوبية الله تعالى ووحدانيته في كل شي وكل خير وجده آدك وحواء أو يجده في حياته أو هو يرجوه في ما بعد هذه الحياة فإنما هو أثر من وجود هذه الصلة وفيض من برِّها: **﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾**(٢).

(١) فاطر: ١٥.
(٢) النحل: ٥٣.

وان ينظر في صلاته بالناس وبالموجودات كافةً على ضوء ذلك النظام الإلهي الرشيد، فيتوجه بها إلى حيث أراد الله وينصرف بها عمَّا نهى ويقيمها على الأسس التي وضعها الله تعالى، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ**﴾[١].

ثم يتابع ﴿ الحديث شارحاً قوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[٢].

وعلى ضوء ذلك ومن خلال ما تقدم من كلامه الطويل حول نظرية الحكم في الإسلام وعن معنى المبايعة لرسول الله ﷺ ولولِّي الأمر الشرعي من بعد الرسول. حيث قال ﴿: «والخضوع لله في هذا المجال يتمثل بالخضوع لحكم الله الذي تأخذ به الدولة في كل ناحية من نواحي الحكم، ونظم الله الذي تطبقه في كل حقل من حقول الحياة، والدولة إذا لم تمثل حكم الله ولم تنتهج هُداه فلا حق لها في طاعةٍ على أحدٍ أبداً، وقول الله في هدمها صريحةٌ قبل قول الأمة...».

جـ- المذهب الأخلاقي عند الإمام الصادق عليه السلام:

وأمّا كلام شيخنا الراحل عن المذهب الأخلاقي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال كلمات ووصايا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فهو كلام قارن فيه المذاهب الأخلاقية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وكيف بينه وأوضحه للخاصة وللعامة حيث وجد فيه الأميّ ما أدركه بالفطرة، وقرأ فيه الفيلسوف ما أثبته بالبرهان.

قال شيخنا الراحل ﴿ منتقداً الدكتور أحمد أمين في كتابه عن الأخلاق:

---

(١) الرعد: ١٩، ٢٠، ٢١.

(٢) المائدة: ٤٥.

«ولعلنا نحاسب الأستاذ أحمد أمين عن نظرته إلى الأخلاق في الإسلام فإنَّ علاقتها باللفظ أشدُّ من علاقتهما بالمعنى والأستاذ حين يتسرع بإرسالها يشبه البسطاء الذين يكتفون في معرفة الشيء بظواهره التشكيلية». ص ١٦.

ثم تكلم (رحمه الله تعالى) عن أسلوب الإمام الصادق عليه السلام فيقول: «عَلِمَ الإمام الصادق عليه السلام بذلك، وعَلِمَ أن لهؤلاءِ العامة أنها ما لا تقبلُ المصطلحاتِ الغربية، ولا تستسيغ العبارات البعيدة. فكان لزاماً عليه أن يوضحها لهم على حسب ما يدركون، وأن يترجمها لهم بما يفهمون، فكان من أبرع من أوضح وأدقُ من ترجم، على أن أكثر ما يهتم به المثاليون من قادة الدِّين هي ناحية التطبيق من على الأخلاق، لأنها أكثر دخلاً في التوجيه الخلقي الذي يهتم به الدِّين. ولأن الوحي قد كفاهم مؤونة الاستقراءِ، وأراحهم من عَناءِ البحث».

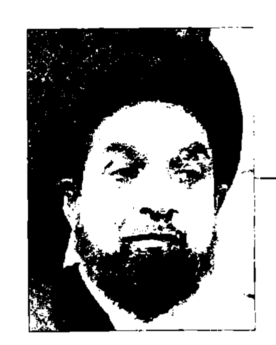
ولو أردنا أن نتكلم من سائر آثار شيخنا الراحل ﷺ في مصنفاته العديدة، وفيما تركه لنا في مجلة الأضواء وفي رسالته العلمية -كلمة التقوى- وعن مبانيه في الاستنباط، وعن شعرهِ وأدبه، وعن مواقفه من المدّ الإلحادي والشيوعي في العراق عندما منعوه من طباعة كتابه «الحجاب بين السّلب والإيجاب»، وعن رسالته لوزير الأوقاف في مصر الشيخ الباقوري بمناسبة اعتراف الحكومة المصرية بالمذهب الجعفري وغير ذلك لبلغ بنا المقام حداً كبيراً من الاستطراد.

وحسب شيخنا الراحل ﷺ أنه كان من أقطاب جماعة العلماء في النجف الأشرف، ومن أساتذة الحوزة العلمية الكبار، ومن مراجع العلم والتقوى في النجف الأشرف الذين تُشدُّ إليهم الرحال بعيد وفاة الإمام الخوئي ﷺ في ٨ آب ١٩٩٢م ومن المدافعين الكبار عن مدرسة أهل البيت عليه السلام في تصديه للدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدويَّة وفي بيانه لجهاد الإمام الحسن من خلال صلحه مع معاوية وفي غير ذلك من مواقف وآراء.

وفي مرجعيته للمدرسة الإخبارية عند الشيعة الإماميَّة في القرن العشرين.

رحـم الله تعالى شـيخُنا الراحل وجزاه عن الإسـلام وعن أهـل البيت خير جـزاء، وحفـظ اللـه تعالى الحـوزة العلمية فـي النجف الأشـرف عـن كل مكروه، وأدامها الله تعالى ذُخراً للإسـلام وللعم وللتقوى وللغة الضَّـاد..

إنـه سميـع الدعاءِ مجيـدٌ حميـد.. آميـن.



معالم شخصية الشيخ محمد أمين زين الدين(١)

السيد حسن النوري
العراق

من لطف الله تعالى بي أن وفقني للتزود من عطاء العالم الرباني والفقيه المربي، والمفكر الجليل محمد أمين زين الدين.

فقد كان بحق أميناً على رسالة الإسلام، وعلى مسؤوليات العالم، وكان مجمعاً لخصال حميدة، جعلته زيناً للدين، وجمالاً له ومن أمثال هذا الفقيه يتشكل موكب الفقهاء الرساليين الذين عبّر عنهم أستاذنا الشهيد الصدر بالشهداء على مسيرة الأمة ووعيها للرسالة الإسلامية وتطبيقاتها في عصر الغيبة حيث اجتمعت في شخصيته شروط الربانيين الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ

---

(١) الاربعين : حميد الخاقاني.

كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

ولا يمكننا أن نفهم نيابة العلماء عن الأئمة والأنبياء في فهم الشريعة والأشراف على تطبيق الأمة لها من غير أن تكون هناك شروط شديدة وحاسمة في هؤلاء العلماء.

وقد برز من تبار الحوزة العلمية رجال أناروا الطريق لأبناء الجيل وشباب الإسلام حيث أدوا ما عليهم بكل أمانة. حين انتشرت تيارات الإنحراف في مختلف البلدان الإسلامية بسبب مصادرة مواطن القدوة من قبل المنحرفين باسم الفن والساسة أو العلم والتقدم أو الرياضة. وكذلك جراء تصدي بعض وعاظ السلاطين، وبعض الجاهلين غير المتخصصين للتبليغ باسم الإسلام، وجراء عدم وجود البيئة الملائمة للتربية الإيمانية.

لهذا وغيره انتشرت ظواهر الإنحراف تحمل أسماء مختلفة فهي التقدم بوجه الرجعية، وهي العلم مقابل الجهل والخرافة، وهي السعادة والرفاهية بوجه الشقاء والبطالة، وهي الوعي مقابل التخنق، وهكذا سهل على الباطل أن يحمل شعارات الحق ويجعل نفسه مدافعاً عنها ساعياً إلى تحقيقها، كل هذا دفع ثلة من علماء الإسلام كما دفع غيرهم من شباب الأمة المسلمة للتفكير في مواجهة هذه الإنحرافات وكانت في الطليعة من هؤلاء أسماء لامعة، محمد باقر الصدر، مرتضى آل ياسين، ومن العلماء النشطين كان سماحة شيخنا الفقيد.

ولولا تلك الصفوة العاملة من العلماء وصفوة أخرى من الرساليين من العاملين في سبيل الله لكان للإنحراف صولات وجولات ضد رسالة الإسلام.

---

(١) المائدة: ٤٤.

لقد أثبت هؤلاء جزاهم الله خيراً أن أبناء الإسلام حين يدرسون إسلامهم، يجدون فيه الحلول للمشاكل الفكرية والإقتصادية والسياسية التي تزخر بها الساحة، ولولا تلك الموجات الإنحرافية لما رأى النور نتاج ضخم تمثل في فلسفتنا وإقتصادنا والإسلام ينابعه مناهجه غاياته، من أشعة القرآن، العفاف بين السلب والإيجاب، قضايانا على ضوء الإسلام، رسالتنا، ومقالات مجلة الأضواء، وغير ذلك من ما أبدعته عقول اهتدت بنور الإيمان ولم تفقد الساحة العلمية في النجف الأشرف أياً من صفات البحث العلمي الموضوعي حين ناقشت الأفكار المنحرفة المتمثلة غالباً في أفكار المادية التاريخية والديالكتيكية..

وأذكر نموذجاً على ذلك ما فعله سماحة الشيخ حين تعرض لأفكار الشيوعيين فهو لم يقل أنهم شذاذ آفاق أو ذوو عاهات كما فعل بعض الباحثين خارج دائرة النجف الأشرف، وكان أسلوبه الحواري رائعاً ومميزاً فقد وهبه الله سبحانه قدرة أدبية رائعة، وخلقاً علمياً رصيناً، وحباً شديداً للهداية، فلا تجده يكتب بإنفعال حتى حين ينقد من حارب بشدة عقيدة من أهم عقائدنا وهي عقيدتنا في الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وأحسب أن قلم شيخنا الفقيد كان فريداً في حوزة النجف من حيث الجمال والشفافية، وإن كان هذا لا يعني عدم وجود أقلام أخرى تميزت بجوانب أخرى من الكمال.

كانت الحروف والكلمات تنساب على لسانه بيسر وطلاقة كما كانت تفعل حيث يجري قلمه وأنه ليأخذك من غير اختيار في موضوعاته لأن المضامين رائعة والأسلوب أروع.

ولعل العظمة في شخصية الفقيد تتجلى معالمها في تصديه مع جملة من معاصريه من العلماء لتحدي أوضاع وظروف البيئة العلمية التي عاشوا فيها،

وللإنطلاق بمفاهيم الإسلام لتتحدى ظواهر الإنحراف التي كادت أن تجرف تياراتها كل الجيل المتطلع إلى ما هو جديد في دنيا تزخر بمختلف مظاهر التجدد والتنوع ولقد لخص أستاذنا الإمام الشهيد الصدر المظاهر السلبية في تلك البيئة بما يلي:

١ -فقدان روح التضحية والإيثار.

٢ - فقدان نزعة الدين في أساليب العمل.

وبما أن أبناء الحوزة يدرسون العلم للعمل فلا بد من التفكير في تغيير أساليب العمل بما ينسجم مع روح الشريعة ومبادئها.

وهذه المشكلة معقدة جداً لأن الحوزة آنذاك لم تكن فيها مطالعات ولا ترويض فكري على التعامل مع مسائل التحديد في العمل وأساليبه ولا خبرة عملية لدى طلاب الحوزة بظروف العالم لهذا كان لا بد من البحث والتفكير المتواصل لتذليل هذه المشكلة.

٣- العقلية الرياضية والعقلية الاجتماعية.

كان العاملون للإسلام في تلك الفترة داخل بيئة الحوزة يفكرون بالعمل بعقلية الفقه والأصول بحيث لا يقبلون على إنجاز عمل ما لم تضمن درجة نجاحه مائة بالمائة، بينما العمل الاجتماعي يقوم على الحدس الاجتماعي الذي يتكون من خلال التفاعل مع الناس والعالم ودراسة تجارب الآخرين.

وقد كان السيد الصدر صاحب هذه الكلمات والشيخ محمد أمين زين الدين وطائفة أخرى من العلماء العاملين يعانون من هذه المشاكل، إلا أنهم لم يستسلموا ولكن لنرى ماذا فعل فقيدنا من جهته إزاء هذه المشاكل:

١- ثقافة جديدة مؤطرة بإطار الإسلام تعتمد الدراسة الأدبية ومطالعة الكتب الثقافية في مختلف المجالات.

٢- تعامل فيه روح التضحية والإيثار وتقديم مصالح كيان الحوزة على مصالحه الذاتية.

٣- العمل على التجديد في أساليب الدعوة والتبليغ الإسلامي.

ولا بد من كلمة قصيرة عن منهجه في التفكير وطريقته في الكتابة والتعبير.

كان عقلي المنهج في البحث العقائدي يستدل بمبادئ المذهب العقلي من السببية ومبدأ عدم التناقض، لكنه لم يقتصر على مبادئ هذا المنهج وأسسه وإنما كان يساند نتائجه بمقتضيات الفطرة والوجدان، كما كان يعتمد المنهج الاستقرائي التجريبي في الموارد التي يحق لهذا المنهج أن يسير فيها لهذا اعتمد كثيراً على الإحصاءات والظواهر في المجالات التي يصح الاستنتاج من خلالها.

وبهذا نستطيع أن نقول أنه يتبع المنهج التكاملي الذي يعتمد أسس الفطرة والوجدان وأسس المنهج العقلي كما تستفيد من العلم والاستقراء في الموارد الخاصة المحدودة، هذا كله حين يتناول البحث العقائدي العام أما حين يدخل في التفاصيل فهو يستند إضافة إلى ما تقدم على النصوص القرآنية والأحاديث المروية عن المعصومين أي أنه يضيف منهج النقل إلى منهج الفطرة والعقل ويظهر تطبيقه لهذين المنهجين واضحاً جلياً في كتبه الثلاثة الإسلام، مع أحمد أمين في المهدي والمهدوية، الحجاب بين السلب والإيجاب وإن كان ظهور المنهج العقلي أقوى في كتابه الأول وظهور المنهج الثاني أقوى في الكتاب الثاني ولعل الكتاب الثالث جمع بين الاثنين متوازناً..

ومنهجه في تفسير القرآن كان المنهج المشهور عند اتباع أهل البيت عليهم السلام حيث هو منهج تفسير القرآن بالقرآن وبالنص الثابت عن المعصومين وكان يساعده على استنتاج أفضل النتائج التفسيرية قدرة فائقة في مجالات اللغة الأدب وكان قريباً من ممارسة التفسير الموضوعي حين يبحث مستدلاً على فكرة أو مفهوم

وثقافة المفسر العامة لها دور كبير في نجاح عملية التفسير الموضوعي وكان هو من طليعة المثقفين في بيئة النجف الأشرف، وكان يستفيد من أسباب النزول.

وللشيخ كتابة قرآنية فريدة تمثلت في كتيب (من أشعة القرآن) تضمنت الحديث عن جملة من المسائل التي تعرض لها القرآن الكريم وكشفت هذه الكتابة عن منهجه في استنطاق كتاب الله سبحانه.

وقد سبق الشيخ زين الدين إلى استفادة مفردات العقيدة التفصيلية من القرآن الكريم ويظهر جهده الكبير هذا في كتابه (الإسلام) واعتمد بشكل هام على الظهور العرفي للآيات الكريمة ولم يرجع في تفسير هذه الآيات إلى أي من المرويات باستثناء أسباب النزول كما فعل ذلك في تحديد وتوضيح معنى الآية الكريمة ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[١].

إلا أنه في الاستنباط يرجع إلى الروايات التي تحدد المعاني في الآيات القرآنية تخصيصاً وتقليداً أو بياناً وتفسيراً.

شأنه في ذلك شأن الفقهاء جميعاً.

وبناء على هذا يكون منهجه التفسيري كالتالي:

١- تفسير القرآن بالقرآن.
٢- تفسير القرآن بالظهور العرفي.
٣- تفسير القرآن بالحديث والتاريخ الذي يذكر أسباب النزول.

وأما منهجه في الاستنباط فهو رغم أنه قد تخرج على المجتهدين الأصوليين لكنه لم يجاهر بطريقة يفضلها على طريقة كأنه يرى أن كل أصولي لابد أن يطبق قواعده على النصوص (خصوصاً الأخبار) وبهذا يكون الأصولي ممارساً بطريقة

---

(١) الإنسان: ٨.

الأخباريين في البحث عن دلالات الأخبار وإن كان قد يناقش في الأسانيد والأخباري لا بد له من أسس وأصول يعتمدها في فهم الدلالات وفي علاج حالات التعارض وهذا بحث أصولي وفضل الشيخ الفقيد حفاظاً على الوحدة المذهبية أن لا يجاهر بمنهجيته فترك مسائل التقليد وتفصيلاته في رسالته العملية وأجاب على بعض التفاصيل في مسألة التقليد في استفتاءات وجهت إليه وكان بهذه الطريقة مرجعاً للأصوليين والأخباريين.

أما منهجه في عرض الفقه والشريعة فقد تميز بما يلي:

١- اليسر والتوضيح والشرح والبيان من خلال العبارة المشرفة والتمثيل.
٢- التوسع في طرح الفروع.
٣- تطعيم بعض المسائل بالاستدلال الميسر بالآيات القرآنية والأحاديث.
٤- توضيح أهمية الفروض والتشبيهات.

كل هذه الميزات كانت من أجل تحقيق هدف كتابة (الرسالة العملية) والهدف أن تكون دستوراً عملياً للمؤمنين كما فعل ذلك الإمام الشهيد الصدر في الفتاوى الواضحة.

ومنهجه في دراسة المفاهيم الإسلامية هو المنهج التكاملي أيضاً وقد تحدث عن الأساس المتين الذي لا بد من تأسيسه في كل بحث مفاهيمي أو أخلاقي، هذا الأساس هو العقل، يقول بهذا الشأن في كتابه الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته:

طبيعي أن يكون العقل أول ناحية من الإنسان تنصرف إليها عناية الدين وأحقها بالمزيد من تهذيبه، فالعقل أسمى موهبة يختص بها الإنسان وأولى ميزة يرتفع بسببها عما حوله من الكائنات.

والعقل هو المصدر الأول لأفكار الإنسان والملتقى الأعظم لتصوراته، الحق منها والباطل، المنتج منها والعقيم، الرفيع منها والوضيع.

وللعقل إشراف تام أو ناقص على صفات المرء التي يكتسبها للتخلق، وعلى مراميه التي يندفع نحوها بالرغبة، وعلى أعماله التي يصدرها بالاختيار.

والعقل من وجهة خاصة هو المجال الأول للدين، فقد علمنا أن الدين هو منهاج الإنسان إلى كماله الأعلى الذي يبلغه بالاختيار، والتفسير الواضح لذلك: أن الدين هو المنهج القويم لتزكية العقل في ذاته وتوجيهه للرشد في سلوكه وهذا ما نهج إليه كل دين فيما نعلم، فإن العقيدة من كل دين هي الأساس المتين الذي يقوم عليه هيكله أو الدعامة المكينة التي تشد بنائه.

ومن أجل ذلك وجب أن تكون العقيدة جلية لا أثر فيها للغموض، وثابتة لا مجال فيها للتزلزل، ويقينية لا ظل فيها للريب، لأن العقيدة وظيفة عقلية في مرحلتها الأولى والعقل صريح في أحكامه لا يقبل من الوظائف ما فيه وهن أو اضطراب.

منهجه في دراسة الأخلاق

تناول في كتابه عن الأخلاق جملة مسائل عن الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام حيث تحدث عن ثمانية محاور هي:

١- تعريف الخلق.

٢- السعادة والخير.

٣- الاعتدال والانحراف.

٤- الإنسانية الكاملة.

٥- الضمير.

٦- الفضائل الفرعية وتحدث هنا عن الحكمة والعدل بأقسامه والعفو والقناعة والشجاعة والعزة والكبرياء والتواضع والصدق والكذب والإخلاص والوفاء والحب والصداقة.

٧- ميزان الخلق الصحيح.

٨- أصول العلاج عند الخليقتين.

كما تناول في رسالته العلمية (كلمة التقوى) الجزء الثاني عدة مسائل أخلاقية ونفسية تحت عنوان الأمر بالمعروف ومجاهدة النفس ولم أجد من الفقهاء من تناول هذه المسائل بهذه السعة والمنهجية.

كذلك تحدث عن أصول العلاج النفسي في كتابه " إلى الطليعة المؤمنة " ثم العرض السليم الميسر والاستدلال بالنصوص والأحكام الفطرية الوجدانية والتدرج في إعطاءوصفات العلاج حين يتحدث عن المشاكل الأخلاقية والنفسية.

إن شخصية المرجع الشيخ زين الدين كانت مجمعاً لعدة صفات فهو من الناحية العقلية والفكرية كان المثقف الذي استطاع أن يقرأ كتابات عصره، ويتقن لغة هذا العصر، ويتخاطب بهذه اللغة ويتعرف على مشاكل ابناء جيله، وحاول جاهداً البحث عن الحلول المناسبة لها..

وكان يطمح إلى التجديد في طريقة عرض مفاهيم الإسلام، وأفكاره بنفس الدرجة التي كان يسعى فيها للبحث عن أفضل المناهج في تناول ودراسة الأفكار.

كما كان على هذا المستوى متفاعلاً مجانباً لأهل الجمود والتحجر، واستطاع بعقليته وذهنيته المشبعة بالإسلام أن يتعامل مع القرآن الكريم أفضل ما يكون تعامل العالم الرباني الذي يهتم بالقرآن حفظاً وتدبراً وبحثاً في آياته عن حلول مشاكل العصر..

وساعده على النجاح في هذه المهمة قدرة لغوية وأدبية أصيلة وبهذا المستوى من الإهتمام كان تعامله مع النصوص المأثورة عند المعصومين أما من الناحية الروحية والنفسية والعاطفية فيجمع الذين عايشوه وعاشروه أنه كان يهتم بالآخرين ويحترمهم ويتواضع لهم ويحنو عليهم ويعيش مشاكلهم ويستمع لصغيرهم

وكبيرهم وقد صنع لنفسه بهذا الخلق الفاضل قدوة للعالم المربي والهادي المرشد كيف لا يكون كذلك وهو يعيش المحبة، والتواضع، والرفق، والحنان كل ذلك لا ينطلق فيه متكلفاً او متصنعاً.

كان هذا هو خلقه الذي لا خلق له غيره وطبعه الذي لم تغيره الظروف والأيام فقد استطاع في هذه السجايا أن ينمي جيلاً من شباب الجامعات والحوزة العلمية، ونما هذا الجيل وهو يتشرب هذه الأخلاق ويكبر فبي الإسلام أن يصنع نماذج هداية ومواطن قدوة أمثال شيخنا الفقيد.

كيف ستكون علاقة الشباب بعالم من الطراز الأول في مجال الفكر الإسلامي ومفكر لم تشغله أفكاره عن الإهتمام بالناس ولم يتكبر بعلمه بل هو يتواضع ويتواضع كلما ازداد علمه وهم يرون هذا العالم المربي يرعاهم في بيته ويرعاهم حين يقطع المسافات الشاسعة ليستثمر مواسم العطلة في أعدادهم وتربيتهم وليس من السهل أن يجمع كل من عاشر الشيخ الفقيد على أنه كان مربياً بصمته قبل أن يكون مربياً بلسانه وكان قدوة بسلوكه قبل أن يكون قدوة بكلامه، وقد كنا نرى فيه نموذج العالم العامل وقدوة المفكر المربي.

وأما من الناحية السلوكية فقد كان إسلاماً يتحرك وشريعةً تمشي وأخلاقاً فاضلة تجسدت في سلوك يومي، استطاع بإلتزامه الكامل بالإسلام أن يكون مطمحاً للمرجعيات، ومطمحاً لعامة الناس، وقد كلفه المرجع الديني في فترة من فترات حياته أن يتصدى للرد على الفترين على عقيدة أهل البيت عليهم السلام لما رآه هذا المرجع من دأبه وحرصه على الدفاع عن عقيدته وإخلاصه في عمله ودقته في النقد.

كان دائم العمل متواصل الحركة فهو في النجف له تلاميذه ومريدوه، وله زواره ورواد مجلسه وهكذا الحال في البصرة، ونفس الصورة تتكرر في البحرين. لم يعرف الراحة والإسترخاء وكأنه يراها حراماً على الدعاة والهداة.

لم ينجح يوماً بأنه على هذا النشاط والدأب وإنما كان يدعو الله أن يوفقه للمزيد..

واقتبس هذا المقطع من رسالة له إلى أحد مراجع الدين «فشاء الله وله المنة والفضل على جميع صنعه أن يبتلينا وإياكم لخدمة شرع الحنيف ويبوؤنا مقام الذب عن بليغ حجته وارشاد عبيده إلى قويم نهجه وهذا كما جعلنا موضعاً لرعايته ضاعف من مسؤلياتنا فجعلنا أكبر من أن يتهاون في أمرها وأدق من أن يستهان بتبعاتها ومنه تعالى نسأل أن يعيننا على ما ابتلانا ويوفقنا للوفاء لما ألزمنا أنه سميع مجيب».

هل تعتقد أن هذه الرسالة صدرت من عالم تجاوز الثمانين عاماً، إن من يقرأ هذه الكلمات يعتقد أن قائله في عنفوان الشباب وفي قمة النشاط.

وأخيراً أقول أن شيخنا الفقيد المرجع الديني والمفكر الإسلامي والعالم المربي الشيخ محمد أمين زين الدين بعقليته وفكره ومنهجه من جهة وبروحيته وعاطفيته من جهة ثانية وبسلوكه والتزامه العملي بالإسلام من جهة ثالثة استطاع أن يون محلاً لرعاية الله فيكون المحبوب مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾[1].

وأن يكون كذلك محلاً لرعاية الله الذي جعل له لسان صدق في الآخرين لأنه كان أمة في فكره وعاطفته وسلوكه، في بيئته وعصره.

وبهذه السيرة العطرة ينبغي أن يعيش العاملون للإسلان والعالمون بأحكامه وشريعته نسأل الله سبحانه أن يكتب لنا التوفيق لخدمة دينه كما وفق فقيدنا الغالي وأن يسد الثلمة التي ثلمت في الإسلام بفقده أنه نعم المولى ونعم النصير.

السيد حسن النوري

١٤/ ٧/ ١٩٩٨م

---

(١) مريم: ٩٦.


مقالات



زين الدين
شخصية إسلامية وفقيه تحتاجه الحياة[1]

سماحة العلامة الحجة الشيخ عيسى أحمد قاسم

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

فينا ظلمة الطين وفينا نور الروح ومنا من يتحول كله طينَ ومنا من يتحول كله نورَ، والكفر هو طريق التحول إلى ظلمات الطين، والإيمان هو طريق التحول إلى نور الروح، حتى ليخرج المؤمن الصادق في إيمانه من هذه الحياة نوراً بلا شوائب منذ ظلمة الطين والمؤمن الصادق والمؤمن الصدق على أتم ماهو صدق هو المعصوم عليه السلام ثم أن هناك لدرجات وزين الدين أعلى الله مقامه ممن ألهم المؤمن القناعة بأنه من الخارجين من الظلمات إلى النور بإذن الله، وإن أخطار نفسه قد شعت بمعرفة الله،بحبه،بالتعلق به،بالشوق لكيانه،باتجاهه،بالإخلاص

---

(١) مهرجان فقيه الطليعة بالجارودية - القطيف بمناسبة مرور عشر سنوات على رحيل الشيخ زين الدين

لوجهه الكريم.

زين الدين شـخصية إسلامية بصدق، والشخصية الإسلامية رؤية كونية واعية وقيمنـا فيهـا علمٌ وعلمية، والعلم شـيء والعلمية شـيء آخر، من النـاس من يعمل علمه لكن لاتفكيره ولا مشـاعره ولا مواقفه تخضع للمنهـج العلمي، أما هذا الواقع للنـاس هو رجالات لايقيمـون حياتهم على العواطـف ولاتذهبهم الإنفعالات إلى ماتشاء النفس أو يشاء الآخرون، وإنما كان له من المنهجةالعلمية ومن التقيد الفعلي بالمنهج العلمي مايجعله دائماً إلا ماشاء الله...

شخصية إسـلامية تعبدية، بعد أن تعرف الحق تهتدي إليه،تؤمن به، لاتتوقف لحظة عن الخضوع والإستسـلام إليه،علينـا أن نعرف الله، وبعد أن تعرف الله،وأنه الكمـال المطلـق والجمال والجلال الذي لاحد له، علينا أن نخضع ونستسـلم أمام إرادته سبحانه (أقصد هنا إرادة التشكيك) أما بالنسبة لدراسته التكوينية فلا خيار لنا على الإطلاق.

الثبـات على الخط سِمَةٌ ضرورية من سـمات الشـخصية الإسـلامية، ووراء هـذا الثبات رؤية كونية مترسـخة، ونفسٌ وضح في مرآها بـلا ضبابية ولاغبار ماهو المنطلـق وماهو الهـدف وماهو المنهج ومـن بعد ذلك يمكن أن تثبـت النفس أمام الشبهات، أمام التحديات،أمام كل الإغاصات، أمام كل التقلبات والتحولات، أمام كل مايسـكبه وكل مايصيب الرهبة، أنت تحتاج دائماً إلى رؤية كونية صلبة من أجل أن تثبـت لنا القـدم على الطريق، فالثبات على الخط لايأتـي من فراغ وإنما يأتي من خلفية تتمثل في تلك الرؤية الكونية الصادقة الحقيقة الراسـخة المتجذرة، ويحصل هـذا من فطرة صافية وقدرة على هضم المرائب، من بحيرة تتفتح على الكون وآياته وليس عليها غشاء يمنعها قضية الإستيعاب وليس في مسار مرآها من ضباب العصبية وضباب السلوكيات المنحذرة وضبابية الأنا الضيقة مايحول بينها وبين رؤية الحق.

والشخصية الإسلامية أخلاقية رفيعة لاتمثل مظاهر الأخلاق الرفيعة في الشخصية التي تكتنزها إلا الظهر والسطح، أما ماهو عمق الأخلاقية فهو أبعد من ذلك بكثير في نفس متصلة بالله متخلقة في داخلها بأخلاقه.

الشخصية الإسلامية دورٌ رسالي فاعل لاتقبل أن تخرج من الحياة دون أن تترك بصماتها الإيمانية في مشاهد الحياة في إطار قد يضيق بعض الشيء وقد يتسع.

والشخصية الإسلامية إنفتاح في الهم، ويتجاوز الحد المكان والحد الزمان، ويتجاوز البيئة الإنسانية المحدودة، إلى أن يكون الهم الوسيع الذي يحمل رسالة هداية ورسالة إصلاح ورسالة إعمار لكل نفس ولكل شيء وكل شجرة وكل حيوان، وكل شيء من ذلك على قدر الإنفتاح في الهم الذي يخرج بالشخصية من كل قوقعاتها إلى أن تعيش الأفق الإنسانية الوسيعة ولا يهتف بها حاضر الإنسانية عن مستقبلها ولا غيار مكان ولا زمان عن التفعيل والتخطيط لما أمكن لصلاح كل الأمم وكل الشعوب.

الهم الرسالي الذي يأخذ على نفسه أن يتجه بضم إنسانها بكل شيء فيها إلى الخط العائد لله تبارك وتعالى، والأشياء من دون الإنسان لها عبادتها التكوينية أما عبادية الوظيفة فهي من صنع الإنسان.

الإنفتاح في الحب، فكان في الإمام علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقاتل المشرك والمارق، يقاتلهما بمنطلق الأمر الإلهي ومن منطلق الحب الذي كان على الإنسان المؤمن أن يتخلق به.

هذا الحب الذي قد يغير له الفكر مصلحة الجماهير العريقة والأمم الكثار على مصلحة طاغوت يحول بين الناس وبين سعادتهم في الدنيا ويحول بينهم وبين سعادتهم في الآخرة.

وهذا انفتاحٌ واعٍ ورسـالي وخلقي وملتزم وليس إنفتاح الأعمى الذي لايفرق بين حق وباطل والذي لايفرق بين صحيح وفاسد.

إذا درسـت زيـن الدين وجدت له مـن كل هذه الأبعاد حظاً كبيـراً، إذا طالعته سـيرةً أو عشـت معه مباشرة فإنك سـتخرج بهذه الحصيلة: «إن زين الدين شخصية إسلامية بصدق».

ما دور الذاتيات في صنع شخصية زين الدين وما دور الوسط والإنتماء!

الشـخصية الإنسانية دائماً لها هذه الثلاثة الأبعاد في صناعتها: مواهب الذات وخصائصها، والوسط الإنساني البيئي وحتى البيئي المادي، والإنتماء إلى فكرة إلى أطروحه أو إلى دين أو شيء أو أمر غير ديني.

الرجل له مواهبه وجبريلياته، وله وسـط آخر وإنتماء وفيّ، وما أريد أن ألفت النظر إليه هنـا هو أن زين الدين كان حراً من خلال إنتماءه الذي يعلم الحرية ويعلم العلميـة والموضوعية ويعلم العزم ويد الشـخصية بالعزم والإرادة، ويجعل من هذا شخصية رسالية بصدق وحق وإمتياز.

أديبٌ إسـلامي وعلى طريقة أهلِ البيت عليهم السلام في فهم الإسـلام، عندما أقول بأنه كان حراً أي أنه لم يكن أسير البيئة بكل سلبها وإيجابها، كان الرجل الذي ينتقد ويختار من دون أن يفقد إرادته أمام المورث ولا أمام الحاضر، أمام ماقدسه التقادم وأمام ماقدسته الجِدَة، وكثيرٌ من الناس ينهزمون أمام ماقدسه التقادم وأمام ماقدسته الجِدَة.

حين يتقرر عند زين الدين صوابية الخطوة والفكرة والرأي وماكان في الحدس أن يتعجـل فـي بناء الرأي والفكرة وإنما كان الرجـل الذي يقدر الأمور ويغوص في عمقهـا ليخرج بنتيجة، إنه قد يخرج بنتيجـة صائبةوهو غير معصوم، ولكنه بعد بذل

الجهد وكل مافي الوسع والتوصل إلى الرأي العلمي كان يلتزم به،وماكان المحيط يفرض عليه رأياً خاصاً ولو كان المحيط كبيراً، ولو كان المحيط عالي القدر، ولو كان علمياً أيضاً وحقانياً أيضاً ولو كان المحيط جدياً وحريصاً على ذلك، ولو كان المحيط برجالات عِظام عظيماً إلا أنه عندما يصل بالنظر العلمي إلى الرأي كان الحر الذي يلتزم برأيه الذي صار يقتنع به، لما له من خلفية نظر وتدقيق فهو بذاتياته وبإنتمائه يفرض شخصيته على النقاط وأي موضع عنده مع الوسط..

القراءة السريعة لزين الدين رَحِمَهُ اللهُ أنه إيمانٌ مشع، لاتحتاج في التعرف إليه إلى معاشرة طويلة ولا إلى تكلف، زين الدين جماهيريٌ بلا تكلف، لأن التواضع عنده ليس من أثر الصناعة، وكل أخلاقه الكريمة رَحِمَهُ اللهُ كانت ترتقي إلى حد الملكات الراسخة التي تمثل مكوناً رئيسياً، ثابتاً في شخصيته وفرق بين خُلق عابر وخُلق مترسخ أصبح من ذاتيات النفس اللازمة.

ماخلفية التقوى؟.. فيما يُستَشف من تقوى زين الدين رَحِمَهُ اللهُ أن وراء حب الله وتوقيره وتعظيمة قبل أن تكون التقوى هي عنده من منطلق الخوفِ من العذاب وإن كان ذلك لابد منه...

صحيحٌ.. أنه الإنسان الذي يخافُ من العذاب، ولكني وكأني أرى نفسه أن لها من حب الله ومن تعظيمه مايجعلها تندَكُ أمام عظمةِالجمال الإلهي والجلال الإلهي قبل أن يحكمها هاجس العذاب.

خطابه التربوي قرآني مادةً وَ طريقة:

ماكان يفرض عليك التربية، ماكان الذي تراهُ يريدُ أن يقودكَ إلى شيء، ماكنت تراهُ أنهُ يريد أن يدخلَ على نفسك بشيء، كان يستنطق القرآن الكريم، يستنطق فيك الفكرة، ويستنطق فيك المشاعر، يستنطق المعنوية كلها، يستنطق فيك مخزون العظمة بكل ماللفطرة من أبعادٍ من إشعاعات من توجهات صاعدة إلى الله سبحانه

وتعالى.. وبلغة أخرى أنه يحاول أن يُريك نفسك الأصل، أن يُريك مابهِ كرّمك الله في داخل نفسك، مابهِ رفع الله عزوجل منزلتك، ومابه اسجد الله ملائكته ليومك الأول.

قلمهُ ذكيٌ لايجعل من الخيال المؤثر على الموضوعية والعلمية، هو علمية تتمتع بالدقة والموضوعية ولكنه لايعاني من جفاف ولايثقل على النفس فلا تصبر عليه الوقت الطويل.

ماهو أفئدة الشباب المثقف، وماهو أفئدة الشباب من غيرهم، وماهو كلمة الطفل المدرك، وماهو الشيخ الكبير، وماهو نفوس الكثيرين، لم يفصله علم ولا سنٌ عن شريحة الشباب ولا عن أي شريحة أخرى، ولا عن مُلابسة مشاعرهم وتصوراتهم فيما يقول وفيما يكتب لهم وفيما يسمعُ منهم ويدخل في النقاش معهم.

زين الدين واحد من أفذاذ فقهاء الأمة الذين تحتاجهم الحياة، يحفظ بهم دين الله، وأنت أمام حاضر منذر ومستقبل مخيف من فقهاء ليسوا على الخط ولا يدعون إلى الله إنما دعوتهم للشيطان في الأرض، لن يفرط الكفر العالمي في صناعة وإحتضان أدعياء الفقاهة ليقضي بهم أغراضاً خبيثة تتصل بالدين العظيم.

وهذا يفرض على مجتمعاتنا الإيمانية الكريمة أن تبحث عن أغلى فلذات أكبادها وأسطع العقول من أبنائها وأزكى الأنفس وأوفرها حظاً على تحمل صعاب الطريق لتختارهم طلبة للعلم الديني لمواجهة تحديات المستقبل.



والدي كما عرفته

سماحة الحجة الشيخ ضياء الدين زين الدين
الاربعين - المنامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يحصي مدحته القائلون، ولا يجزي بآلائه الشاكرون والعابدون والصلاة والسلام على خيرته من خلقه، وهداته في بريته، محمد والمنتجبين من عترته.

السلام عليك يا مولاي يا صاحب الزمان وعلى آبائك الطاهرين وعزاء إليكم بأحد فقهائكم الأتقياء، كنتم أوليائه وكان شرعكم نهجه، وإقامة مذهبكم غايته، حتى التقاكم وأنتم هدفه في الدنيا والآخرة.

السلام عليكم أيها الأخوة الأحبة والمؤمنون، المحتفلون بذكرى أبٍ لكم كان عزيزاً عليه ما عنتم، حريصاً على استقامتكم في إتباع نهجه الحق ناذراً لله نفسه في حمل مشعل الهدى بينكم وإقامة الإصلاح في مجتمعكم وفي ذات أنفسكم.

بذكرى أبٍ كانت آلامكم وخزاتٍ عميقة في قلبه حتى لقي ربه، وكان تحقيق الصالح من آمالكم أقصى مناه، وخالص دعائه إلى الله أناء الليل وأطراف النهار.

وعزاء إليكم بهذا المصاب الجلل الذي نشترك فيه جميعاً، فلم يكن مثل الشيخ محمد أمين مختصاً بأسرته وأقربائه في النسب أبداً فذلك النور الذي كان يحمله سماحته ﷺ أجل من تحده زاوية اجتماعية معينة وذلك القلب الطاهر فيه أكبر من أن يختص به أحد دون مدى رسالته التي تحمّلها في حياته، وتلك الروح الزاكية أوسع من أن تستأثر بها فئة دون حدود مسؤوليته التي أخذها على نفسه مع الله.

نعم -أيها الأحبة- فقدنا الشيخ زين الدين أباً باراً يتسم بكل ما تعنيه الأبوة من رحمة وحنان وحب عميق، وفقدنا مربياً له كل ما يحمله المربي العظيم من طاقات تمكنه من الارتفاع لمن يربيه إلى ما يريده من الكمال.

وفقدنا حمىً نلجأ إليه في الشدائد وحصناً منيعاً نركن إليه في شبهات الفكر ومزالق الحياة.

فقدنا الشيخ زين الدين فقدنا به وضوحاً في معالم الحق قلّ أن نجده عند غيره.

وفقدنا به استقامة في سبيل الهدى لم تنحرف بها الأيام رغم ما فيها من سرور أو مكاره.

وفقدنا به ثباتاً على الحق لم تزغ به شدائد الحياة أو مغرياتها.

وفقدنا به رؤية صادقة للمستقبل أيدتها الأيام في معظم توقعاتها فكان المثل الأسمى لكلمة العصمة الخالدة: «المؤمن ينظر بنور الله».

أيها الأحبة: لا أضنكم تشكون في صدقي وأنا أقول لكم أنني ومن خلال عشرتي الطويلة معه لم أره محابياً لأحد من الناس على حساب أحد ولم أشاهده

مجاملاً لأحد من الناس على حساب الحق، أو على حساب رسالته ومسؤوليته في الحياة.

عندما كان تنرّحَ يقول الكلمة، أو يصدر الأمر والنهي في بعض الأحيان بشكل نعتقده، حتى نحن، أنه عفوي ثم ما إن تمر الأيام إلا وتثبت أن ما صدر منه كان عين الصواب ولو بعد زمن طويل، وأنه عين الحكمة، وكأنه كان يستبق الزمن في رسم ما يحدث.

كنت أمر -وبحكم دراستي الدينية ودخولي في معترك النزاع الفكري والديني من جهة وبحكم المسؤوليات العظمى التي يقتضيها عملي في خدمته خلال السنوات الأخيرة من حياته تنرّحَ- كنت أمر بمزالق في الفكر حتى لا أكاد أجد لقدمي مستقراً.. وأسرع إليه لاستجلاء حقائق الأمور، أو الاستلهام المناسب من المواقف.. ثم -ومن خلال كلمات قلائل منه أو إشارات سريعة- يتضح لي كل شيء وتستبين لدي السبل.

وكانت تمر بي -وبحكم الظروف الصعبة في الحياة، وملامستي القريبة لمشاكل الناس وآلمهم- كانت تمر بي ضوائق حرجة حتى أشعر أن الدنيا أطبقت على صدري فلا متنفس ولا مخرج.. ولكن ما إن ألتقيه وأستمع إلى كلماته المطمئنة بذكر الله أو دعاء مخلص إليه تعالى إلا وتنفرج أمامي آفاق الحياة، بل وقد يجعلني استعذب مرارة تلك الضوائق وكأنها من ألذ ما يأمله الإنسان السعادة والهناء.

أيها الأخوة: افتقدنا الشيخ الأمين علماً من أعلام رسالة الله في هذا العصر، وحجة من حجج الحق في هذا القرن، وفقيهاً ورعاً من فقهاء أهل البيت عليهم السلام حمل مشعل الهدى في حياته وسبق به وذاد عن حياض شريعته فوفّق في جهاده.

أقول: افتقدنا الشيخ الأمين، ولا أقول: مات، فمثل هذا العلم الخالد أسمى من الموت.

لم يمت زين الدين وإن فارقت روحه الزكية جثمانه الطاهر، ووسدناه بأيدينا في ملحودة قبره الذي سيضمه إلى يوم يبعث.

لم تمت من الشيخ زين الدين تلك الروح التي أوقفها على خدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام، فامتزجت في ولائها وجهادها وجهودها برسالة هذا المذهب وكلمته العليا في هذا العصر، ودلائل حجته أمام البصائر، وستبقى مادام هناك أثر أو مؤلف لهذا العلم يقرأ في المكتبة الإسلامية على مر العصور.

لم يمت من الشيخ زين الدين ذلك الخلق الرفيع الذي تجسد فيه ورع الصالحين، وهدى أهل البيت عليهم السلام، والشجاعة في قول كلمة الحق كأظهر وأروع ما يبرز فيه التجسد وكان خير مثل يمكن أن يقتدي به في هذه العقود الأخيرة كل من عرف هذا الرجل الأمين.

لم يمت من الشيخ زين الدين ذلك القلب الكبير الطيب الذي نهل حب الله تعالى من معين أهل البيت عليهم السلام فملأ بهذا الحب قلوب من اتصل به بنسب أو بسبب، ورام أن يقبّس منه مبتغاه.

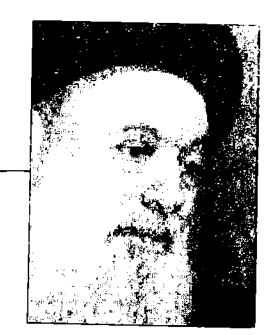
لقد كان من وصايا سماحته قدس سره إلينا والتي كان يؤكدها علينا في كل مناسبة فهي دعوته إيانا في التدبر والتأمل الوافي للقرآن الكريم، وفي كلمات الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام وخصوصاً ما ورد منها في كتاب تحف العقول عن آل الرسول ودعوته الدائبة لنا أن تصبح تلك الكلمات والوصايا حقائق في ذواتنا وملامح واضحة في سلوكنا وعلامات مضيئة في حياتنا.

أما آخر دعاء كان المرحوم سماحة الشيخ الوالد يردده حتى حينما كان ينتبه بين حين وآخر من غيبوبته التي سبقت وفاته: «اللهم بلغني سؤلي أنا ومن يعنيني أمره حتى لا نحتاج إلى رحمة أحد من المخلوقين» ختاماً أكرر عزائي إلى مولاي صاحب العصر وآبائه الطاهرين ولكم أنتم أيها الأحبة مع جزيل شكري وامتناني

لكم بما قدمتموه لنا من مواســاة خففت علينا هذا المصاب الأليم، ودعائي إلى الله العلي القدير أن يســد الثلمة التي خلفها فقد هـذا الفقيه العظيم بعلماءٍ أتقياء عاملين يواصلون حمل المسؤولية في رفع راية الحق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ضياء الدين زين الدين

النجف الأشرف



جولة في أزقة الذاكرة[(١)]

آية اللّه السيد محمد حسين فضل اللّه
لبنان

لقد عشت مع سماحة آية الله الشيخ محمد أمين زين الدين في بدايات شبابي في النجف وكنت منذ بداية تعرفي عليه أعرف أنه كان العالم الذي يتحسس المسؤولية الإسلامية في تربية مجموعة من الشباب الحوزوي على الإسلام من خلال الثقافة الأدبية المنفتحة على الأسلوب المشرق، وعلى الفكر المعاصر، وعلى الروحية التي تختزن في داخلها معنى الحركية والإبداع، والدعوة الملائمة لذهنية العصر.

وكان سماحة الشيخ من ضمن مجموعة من الفضلاء الذين أخذوا أسباب العلم فقهاً وأصولاً وانفتحوا على الثقافة المعاصرة وخصوصاً الأدب المصري في أسلوب الكتابة.

ولا أنسى أن من بين الذين انفتحوا عليه أحمد حسن

(١) الاربعين : حميد الخاقاني.

الزيات صاحب مجلة الرسالة التي كانوا يقرؤوها بشغف ويحتذونها في أسلوبه الأبي الممتع المشرق، وكانت هناك ندوات لهذه المجموعة الطيبة الذين أذكر منهم إلى جانب الشيخ المرحوم الشيخ سلمان الخاقاني وقد جمعت هذه الندوات والمطارحات في كتاب قرأت بعضه في مكتبة الشيخ سلمان الخاقاني الذي كان بيته مجاوراً إلى بيتنا في النجف الأشرف وكنت أتردد على مكتبته بين وقت وآخر.

وقد انطلق سماحة الشيخ زين الدين في تربية مجموعة من الشباب استطاع أن يثبت فيهم روح الوعي وحركية الثقافة الأدبية في الأسلوب والفكرة فكان منهم الكتاب والشعراء.

ولذلك فقد أطلق الذرة الأولى في أرض الحوزة في النجف الأشرف في نشوء جيل مسلم منفتح على العصر بأسلوب العصر وفي دائرة ذهنيته، وبهذا يعتبر سماحة الشيخ زين الدين من أوائل المجددين في هذا الاتجاه.

وقد خاض المعركة الكبرى التي بدأت في العراق وفي النجف الأشرف في موجهة التيار الماركسي والتيار العلماني المتمثل بالتيار القومي الذي كان يتبنى إيديولوجية بعيدة عن الإيديولوجية الإسلامية، فقد انطلق بعلمه وبأسلوبه ليواجه هذا التيار بالعلم وبالفكر وكان كتابه (الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته) الذي بدأ بنشره في مجلة الأضواء التي كنا نشرف عليها بتكليف من جماعة العلماء في النجف الأشرف.

وبذلك أغنى هذه المجلة ببحوثه، باعتبارها المجلة التي انطلقت في مواجهة هذا المد العلماني والماركسي بالذات، وبذلك كان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي أريد لها أن تقف في مواجهة التيار العلماني وفي مقدمته التيار الماركسي إلى جانب كتبه القيمة الأخرى التي ألفها في السياق التأريخي نفسه مثل (الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام) و(من أشعة القرآن) و(العفاف بين السلب والإيجاب) و (إلى الطليعة المؤمنة).

وربما كانت هذه الانطلاقة الثقافية هي التي فتحت أكثر من نافذة على هذا

الأفـق فـي معالجة القضايا الإنسـانية والأمور التـي تثر أكثر من علامة اسـتفهام في الواقع المعاصر، وذلك بالفكر والعلم وبالكتابة.

ومـن هنـا فإننا نتصـور أن الحركة الإسـلامية التـي انطلقت في النجف الأشـرف كان الشيخ زين الدين أحد الذين أطلقوا روحها وفكرها وهيئوا لها الأجواء الملائمة وإن لم يكن مشاركاً فيها بطريقة عضوية، لأن قيمة حركة الشيخ زين الدين الثقافية أنها هيأت مناخاً جديداً في الحوزة يتنفس فيها شبابها الطالع روح العصر في حركة الروح الإسلامية في داخله.

وهكـذا نلاحـظ أنه كان يدفع بالكثيرين من طلاب الحوزة لكي يعيشـوا روح الدعـوة فـي حركة التبليغ باعتبار أن الحوزة كانت آنـذاك بعيدة عن المعنى الحركي في لتبليغ الإسـلامي في مناطق العراق، لجهة الذهنية التي كانت تسـيطر على واقع تفكيـر الطالـب الحوزي مـن أن العالم الديني ليس من شـأنه أن يخطـب وأن يبلغ، بـل أن كل شـأنه أن يدرس ويدَرس ويباحـث ويبتعـد عن كل هذه الأجواء، لأنها من شـأن الخطباء وهم قراء التعزية حسـب المصطلح فكانت هذه الأفكار الجديدة في الأسلوب الجديد المعاصر وفي حركية الإسلام في وعي المسلمين ولا سيما طلاب العلم الديني هي من بين الأسباب التي حركت خط التبليغ ولاسيما عند المراجع.

وكان الشيخ زين الدين محترماً عندهم في فكره وفي علاقته الخاصة وعندما أصـدر الكاتب المصري (أحمـد أمين) كتابه (المهدي والمهدويـة) الذي عالج فيه الفكرة بطريقة سـلبية، كلف المرجع الكبير السيد محسن الحكيم الشيخ زين الدين للرد على أحمد أمين، لمعرفته بمقام الشيخ وجدارته وعمق فكره وغور نظره، فكان كتابه (مع الدكتور أمين في حديث المهدي والمهدوية).

إننـي عندمـا أتمثـل دوره، العميق فـي صمته، البليغ فـي كتاباتـه، الهادئ في سـلوكه، الواعي في عقله، المنفتح في أفقه، في تقوى قل نظيرها، وفي اسـتقامة قل ما رأيتها متمثلة في أحد مثله.

كان المتواضع كأعظم ما يكون التواضع، في الوقت الذي يملك فيه الكثير مما يستعرض الناس في عضلاتهم، لاسيما أنه كان مميزاً في طاقاته التي يتحرك فيها، لأننا وقد أشرفنا على مجلة الأضواء في تلك المرحلة، فوجئنا أننا لم نجد من يكتب في النجف كتابة معاصرة في مجلة إسلامية إلا القلائل، وكان في مقدمتهم الشيخ زين الدين، كان بإمكانه أن يستعرض دوره، لكنه كان الإنسان الذي ينكر ذاته، ويعطي بدون حساب وبدون مَن ...

لقد عشنا معه وتعلمنا منه أن الإنسان الرسالي هو الإنسان الذي يعيش كل عمره لرسالته ويعيش كل حياته لفكره، ويخلص لدوره، ويتقي الله سبحانه وتعالى في ما يأخذه، وفي ما يدعه. كان البعيد عن كل العصبيات التي كانت تفرض نفسها على الكثير من مواقع النفوذ في النجف الأشرف، كان يخاف الله في نفسه، وفي الناس، وكان منفتحاً عن الواقع حتى عندما تختلط الأمور في الواقع.

لقد انطلق في خط المرجعية وكانت رسالته من أغنى الرسالات وأكبرها بكل هدوء وبكل صمت، وبكل وعي وبكل تقوى، حتى كان ينكر ذاته في موقعه، وموقعه كبير كبير، أننا عندما نفقد إنساناً كبيراً كبيراً تقياً تقياً عالماً عالماً، منفتحاً كل الإنفتاح، مربياً لأفضل ما عرف عن المربين، مثقفاً مجاهداً في سبيل الله فإننا نشعر أنه قد ثلم في الإسلام لا يسدها إلا القليل القليل من أمثاله وما أقله في هذه الأيام.

فرحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما أعطى الإسلام من فكره وقلبه وروحه ونشاطه وتربيته، وبمقدار ما أعطى الأيام من عطائه التي يركز فيها معنى العزة والحرية والكرامة.

والحمد لله رب العالمين.

السيد محمد حسين فضل الله



ملامح من حياة كريمة[١]

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي
العراق

وصل نعي الراحل الجليل الأمين زين الدين طاب ثراه إلينا في غربة والتعرض للفجائع في الغربة يضاعف من وقعها.

ويهون الأمر لو كانت الفجيعة بأمور يهون فقدها أو تكون قيمتها مما يسهل السخاء به أما إذا كانت بفكر مبدع وقلم مترف رصين جنّد نفسه لإعلاء كلمة الله والذود عن حياض العقيدة فذلك مما يوجع القلوب ويوجب الحسرة ولكن لقضاء الله عز وجل وله الحمد على ما كتب.

ولما كنت بصدد استعراض بعض الملامح للراحل الجليل وليس الإلمام بكل سيرته وقفت طويلاً أتأمل: ماذا أختار وبما ذا أبتدئ والرجل كله حسنات ومزاياه لا يفضل بعضها على بعض من حيث النسبة والنوعية. وفي مثل هذه

---

(١) الاربعين: حميد الخاقاني.

الحالـة يقف القلـم حائراً: فالراحل جهبذ في العلم، وحبـر في التقوى، وروضة في الأخلاق وشـعلة في النشاط الفكري وهكذا. ولكني بصدد تسجيل بعض الخواطر حول ما يتميز به حملة الرسالات من أهل العلم:

قد يكون هناك عالـم ضليع في تخصصه في أي بعد من أبعاد المعرفة ولكنه لا يتعدى كونه كتاباً مغلقاً على نفسـه يحفل بالعمـق والأصالة والفائدة بدون أن تصل للآخرين وكم هو عظيم قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا» والراحل ممن علم فعمل وعلّم سواءً عن طريق الكتاب أو بطريقة مباشرة في تفاعل مع المتعلمين.

وقـد يكـون هناك من هو على علم وفي خط التعليـم نقل أفكاره للآخرين في درجـة من الشـعور بالذات تضع بينه وبيـن القلوب حاجزاً فهـو لا يألف ويرى فيما انتهـى إليـه من علم ومكانة شـيئاً يحمله علـى الاعتداد بما لـم يصـل إليه الآخرون، وزينة العلم التواضع.

وقـد قـدر لهـذا الراحل أن يحظـى بخلق رضـي وتواضع جـم وعفوية تحببه للنفـوس وتبنـي له مكانة فـي القلوب ويعرف ذلك من عرف الأميـن زين الدين فما رأيت هذا الرجل يوماً إلا واستحضرت قوله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**﴾.

وقـد يكـون هنـاك من يجمع بيـن العلـم والتعليم والخلـق ولكنـه يتقوقع إذا صادف وطيسـاً حامياً وتفارقه الجرأة على طرح فكرة تقارع الانحراف وتقف بوجه الضلال ولا يعدم وسـيلة من وسـائل تبريـر ذلك تظهر براقةً ويختفـي تحتها الجبن والنكول عن المواجهة المسؤولية.

ولقد عهدت الراحل يتميز بجرأة غير قليلة في التعبير عن آرائه والجهد بالحق والوضـوح فـي الرؤيا. كان كل ذلـك وإلى جانب ذلـك منفتحاً على الناشـئة وعلى

تماس بهم يتصدى لإجابة أسئلتهم ويسدد من خطاهم ويناقش ما يدور في أذهانهم ولـم يظهر عليه فيما عالج من وسـائل انحياز لاتجاه معيـن وإنما كان على مائدة آل محمد، بما فيها من سعة وشمول.

وكان يرفد مضمونه الفكري بما جد من فكر على الساحة الإسلامية والإنسانية وكنـت أدخل إلى -القيصرية- فـي النجف وهي مكان المكتبـات التي تبيع الكتب ومـن النـادر أن لا أجده هناك كلما دخلـت يجلس عند مكتبة عبـد العزيز البغدادي يسـأل عن الجديد في عالم الكتب وعما يعرض من كتب قديمة للبيع فلا يخرج من هناك إلا بصيد جديد.

ولقد انعكسـت هذه الموسوعية في آرائه التي نشـرها فيما ألف من كتب وإن كانـت صغيـرة فـي حجمها ولكنهـا غنيـة بمضمونها ومنهـا: إلى الطليعـة المؤمنة، والعفاف بين السـلب والإيجاب، ومن أشـعة القرآن، والإسـلام بينابيعه ومناهجه، ورسالات السماء وغيرها وهي مما يخاطب بها شرائح متنوعة وتتسم بطابع تربوي تلقيني ولا ينظر فيها عادةً إلى العمق بقدر ما ينظر فيها للوصول إلى نوعية الآخرين.

أمـا الكتب ذات التخصص التي تخاطب الأقـران وتحدد المكانة العلمية في العلمين الأساسيين الأصول والفقه فلم تحرم الساحة من عطائه فيهما كما هو الحال فـي تعليقتـه على العروة الوثقى للسـيد كاظم اليزدي ﵀ وعلى الرسـالة الصلاتية للمحـدث البحراني (طاب ثراه)، وفي تقريرات بحث أسـتاذه الضياء العراقي (رفع الله قدره) -ما يزال مخطوطاً- إلى غير ذلك.

يضاف لذلك مزاج أدبي يهتز للنص الشـعري أو البشـري وهو رافد جف في سـاحتنا العلمية لا لعدم أهميته أو لعدم تذوق ولكنـه صار يعطي انطباعاً عن حامله بأنـه مـن الأدباء وليس ممن تميزوا بالغوص والعمق فـي ميادين الفقه والأصول مع أنه لا مانعة جمع هناك وإنما هو مجرد تصور بأن ذلك صرف للوقت فيما لا جدوى

مهمة منه، إن ذلك بخلاف ما كانت عليه حوزاتنا في صدرها الأول كما هو معروف لمن له أدنى إلمام بتاريخنا العلمي.

لقد كان رَحِمَهُ الله أديباً مطبوعاً وإن لم يمارس ذلك تمشياً مع المزاج السائد ولأنه لا يشكل مفارقة.

وبعد ذلك كله لقد اتسعت مساحة عطائه فشملت كلاً من البحرين والمنطقة الشرقية من السعودية وجنوب العراق فكان في ذلك كالغيث أينما وقع نفع.

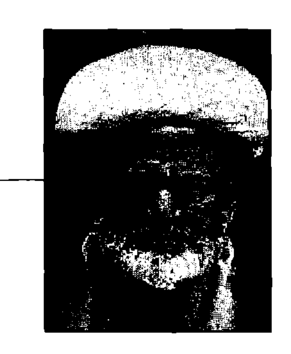
لقد شكل في ذلك جزءاً ليس بالقليل من ظاهرة الوعظ العقائدي والأخلاقي. وكان واعظاً بسيرته وأخلاقه قبل أن يكون واعظاً بقلمه ولسانه والاستقامة لسان بليغ وفاعل أكثر من غيره.

وما عساني أذكر في هذه العجالة واللمحات السريعة عن روح تكبر عن الكلمات بما حملت من تقوى وعلم وخلق عبّرت عنه كلمة التقوى في أجزائها العشرة.

ولأن آمّنا بحكمة القدر والإرادة التي استأثرت به في ظرف يحتاج أمثاله ويفتقر للأبرار فليس ذلك مما ينسينا عظم الخسارة. رحم الله الراحل الجليل وأمطر ضريحه بشآبيب رحمته وهنيئاً له جوار أبي تراب في التراب الطهور وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

دمشق ١٧/ ربيع الأول/ ١٤١٩هـ



الفقاهة في تراث الشيخ زين الدين قدس سره

الشيخ ضياء الدين زين الدين

مهرجان فقيه الطليعة الجارودية - القطيف

بمناسبة مرور عشر سنوات على رحيل الشيخ زين الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء، وجعل مدادهم خيراً من دماء الشهداء، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء، محمد وآله الأصفياء.

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا، وَاغْفِرْ لَنَا، وَارْحَمْنَا، أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1].

السلام عليكم أيها الإخوة والأبناء النجباء ورحمة الله وبركاته.

(١) البقرة آية ٢٨٦.

لا بد ان البعض منكم ينتظر مني -وأنا أقف أمامكم في حفل استذكار لسيدي الوالد ﵀ ولقربي المباشر من سماحته- أن أتعرض لشيء من سيرته الخاصة أو العامة، كعلم من أعلام الأمة، ومرب لأجيال إسلامية، كان له شرف المساهمة في وضعها في الطريق الإسلامي القويم، من خلال كتاباته الإسلامية الرائدة، أو محاضراته ورسائله وكلماته التي واكب فيها عصر الصحوة الإسلامية في العراق، بل وكان هو أول من أدخل التجديد للحوزة العلمية في النجف الأشرف -كما ينقل الشيخ التسخيري عن السيد الشهيد محمد باقر الصدر ﵀.

أو أتعرض لسيرته كمرجع من مراجع الدين، شارك مع إخوته من مراجع الأمة في حمل مشعل الهدى، وقيادة ركب الأمة المؤمنة في مرحلة هي من أصعب مراحل تأريخها على امتداد القرون.

ولكنني أعتذر إليكم عن الدخول في هذه المجالات الآن، لأنني أرى أن التأريخ التفصيلي لسيرة هؤلاء الأفذاذ، ينبغي أن يكون التركيز عليه في مواقف أخرى، مهيأة لهذه الأمور، لا في مثل هذا اللقاء الذي يستهدف فيه شد الأواصر بين الأمة المؤمنة وأعلامها الأفذاذ، حيث لا بد أن تُستكنَه العظمة من مكامنها، وتستلهم القدوة من مواردها، لتحقيق ما يصبو إليه الإسلام ذاته، وما يفتقر إليه المؤمنون من غايات رفيعة في القدوة التربوية والأخلاقية لأفرادهم، وما يحتاجونه من استيضاح لمعالم الهدى والنور في مصادرها.

فحسب الأمة -في مثل هذه الاجتماعات- أن تعلم من عظمة هؤلاء الأزكياء أن العناية الإلهية، التي هيأتهم لمرجعية الأمة، لم تكن لتسند هذا المنصب العظيم لهم دون إعداد ذاتي كامل، من العلم والورع والتقوى، والتفاني في سبيل إعلاء كلمة الله (تعالى)، وهي صفات الكمال الأولى التي تندرج فيها كل الصفات السامية التي تراءى في هذه النخبة من عظماء الأمة.

أمـا مـا وراء هذا من تفصيلات سـيرتهم، فينبغي أن يكون من مهمة دراسـات أخرى، تستهدف التعرف على أطوار حياتهم، والتدبر الواعي لسجاياهم ومواقفهم

ولهـذا السـبب رأيت أن أسـتغل هـذه الفرصة الثمينـة معكم –أيهـا الأحبة– لأسـتعرض معكم واحداً من أهـم مواضيع الساعة في هذه الأيام، ولكن من كلمات سماحة الشيخ نفسه وأحاديثه.

إنه الرؤية المرجعية للمذهبية الإسـلامية في تراثـه، إذ كان ﰋ أحد الوجوه المتصديـة لبيـان هذا الجانب مـن الحوزة العلميـة في النجف الأشـرف على مدى عقـود مـن القرن الماضي، منذ أن كان في أيام شـبابه معتمداً للمرجعيات العليا فيه، حيـث أسـند إليه فقيه عصره آية الله العظمى السـيد محسـن الحكيـم ﰋ الإجابة عن الدكتور أحمد أمين المصري، في كتابه المعروف عن (المهدي والمهدوية) في بداية الخمسـينات من القرن الماضي، وحتى وصوله إلى دور المرجعية حيث أسند إليـه آية الله العظمى السـيد الخوئي له كتابة كلمته فـي افتتاح المؤتمر الذي عقد في لندن سنة ١٩٩٠ بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على موقف الرسول ﷺ في غدير خم لإعلان ولاية علي عليه السلام سنة عشر من الهجرة.

أيها الإخوة..

وما ينبغي علمه في هذا المجال –حتى قبل البدء في تفصيل الحديث فيه–: أن مذهب التشيع لأهل البيت عليهم السلام لا يختلف في أصوله وركائزه، عما لدى المذاهب الإسلامية الأخرى، حتى فيما عرف عنه من حب أهل البيت عليهم السلام، وتوليهم واتباع نهجهم، لأن هذه الأصول –في مفاهيمها العامة– تعتبر من أركان الإسـلام الأولى، التي لا ريب فيها من مسلم أبداً.

فهـي مما صرحت به آيات الكتاب العزيز إذ قال (تعالى): ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّـرُ اللَّـهُ عِبَـادَهُ الَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْـراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي

الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١].

وفيه تواترت فيه نصوص الإسلام، والمسلّمة لدى جميع المسلمين، بدءاً من صحابة رسول الله ﷺ الكرام، وانتهاء بأئمة المذاهب الإسلامية وأتباعها كافة.

فمن المستفيض بين المسلمين جميعاً قول النبي ﷺ في أهل بيته: «من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال عليا من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي».

وما عن الخليفة الأول أبي بكر من أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ خيم خيمة، وهو متكئ على قوس عربية، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: «معشر المسلمين أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء الولادة»[٢]. وما عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب من قوله: نصب رسول الله ﷺ علياً علماً، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيدي عليهم».

قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، وكان في جنبي شاب حسن الوجه طيب الريح قال لي: يا عمر؛ لقد عقد رسول الله ﷺ عقداً لا يحله إلا منافق، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال: «يا عمر، انه ليس من ولد آدم، لكنه جبرائيل أراد أن يؤكد عليكم ما قلته في علي» ولهذا بقي تسليم الخلفاء بهذا الحب وهذه الولاية والاتباع، وإعلانهم لها أمام الأشهاد حتى أيام خلافتهم، حيث استفاضت

---

(١) (الشورى : ٢٣).

(٢) (يراجع المحب الطبري في الرياض النضرة - ج : ٢ - ص : ١٩٩).

الأحاديث بذلك عنهم، كما عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وقد جاءه أعرابيان يختصمان، فقال لعلي عليه السلام اقض بينهما يا أبا الحسن، فقضى علي عليه السلام بينهما، فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟، فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال: ويحك ما تدري من هذا؟، هذا مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ومن لم يكن هذا مولاه فليس بمؤمن.

كما قال في حديث آخر عنه: تحببوا إلى الأشراف وتوددوا، واتقوا على أعراضكم من السفلة، واعلموا أن الشرف لا يتم إلا بولاية علي بن أبي طالب.

وكان يعتبر قول علي من السنة التي يجب الرجوع إليها عند الاختلاف، ولا نفيض في اقتباس الشواهد، فالموضوع أوضح من أن يحتاج إلى مزيد منها.

نعم، الخلاف بين الطوائف الإسلامية إنما هو فيما يتفرع من هذه الولاية التزامات، وما تستوجبه المودّة من حدود، وما يتجلى به الاتباع من فروض، وهي مرحلة لاحقة لا تمس أصل الإيمان بها، فالقضية في هذه المرحلة الثانية، وما يتلوها هي قضية اجتهاد، أو هي (قضية إيمان وعلم معاً) -كما يقول الشيخ زين الدين قدس سره- ولكن السؤال المهم هو: ما الذي يعنيه الاجتهاد في الإسلام، لنعلم -من ثم- ما تعنيه قضية الخلاف بين الطوائف الإسلامية في كل من الإيمان والعلم معاً؟

هنا يجيب سماحة الشيخ الوالد قدس سره في مقدمته لكتاب المناظرات للحجة الشيخ علي الخنيزي القطيفي قدس سره بقوله:

من مآثر دين الإسلام أنه شرّع للإنسان حقّ الاجتهاد في الأحكام، وليس لهذا الدين الحنيف ضريب بهذه المأثرة، وهي إحدى ممكّناته من مسايرة الحياة، وإحدى مؤهّلاته للخلود.

والنصوص الإسلامية التي تخوّل الإنسان هذا الحق كثيرة وفيرة، وهو -بعد-

ليس موضع ريبة عند أحد من المسلمين، ولا مظنة للخلاف فيما بينهم، ولا موقعاً للموازنة والترجيح، وإعمال الفكر واستعمال الأقيسة، ليس موضعاً لشيء من ذلك ليقول قائل: إنه إثبات للاجتهاد بالاجتهاد..

.. ولكنه الحق الذي لا جدال فيه من أحد، واليقين الذي لا مِراء فيه من احد، والتسالم الذي لا خلاف فيه من أحد.

ومن شواهد ذلك؛ هذه الوفرة الكبيرة من المجتهدين في كل فرقة من فرق المسلمين، على تنوّع مسالكهم في الاجتهاد، وعلى تقاربهم أو تباعدهم في مبادئه، واجتماعهم أو اختلافهم في نتائجه.

وإنها لكرامة ومنزلة ليس وراءها مطمح، أن يخوّل الله عباده حق النظر في أحكامه، والتراجيح بين أدّلتها، والغوص في أغوارها، والفقه لأسرارها، ثم هو يزيدهم -من لدنه- كرامة ومنزلة، فيضاعف المثوبة لمن أصاب، ويتفضّل بأجر الصواب على من أخطأ. و(لكن) هذا الحق الذي منحه الله لعباده، وهذه الكرامة التي اختصّ بها من اجتهد منهم، إنما تعني أن يأتوا بالشريعة من أبوابها، وأن يأخذوا أحكام الله من مصادرها.

.. من الأبواب التي فتحها الله للناس لمعرفة أحكامه، ومن المصادر التي أعدّها لبيان حَلاله وحرامه.. من كتاب الله الخالد المعصوم، الذي تأذّن الله بحفظه، وكفل برعايته، ووعد بإتمام نوره، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

ومن السنّة الصحيحة المطهّرة التي روتها الثقاة، وجمعتها الحفظة، ومحّصتها النقدة، ووقف على رجالها العلماء الأثبات.

ومن المصادر الشرعية الأخرى التي ترجع إلى هذين، وتستند اليهما، ومن القواعد اليقينيّة التي لا يرتاب احدٌ في ثبوتها، ولا يمتري عاقل في الركون إليها.

أمـا الاجتهاد الذي يميـل صاحبه مع الأهواء، أو يتّبع فيـه الأوهام، فليس من حـقّ الإنسـان -أبدا- أن يدخله في دين الله، ويُعمله فـي أحكامه. هذا هو الاجتهاد الـذي أقره الإسـلام، وبهذه الحـدود حدده، وبه اكتسـب صفة الأبديـة الخالدة مع الزمن ولا سـيما بعد انحصـار طريق الوصول إلى حقائقه به، ومن خلاله فحسـب. ويفتـرض أن تصبح هذه الحقيقة ركناً مبدئياً في نظرة المسـلمين للبعد المذهبي في الإسـلام، لتصبح -من ثم- ركناً في حياة الأمة المسـلمة، فتحتـرم الآراء التي تنهل مـن المعين الذي أقره الإسـلام لاحترام الإسـلام نفسـه لها حينئـذ، وأن تنبذ الآراء التي تنأى عنه لخروجها عن حدوده التي أقرها وبينها. ولكن المؤسف أن مجريات الأمور في المسـلمين تمضي على خلاف ذلك، إذ -وكما يقول الشـيخ الوالد ﰉ في رسالته للشيخ حسن الباقوري وزير الأوقاف المصرية في أواسط القرن الميلادي الماضي- لم أر -كالإسـلام- ديناً يتسّـع لمذاهب الفكر ويكبـر نتاج العلم، ولم أر -كالقرآن- كتاباً ينشّـط حركة الرأي ويكره خمود الوعي، ثم لم أر -كالمسـلمين- أتباعاً يحرجون بما انفسـح له دينهم، ويبرمون بما نشـط له كتابهم. إن المسلم يرث من سـلفٍ له قولاً، أو يرى باجتهاد منه رأيا، فيخال ان الإسـلام حكر على رأيه، فلا إسلام وراء الأكمة، ولا إيمان خارج المضيق.

وإذا لم يكن إسلام، فلا أخوة ترتجى، بل ولا كرامة تحتشم، ولا رأي يحترم..

لقد فصلتني عن أخي فواصل. نعم؛ ولكن أليس بيني وبينه ما يجمع؟..

أليـس مـن حقـي أن أحصي ما لديـه من ثـراء، فلعله اختصّ بشـيء من تراث أبي؟..

أقول: اختص، ولا أقول: استأثر، لأنني أراه يدعوني لمشاركته ما بيديه.

وأخي، أليس من حقه أن يطلع على ما بيدي؟.

لئـن كان هـذا الإعراض عن زهد، فـان الزهد هنا مما يضحـك، وان كان من قطيعة فان القطيعة هنا مما تبكي.

وإذا لم يكن محيص عن القول في أخي، وإذا لم يكن بدّ من الخصام، أفليس من واجب العلم أن أطلع على القول الذي أنقد فأنقل بأمانة، ثم أخاصم على علم؟.

أخي، آن لنا أن ننظر ببصر يخرق الحجب، وببصيرة تمزّق الغشاوات، وبصبر يتحّدى المعوقات.

آن لنا أن نستيقن أن حجباً فرّقت بيننا في الصورة لا تقوى على أن تباعد مابيننا في الجوهر، ولا تشجع ان تخالف ما بيننا في الروح، ولا تملك شيئا من ذلك، ولن تملكـه أبـداً ما دامت ضالّتنا الهـدى، وما دام قائدنا الرسـول الكريم (ص)، ورائدنا القرآن العظيم.

وقضية السنة والشيعة -كما قلتم- قضية إيمان وعلم- معاً- وإذا كانت كذلك فمن أولى بحلها من العالم المؤمن، إذا كان يستطيع أن يقول، ويستطيع أن يعمل؟.

هـذا هـو الـرأي الفصـل لمذهب أهـل البيـت ﵈ فـي موضـوع المذهبية الإسـلامية بكل صراحة وشـفافية، وعلى هذا الرأي جرت طبيعة الفقاهة والاجتهاد فـي هذا المذهـب، وعلى هذا جرى احتـرام الفقهاء الشـيعة لآراء غيرهـم من فقهاء الأمة، سـواء كانوا من مذهبهـم أم من المذاهب الأخرى، منـذ القديم وحتى اليوم، وإلى حيث شاء الله من الزمن.

أيها الأحبة..

أمـا مـن يقف فـي الطرف الآخر مـن هذه الحقيقـة.. أما من أراد لنفسـه أن لا يخرج عن مضيق العصبية الطائفية، فإن الشيخ ﵀ يقسم هذا الرعيل إلى فئتين:

الفئة الأولى، وهي تلك التي لم تسـتطع أن تتجاوز ذلك المضيق الذي ألفته،

حيث قصرت نظرتها عن التعامل مع الحقيقة في سعتها وآفاقها الإسلامية الكبرى.

والوظيفة الشرعية مع هؤلاء هي أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والارتفاع ببصائرهم إلى تلك الآفاق الإسلامية العليا، وفتح مداركها لأنوارها وعطاءاتها التي لا تنضب، ولا سيما حين يلمس منهم الإخلاص لله في القول والعمل، ويرى لديهم مدى من الثقافة والعلم.

وفي هذه الفئة يقول شيخنا الإمام ﹺ في رسالة بعثها للأستاذ عبد القادر العماوي حين نشر كتابه (مستقبل الإسلام) الذي وصم فيه مذهب أهل البيت عليهم السلام بما ليس فيه -لقصوره في النظر، وعدم تمحيصه للحقائق:

أخي: كم يحز في نفسي، وفي نفس كل غيور من أنصار الإسلام وأبناء القرآن، هذا التناحر الذي نجده بين المسلمين، وبين الكتّاب المسلمين على الأخص؟

كم يحزّ في نفوسنا هذا التناحر حول هذه الأسماء التي سموها فرقاً، واعتبروها مذاهب، فأضاعوا بها جوهر الإسلام، ولوّثوا بها قداسة القرآن؟

أليس من العجيب -أيها الأخ- أن يعمد الكاتب المسلم، الذي يريد أن يساهم في خدمة الإسلام، فيصوّر أخاه المسلم، الذي يجتمع معه في أهم الروابط وأقواها، ويتحد معه في أكثر الأشياء التي توجب الوحدة..

أليس من العجيب ان يصور أخاه هذا بأبشع صورة، ويسمه بأقبح سمة؟؟

أليس من العجيب أن يختلق الأكاذيب اختلاقاً، ليصف أخاه بأشنع الصفات، وهو لا يعلم من آراء أخيه الخاصة به شيئاً، ولا يعرف من سيرتِهِ قليلاً ولا كثيرا، وكل ما يعرفه عن آرائه وأقواله سخافات يتقوّلها مستشرقون، وخيالات يتوهمها مغرضون.

تأمل -أيها الأستاذ- فيما لو قابله أخوه بالمثل -وبيده قلم أجرى، وبين جنبيه قلب أجرأ- فكال له بالصاع صاعاً، وكافأه على العمل جزاءاً، بشريعة القصاص،

واقتداءاً بسنة العدل، فوضع له صورة تشبه الأولى في الوضع، وتزيد عليها في القبح؟

تأمل -أيها الأستاذ- ماذا يأخذ الغرباء عن هاتين الصورتين من تصوير فني للإسلام بأيدي أبنائه، وتفكرّ فيما يجر عليه ذلك من بلاء، وما يعقبه من ويلات، ثم انظر أليست المسؤولية تقع في ذلك على المسلم الأول، الذي أراد أن يساهم في خدمة الإسلام فأوقع الضربة الكبرى على رأسه.

تأملوا -أيها الكتّاب- فيما تكتبون، وتجرّدوا للعقل عن العاطفة، وسايروا البرهان في استنتاجاتكم، ثم اكتبوا بعد ذلك ما تشاؤون.

تأمّلوا فان الكتابة ليست حبراً على ورق، ولكنها تحكّم في عقول، وحكم على مبادئ.

ضعوا لهذا التنابز حداً، فان في الحقائق غنى عن الخيال.

الفئة الثانية: وهي الفئة التي اتخذت من المذهبية الإسلامية معولاً لهدم كيان الإسلام ذاته، وذريعة للتجاوز على مقدراته، بل وأعلنت حربها للرسول ﷺ من خلال بغضها لآله المطهرين.

وقد علم المسلمون كافة -وبالنصوص المتواترة لدى الجميع- أن الرسول ﷺ أعلن كلمة الله في هؤلاء صريحة واضحة، لا ريب فيها ولا غموض، حيث حكم عليهم بأنهم عدو له، وحرب عليه -كما قرأناه في الروايتين اللتين رواهما الخليفتان الأول والثاني- وحكم عليهم ﷺ بقوله الصريح: «ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة».

بل وقرأناه في روايتي الخليفتين الأول والثاني السابقتين حكمه عليهم برداءة الولادة، والكل يعلم ما تعنيه رداءة الولادة من كناية.

ولهذا فعبد الله بن أحمد بن حنبل يروي عن أبيه عن الشافعي قال: «سمعت مالك بن أنس يقول: ما كنا نعرف الرجل لغير أبيه إلا ببغضه لعلي بن أبي طالب»[١].

والروايات في هذه المضامين أكثر من تستوعب في حديث سريع كهذا.

نعم، يجب تمييز هذه الفئة عن المذاهب الإسلامية المعروفة، وهي قلة نادرة بين أبناء الأمة، حيث لا يرى أحد من المسلمين يتجاهر ببغضه لأهل البيت إلا نادراً، ولكن -مع هذا- لا بد لفقهاء الإسلام كافة -وفقهاء الشيعة منهم- أن يتخذوا منها نفس موقف الرسول ﷺ، ويعلنوا حجة الله فيها أمام الأشهاد، لئلا تستشري نارها في جسم الأمة، وتأكل الأخضر واليابس من كيانها ومقدراتها.

وفي هذه الفئة يقول سماحة الشيخ تَتَرَّئُ في رده على بعض المتطاولين على مقام الإمامة بما لا يليق ذكره: دعونا يا أدعياء..

دعوا الإسلام يضمد جراحه، ويؤلّف شتاته..

دعوا المسلمين يُجمعوا أمرهم، ويوحّدوا كلمتهم، ويثبّتوا أقدامهم..

دعوا دين الله يأسُ جراحه التي تركتها المناحرات الشديدة بين أبنائه، والغارات اللئيمة من أعدائه..

دعوا الغيارى من أنصار الله، وحملة الحقّ، تنبه الراقدين، وتدعو الشاردين، فقد هدّد الحق، وأنذرت الكرامة، واقتحمت الحدود، ولم يبق مساغ للغفلة، ولم يبق مجال للإبطاء.

دعوا أنصار الله الغيارى تجمع أوصال الأمةِ المتفرقة، وتؤلفّ قواها المبعثرة، وتسمعها -من جديد قولة الله (تعالى) في كتابه العزيز:

---

(١) (يراجع كتاب الفرق المفترقة بين أهل الكفر والزندقة، لأبي عثمان عبد الله بن أحمد العراقي الحنفي، ص: ٢٧ - ط: أنقرة.

﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

دعـوا المصلحين يسـمعوا الأمة هذه القولة الكريمـة، وأخواتها من آيات الله بلهجة جديدة، وبلحنٍ جديد..

بلحـن جديـد، هو لحن السـماء يوم أنزلت هـذه الآيات، ولهجـة جديدة هي لهجة الرسول ﷺ يوم قرأها أول مرة على أسلافنا الصالحين من المؤمنين

دعونا يا أدعياء..

إن الأمـر أشـد خطـراً من أن نشـتغل عنـه بكـم، أو نكتـرث لأغاليطكم، وإن أقوالكم أتفه وأسفه من أن تصرف المسلمين عن عمل، أو تؤيسهم من أمل..

دعونا، فلسنا بمبتعدين عن إخوان كرام أعزة علينا، مدّوا إلينا أيديهم، وصافونا بقلوبهم، وأيقنا بصدقِ العزيمة فيهم..

لسنا بمبتعدين عنهم، وليسوا بمبتعدين عنّا أبداً، وإن جُدعت أنوف، ووُغِرت صدور.

دعـوا أمة القرآن تتعارف وتتآلـف، وتتصافح كفّاً بكفٍ، وتتلاثم فماً بفمٍ، فقد آن لهـا أن تفيـد من عبر الماضي مـا يقيها أخطار الحاضر، وأخطار المسـتقبل، وقد آن لها أن يفهم بعضها بعضاً، وأن يشـدّ بعضها أزر بعض، وآن لها ان تعي أن منابذة بعضها بعضاً إنما تعني هدم كيان الإسلام، ونسفَ هيكله العام.

دعـوا جنود الله تتناصـر، وكتائب الله تتآزر، ولا تشـغلوها بهرير... وعواء.. فقد عرف المسلمون -سنّيّهم وشيعيّهم- قيمة القول الذي تقولون، وضعف الهدف الذي تستهدفون..

---

(١) (الأنفال: ٤٦).

نعـم، وعرفـوا القـوى الدافعة، والأيـدي المحرّضـة التي اسـتخدمتكم لهذا الإفك، وحرّضتكم على دسّ هذه السموم

دعونـا، فلسـتم ملقين علينـا حديثاً جديداً لم نسـمعه منكـم، كالحيوان يجتر أخبث ما في أمعائه.

أيها الأحبة:

أمـا القمـة من علمـاء الإسـلام ومصلحيهم، أمـا أولئك الأبـدال الذين وعوا مسـؤولياتهم الكبـرى فـي وحـدة الأمـة، فجهدوا للوفـاء بها حـق الوفـاء، وأرادوا اللـه (تعالـى) فيما قدموه مـن أعمال صالحة في هذا السـبيل، أما أولئـك الأزكياء؛ فيخاطبهم المرحوم الشـيخ -من خلال خطابه للشـيخ الباقوري-قائلاً-بعد تأكيده على أن قضية السنة والشيعة قضية إيمان وعلم معاً-:

وقـد بدأتم الشـوط.. وكانت خطواتكم موفقة مبرورة، يباركها الله، ويباركها العلماء المؤمنون.

يباركهـا العلماء المؤمنون لأن القضية قضيتهم، والشـوط شـوطهم، والمدى مداهـم، ومن يـبخـل من العلماء المؤمنيـن أن يكون نصيرا لله علـى غايته، ورداءاً للعلم والإيمان في قضيتهما؟.

بدأتم الشـوط وكانت خطواتكم موفقه مبرورة، وإن الإيمان والعلم ليبتـهلان إلى الله أن يسـدّدكم في الخطى، وأن يوفقكم لإتمام السـعي، وان يهنئكم النجاح، ويلقيكم عقبى الفائزين.

أيها الأحبة:

هذا هو رأي مرجعية شيعة أهل البيت عليهم السلام في الجانب المذهبي من الإسلام:

مأثرة من مآثر دين الله القويم، وإحدى ممكّناته من مسايرة الحياة، وبعض مؤهّلاته للخلود، وهو باب مشرعة لجميع المسلمين ضمن الحدود التي رسمها هو للتعامل مع نصوصه، وضمن هذه الحدود جعل احترامه لنتائج الاجتهاد، فأعطى للمصيب أجرين وللمخطئ أجراً، وما على المسلمين كافة، إلا أن ينهلوا من معينه الأبدي، ويقبسوا من أنواره الخالدة، ليتخذوا موقعهم الذي أراده الله لهم في العزة الإيمانية بين الأمم، والشهادة على الناس مع الزمن، ومع التطور الحضاري والعلمي.

وها هي المرجعية الشيعية اليوم -كما كانت بالأمس، وستبقى حتى الأبد- تلتزم هذا النهج، وتعتبره أصلاً من أصول مقومات وجودها في هذه الحياة، وركناً من أركان علاقتها مع الشريعة ومع الأمة معاً، وميزاناً من الموازين الأساسية التي تقاس فيها استقامتها فيما يصدر عنها من مواقف وكلمات ورؤى، ولعل فيما يراه العالم من مواقف المرجعية الشيعية في الظروف القائمة رغم قسوتها وشدتها على أتباع أهل البيت عليهم السلام أوضح شاهد على هذه الحقيقة.

رحم الله شيخنا الفقيد الراحل، ورحم الماضين من علماء الأمة ومراجعها العظام، وحفظ الموجودين منهم، وسدد خطاهم في إصلاح أمرها، وتوحيد كلمتها، وأخذ بأيديهم إلى ما فيه رضاه، إنه أرحم الراحمين.

وأخيراً، أكرر شكري لإخوة أجلاء، بذلوا من الجهد والعطاء ما هيأ لنا هذه الفرصة المباركة، وبارك لهم في خطواتهم باستذكار أبيهم العظيم، ولقّاهم ثمار برهم به توفيقاً دائماً في حياتهم الدنيا، وثواباً جزيلاً في الأخرى.

يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة، يا منى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبين، أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يوصلني إلى قربك، وان تجعلك أحب إليّ مما سواك، وان تجعل

حبي إياك قائداً إلى رضوانك، وشوقي إليك ذائداً عن عصيانك، وامنن بالنظر إليك علـي، وانظر بعيـن الود والعطف إلي، ولا تصرف عني وجهـك، واجعلني من أهل الإسـعاد والحظـوة عندك، يا مجيب، يـا أرحم الراحمين، وصـل اللهم على محمد وآله الطاهرين.



رحيل العلامة زين الدين..
لحظة من الذاكرة[1]

الأستاذ جواد الكسار

العراق

عندما اطلعت للمرة الأولى على كتاب (إلى الطليعة المؤمنة) راحت نفسي تتطلع إلى مؤلفه فيما ينطوي عليه من روح شبابية متوثبة وقلم متفتح، وصرت أتسائل:

هل المؤلف شاب ألف روح الشباب وعايش همومهم وانغمر في قضاياهم فراحت نفسه تنساب بهذا القلم السيال والعاطفة المتأججة؟ فأجابني من أخبرني أن مؤلف (إلى الطليعة المؤمنة) العلامة محمد أمين زين الدين يربو على الستين، ولا تكاد تعثر في كريمته - إذا رأيته - على شعرة واحدة سوداء تساءلت - ثانية -: وهل يتكلم لغة الشباب وينزل إلى مسايرتهم لضرورات التربية وممارسة العمل الدعوي؟ رد العارفون: كلا بل هذه سجيته، وما تلمسه في قلمه وبقية كتبه مثل:

---

(١) الاربعين : حميد الخاقاني.

(الأخـلاق عند الإمـام الصـادق عليه السلام)، (العفاف بين السـلب والإيجاب)، (من أشـعة القرآن)، (الإسـلام، ينابيعـه، مناهجه، غاياته) وغيرها، هـي لا يريم عنه ولم يتكلفه بالاكتساب.

وكيـف لـي أن أتأكد من ذلـك؟ رد العارفون: جرب بنفسـك أن تلتقي به ولو للحظات، وعندئذ سيكون لديك الدليل الشافي.

توكلـت علـى الله وذهبت إلى حيث قيل لي أنه يتواجـد - صباحاً - في حرم أميـر المؤمنيـن علي بن أبـي طالـب عليه السلام بمدينة النجف الأشـرف. لمحته من بعيد وقد اطمأنت نفسي إلى أنني عرفته لتطابق ما سمعت عنه مع ما رأيته منه.فسعيت أن لا أبادئـه بتحية وإنما أمكث أراقب حركاتـه ولحظاته لأمتحن ما يحكى عن قابلياته الإسـتثنائية في جذب الشـباب، وجرهـم إليه باللحظات واللفتات وبسحر شخصيته المهيبة التي يجللها شـيب أبيض يسـدل ظلاله على شـعر رأسـه وكريمته ثم بلسانه الذرب وأخلاقه الرفيعة.

صـرت أمر من أمامه دون أن أبـادره بالتحية، ونظراته تحيطني من كل جانب، بحيث كنت أحس بلهبها وأنا أبتعد عنه خطوات.

ظـل يتابعني بوجهٍ مشـرق وبابتسـامةٍ تفتر عـن ثغرين كريمين، تزيـده مهابة، وكأنه عرف ما أبيته بداخلي وإصراري على أن يكون هو صاحب المبادرة.

اقتربت منه مرات يمدني عناد الشباب بطاقة في الإصرار على موقفي، إلى أن انهار كل شـيء في لحظة واحدة عندما رأيت نفسـي أمامه وأنكب على يديه مسـلماً عليه. وعندئذ التهمني بكلمات الترحيب التي يؤازرها محياً طلق.

فأنسـاني عنـادي، وذابـت الكلمات فلم أعـد أعرف ما أجيب به على أسـئلته وهي تنهال علي بالترحيب وبالسؤال عن أحوالي وأوضاعي وكأني صديق له قديم،

تجمعنا أواصر المودة بأونق أربطتها، بل وكأنه زميل لي أنا الشاب الذي لم أتجاوز العشرين بعد، وهو العالم الفذ والمرجع الديني والمربي الكبير والمفكر محمد أمين زين الدين.

حصل ذلك قبل عشرين عاماً من الآن وربما أكثر، ثم دار الزمن بعجلته دورات، تغير فيه الكثير من الأشياء، إلا أخلاقية زين الدين وأسلوبه الأخاذ في الكتابة، ونمط عشرته الآسر مع الناس وبالأخص مع الشباب.

غفلت عنه وعن كتاباته وعن نهجه التربوي وأسلوبه الفذ في تبويب المسائل الفقهية والإطلاع بأعباء المرجعية مع أن لديه الكثير مما يفوق ما لدى بعض أسماء الضجة التي اشتهرت دون أن تملك ما يرفعها لتلك الشهرة.

والعجيب أن هذه الغفلة دامت برغم توافر المؤشرات التي يمكن أن تعيد الإنسان إلى ذاكرته ففي مبادرة ممتازة عملت منظمة الإعلام الإسلامي على طبع بعض كتبه ونشرها قبل سنوات، ثم بادر الناشرون الآخرون إلى طبع جميع أو معظم كتبه بما فيها رسالته الفقهية في الفتوى التي تحمل عنوان (كلمة التقوى) وتعد مشروعاً أساسياً من مشاريع التيسير الفقهي التي ظهرت خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

ثم حصل ما أعادني إلى صميم تلك اللحظة وإلى عالم العلامة محمد أمين زين الدين، عندما دق صوت الهاتف قبل أيام وصديق يقول: ستقام الفاتحة غداً على روح المرحوم الشيخ محمد أمين زين الدين الذي توفي في النجف الأشرف أواخر صفر، بالتزامن مع ذكرى وفاة النبي الأعظم.

من هو محمد أمين زين الدين؟ لكي لا يضاعف الظلم على هذا الرجل الفذ سأكتفي بنص آخذه من المرحوم الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب موسوعة (الذريعة) فيه ما يزيد على ذهول الإنسان، وهو يرى الشيخ الطهراني يترجم لزين

الدين قبل عقود من الآن بكلمات تطوي حقائق كبيرة عن علمية هذا الرجل وبراعته ومكانته، بحيث استطاع أن يفرض نفسه على صاحب الذريعة، الذي لم يرى وداً من الترجمة له، برغم أن الشواهد تدل على أن الترجمة تعود إلى عقود مديدة مضت وربما إلى خمسين سنة سلفت يوم لم يكن زين الدين قد تجاوز الأربعين مثلاً.

يكتب الشيخ آغا بزرك الطهراني في (نقباء البشر) إن الشيخ محمد أمين زين الدين ولد عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) ثم يقول في ترجمته:

«عالم أديب أخذ أوليات العلوم وبعض المقدمات في قريته، ثم هاجر إلى النجف لتكميل دراسته سنة ١٣٥١هـ، فحضر بحث العلامة الشهير الشيخ ضياء الدين العراقي سبع سنين، وكتب تما تقريراته بالأصول، وأخذ الفقه إلى الحجة الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني، كما أخذ الحكمة عنه وعن حسين البادكوبي، وهو اليوم من الفضلاء المبرزين في حلقات دروس أعلام العصر وممن يشار إليه في الكتابة والنظم والتقوى وحسن السيرة وله تصانيف جيدة نافعة»[1] كما تلحظ له ترجمة منشورة في معجم رجال الفكر والأدب في النجف[2] للأميني، وترجم له أيضاً علي الخاقاني في شعراء الغري[3].

وممن مر على سيرته كذلك مواطنه الكاتب البحراني سالم النويدري في كتابه (أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين «١٤» قرناً).

مما يشد الإنسان إلى عالم العلامة الراحل محمد أمين زين الدين هو غيرته الشديدة للدين وحماسه الكبير في نصرة أهل البيت عليهم السلام. والشواهد كثيرة تأبى الحصر وإذا كان لا بد من مثال فيمكن أن نحيل إلى كتابه الذي أصدره سنة

---

(١) (نقباء البشر، ج١، ص١٧٩).
(٢) (ج٢، ص٦٥١).
(٣) (ج٧، ص٢٩٤).

١٩٥١م رد فيه على أراجيف د.أحمد أمين في كتابه (المهدي والمهدوية) حمل عنوان: (مع الدكتور أمين في حديث المهدي والمهدوية).

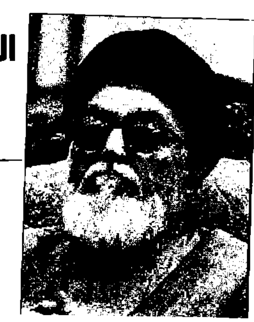
وكذلك نقوضاته على أحمد أمين وغيره في كتاب (الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام) الذي أعادت منظمة الإعلام الإسلامي طبعة وكان مما قدمت له..

(وقد قام يبحث هذا الموضوع أستاذنا الجليل العلامة زين الدين وهو ممن تأصلت فيه المناقبية الإسلامية وربى عليها جيلاً من الواعين).

وعلى ذكر التربية، تذكر مصادر الترجمة إن من بين، تذكر مصادر الترجمة أن من بين تلامذة زين الدين المرحوم السيد مصطفى جمال الدين، والسيد محمد بحر العلوم، والشيخ عبد الهادي الفضلي (في الأخلاق) والشيخ محمد مهدي الآصفي (في الأخلاق أيضاً).

ومن علائم غيرته كنت أود أن ألبث لحظات مع الرسالة التي كان بعث بها إلى الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف المصري بمناسبة الاعتراف بالمذهب الجعفري مذهباً رسمياً ومبادرة وزارة الأوقاف لنشر كتاب (المختصر النافع) للمحقق الحلي. بيد أن ضيق الحيز وعجلتنا من الأمر، لم يتركا لنا الفرصة الوافية للمكوث في عالم العلامة زين الدين أكثر، بانتظار فرصة أخرى بإذن الله.

عن أسبوعية كيهان العربي الدولية



العالم الإسلامي يودع مفكراً إسلامياً ومرجعاً دينياً(١)

الدكتور العلامة السيد محمد بحر العلوم
العراق

فقـد العالم الإسـلامي يـوم الثلاثـاء ٢٨ صفـر ١٤١٩هـ الموافـق ٢٣/٦/١٩٩٨م مفكـراً إسـلامياً وعلمـاً مـن أعـلام الدين ومدرسـاً كبيراً فـي الجامعة العلمية في النجف الأشـرف منـذ أربعينيات هـذا القرن، ومرجعاً دينياً، عُـرف بالورع والتقى والمعرفـة، هو آية الله العظمى الشـيخ محمد أميـن زين الدين، الذي وافاه الأجل في النجف الأشرف عن عمر يناهز الثمانين.

وأسـتاذنا الفقيد الكبير، أحد أبرز أعلام الفكر الإسلامي، تخـرج على يده العديد من الأعلام الذين تأثروا بمنهجه العلمي والأدبي والعرفاني.

و قد كان رَحِمَهُ اللهُ من تلامذة آية الله العظمى الشيخ آغا ضياء العراقـي. والإمـام السـيد أبو الحسـن الأصفهانـي. وحضر في

(١) الاربعين : حميد الخاقاني.

العرفان على يد آية الله العظمى الشيخ محمد حسين الأصفهاني الغروي. وأخيراً على العمين الشهيرين الإمامين الراحلين السيد محسن الحكيم، والسيد الخوئي.

ترك الشيخ زين الدين رسالته العلمية (كلمة التقوى) لمقلديه في ثمانية مجلدات.

كما ترك عدة مؤلفات منها: (الإسلام في ينابيعه الأولى)، ولعله أول كتاب يصدر في النجف عن الإسلام بلغة مشرقة الأسلوب حديثة المعالجة لقضايانا الفكرية.

وكان فيلسوفاً أخلاقياً تشهد له مؤلفاته وفي مقدمتها كتابه (الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام)، فقد عرفته الأوساط العلمية والأدبية كاتباً بارعاً متميزاً، وشاعراً من طراز متقدم أضاف إلى ثقافته العالية الإسلامية ثقافة حديثه وإطلاعاً واسعاً على أغلب ما يصدر في المكتبة العربية والإسلامية.

وحين تمادى النظام الحاكم في العراق في طغيانه بقي معتكفاً في بيته طيلة عشرين عاماً، محتجاً على الأوضاع الشاذة المعبرة عن انحراف السلطة عن الطريق السليم.

إن خسارة العالم الإسلامي بفقيدنا العظيم لا تعوض، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

حين نعي إليّ شيخي الجليل آية الله العظمى محمد أمين زين الدين ضاقت الدنيا في عيني وتذكرت العشرين عاماً التي كنت في ضيافته الفكرية، أعب من منهله العذب ما وسعني الزمن، وأعيش في ظلاله الوارف ما سمح به المجال،

كنـت واحداً من أولئك الأشـخاص الذين كان لهم أكثر من مربي وأسـتاذ، حتى إذا شـاء القدر أن نفترق ومرت الثلاثون عامـاً، وهي وإن كان الفارق كبيراً بين الانتهال وبين الرفد، لكن المهم أنه كان الضوء الذي لم يفارق العين، وكنت أمني نفسـي أن اليوم الذي يعود المهاجر إلى وكره الأول -إذا تحقق ذلك ومسحنا عن عيوننا ركام الغربة- فلا شـك سيكون سـيدي أبو الضياء أول من ألقاه، وخابت الآمال، وانتهى الحلم، فلا رفد ولا انتهال، بعد أن لبى نداء ربه وبقينا نعاني مرارة المنفى واللوعة.

لـك اللـه أيها القلب المعتي كـم تتحمل من مصائب هذه الأيام السـود، حين تغفو الساعات، لا شيء غير الثرى هم السابقون ونحن اللاحقون.

ولـم يبق لي إلا أن أعزيكم بهذه الكارثـة والمصاب الجلل، ولك ولي ولكل عارفي فضل ومكانة فقيدنا العظيم أحر التعازي وجميل المواسـاة، ولفقيدنا الغالي المقام الرفيع عند الله سبحانه. وإنا لله وإنا له راجعون.

أخوكم محمد بحر العلوم[١]

مركز أهل البيت عليهم السلام الإسلامي

العدد/ ٣٨٦٩

---

(١) مقتطف من كلمة وجهها سماحة العلامة الدكتور محمد بحر العلوم إلى سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد محمد طاهر الخاقاني حفظه الله.



أضواء على المنهج العلمي للشيخ محمد أمين زين الدين

الشيخ علي المعلم

القطيف - الجارودية

لعل من الصعب على مثلي أن يتحدث عن الأبعاد القدسية والمكانة العلمية التي كان يتمتع بها الشيخ زين الدين فهذا متروك للعلماء الذين عرفوا الشيخ زين الدين عن قرب ونهلوا من معين علمه وفكره الصافي وتخرجوا من مدرسته وأدركوه علماً من أعلام الحوزة وأستاذاً بارزاً من أساتذتها ومربياً فاضلاً لجيل من الأعلام والمفكرين الذين عرفتهم الساحة الإسلامية المعاصرة.

لقد كتب عنه الشيخ الخاقاني في شعراء الغري ما يلي:- «والمترجم له شخصية علمية رصينة تلفعت بالفضائل وتمنطقت بالعفة والتقى مثال الإنسان الذي ينشد الكمال ومقياس الشخص الذي يحب الخير ويسعى للحق».

وقال عنه تلميذه العلامة الدكتور الفضلي: «إن الكتابة عن الشيخ زين الدين تعني الكتابة عن أستاذ مربٍ مرموق من أساتذة الأجيال في النجف في حقبة زمنية كانت تمثل العصر الذهبي للنجف الأشرف علمياً وأدبياً، وقد استمر لأكثر من خمسين عاماً تقريباً».

ولعل أقدم نص يتحدث عن الشيخ زين الدين هو ما كتبه الحجة الثبت آغا بزرك الطهراني في طبقات أعلام الشيعة قبل أكثر من ٥٥ عاماً يقول: «وهو اليوم من الفضلاء المبرزين في حلقات دروس أعلام العصر».

ينتمي الشيخ زين الدين إلى مدرسة الأعلام الثلاثة الشيخ النائيني والشيخ العراقي والشيخ الأصفهاني والتي هيمنت آراءها العلمية على الدروس الأصولية والفقهية في الدراسات العلمية العليا لما عرف عنهم بالتجديد والابتكار والقوة في مبانيهم ودراساتهم. قال الدكتور الفضلي: «كان لكل واحدة من هذه المدارس الثلاث منهجها الخاص بها ومنطلقاتها في إعطاء النظريات وفقهها.

فقد عرفت مدرسة الأصفهاني بطابعها الفلسفي وهذا يعود إلى أن مؤسسها الأصفهاني كان مضافاً إلى تخصصه في الفقه وأصوله حكيماً متألهاً هيمنت الفلسفة الإلهية بأبعادها الثقافية المعروفة على آفاقها الذهنية ومنطلقات تفكيره.

وعرفت مدرسة العراقي بطابعها العلمي الذي نأى بها عن إخضاع الظواهر العلمية لمبادئ الفلسفة ونظرياتها، وذلك للفرق بين العلم والفلسفة وأصول الفقه وكانت مدرسة النائيني تجمع بين الطابعين الفلسفي والعلمي وبمقتضى نضج المنهج طرحت هذه المدارس الثلاث المتعاصرة كثيراً من الفكر الأصولي القديم وأضافت كثيراً من الفقه الأصولي الحديث»[1]. فقد كتب الشيخ زين الدين دورة كاملة في الأصول من مقررات الشيخ العراقي وله أيضاً تقريرات لدروس

---

(١) المصدر كتاب: هكذا قرأتهم ص ٨٨.

الأصفهاني في الفقه والفلسفة -نأمل أن تطبع ليستفاد منها-.

وقد التحق بدرس الشيخ العراقي وعمره لا يتجاوز العشرين «وذلك بعض دلائل نبوغه وتفوقه الذين نم عنهما استيعابه لدروس هذا الأصولي العظيم وكتابته لها».

ومارس الشيخ تدريس السطوح العالية في الحوزة العلمية فكان من أبرز تلامذته أخوه العلامة الكبير الشيخ علي زين الدين رحمه الله الذي يعد من أفضل أساتذة الكفاية والرسائل والمكاسب في حوزة النجف، وقد تخرج عليه الكثيرون من العلماء والأفاضل. ومن أبرز تلامذته أيضاً المرجع الراحل السيد حسين بحر العلوم قدس سره.

وكذلك السيد مصطفى جمال الدين رحمه الله الذي تحدث عن الشيخ بقوله: «تمحضت أكثر دروسي بعد ذلك على الشيخ محمد أمين زين الدين فأخذت عنه الكفاية والرسائل وقسماً من المكاسب وأكثر شرح المنظومة في الفلسفة الإسلامية وقد تنقلت في حياتي الدراسية على أساتذة كثيرين ولكني لم أجد أجلى بياناً وأكثر إيصالا من الشيخ محمد أمين زين الدين». راجع مقدمة الديوان.

ولست هنا بصدد التدليل على مكانته العلمية ومقامه الشامخ ومواهبه الكثيرة وملكاته الشريفة التي أهلته لأن يكون أحد أبرز مراجع التقليد في العصر الحاضر والتي امتدت مرجعيته من العراق إلى إيران والبحرين والقطيف والكويت وكذلك في وسط الجاليات الإسلامية في أوروبا.

فهذا مما لا يخفى على أحد له أدنى إلمام وإحاطة بشخصيته الكريمة، وإن حاول البعض أن يقرأ الشيخ زين الدين من الزوايا الفكرية والأدبية فقط ويتناسى هذا الجانب البارز من شخصيته وذلك من خلال الإطلاع على مبانيه العلمية وابتكاراته

الإبداعية فهو صاحب أكبر موسوعة فتوائية عرفتها الحوزة العلمية[١].

حيث تعرض فيها إلى فروع فقهية كثيرة بأسلوب حديث سلس مزج فيها بعض المسائل الأخلاقية التي ترتبط ببعض الأبواب العبادية والمعاملاتية وهذا من أكبر الشواهد على سعة إطلاعه وإلمامه بالفقه ومسائله وهي محل اهتمام كثير من العلماء والدارسين في الحوزة العلمية.

ومن خلال قراءتي المتكررة لهذه الموسوعة الفقهية الفتوائية (كلمة التقوى) استنتجت المرئيات التالية التي تتميز بها هذه الموسوعة دون غيرها:

* الشمولية والسعة بحيث استوعبت جل المسائل الفقهية وفروعها بشكل لم يسبق له نظير في الرسائل العملية المعروفة.

* تتميز بالوضوح في المنهجية والتعبير والتبويب خالية من كل غموض وتعقيد قد ينشأ من اصطلاحات الفقهاء، بحيث يستطيع كل واحد فهمها واستيعابها.

* الاستشهاد بالروايات كثيراً وخصوصاً في موارد الاستحباب والكراهة وذلك من أجل ترغيب المكلفين تجاه الحكم الشرعي وترهيبهم في موارد أخرى وكذلك ربطهم بالنصوص الشرعية وروايات أهل البيت عليهم السلام.

* تطعيم بعض المسائل الفقهية بالاستدلال الميسر والإشارة أحياناً إلى مباني بعض الأحكام ومداركها -وخصوصاً في مواطن الإختلاف-. وإليك نموذج قال: «إذا أحرم المكلف بعمرة التمتع ودخل مكة بهذا القصد فالظاهر حرمة خروجه من مكة حتى يتم متعته ويتم حجه ولا ريب في أن غالب النصوص الواردة في المسألة إنما تعرضت في السؤال والجواب للخروج من مكة بعد إتمام العمرة والإحلال من إحرامها ولذلك لم يتعرض الفقهاء لحكم الخروج في أثناء العمرة

---

(١) (كلمة التقوى -١٠ أجزاء-).

ومن تعرض لذلك منهم أفتى بجواز الخروج، ولكن الإطلاق في صحيحة حماد بن عيسى يكفي في الدلالة على التحريم، فإن الروايات الأخرى قد دلت على تحريم الخروج بعد إتمام العمرة لأن ذلك مورد الفرض في الرواية أو محل السؤال ولم تقيد الحكم بذلك فلا موجب لتقييد الصحيحة الدالة على الحرمة» وهذا شأنه في جميع الأبواب(١).

* احترام الرأي المخالف حينما يتعرض له والإشادة بقائله ببعض العبارات اللائقة وكذلك الترضي والترحم على الفقهاء الماضين رضوان الله تعالى عليهم.

* معالجة بعض المسائل الأخلاقية والتربوية التي ترتبط ببعض الأبواب الفقهية كالإخلاص في النية والرياء والعُجب ومجاهدة النفس الخ.. وهذا ما تتفرد به هذه الرسالة دون غيرها.

* عالج المسائل المستحدثة في رسالة منفردة بأسلوب عصري منفتح على ضوء فهمه للنصوص الشرعية وفقه أهل البيت عليهم السلام بحيث يتضح جلياً فهمه للحياة المعاصرة بكل أبعادها وشؤونها فهو الفقيه الذي يوازن بين النظرية والتطبيق.

وبعد هذه القراءة المبسطة لمنهجيته في رسالته العملية والتي حاولنا أن نعطي صورة واضحة لبعض الجوانب التي يتميز بها فقه الشيخ زين الدين عليه الرحمة نحاول أيضاً أن نستطلع بعض آراءه ونظراته في مواضيع أخرى:

الاصولية والاخبارية:

حاول كثيراً أن يوفق بين أتباع المدرستين وأن يرفع الكثير من الملابسات بين الطرفين ويقف دون المشاحنات والمهاترات التي حاول البعض إثارتها وإشغال عوام الناس بها -ولكنه لم يسلم من بعض الألسن التي تعيش على الإختلاف

---

(١) كلمة التقوى كتاب الحج ج١ ص٢١٨ مسألة ٤١٧.

وإحداث الفتن- قال: «لم أجد فرقاً رئيساً بين مسلكي المحدثين والأصوليين فما في السؤال من التعبير بالطائفتين خطأ. وإنما هي طائفة واحدة تنتهل من معين أهل البيت عليهم السلام وتستمسك بعروتهم الوثقى.

والفروق التي لا تتجاوز ما يحدث بين أي فقيهين ولو من مسلك واحد وخصوصاً في هذه العصور حيث كان للشيخ صاحب الحدائق والشيخ الأنصاري (قدس الله سرهما). الفضل في جلاء الكثير من الحقائق التي كانت غامضة قبلهما، فجزاهما الله عن الإسلام وأهله خير جزاء المحسنين.

على أن معظم تلك الفروق -حتى فيما قبلهما من الزمن- لم يختص بأحد المسلكين دون الآخر، فهناك فقهاء من ذوي المنهج الأصولي قد وافقوا الإخباريين في اختيار ما قيل باختصاصهم به من المسائل وبالعكس.

وفي كتابي الحدائق والدرر النجفية مباحث قيمة في هذا الشأن:

«أما وصيتي للأحبة من أبنائي المؤمنين فهي: ضرورة المحافظة على وحدة كلمتهم وترك الخوض في هذه الأمور التي هي من شؤون فقهاء أهل البيت عليهم السلام الورعين الأتقياء، فهم المؤتمنون على أحكام شريعة الله تعالى، وهم الذين أمر المعصومون عليهم السلام شيعتهم بالإقتداء بهم في العمل بتلك الأحكام، وهم حجة الإمام صاحب العصر (عج)، وهو حجة الله - كما في المكاتبة عنه عليه السلام»[1].

ودعم هذا الرأي آية الله السيد محمد سعيد الحكيم حفظه الله في رسالته الأصولية والأخبارية بين الأسماء والواقع وأشاد بموقف الشيخ زين الدين في سعيه الجاد من أجل إلمام الشمل ووحدة الكلمة قال: «فإن الوصول للحقيقة في هذه المسألة يفرض على الباحث أن ينظر في أعماق المشكلة بموضوعية وانفتاح

---

(١) المصدر كتاب: تأشيرات في حياته وآفاق فكره وعمله ص ١٥٦.

وتحرر وتجرد عن التراكمات والمضاعفات التي أفرزتها الخلافات والمنافرات في هذه المدة الطويلة. ونحن - في الوقت الذي كان يحز في نفوسنا، ككثير من المخلصين، هذا الانقسام والتحزب بين أبناء هذه الطائفة - قد حاولنا جاهدين معرفة الحقيقة والبحث عن واقع هذا الخلاف منذ أمد بعيد يزيد عن أربعين عاماً.

سواءً كان ذلك بالرجوع للبحوث التي حامت حول الخلاف المذكور، أم للبحوث الأصولية والفقهية التي قام بها من يحسب على كل من الطرفين، أم بالاستماع إلى وجهات النظر المختلفة من هم معنيون بالأمر، أم بالحوار الصريح مع من لهم إلمام بالمشكلة وإحاطة بها من ذوي المقام الرفيع في العلم والتقوى والعمق والحكمة. ونخص منهم بالذكر المرحوم المقدس المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين تتئرُّ.

وقد حصلت لنا من جميع ذلك قناعة ذاتية حول الموضوع نرجو أن نكون قد وفقنا فيها، وستتضح معالمها وشواهدها في هذا الحديث الذي رغبتم إلينا في الدخول فيه من أجل الوصول للحقيقة.

ونتيجة لهذه القناعة لا يهمنا الدفاع عن منهجية خاصة نسميها بالمنهجية الأصولية أو منهجية المجتهدين، ولا عن منهجية خاصة نسميها بالمنهجية الأخبارية أو منهجية المحدثين، ولا التنفيذ لإحدى المنهجيتين بخصوصيتها. ولا إرجاع إحدى المنهجيتين للأخرى في محاولة للتوفيق بينهما. كل ذلك لعدم وضوح معيار كل من المنهجيتين وعدم تحديد ركائز كل منهما وفوارقهما.

فإن ما يذكر من وجوه الفرق بينهما لا يصلح فارقاً، فضلاً عن أن يوجب الإنقسام وامتياز كل من الطرفين عن الآخر، وما استتبع ذلك من فرقة وتدابر. لأنها بين خلافات لفظية لا حقيقة لها، وخلافات فقهية أو أصولية بين جميع العلماء على اختلاف مناهجهم، من دون أن تمتاز به إحدى الفئتين عن الأخرى، كما أوضح

ذلك غير واحد.

وقد استوفى الكلام فيه المحقق البحراني البحراني تَتِئُ في المقدمة الثانية عشرة من مقدمة كتابه الجليل (الحدائق الناضرة) وفي الدرة الثامنة والأربعين من كتابه (الدرر النجفية)[1].

تقليد الميت:

ذهب إلى الرأي المجوز لتقليد الميت ابتداء واستدامة خلافاً للمشهور. قال: «الخلاف في مسألة تقليد الميت ابتداء مشهور معروف، وقد اختار العلماء المحدثون الجواز فيها ووافقهم عليه بعض العلماء الأصوليين (قدس الله أرواحهم جميعاً) والمشهور منهم على المنع.

لقد استدل المجوزون بإطلاقات الأدلة الواردة في حجية الفتوى من الكتاب والسنة، حيث لم تفصل - وهي في مقام البيان - بين الحي من الفقهاء والميت فتكون دالة على صحة الرجوع إلى الميت والحي على السواء.

وأشكل العلماء المنكرون على ذلك بوجود الاختلاف في الفتوى بين المفتين الأحياء والأموات، بل بين الأموات أنفسهم، ولذلك فلا تشمل الإطلاقات قول الأموات، إذ لو شملتها لزم التكاذب في مفاد الأدلة. وأجيب عنه بأن ذلك لو كان مانعاً لم يشمل الإطلاق قول الأحياء أيضاً، لوجود الاختلاف بينهم، حتى بين المتساوين في العلم منهم، ومعنى ذلك سقوط هذه الأدلة وعدم حجيتها في الجميع، ولا تختص بالأحياء، ولا بالأعلم من الأحياء.

والواقع أن ورود هذه الأدلة الكثيرة في الكتاب والسنة في التأكيد على متابعة الفقهاء مع علم الشارع المقدس - حق العلم - باختلافهم في الأفهام والأنظار،

---

(١) المصدر كتاب: الأصولية والأخبارية بين الأسماء والواقع ص ٧ / ٨/ ٩.

واختلافهم في الأحكام الظاهرية، بل وعدم امكان اجتماع الأنظار في جميع الفروع الاجتهادية، يكون دليلاً قاطعاً على عدم الإلتفات إلى مثل هذا الاختلاف بينهم، ولا سيما أن السبب في اختلافهم - على الأكثر - هي الأدلة الشرعية الواردة في الأحكام فيكون الشارع قد تعبد الناس بحجية قولهم، وإن وقع بينهم هذا الاختلاف إذا كانوا مستندين إلى الأدلة التي يسرها لهم، وفتح لهم باب الاجتهاد فيها، وعلى هذا فلا فرق بين الأحياء والأموات في ذلك.

بل يقال: إن الإطلاقات اللفظية المذكورة إنما هي إمضاء للسيرة العقلائية الموجودة بين الناس في كل دين وملة، وكل علم، وكل صنعة على الرجوع إلى العلماء فيها، والاعتماد على آرائهم، ولا ريب أنهم لا يفرقون بين الأحياء والأموات، فتكون شاملة للجميع»[1].

الأعلمية:

يرى أن الأعلمية ليست شرطاً في مرجع التقليد وإن اشتراطها (يعني تعليق التقليد على أمر يستحيل معرفته بالنسبة إلى الخاصة من الناس فضلاً عن العامة)[2].

العدالة:

يرى أن العدالة هي الاستقامة على الشريعة بإتيان واجباتها واجتناب محرماتها من كبائر ما نهى عنه والإصرار على صغائره على أن تكون الاستقامة المذكورة صفة ثابتة في نفس المكلف لا حالة غير قارة فيها وهذا هو المراد من الملكة في تفسير العدالة.

صلاة الجمعة:

أجمع علماء الإمامية على أن صلاة الجمعة واجبة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(١) المصدر كتاب: بين المكلف والفقيه ص ٨، ٩، ١٠.
(٢) المصدر كتاب: بين المكلف والفقيه.

وعصر الأئمة المعصومين عليهم السلام واختلفوا في حكمها في زمن غيبة الإمام عليه السلام وذلك لشبة اشتراط إذن المعصوم - فمنهم من ذهب إلى الحرمة في زمن الغيبة لأن الجمعة من المناصب الخاصة للمعصوم - ومنهم من ذهب إلى الوجوب التخييري بينها وبين صلاة الظهر وإلى هذا الرأي مال كثير من المتقدمين والمتأخرين - ومنهم من ذهب إلى الوجوب العيني التعييني ومن أشهر القائلين به الفيض الكاشاني والفاضل السبزواري صاحب الكفاية - وغيرهما - وكذلك ذهب إلى هذا الرأي بعض المعاصرين - راجع البدر الزاهر.

قال الشهيد الثاني في الروضة «وأما في حال الغيبة - كهذا الزمان فقد اختلف الأصحاب في وجوب الجمعة وتحريمها: فالمصنف (أي الشهيد الأول) هنا (في اللمعة) أوجبها مع كون الإمام فقيهاً لتحقق الشرط وهو إذن الإمام الذي هو شرط في الجملة إجماعاً». وذهب إلى هذا الرأي أيضاً المحقق الكركي.

وإلى هذا الرأي ذهب الشيخ زين الدين قال في المسألة ١٣٤٦: «الظاهر وجوب إقامة الجمعة على الفقيه العادل حيث يجتمع له العدد والأمن من الخوف وتتوفر بقية الشروط المغيرة في هذه الصلاة - كما أن الظاهر وجوب السعي إليها من المكلفين إذا أقامها الفقيه العادل إلا من استثنى منها...».

ودعم هذا الرأي بقوله: «من ينظر في أدلة صلاة الجمعة نظرة موضوعية مستوعبة، يتضح له عظم خطر هذه الفريضة في الإسلام، وكبير أثرها في بناء مجتمعه، وشده بأصول الإسلام وفروعه، بل وكبير أثرها في بناء العقيدة وترسيخها، وتهذيب المجتمع وتوجيهه في سلوكه الفردي والاجتماعي.

ومن أجل ذلك كانت صلاة الجمعة في أصلها وظيفة خاصة من وظائف المعصوم عليه السلام الرئيس الأعلى في الإسلام عند بسط يده والتمكين له في الأرض، فلا يقيمها في تلك الحال إلا هو، أو من يخوله هو هذا الحق من الأكفاء، لتشد

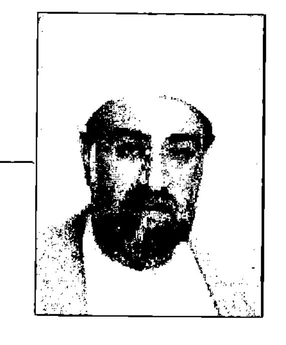
الرعية بالراعـي والمأمومون بالإمام، وليمدوا بالمد الدائب الواعي، المتصل بمنبع الحق والهدى والاهتداء.

وفي حال غيبة ولي الحق عليه السـلام أو حال عدم البسط له في أيام ظهوره، لا يبعـد حكـم هـذه الفريضة عـن هـذه الدائرة أيضـاً، فلا تقـام صـلاة الجمعة بين المسـلمين إلا على ضوء رشده وتحديده من حيث أن الإمام المعصوم عليه السلام بعد الرسـول ﷺ هو ولي التشـريع في الإسلام والقائم على حفظه، وقد تظافرت الأدلة على وجوب إقامتها والحث عليها والتحذير من تركها[1].

وفـي نهايـة المطاف نرجـع بقية الحديـث حول منهجـه العلمي مع دراسـتنا الموسعة حول الجوانب الفكرية لمعالم مدرسة الشيخ محمد أمين زين الدين والتي سـنحاول أن نسـلط الأضواء فيها على بعـض آراءه ونظرياته الفكريـة والتربوية من خلال تتبعي لكتاباته ومؤلفاته.

---

(١) المصدر كتاب: كلمة التقوى ج٢ ص ٣٨١.



زين الدين والأخلاق العملية النظرية
رحيل زين الدين رحيل ظاهرة أخلاقية(١)

الشيخ محمد الهنداوي
العراق

فقدت الأوساط العلمية قبل أيام أحد مراجع التقليد البارزين ذلكم هو الإمام محمد أمين زين الدين رضوان الله عليه بعد عمر حافل بالعلم والعمل. وزين الدين يعد ظاهرة أخلاقية ملفتة للنظر بالإضافة إلى مكانته العلمية الأخرى التي أهلته لكي يحتل الصدارة بين مراجع التقليد إذ رجع إليه الكثير من أهل العراق والبحرين والمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية وبقية دول العالم.

ومما يميز هذه الشخصية الكبيرة التجسيد الواضح للخلق الإسلامي والأساس في هذه المدرسة الأخلاقية التواصل المستمر مع مجتمعه بدأً من ذوي القربى وانتهاءً بكل من يستطيع الوصول إليه مباشرة أو بواسطة. فقد عرف عنه أنه

(١) الاربعين : حميد الخاقاني.

كان يهتم بصلة الأرحام كثيراً أينما كانوا فلم تمنعه أشغاله العلمية والمرجعية وهذا أمر يعرفه ذووه أكثر من غيرهم.

وأهم من هذا صلته مع الأمة التي كان يراها وكأنها أسرته فقد سافر لسنوات عديدة لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر ولدول ومناطق عديدة في العراق والخليج متفقداً أحوال الناس جميعاً غنيهم وفقيرهم عالمهم وجاهلهم سعياً منه لتربية الأمة من خلال حضور العالم الواعي - من أمثاله - في أوساطهم. لذلك كان لحضور زين الدين بينهم أثر كبير بقي يذكر على مرّ الأيام وقد أثمرت تلك الأسفار عن ظهور تيار إسلامي يحمل الوعي إلى جانب الإيمان سلاحاً ينتصر به لإسلامه فضلاً عن ظهور الكثير من رجالات الوعي والتغيير والسياسة في الساحة العراقية والخليجية. وفي السنوات السبع الأخيرة من محنة العراقيين حيث المجاعة التي حلت بهم نرى هذا العالم المجاهد كيف يتفقد بشمائله الإسلامية والعربية هذا الشعب المظلوم حيث كان ينفق عليه كل ما يأتيه من مساعدات عينية ومالية تصله من مقلديه في الخارج كان يوصلها على مستحقيها عبر وكلائه الصلحاء الموجودين في أكثر المناطق العراقية لا سيما الجنوب.

وهذه هي الأخلاق الإسلامية «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم» أي ليس كامل الإسلام.

ولأهمية الأخلاق في نظر الفقيد الكبير الشيخ محمد أمين زين الدين فقد جسدها في شخصيته تجسيداً دقيقاً حتى كأنك عندما تنظر إلى زين الدين تنظر على الأخلاق تمشي على الأرض ولم يكتف بالأخلاق العملية بل أعطى الأخلاق النظرية قسطاً من حياته المباركة. فقد كتب عن الأخلاق في مواضع مختلفة من كتبه القيمة وله كتاب مستقل عن الأخلاق عنوانه (الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام) والكتاب مع اختصاره يعد من نفائس الكتب الأخلاقية ومن يتأمل هذا الكتاب

يلمس أمرين:

الأول: التأثر الكبير بشخصية الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

الثاني: التأثر العميق بالمفاهيم الأخلاقية لا سيما التي بحثها في الكتاب.

والمفاهيم الأخلاقية التي بحثها في كتابه هي الضمير، الحكمة، العدل، العفة، القناعة، والاقتصاد، الشجاعة، عزة النفس وعلو الهمة، الكبرياء والتواضع، الصدق والكذب، الإخلاص، الوفاء، والحب، والصداقة.

ومن يعرف زين الدين سيقول إن من حق هذا الرجل أن يكتب عن هذه المفاهيم الأخلاقية لأنه قبل أن يكتبها بقلمه كتبها بسيرته فهو صاحب الضمير الحي والحكيم والعادل والعفيف والقنوع والشجاع والعزيز بالإيمان وعلو الهمة والمتواضع والصادق والمخلص لربه ولمته والوفي لدينه وأهله والمحب للناس كافة.

وفي ختام حديثي المختصر عن العنصر الأخلاقي في شخصية الفقيد الكبير الشيخ زين الدين، أنقل القارئ إلى مقطعين من كتابه الأخلاقي (الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام) يقول رحمه الله في بحث الحكمة: «لكننا نتمنى التوازن العادل في طبائعنا والاستقامة التامة في سلوكنا وأي أفراد البشر لا يتمنى الكمال لنفسه ولكن الجهل يقف دون الحد وميول النفس تبعدنا عن الغاية والعقل هو الثروة الوحيدة التي يشيع فيها جانب التفريط بين أفراد الإنسان وذلك من تأثير الجهل فالجهل أول شيء يحاربه علم الأخلاق لأنه أول خطر يصطدم به الكمال الإنساني وأول انحطاط تقع فيه النفس البشرية».

وفي بحث الشجاعة يقول رحمه الله: «أبرز صفات الرجولة وأعز ملكاتها وأكثرها تأثيراً في تهذيب الأخلاق وتنظيم الأعمال، لأن تهذيب الملكات جهاد والمحافظة على الملكات جهاد آخر والمجاهد مخذول إذا لم تنصره الشجاعة ولم يرافقه

الصبر وبالثبات تنجح المساعي وتبلغ المقاصد وتتم الأعمال والشجاعة بنفسها إحدى الملكات التي لا تحصل إلا بالمجاهدة لأنها توازن في قوة الغضب، وكيف يتوازن الغضب من غير كفاح؟ وإذن فلا بد للإنسان من قوة أخرى تضرب الغضب بالغضب وتمزج اللين بالقوة لتركب من المجموع مزيجاً معتدلاً يسمى الشجاعة» ص٨٩ / ٩٠.

نعم إن شخصية زين الدين جمعت بين العلم والعمل فهو الفقيه المجتهد والأصولي البارع والمجاهد الكبير والأديب الألمعي والمربي الناجح والخطيب والمتكلم والمنطقي الذي يستهوي القلوب بمنطقه العذب والكاتب الذي يسحر القارئ ببيانه وصاحب الخلق الرفيع الذي يأسر الناس بخلقه فهو إذن العالم الذي إذا نظرت إليه كأنك عبدت الله لأنه يزهدك بالدنيا ويرغبك بالآخرة.

محمد الهنداوي

٢٠/ ربيع الأول/ ١٤١٩هـ

خاطرة ولاء[(١)]

العلامة الحجة السيدعبدالله الغريفي
البحرين

لا زالت متجذرة في عمق ذاكرتي لقاءاته وكلماته النابضة بالحب والروح والفكر والعطاء...

كنا ننجذب إليه -كما هي الفراشات المجذوبة في الضياء- تتغذى من علمه علماً، ومن فكره فكراً، ومن روحه روحاً...

كان الأب المربي...

تشدك روحه قبل أن يشدك فكره..

تغمرك روحانيته الربانية...

تصهرك عرفانيته القدسية...

(١) الاربعين : حميد الخاقاني.

تحتضنك شفافيته الفائضة بالدفء والحنان...

وتبقى روحك مأسورة إليه، إلى لقائه، حديثه، بسماته ونظراته، حبه الكبير الكبير...

يذكرك بالله...

وأنت تقرأ في عينيه حب الله... وفي نبضاته خوف الله... وفي كلماته نور الله، وفي علمه هدي الله...

وكلما اقتربت منه أكثر... تذوقت لذة الإيمان أكثر، وعشت الذوبان في الله أكثر، وانصهرت في ذات الله أكثر...

لست صوفياً يتحدث بلغة المريدين الوالهين... لكنه القلب حينما ينفتح عليه، والحب حينما ينبهر به، والروح حينما تعشق روحانيته الخاشعة في محراب الصلاة...

تأسرك -وأنت تأتم به- تبتلاته الباكية من خشية الله، وابتهالاته المشدودة إلى مغفرة الله، فلا تملك إلا أن تخشع مع الراكعين الساجدين، وتزدحم في عينيك دموع الخائفين المتضرعين، وتذوب في آهات الداعين القانتين...

لكنها الخواطر المجذوبة إلى حبه، وكل شيء فيه يفرض عليك أن تحبه، كلماته نظراته أخلاقه، عبادته، أفكاره، ثقافته أدبه، فقهه، جهاده، رساليته...

ويبقى الشيء الكبير... ربانيته الطاهرة....

كل المعاني تفقد قيمتها، دلالاتها، حرارتها، وجودها، وإن كانت كبيرة كبير، إذا لم تحتضنها ربانية طاهرة بكل ما تختزنه من صدق، وطهر، وتقوى، وذوبان في ذات الله...

هكـذا كان الشـيخ محمد أميـن زين الدين الفقيـه الرباني، وأسـتميحه عذراً، إن ذكرتـه مجرداً عن كثير من الألقاب الكثيرة التـي اعتادتها لغة الخطاب عندنا.... وحسبه أن يكون فقيهاً ربانياً....

هذه خاطرة ولاء وحب أضعها بين يديه وهو في رحاب الله، في مقعد صدق عنـد مليك مقتـدر... مع الذين أنعـم الله عليهم مـن النبيين والصديقين والشـهداء والصالحين... وكل ما أطمعه ثواب الله ورضوانه.

السيد عبد الله الغريفي

١٥/ ٣/ ١٤١٩هـ



الشيخ محمد أمين زين الدين
فقيهاً ومربياً[1]

السيد محمد الموسوي
الجامعة الاسلامية لندن

يمثل الفقيد الكبير الشيخ محمد أمين زين الدين التزاوج الضروري بين واقع الفقه وفقه الواقع، أي أنه كان فقيهاً متضلعاً سبر أغوار هذا العمل -الأساس- الذي ينظم تفاصيل الحياة الفردية والاجتماعية، وكان في نفس الوقت مدركاً لواقع (الحياة) في هذا العصر والتي يراد للفقه أن ينظمها. وبدون فقه حقيقي وليس استحسانياً لا يمكن أن تسير الحياة على نهج الشريعة الغراء، وبدون فهم للواقع لا يمكن أن يؤدي الفقيه دوره في إعطاء كل واقعة حياتية حكمها الشرعي.

وقد اجتمعت عوامل عدة جعلت بعض الفقهاء في وضع لا يسمح لهم بفهم الواقع في بعض المسائل التي فرضتها متغيرات الحياة المتسارعة، كما أن قلة التعمق الفقهي جعل

---

(١) الاربعين : حميد الخاقاني.

البعض يصدر آراءً وفتاوى لمسايرة الواقع، دون مطابقة دقيقة للأدلة الشرعية الصطلاحية. وهذا ما أوقع بعض الناس في مفارقة فصام مزعوم بين الفقه والواقع.

لقد كان الشيخ زين الدين مثالاً رائعاً لانسجام الفقه الأصيل مع الواقع المعاصر، وبالتالي شكلت كتاباته الحل المنشود لمشكلة الفجوة إن لم نقل (الجفوة) بين الشباب المثقف ثقافة مدرسية وجامعية غربية، وبين العلماء، إذ كان التباين الثقافي سبباً رئيسياً في إيجاد هذه الفجوة.

جاءت كتابات الشيخ زين الدين بلسماً على جروح الألوف من الشباب وغيثاً يطفئ ظمأهم الشديد للقيم الإسلامية بأسلوب عصري يفهمونه.

وكم انتشلت كتاباته وخصوصاً كتابه الرائع (إلى الطليعة المؤمنة) الذي أجد فيه دواءً ناجحاً لداء الضياع الذي يعاني منه كثير من شباب اليوم الذين لم يتذوقوا طعم الطمأنينة القلبية التي لا تنشأ إلا بذكر الله (ألا بذكر الله تطمئن القلوب).. وأتمنى أن يترجم هذا الكتاب إلى اللغات الحية الأخرى كي يستفيد منه شباب المسلمين الذين لا يقرأون العربية أولاً، وعموم الناس الباحثين على الاستقرار النفسي في عالم لا يفتقر لشيء كما يفتقر للاستقرار النفسي والطمأنينة..

إنني أرثي هذا الفقيد الكبير بحزن وأسى متذكراً ضخامة الثلمة التي يتركها مثل هذا الفقيد، الفقيه، المفكر، المربي. أرثيه وأنا أرى الحاجة الماسة له ولأمثاله وأسأل الله سبحانه أن يعوض هذه الطائفة الحقة والأمة الإسلامية جمعاء بما هو أهله من اللطف والكرم، وأن يرفع درجات فقيدنا الكبير في أعلى عليين إنه أكرم الأكرمين.

الشيخ محمد أمين زين الدين
رحلة في أوراق العلم والجهاد[1]

الحاج كاظم يوسف التميمي
العراق

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته المنتجبين.

أصحاب السماحة العلماء الأفاضل. أيها الإخوة المؤمنون السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذه نبذة وجيزة يسيرة عن حياة علم من أعلام العراق والأمة الإسلامية أوقف حياته للعلم النافع والعمل الصالح في سبيل الله والأمة. ذلك هو المفكر العارف والمربي الهادف المرجع الإسلامي الكبير المغفور له الشيخ محمد أمين زين الدين رضوان الله عليه. فحياته تمثل صفحة مشرقة ومشرفة في تأريخ الحركة الفكرية التغييرية نحو الإسلام في حياة

(١) الاربعين : حميد الخاقاني.

امتنـا في العصـر الحاضر ومعلماً بـارزاً في مواجهة أعدائنا فـي كل موقع وعلى أي صعيد وأشـدهم اليهـود ومن يقف في جبهتهم من قوى الكفر والاسـتكبار العالمي والضالعين في ركابه. كما أن حياة فقيدنا الكبير ومسيرته الطيبة الرشيدة هي نبع ثري سـخي، ومنهل سائغ شـربه لأبناء جيلنا الحاضر وأخص بالذكر منهم طلاب العلوم الشرعية الذي يحملون أمانة حمل الإسلام وتحصين الأمة بعد جيل علمائنا الأبرار الماضين من أمثال فقيدنا الغالي المرجع الشيخ محمد أمين زين الدين. وإني لآمل أن تكتـب ترجمـة كاملة مفصلة عن حياتـه من قبل احد علمائنـا المعاصرين مقدمة لموسـوعته الفقهية (كلمة التقوى) أو كتابه القيم (الإسلام ينابيعه، مناهجه، غاياته) بعد إعادة طبعهما.

وتفرض علي المناسـبة بعد مرور أسـبوع على وفاته رحمه الله أن أشير إلى جانب من حياته الحافلة بالحركة والنجاح.

ولـد فقيدنـا الكبير في قرية نهـر خوز التابعة لقضاء ابـي الخصيب في البصرة عام ١٣٣٣ للهجرة - ١٩١٤ للميلاد.

اخـذ دروسـه الأولى وأنهـى بعض المقدمات العلمية في مسـقط رأسـه قرية نهر خوز وفي عام ١٣٥١ هجرية غادرها إلى النجف الاشـرف حيث أكمل مراحل دراسـته من المقدمات والسـطوح ثم حضر الأبحاث الأصولية والفقهية والفلسفية لـدى كبار العلماء أمثال المحقق الشـيخ ضياء الديـن العراقي الذي حضر عنده مدة سبع سنوات وكتب تقريراته في الأصول.

انصرف للتدريس في الحوزة العلمية على مستوى كفاية الأصول والمكاسب والرسائل وشرح التجريد وتتلمذ على يديه العديد من العلماء والأساتذة من العراق وإيران والبحرين.

عُرف شيخنا الفقيد -رحمة الله عليه- كأحد ابرز العلماء الواعين والمفكرين

الإسـلاميين الهادفين خلال الفترة التي أعقبت نهايـة الحكم الملكي في العراق في تمـوز عـام ١٩٥٨م. ومعلـوم أن العـراق تعـرض مع بداية تلـك الفتـرة إلى هجمة عنيفة من الغزو الفكري الإلحادي المظلم، والى موجة عاتية من الشـبهات الظالمة الخبيثة التي اسـتهدفت الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً، وقد واجه العلماء الأعلام والحركـة الإسـلامية والغيارى من أبناء العشـائر العراقية تلـك الهجمة بكل صلابة وصدق وثبات.

وكان شيخنا الفقيد في طليعة من واجه وتصدى لها من خلال أحاديثه وكتاباته التي أسهمت في دحض الشبهات والأفكار الوافدة وتنشيط حركة الوعي الإسلامي في أوسـاط المتعلمين وخصوصاً الشـبان من طلبة المدارس الجامعات. فقد نشرة له مجلة الأضواء الإسـلامية -التي تصدرها جماعة العلماء في النجف الاشـرف- العديد من المقالات القيمة.

وعلـى طريق الدعوة في منهجه التربوي أسـلوبا أولاه عناية خاصة، هو مدى جسـور العلاقـة والتفاهـم ولغة الحـوار وحرية الـرأي والكلمة بيـن العلماء وجيل المثقفيـن فـي العالـم الإسـلامي فنجـده شـغولاً دؤوباً يعكـف على تحريـر أجوبة المسـائل والاستفسـارات التـي ترده من أسـاتذة وطـلاب الجامعـات وغيرهم من مختلف الأقطار حول قضايا الإسلام والحياة والإنسان والأمة.

وقـد أوتـي حظاً وافراً مـن الفكـر الثاقب والبصيـرة في الدين وحسـن البيان وجـودة الأسـلوب وقـوة التأثير والإقنـاع وضم كتابه(إلـى الطليعة المؤمنة) قسـماً من تلك الأجوبة، كما امتاز بعمق الفكر وسـعة الإطلاع وبعد النظر ورحابة الصدر والقدرة على التشخيص والتمييز واتساع الأفق.

كان الفقيـد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مـن رواد الوحـدة الإسـلامية ودعاتهـا وقد عـرف عنه هذا المنحـى الإيجابـي في حياته بيـن العلماء والمفكريـن والواعين من أبنـاء الأمة في

العراق وخارجه، فكتاباته وأحاديثه مشبعة بروح الوحدة والإخوة بين المسلمين والتحذير من عواقب وأخطار التعصب الذميم والطائفية المقيتة.

وكما ركز الفقيد في منهجه التربوي على أهمية إعداد الشخصية الإسلامية وأثرها في حياة الأمة نراه يوجه اهتمامه وحرصه على إعادة بناء وترسيخ شخصية الأمة الإسلامية الواحدة وإبراز هويتها واصالتها ورسالتها في الحياة بين أمم الأرض مصداقاً لقوله تعالى ﴿**كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ وهو إلى جانب هذا وفي نفس التوجه كان بين أوائل العلماء والمفكرين في العصر ممن يرون ويؤمنون بضرورة إقامة الدولة الإسلامية وتطبيق أحكام الشريعة. وقد سألناه أنا ومجموعة من الإخوة في إحدى زياراتنا له في ديوانه في نهر خوز حول رأيه في شكل الحكم الإسلامي فقال انه يتمثل بمجلس شورى أهل الحل والعقد من الفقهاء يختارون احدهم على رأس الدولة.

كان ذلك في أوائل الستينات وكانت زيارته المنتظمة للبصرة في فصل الصيف أشبه بمواسم التثقيف والتوعية حيث تستضيفه مكتباتها الإسلامية فيسارع إليه المؤمنون ويجتمع لديه الدعاة العاملون في سبيل الله يستمعون إليه محاضرا في موضوع أو متحدثاً في مناسبة وفي حديثه من قبسات الفكر والمعرفة وهدى القران وسيرة الرسول ﷺ وآل البيت عليهم السلام وجهاد المسلمين في صدر الإسلام ما يغرس في نفوسهم حتمية انتصار الإسلام ويهون أعباء الطريق الطويل ويخفف عنهم ظغوط الواقع المختلفة.

كما يتوافدون إلى بيته في نهر خوز في زيارات جماعية، فكان ديوانه المتواضع ملتقى لمريديه واغلبهم من الشبان المتحمسين لتلقي أفكاره وتوجيهاته، وقد كان لي شخصياً شرف الحضور والإفادة من أفكاره السليمة وآرائه السديدة مع بعض الإخوة البصريين ومنهم الشهيد السعيد الشيخ عارف البصري وهو مريديه والمقربين إليه وأول من دعاني لزيارة الشيخ الفقيد وعرفني عليه. ومنهم

المرحوم الشيخ سهيل نجم السعد وآخرون. كما كانت للشيخ الفقيد رحمه الله زيارات عمل ونشاط فكري وتربوي في البحرين والقطيف وسيهات على الساحل الشرقي للخليج يتجول بين مدنها وقراها وتنعقد له مجالس الوعظ والإرشاد أينما حل، ولا يفوتني أن اذكر انه كان يدفع المرتبات الشهرية لطلبة الحوزة العلمية في النجف ويسهم في إعالة ما يقرب من ثلاثة آلاف عائلة في النجف والبصرة بعد فرض الحصار على الشعب العراقي.

أتقدم باسم اخواني أهل البصرة المقيمين في سوريا إلى العلامة الشيخ ضياء الدين نجل الفقيد والعالم الفقيه الأستاذ سماحة الشيخ محمد الخاقاني والى أسرة الفقيد عموماً والعلماء والأعلام وممن تتلمذ على يدي الفقيد الغالي ومن عرف فضله وقدره والى المسلمين كافة بالعزاء الذي يفرضه شعورنا وإحساسنا نحو الفقيد الكبير. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الخميس ٨ ربيع الأول ١٤١٩هـ[1]

(١) ألقيت هذه الكلمة في ديوان الحاج علي احمد الصحاف في ختام مجلس الفاتحة الذي أقامه أهل البصرة في سورية على روح الفقيد.



صدى الفاجعة

الأستاذ/ حسين المعلم

القطيف - الجارودية

فجع العالم الإسلامي وعلى الخصوص عالم التشيع بفقد العالم الرباني والمرجع الديني الكبير فقيه الأمة سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين (رضوان الله تعالى عليه).

ويعد رحيل سماحته خسارة كبرى وثلمة عظمى ألمت بالأمة الإسلامية. ولا سيما للحوزة العلمية في النجف الأشرف إذ كان أحد أركانها الوثيقة.

ولقد كان وجوده الشريف يمثل الحياة الكريمة والأنموذج الصادق للمرجعية الرشيدة المتصلة بواقع الأمة وآلامها حتى في أحلك الظروف وأصعبها فهو إذ ذاك الملجأ والملاذ والأب الحاني العطوف لآلاف الأسر المحرومة في العراق الجريح في ظل الأوضاع الراهنة.

مولده وأسرته:

وقد ولد سماحته في (نهر خوز) من قرى البصرة وأبوه هو الشيخ عبد العزيز بن الشيخ زين الدين بن الشيخ علي بن الشيخ زين الدين بن مكي بن بهاء البحراني البصري النجفي.

وينحدر سماحته من أسرة علمية عريقة عرفت بالتقوى والفضيلة أصلها بحراني من -كرزكان- وقد هاجر جده الشيخ زين الدين إلى العراق ونزل البصرة حتى وفاته.

أما والده الشيخ عبد العزيز فقد عاش بالبصرة وتوفي بها سنة ١٣٤٧هـ وكان عمر الشيخ محمد أمين أربع عشرة سنة حيث تلقى أوليّات العلوم على يد والده وبعدها انتقل إلى النجف الأشرف سنة ١٣٥١هـ حيث استظل بكبار أساتذة الحوزة وأساطين العلم وحضر بحوثهم.

أساتذته:

منهم الشيخ النائيني والشيخ ضياء الدين العراقي وقد حضر عنده سبع سنين وكتب تمام تقريراته في الأصول والسيد حسين البادكوبي في الحكمة والشيخ محمد حسين الأصفهاني في الفقه رضوان الله تعالى عليهم.

وفي ذات الوقت تصدى سماحته للتدريس حيث كانت حلقات درسه مشهودة يشار إليها بالبنان في النجف الأشرف كما يذكر ذلك المرحوم آغا بزرك الطهراني في ترجمته. وقد ارتاد درسه عدد من العلماء الأعلام البارزين.

بعض طلابه:

منهم:

١ - العلامة الشيخ علي زين الدين.

٢- العلامة الشيخ محمد حسين حرز الدين.
٣- العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي.
٤- العلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم.
٥- العلامة السيد رؤوف جمال الدين.
٦- العلامة السيد مصطفى جمال الدين.
٧- العلامة الحجة الشيخ إبراهيم المبارك.
٨- العلامة السيد حسين بحر العلوم.
٩- العلا مة الشيخ محمد رضا العامري.
١٠- العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم.
١٢- العلامة الشيخ محمد علي التسخيري وغيرهم.

بعض مؤلفاته:

خلّف (طاب ثراه) آثاراً جمّة وكتباً عديدة في الفقه والحديث والفلسفة والأخلاق وتمتاز مصنفاته بسلاسة الأسلوب وجمال البيان وحسن التعبير نذكر منها مثلاً:

١- الموسوعة الفتوائية (كلمة التقوى) في تسعة أجزاء.
٢- المسائل المستحدثة.
٣- الإسلام ينابيعه ومناهجه.
٤- العفاف بين السلب والإيجاب.
٥- من أشعة القرآن.
٦- إلى الطليعة المؤمنة.
٧- الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام.
٨- رسالات السماء.
٩- له بحوث ومقالات هامة نشر بعضها في مجلة العرفان.

١٠- مع محمد أمين المصري في حديث المهدي والمهدوية.

كما أن له جملة من الرسائل الدقيقة والتحقيقات الرشيقة وتعليقات على العروة الوثقى للمرحوم اليزدي والرسالة الصلاتية للشيخ يوسف البحراني رحمه الله ومنسك السيد الحكيم رحمه الله وله تقريرات بحث المرحوم الشيخ آغا ضياء الدين (في الأصول - دورة كاملة).

وله ديوان شعر لكنه غير متداول لطغيان شهرته الفقهية وإن كان قدس سره من الأدباء المرموقين فهو بحق أديب الفقهاء وفقيه الأدباء.

وقد عرف عنه تصديه في مقالاته الملهبة وكتبه الخالدة لأفكار وشبهات أعداء الدين والمذهب من المستشرقين والماديين وله مراسلات كثيرة مع الشباب المسلم في العالم وكانت تربطه علاقة وطيدة وصداقة حميمة مع المفكر الإسلامي الشهيد الصدر رحمه الله.

مرجعيته:

بعد تصديه لشؤون المرجعية الدينية أصبح أكثر التصاقاً بآلام الأمة وأصبحت له نشاطات بارزة في أنحاء شتى إذ يرجع له في التقليد عدد غير قليل من أهالي البحرين والعراق والمحمرة والبصرة والقطيف وغيرها من بلدان الخليج.

وقد كانت له زيارات منتظمة للمنطقة ففي البحرين كان يقضي في ربوع قرية آبائه (كرزكان) ما يقرب من ثلاثة أشهر يقيم خلالها الجمعة وينتقل في أرجاء البحرين واعظاً ومربياً.

كما أن له زيارات مماثلة لمنطقة سيهات بالقطيف وفيها أقام الجمعة وكذلك البصرة وفي ظل ما ألم بأهل العراق من ظروف قاسية وحوادث سياسية متوالية أضطر سماحته لممارسة ومواصلة دوره الرسالي في تحمل أعباء المرجعية من

خلال الإقامة الجبرية في منزله بالنجف الأشرف ومع ذلك لم تتوقف نشاطاته المباركة ومشاريعه الخيرة عبر وكلائه الأفاضل الذين أولاهم ثقته التامة في التصرف بالحقوق الشرعية مع متابعته الشخصية الدقيقة.

وكان لنجله وفلذة كبده العلامة الحجة الشيخ ضياء الدين دور هام في هذا المجال من خلال إشرافه المباشر.

الشيخ ومحنة العراق:

لقد أبدى سماحته اهتمامه البالغ بالمعاناة والظروف القاسية التي يعايشها أبناء الشعب العراقي في السنوات المتأخرة فانبرى رضوان الله تعالى عليه إلى التكفل بشؤون آلاف الأسر المحتاجة وعوائل المفقودين بتوفير متطلبات الحياة الضرورية.

وكذلك أشرف على تنظيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف من الناحيتين الإدارية والمالية. وكم لنا أن نتصور الفراغ الكبير الذي تركه سماحته وأثر ذلك في الأوساط الشعبية والعلمية في العراق.

شيء من صفاته وسجاياه:

قال عنه الشيخ الخاقاني في (شعراء الغري): «له شخصية علمية رصينة تلفعت بالفضائل وتمنطقت بالعفة والتقوى مثال الإنسان الذي ينشد الكمال ومقياس الشخص الذي يحب الخير ويسعى للحق»، ويقول الأستاذ سالم النويدري في أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: «ولئن نسيت فلن أنسى تلك المجالس التي كانت تجمعنا بسماحته في البحرين حيث يتحلق الشباب المؤمن من حوله وكلهم آذان صاغية لذلك السلسال العذب من الألفاظ وهو يرد على أسئلة الحاضرين فتشيع في أرجاء المجلس روحانية قلما توجد في مجالس أخرى.

وكانت هيبته ووقاره لا يمنعان الشباب ولو كان في سن الحداثة من الارتشاف من معينه العذب لما يلمسونه من إقبال منقطع النظير على احتضانهم والاقتراب من حياتهم والولوج إلى أعماق مشاكلهم وهذا مالم يعهدوه حتى فيمن دونه رتبة ومقاماً من حملة العلم في المجتمع»، ويقول ابن أخته آية الله الشيخ محمد الخاقاني: «إن الخال الشيخ إنسان متواضع لا يملك من حطام الدنيا شيئاً وهو كثير المحاسبة للنفس».

وبالجملة فقد أجمع واصفوه ومجالسوه على تخلقه بأخلاق الأنبياء والأولياء فقد كان رضوان الله تعالى عليه شديد التواضع ينفر من الجاه والرئاسة منزوياً عن الدنيا وحطامها لا يدّخر لنفسه شيئاً خصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بالحقوق الشرعية إذ كان مسكنه ومأكله في غاية البساطة وحدث أن أُقترح عليه تنظيم بعثة خاصة لأيام الحج فأبدى تحفظاً شديداً باعتبار أن هناك من هو في أمس الحاجة لما يصرف على هذه الموارد وكان سماحته شديد التعلق بالله عز وجل لسانه يلهج بذكره مواظباً على صلاة الليل وزيارة المعصومين عليهم السلام وكذلك إحياء مصائبهم على الخصوص مصاب سيدة النساء عليها السلام. وحدّث من رآه أيام المحرم في البحرين: بأنه لا يقدر أو يحتمل استماع مصاب أبي عبدالله عليه السلام.

وفاته وأصداء الفاجعة:

بعد عصر يوم الأربعاء آخر صفر ١٤١٩هـ كان رحيل سماحته إلى الملكوت الأعلى بعد معاناة مع المرض، ولم يكن مرضه أشد وطأة عليه من وصول حال الحوزة العلمية في النجف الأشرف والعلماء الأعلام بها إلى ما هو عليه الآن.

أجل.. رحل وقلبه مكمد بالأحزان والآهات.. رحل.. وقد تجرع محن العراق ومعانات أهل العراق. دفن في بيته.. بعد أن صلى عليه خلفه الصالح وابنه البار صاحب الفضيلة العلمية الكبيرة العلامة الحجة الشيخ ضياء الدين حفظه الله

وأعظم له الأجر.

وما أن انتشر الخبر حتى كان كالصاعقة المدوية وكالسهم النافذ إلى قلب الأمة المثكولة بمرجعها وفقيدها ووالدها الحنون فعم الحزن بقاع العالم الإسلامي ولاسيما الأوساط العلمية في النجف وقم. إذ أعلن عدد من المراجع العظام في قم المقدسة الحداد وأقاموا الفاتحة على روحه الطاهرة وكذلك علماء وطلبة البحرين المقيمون في قم.

وفي لبنان أصدر العلاّمتان السيد فضل الله والشيخ شمس الدين بيانين بالمناسبة وفي الكويت أعلن الدكتور الشيخ الوائلي للناس نبأ رحيل الشيخ من على المنبر مبدياً حزنه العميق وأسفه الشديد للمصاب.

وفي القطيف فجع المؤمنون ولاسيما الشباب الرسالي الواعي برحيل سماحته وأعلن عدد من العلماء الأفاضل نبأ رحيله للملكوت الأعلى كما أقيمت مجالس الفاتحة على روحه في بعض قرى القطيف وسيهات تعاقب فيها الخطباء الأفاضل على ذكر ملامح من شخصية الفقيد الراحل والأمر نفسه حدث في سورية ولندن أما في البحرين فقد صدم المؤمنون بنبأ الوفاة غير مصدقين أنهم فقدوا شيخهم وموئلهم وملاذهم الكبير الذي أولى أهل البحرين اهتماماً خاصاً ورعاية أبوية حانية وأقيمت الفاتحة المركزية باسم علماء البحرين في مأتم القصاب بالمنامة.



البحرين تدين بالكثير للشيخ محمد أمين زين الدين

السيد عبد الله الغريفي

تقرير: المجلس العلمائي - البحرين ٢٤-٦-٢٠٠٧ م

عادت الذاكرة منذ يوم أمس الأول بأهالي قرية كرزكان إلى اللحظات الأخيرة التي قضاها الشيخ محمد أمين زين الدين في قريتهم، واستعاد كبار السن في القرية الذكريات التي لا تزال راسخة في أذهانهم عن مكامن شخصية هذا العالم الجليل، وذلك مع انطلاق فعاليات أسبوع زين الدين الثقافي الذي يقام في مأتم كرزكان الشمالي في الفترة من ٢١ حتى ٢٧ من الشهر الجاري.

وأكد نائب رئيس المجلس الإسلامي العلمائي السيد عبد الله الغريفي في كلمته التي ألقاها على هامش الفعالية أن «البحرين تدين بالكثير إلى المرجع الديني الشيخ محمد أمين زين الدين، فالذاكرة لا تزال تزخر باللحظات المليئة بالعطاء، وحينما نقرأ زين الدين فإننا نقرأ فيه الفقيه الكبير، والمفكر الإسلامي والمثقف الكبير والداعية الكبير».

وقال الغريفي: «لقد كان فقيها كبيرا، فمن المعروف أنه وصل إلى مرحلة الفقاهة والاجتهاد، ما أهله إلى التصدي لموقع المرجعية والتقليد، ومن المعروف أيضا أن البحرين شهدت توجها كبيرا في الرجوع إلى تقليده واعتماد فتاواه». وأضاف أن من أهم ما يميز رسالته العملية (كلمة التقوى) اللغة الميسرة الواضحة، والاستيعاب والشمول، ما يدفعنا للقول إن رسالته العملية أوسع رسالة عملية بين جميع الرسائل. وأوضح أن «زين الدين كان مفكرا كبيرا بكل ما تحمله الكلمة من أبعاد، ونستطيع أن نستشف ذلك من خلال كتاباته التي تبين لنا أننا نلتقي بفكر من الطراز الأول عبر أطروحاته التي اشتملت على العمق، وجاءت نتاجاته الفكرية في وقت اشتدت فيه ضراوة التغريب الفكري الثقافي، وهناك من يرى أن زين الدين كان من رواد الثورة الثقافية في النجف الأشرف».

وقال الغريفي: «لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل كان زين الدين مثقفا كبيرا، إذ كان أستاذا كبيرا أنتج أجيالا من المثقفين الإسلاميين... وفي أعقاب ثورة تموز في العام ١٩٥٨ م تشكلت جماعة العلماء التي دافعت عن فكر الإسلام ضد الفكر التغريبي، وكان على رأس العلماء الذي حملوا صوت الجماعة ونقلوا هذا الصوت إلى الأم».

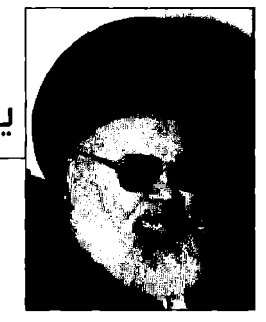
وأوضح الغريفي أن زين الدين كان بالإضافة إلى ما حمله من صفات أديبا كبيرا وداعية حمل هم الدعوة إلى الله بكل صدق وتجسد ذلك من خلال كتاباته التي حصنت الأمة وعلى رأسها كتابه «إلى الطليعة المؤمنة»، ومن خلال إقامة صلاة الجمعة التي كانت منبرا إلى الدعوة ومن خلال لقاءاته المفتوحة مع الناس.

وأشار الغريفي إلى الدور الريادي الذي قام به زين الدين باعتباره مربيا كبيرا أحاط الناس وساهم في دفعهم نحو خط الدعوة «وكانت مواعظه مؤثرة في النفوس وأخلاقه ظلالا وافرا، وكان عالما ربانيا لم يحمل هم الدنيا، ولم يبحث عن جاه أو شهرة أو موقع أو مال، وما أيسر ذلك عليه، فقد امتلك من الكفاءات ما يؤهله

للظهور ولكنه أراد غير ذلك».

ودعا السيد الغريفي إلى تبني مشروعات علمية لدراسة سيرة العلماء وعلى رأسهم الشيخ محمد أمين زين الدين، وأشار إلى أهمية أن يتولى المجلس الإسلامي العلمائي المبادرة إلى ذلك.

وعرض على هامش الفعالية فيلم وثائقي عن حياة الشيخ محمد أمين زين الدين بين أهالي قرية كرزكان. وأعلن القائمون على المهرجان أنه بإمكان الحضور زيارة معرض كتاب أسبوع زين الدين الثقافي قبل انطلاق الفعاليات المسائية أو بعدها.



الغريفي في الليلة الافتتاحية لأسبوع زين الدين: يؤلمني عدم وجود دراسات علمية في حق زين الدين

تقرير: علي البصري

مجلة أخبار القرية - بموقع كرزكان - البحرين - بتصرف

عبر سماحة العلامة السيد عبدالله الغريفي عن ألمه وأسفه لعدم وجود دراسات علمية حول الشيخ زين الدين رَحِمَهُ اللهُ منذ وفاته لحد الآن، ودعا في أول ليلة من أسبوع زين الدين الثقافي إلى استغلال هذه الملتقيات والمنتديات في صياغة هذه الدراسات واصفاً إياه بعملاق الفكر والفقه والأدب

وأشار العلامة السيد عبدالله الغريفي في كلمته إلى «أننا -شعب البحرين- مدينون الى الشيخ محمد زين الدين بالكثير، فالذاكرة البحرانية تزخر بتلك الزيارات الفكرية والدينية والتوعوية وفي قراءة عاجلة يتبين لنا عدة خصال في هذا العالم، الفقيه، والمثقف الكبير، والأديب، والداعية الكبير، والمربي والعالم الرباني».

وشرح السيد الغريفي كل خصلة من هذه الخصال:

الفقيه الكبير: حيث أثبت أنه يستطيع أن يستنبط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة، وأن رسالة الشيخ زين الدين تمثل أوسع وأشمل رسالة، فالبحرين شهدت توجه كبير في الرجوع إلى تقليده وفتاواه وأن رسالته العملية (كلمة التقوى) تمثل اللغة الميسرة الجذابة، حيث ساعدته لغته الأدبية في صياغتها، وأيضاً الاستيعاب والشمول.

المفكر الكبير: فهو من الطراز الأول اعتمد رؤى الدين ومفاهيم القرآن، وجاءت رؤاه الفكرية في ظل اشتداد الفكر التغريبي. وقد ألف كتاب (الإسلام ينابيعه ومناهجه وغاياته) ودرسه لعدة علماء كان قد انتقاهم من ضمنهم: الدكتور عبد الهادي الفضلي، الشيخ مهدي السماوي، والسيد الشهيد محمد باقر الحكيم. ويعد ذلك أول درس من نوعه في النجف، والشيخ الفضلي يعتبر الشيخ زين الدين من رواد الثورة الثقافية.

وألف أيضا كتاب (العفاف بين السلب والايجاب) فهو دفاع عن قيم الدين ومبادئه وصون لعفة المرأة، وفي عام ١٩٥٨ تشكلت في النجف الأشرف (جماعة العلماء) التي كانت تدافع عن الإسلام وكان على رأسهم محمد باقر الصدر وفضل الله وزين الدين وغيرهم وكان من ضمن مجموعة العشرة التي كانت تدرب وتعد أقلام تدافع عن الإسلام ومبادئه.

الأديب: حيث أنه لم يكن فقط فقيها ومفكراً بل كان أيضا أديباً فاعلاً له بعض الكتابات والأشعار.

الداعية الكبير: وكانت من أهم أساليبه الدعوية:

(١) كتاباته التي حضنت الأمة وأنا أدعو الشباب إلى الاطلاع عليها وخصوصا كتاب (إلى الطليعة المؤمنة).

(٢) إقامته لصلاة الجمعة: ولازلت أستحضر تلك الصلاة الربانية.

(٣) من خلال لقاءاته مع الناس وبكل تواضع كل هذه كانت وسائله لنشر الفكر الإسلامي الفذ.

المربي الكبير: كانت كلماته الربانية أخَّاذه تدخل في القلب وتسحر الروح وتطير بها إلى الأفق والملكوت الإلهي، كانت نظراته الحانية أفقا رحبا، كانت حياته مدرسه أنتجت أجيال من عشاق الله.

العالم الرباني الكبير: لم يكن عالم دنيا بل كان علمه لله وفي الله ولم يكن يريد بعلمه إلا رضا الله ولم يطمع في جاه أو دنيا ولو أرادها لحصل عليها ولكن كان همه رضا الله ولا يسعني هنا إلا أن أبدي حزني وألمي الشديد لعدم وجود دراسات في حق هذا العالم الجليل.



زين الديـن والشـباب

بقلم: الشيخ شاكر الفردان
البحرين

«الشـباب فئـة عمرية، لهـا خصوصياتها التـي تميّزها عن بقيـت الفئـات، لها آلامهـا وآمالها، لهـا لغتها التـي تتحدث بها وسلوكيتها التي تنسجم معها.

مـن أجل هذا أصبحـت هذه الفئـة محطّ أنظـار الجميع، منهـم مـن يبني الآمـال عليهـا ويعيش التفـاؤل بهـا، ومنهم من يعيش الإحباط واليأس منها، منهم من ينفتح عليها ويسـتوعبها، ومنهم من ينفر منها ويدير ظهره إليها».

* * *

الشباب شعلة وهاجة، وروح تنبض بالحركة، إنها مرحلة القـوة والفاعلية والنشـاط، ولعلها أبرز خصوصيـة تميزها، كما أشـار لذلك القرآن الكريـم. بأنها قوة بيـن ضعفين، بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**

مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[1] والنكتة اللطيفة في الآية أنها بيّنت أن الضعف الأول، هو ضعف الطفولة ما دام هو ضعيف فإنه لا يمتلك القوة فيعتمد على الآخرين، فليس من الاستقلال شيء، كذلك ضعف الشيخوخة فإنها مرحلة الاعتماد على الغير فتشتركان في عدم الاستقلالية لفقدان مرتكزها وهو القوة.

أما مرحلة الشباب فهي مرحلة القوة والنشاط والحركة، فيلازمها الاستقلال. من هنا تنشأ هذه النزعة عند هذه الفئة، وهي النقطة التي يختلف عليها الجميع سلبا أو إيجابا، لأن الشباب من خلال هذه النزعة يصيغ تفكيره ومنها ينمط سلوكه.

كيف ينظر الشباب إلى ما حوله من خلال هذه النزعة؟!

يعيش في داخله حالةً من عدم التسليم الأعمى، عبَّروا عنها بالتمرد، أو أنه لا يقبل الجمود على ما مضى ما لم يشبع فكره، ويملأ وجدانه، وهذه عبَّروا عنها بالثورة على المألوف أو على القيم وهكذا.. فهل هو متمرد عاصٍ..؟!

من هنا تنشأ مسألة المجيالة التي تعبر عن الصراع بين جيلين، الجيل القديم والجيل الجديد، فتحصل نظرة متعاكسة من الطرفين حيث ينظر الشباب إلى أن الجيل القديم يمثل مرحلة متقدمة تعكس فكر وسلوك زمن ذلك الجيل، حيث يتمسك جيل الشيوخ بكل قديم، وأن العادات والتقاليد خطٌ أحمر لا يمكن تعديه، بل هو من الثوابت غير القابلة للتغير، وأن المشي وراء كل جديد يمثل حالة انسلاخ عن الهوية، لذا فإنه مرفوض رفضاً باتاً من هنا ينشأ جداراً حاجزاً بينهما يصعب اختراقه، وقد تؤدي هذه العلاقة المضطربة الى كوارث اجتماعية تدخل المجتمع في مأزق يصعب عليه الخروج منه.

---

(١) الروم: ٥٤.

من هنا تبرز القدرة على فن الدخول إلى قلب الشباب، طبعاً ذلك لايكون إلا عبر مفاتيح يستطيع بواسطتها أن يفتح مغاليق القلوب، وألا يبقى عاجزاً عن ذلك، ومعنى أمك تستطيع أن تنفذ إلى قلب شاب، أي أنك فاتح كبير لقلعة محصنةٍ قد تملك الأدوات وتمتلك الفكرة ولكنك تعجز عن العبور أكثر ما تصل إليه أن تقف على أبواب الحصن دون أن تجد لكَ متسعاً فيه.

من هنا أيّها الأحبة تفشل كثير من العلاقات الاجتماعية لعدم القدرة على اقتحام هذه القلوب الطرية، هذا ما نجده بين الأب والابن أو بين الأستاذ وتلميذه أو بين عالم الدين وأبنائه الشباب.

هنا لنا وقفة مع شخصية تركت بصمتها على أبناء جيلها وكانت فارساً وفاتحاً بحق استطاع أن يقتحم القلوب من غير استئذان، ومن غير أن يبذل الثمن الباهظ، أو يفقد من ذاته أو هيبته ووقاره شيئاً خصوصاً اذا لاحظنا بعين الاعتبار الظرف الزماني الذي عاصره، ونظرة المجتمع بالخصوص، الشباب إلى الدين قبل عالم الدين، حينها نجد قيمة هذا السلوك الذي أصبح خصوصيةً من خصوصياته التي لا يستطيع أن ينفك عنها، حيث لا تمتلك أمام هذا الفارس إلا أن تترجَّل رافعاً راية الاستسلام، آخذاً طريقك إلى قلبه. يقول العلامة السيد عبد الله الغريفي: «كنا ننجذب إليه كما هي الفراشات المجذوبة في الضياء تتغذَّى من علمه علماً ومن فكره فكرا ومن روحه روحا...».

لابد من المرور السريع على الفترة الزمنية التي عاشها لتعطي قيمة لهذه القدرة الفائقة التي جعلت منه فارساً متميزاً في هذا الميدان.

كانت الناس تعيش ردة على الدِّين وأهله، ساعدت على ذلك عوامل ذاتية وخارجية أوجدت مسافة شاسعة بين الناس وأهل الدين بل الدين نفسه، لأن الناس كانت تقرأ الدين من خلال رجالاته. كانت الأفكار الوافدة تبشر بأيدلوجيات بديله

عن الدين.. لأنه يمثل أفيون الشعوب، فجاءت الاشتراكية والشيوعية كبديل ولأنه يمثل نقطة خلاف واختلاف فجاءت القومية البديل، وأخذ الإعلام دوره آنذاك في تعميم الأفكار، وانحسر الفكر الديني في المقابل، او اختبأ وراء الجدر وفي حصونه حتى أصبح رجاله يخجلون في انتسابهم لهذا الدين. هذه الفكرة السلبية عن الدين ورجالاته استدعى الأمر أن تتحوّل الفكرة إلى سلوك على أساسه يتعاملون مع المنتسبين للدين ويصوِّرونهم جماعات مختلفة تعيش بأفكار أهل القبور وتتحدث بلغتهم، وأن اللغة التي يتحدثون بها لغة التفكير والتحريم فكيف ينفتح الشباب على شيخ كبير ينتسب لهذه الفكرة؟! بل كيف هو ينفتح عليهم؟!.

نحن مع تجربة هذا الشيخ الجليل الذي حول علاقته مع الشباب إلى مشروع بنى عليه كل نجاحاته وراهن الآخرين في تعويله على هذه الفئة، اعتبر أن المزاوجة بين لغة البرهان والوجدان من أهم الوسائل التي تجعل من الشباب طاقة جبَّارة ومشروع تغير مستقبلي، كانت كلماته المتدفقة من قلبه الصادق وهي تنطلق بسرعة البرق كالسلسبيل لتستقر في القلب، ولطالما يردد هذه الكلمة كلما التقى بشباب (يا عزيزي)، كانت ابتسامته بحراً مواجاً من المشاعر والأحاسيس، تغرق من يقع في شراكها، كان صمته أمراً محيراً، ولغة محببة، صمت ملؤه الكلام، وهدوء ملؤه الحركة، ثبات ملؤه التغير، أمام كل ذلك تجد نفسك أسير بين يديه لا تملك إلا أن تستقر احتراماً وإجلالاً بين يديه. لقد كان لي ـ ولأندادي ـ شرف القرب إلى قلبه وتلمس العاطفة الجيّاشة بين شرايين قلبه حتى تصدر عنه. والشوق واللهفة تشدنا إليه، تمنينا لو أن الزمن يمتد بنا فقط لنتسمر أمامه حتى نشبع ما في داخلنا من نهم لهذا الرجل الكبير.

ماذا يملك في داخله؟! ما هي القوة العجيبة التي حصل عليها حتى صار كالمغناطيس يجذب البعيد فبل القريب؟! أكرر كلام العلامة الغريفي: «كنا ننجذب إليه كما هي الفراشات المجذوبة في الضياء...».

كان الأب المربِّي يشرك روحه قبل أن يشرك فكره.. تغمرك روحانية الربانية، تصهـرك عرفانيـة القدسـية، تحتضنك شـفافيته الفائضة بالـدفء والحنـان، وتبقى روحك مأسورة إليه إلى لقائه، حديثه.. بسماته.. ونظراته، حبه الكبير الكبير.

إنه حـب الله الذي يملأ قلبه، وبراهينه الواضحات الباهرات التي تملأ عقله، إنه الطاعقة المطلة لله «ومن يطع الرحمن يجعل له ودًّا» هكّذا يصنع حب الله وهكذا تكون فاعليته، ولقد ترجم كل ذلك من كتاباته المتنوعة ولمســناه في سلوكياته التي تجسد كل ما كتبه.

كان كتاب (رسـالات السـماء) عبارة عن مراسـلة مفتوحة بينه وبين صديق له شـاب مسـيحي يقول هذا الرجل الكبير في إحدى رسـائله له: «واحسب ان السيادة والقداسة.. مما تفاوت بيننا في المنزلة فأرجو أن تبدلها بالأخوة فإنها ألمس للقلب وأدنى إلى الصواب» ماذا تركت هذه الكلمات على قلب المرسل إليه؟!

يقـول في مـورد آخر: «أخـي في اللـه وأمانتي منه، وعديلي فـي الصّلة حيَّاك الحّق، الذي تطلب، وسدّدك التوفيق الذي تتمنى».

يقول الشـاب المسـيحي: «وصلني كتبـاك، ولقد وقعت حين قرأته مدهوشـاً مبهوتـاً بين يـدي هذا الخالق العالـي الكريم. الذي لم أكن أحلم بـه لأحد من آبائنا الرّوحانييـن وأمام هذه النفـس المدربة لخدمة الله، وهذا التواضع الكريم للحق في سـبيل اللـه.. ما أقول شـيئاً. بل أقول وأعتـرف بأنه خلق محمدي إسـلامي قرآني.. وأنك يا سـيدي لتملي عليَّ دروسـاً عملية في الأخلاق والتهذيب..... إنك تأمرني فـي كتابكم ـ أن أدع اسـتعمال ألفاظ السـيادة والقداسـة وغيرها مـن الكلمات التي تشعر بعميق احترامي لمقامك...».

من أين أدرك هذا الشـاب هذا التواضع وهذا الخلق القرآني الرفيع؟! لابد أنه اسـتوقفته الكلمات واستنطقها، فجسّـدت روح كاتبها، ولمس منها سيماء الأنبياء،

واستنشق منها عبق الأولياء.

دعونا نستمع سوياً لما يقوله هذا الرجل الكبير عن الشباب، عن أحبائه، عن سكّان قلبه: «إنني لا أتساهل ما استطعت في أمر تفرضه على الدعوة إلى الله، والدلالة على سبيله، وأن من مهمات هذه الأمور لديَّ أجوبتي على مسائل الشباب الميامين الذين أعقد عليهم الأمل،، وأتوسّم فيهم الخير، والذين يجعلوني موضعاً لثقتهم فيفصحون إليّ بشبهاتهم ويبثون إليَّ شجونهم في رسائلهم. لا أتسامح ما استطعت وما يكون لي أن أتسامح وأنا أعلم أنها أمانة كبيرة يحاسبني الله عليها ويسألني عن الوفاء بها، أما محاسبة الضمير ومسألته، فهما دون ذلك في موازين أهل الدعوة وفي موازين أهل الدين».

نعم هكذا كان الرجل الكبير يحمل ألآم وآمال الشباب، ولو لم يكن قلبه خزانة أسرارهم، ولو لم يكن النبع لذي يردونه فيرويهم، والشجرة التي يستظلون بفيئه، ما كان موضع ثقتهم ولا كانوا يبثون شجونهم إليه، نعم إنه لا يتسامح مع نفسه حتى لا نضيع. لا يتسامح مع نفسه حتى لا نموت ونحن أحياء.

تأخذني ذاكرتي إليه وهو جالس في زاوية ذلك المجلس في أحضان قريتي الحبيبة. حيث كنّا نتحلق حوله أجساداً بل قلوب، وهو يحدثنا بما يجول في خواطرنا لأن الظروف في حينها تحظر علينا أن نبيح ما في خواطرنا أو نعبر عن مشاعرنا، كنا نعتصر ألما ويموت الطموح والأمل في داخلنا، كان لساننا الناطق كلما فتح لنا طريق، وعبر عمّا في داخلنا وشد على أيدينا، يدفعنا إلى الأمام ويزرع فينا شجرة الأمل كلما تهللت وجوهنا فرحاً واستشعرنا الدنيا لا تتسع لنا، نعم.. كان لا يسامح نفسه حتى يلمس منا الحبّ لهذا الدين وأهله.

نعم.. كنا نحتل موقعاً في فكره وقلبه حتى في أكله كنا شركاء، وجدناه يقتسم الأكل بيننا وبينه وحين لا يوجد أحد فانه يدخره للآتي.

قـد يتصور البعـض أن هذه الأخـلاق والسـلوكيات الصادرة منـه أمر فرضته أسـاليب الدعوة وأهل الخبرة منها، فمن مقتضياتها أن يتحلى بهذه السلوكيات التي تنفعه في نجاح عمله والأمر أكبر من ذلك أنه سجية ثابتة يتلمّسها البعيد قبل القريب فـي سـفره وحضره، فـي مقّر درسـه ومنطقة تبليغه فـي بيته وبين أصدقائه، وسـجية ثابتـة لا تقبـل التغيّر. يقول الشـيخ اليوسـفي الكبير رحمه الله: «كلما رأيته رأيت سـيماء الأئمـة عليهم السلام». ويقول عميد الخطباء الشـيخ الوائلي رحمه الله: «وقـد قدّر لهذا الراحل أن يحظـى بخلق رضـي وتواضع جمَّ. وعفويـة تحبّبه للنفوس، وتبنـي له مكانه في القلـوب، ويعـرف ذلك من عرف الأمين زيـن الدين فما رأيت هـذا الرجل يوماً إلا واستحضرت قوله تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾».

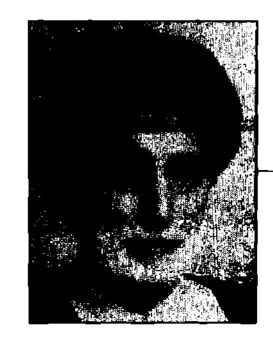
نعـم لم يكـن العمل الدعـوي هو الذي يفـرض ذلك وإنما هي السـجية التي لا تتغيـر ولا تتأثر ببيئتـه دون أخرى «فما رأيت هذا الرجل يوماً أو كما يقول السـيد حسـن النوري: كان إسـلاماً يتحرك وشـريعةً تمشـي وأخلاقا فاضلة تجسـدت في سلوك يومي».

مـن أيـن حصل علـى كل ذلك؟! مـن عبادة الله والتوسـل إليه مـن مجاهدته الدائمـة، من اقتدائه بالنبي وآله، من تعلقه وحبه لهم، ومن توفيق الله سـبحانه، لمـّا أعطى الله كل شـيء فأعطاه الله كل شـيء، تكاد تشعر بأن الأخلاق الرفيعة عجنت بطينة وامتزجت بدم شرايينه فهو يقطر خلقاً.

يقول العلامـة الغريفي: «يذكّرك بالله... وأنت تقرأ في عينيه حب الله.. وفي نبضاتـه خوف الله... وفي كلماتـه نور الله... وفي علمه هـديَ الله، وكلما اقتربت منـه أكثـر تذوقت لـذة الإيمان أكثـر، وانصهـرت في ذات الله أكثر، ولسـت صوفيا يتحـدث بلغة المريدين الوالهين، لكن القلب حينما ينفتح عليه والحبّ حينما ينبهر به، والروح حينما تعشق روحانيته الخاشعة في محراب الصلاة».

من خلال تجربة هذا الرجل الكبير حريّ بنا نحن طلبة العلم أن نمتلك هذه الخصوصية التي نحن بأمس الحاجة إليها، لا أقل على مستوى العمل الدعوي إذا لم نقدر أن نجعلها سجية، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث كان مركز خبرة للمسلمين وغيرهم، وبالخصوص الشباب لهذا أوصانا الرسول الأكرم ﷺ بهم لما في ذلك من أهمية «أوصيكم بالشباب خيرا».

حريّ بنا أن نفتح قلوبنا قبل عقولنا حتى يستشعروا فيا النبع الذي يروي ظمأهم، والشجرة التي يستظلون فيئها. أن نحبّب لهم الدين حتى يجدوا فيه ضالتهم وأن نستوعبهم ونحدثهم بلسانهم، نستمع لهم، نسمع الشبهات والإشكالات التي تدور في أذهانهم، نعيش آمالهم آلامهم... هكذا كان الرجل الكبير يمتلك هذه الطاقة الجبارة التي أدخلته القلوب من غير استئذان، فكان القلب الذي يتسع للجميع دون أن يضيق، فكان حضور الفعل مع غياب الذات إنه الأمين زين الدين.



الشجرةُ التي احتضنتني برعماً[١]

بقلم: الدكتور / مصطفى جمال الدين (رحمه الله تعالى)

وصاحبنا اللذي نكتب سيرته، ونحاول أن نتعرف تجربته، واحدٌ من هؤلاءِ الوافدين إلى النجف من قرى سوق الشيوخ، كان يبحث عن مدرسٍ في النحو يأخذ عليه شرح ابن الناظم لألفية أبيه محمد بن مالك، لأن الدراسة في النجف -كما هي في أكثر مراكز الدراسة الدينية- دراسةٌ فرديةٌ في أغلب مراحلها، والطالب فيها له حرية أختيار مدرسهِ،

وكما يكون الطالب طالباً، يكون في الوقتِ نفسهِ مدرساً، فهو إذْ يدرسُ ألفيةَ ابن مالك عند زيدٍ، يدرِّس عمراً قطر الندى لابن هشام، وأستاذهُ مثله أيضاً حتى إذا تقدم في دروسه كان نظام (الحلقات) في انتظاره، ثم ينتقل الى الحلقةِ الكبرى، عند أحد مراجع الدين التي تسمى بـ(الخارج).

---

(١) مقدمة ديوان مصطفى جمال الدين.

لأن الـدرس فيها ليـس لهُ كتابٌ مقرر، فهـو (خارج) الكتبِ المقـررةِ، ولكنه يمتاز بموضوعه، وموضوع (الخارج) إما في الفقه، أو في أُصول الفقه، واستحدث أستاذنا الخوئـي درساً في التفسير هو إلى (الخارج) أقرب منه إلى الكتابِ المقررِ.

وظل صاحبنا يبحث عن هذا المدرِّس حتى وقع اختياره على المرحوم الشيخ علي زين الدين من البصرة، وجرّته صلته بالشيخ علي إلى صلتِهِ بأخيه الشيخ محمد أميـن زيـن الديـن -وهو اليوم أحد مراجـع الدين في النجف- حفـظ الله مهجته، وجعـل خير الحوزة على يديه، وكان هذا الشـيخ بالإضافة إلى علمه الجم، شـاعراً من طراز متقدم، وكاتباً بارعاً ذا أسلوب متمَّيز، لعله أقرب إلى أسلوب الزيّات، تدل عليه رسائله (إلى الطليعة المؤمنة) وكتابه الرائع (الإسلام في ينابيعه الأولى) ولعله أول كتاب يظهر في النجف عن الإسـلام بلغةٍ مشـرقة الأسـلوب، حديثة المعالجة لقضايانا الفكرية، كما كان فيلسوفاً أخلاقياً تشهدُ لهُ (الأخلاق عند الإمام الصادق)، ورسـالته (كلمة التقوى) في سـبعة مجلدات أكبر دليل علـى فقاهته، وغير ذلك من مؤلفاته.

وكان هذا الشـيخَ الجليل محورَ حلقةٍ من العلماء يمتازون بثقافتهم الواسعةِ، وأسـاليبهم الرائعـةِ منهم المرحوم الشيخ سـلمان الخاقاني، وهو مـن أقدم تلامذة السيد الخوئـي المرموقين، وله ولع بالشـعر، واطلاع واسـع على أغلـب ما يصدر فـي المكتبة العربية، وفي مكتبته العامره وبإرشـاده وتوجيهه قرأنا ما جَدَّ من الكتب المصرية واللبنانية، وتابعنا مجلاَت (الرسـالة) و(الرواية) اللتين أصدرهما الزيات، و(الثقافـة) التـي صدرت عـن لجنة التأليف والترجمة والنشـر برئاسـة أحمد أمين، و(الكاتـب المصري) برئاسـة طه حسـين، و(الكتاب) التي أصدرتهـا دار المعارف بتحريـر عادل الغضبان، وسلسـة (اقـرأ) وغيرها من السلاسـل والكتب والقصص التي كنا لا نهتدي إليها لولا إرشـاد أبي المهدي وتهيأتها لنا، أمثال كتب طه حسين، والعقـاد، وتوفيـق الحكيـم، والمازنـي وأحمد أمين، وسـلامة موسـى، وعبـد الله

العلائلي، ونجيب محفوظ وغيرها.

هـذان العَلَمـان الكبيران ـ زيـن الدين والخاقاني ـ هما اللـذان وضعاني على الطريق الذي أنا الآن في نهايته.

كنت أدرس على الشيخ علي زين الدين شرح الألفية، وقسماً من (المختصر) للتفتازانـي، ودرسـت (حاشـية ملا عبـد الله) فـي المنطق على الشـيخ محمد رضا العامري و(الشـرائع) على الشيخ عبد الكريم شـمس الدين، و(المعالم) و(اللمعة) علـى المرحوم الشـيخ محمـد علي الصنـدوق، ولكني تمحضتُ في أكثر دروسـي بعـد ذلك على الشـيخ محمد أمين زيـن الدين، فأخذت عنه (الكفاية) و(الرسـائل) وقسـماً من (المكاسب) وأكثر (شرح منظومة السـبزواري) في الفلسفة الإسلامية، وقد تنقَلتُ في حياتي الدراسـية على أسـاتذة كثيرين، ولكنـي لم أجد من هو أجلى بيناً، وأكثر إيصالاً من الشيخ محمد أمين زين الدين.

وكانـت لأسـتاذي هـذا رحلات سـنوية قـد تمتد أشـهراً في بعـض الأحيان، يسـتوطن فيهـا قريته (نهر خوز) في قضـاء (أبي الخصيب) أو يذهب فيها للإرشـاد والتوجيـه الدينـي إلـى أتباعه في البحريـن، فأجد عناءً كبيـراً في العثور على أسـتاذٍ انسـجم مع بيانه انسجامي مع الشيخ زين الدين، حتى إذا أكملت مرحلة (السطوح) ـ كمـا كانـت تسـمى في النجـف ـ وانتقلتُ إلى مرحلـة (الخارج) في بحث سـيدنا الإمام الخوئي قدس سره استرحتُ من هذا العناء.

أمَّا حياتي الأدبية ـ والشعرية بوجه خاص ـ فإذا كنت مديناً فيها لأحد فلهذين الشيخين الجليلين: محمد أمين زين الدين.. وسلمان الخاقاني، فهما اللذان وَضَعا اللَبِنَةَ الأولى في أساس ظللتُ أبني عليه، بعد ذلك، حتى خُيِّل إليَّ أنه أعجب كُثيراً من النَظَّارة.



الشيخ زين الدين
النخل لا يزال يتساقط رطباً

السيد جعفر ألديري
البحرين

في أبي الخصيب، جنوبي البصرة، وفي قرية تدعى نهر خوز، رأى هذا الشيخ الجليل النور لأول مرة.. إنها قرية ذات نخيل وخضرة وفضاء مفتوح.. كان لها أن تندمج مع هذه النفس السمحة التي شكلت علامة من علاماته الواضحة، حيث قدر لهذا الرجل العظيم أن يكون مرجعاً وعالماً جليلاً ومربياً وأديباً أيضاً، لايزال مريدوه يتوسمون خطواته وتاريخه الحافل بكل جليل.

في شهر يونيو (حزيران) الماضي حلت الذكرى التاسعة لانتقال الشيخ محمد أمين زين الدين إلى الرفيق الأعلى، ففي الثاني من يوليو (تموز) من العام ١٩١٥ م وحتى الخامس والعشرين من يونيو (حزيران) من العام ١٩٩٨ م وعلى امتداد ٨٣ عاماً كان هذا الشيخ الفذ يؤثر -كمرجع ديني ومربٍ كبير- على أجيال متعددة.

خلف من الآثار ما لا يزال لها موقعها المتقدم في الثقافة الإسلامية، وكان له من حضوره الغني وثقافته الإسلامية الواسعة، وفقاهته ما جعله حتى اليوم علماً بارزاً بين فقهاء أهل البيت عليهم السلام مع الشيخ ضياء الدين وحديث عن والده وقد كان من حظي أن أجلس يوماً مع نجل هذا الشيخ الجليل وهو الشيخ ضياء الدين، الذي وفد إلى البحرين في العام ٢٠٠٥ بدعوة من أحد المشايخ الكرام، فانتهزتها فرصة وألقيت ما في جعبتي من أسئلة تدور حول حياة هذا المرجع الكبير الذي نذر حياته من أجل أمته، ومن أجل تثقيف أجيال متعاقبة على يديه. وسألت الرجل الجالس أمامي ذا العينين الواثقتين والنظرة الحانية والجبهة الواسعة.. ذا الابتسامة الخفيفة التي تلوّن وجهاً صبغته الحياة بمتاعبها.. سألته عن أبيه الذي كنت أطالع من خلاله ثقة أبيه في نفسه ونظرته الحانية وجبهته الواسعة وابتسامته الخفيفة.

سألته عن علاقة الشيخ زين الدين بالبحرين. وذكرت له أن المعلومات تشير إلى أن الراحل الكبير كان هو محمّد أمين بن الشيخ عبد العزيز بن الشيخ زين الدين بن علي بن مكّي البصري البحراني، الذي كان أبوه من علماء محافظة البصرة، وكذلك كان جدّه الأدنى الشيخ زين الدين، وهو أوّل من سافر من البحرين إلى البصرة.

فأجابني والابتسامة لا تفارق محيّاه: «لقد كان الشيخ - يرحمه الله - يكن اعتزازاً كبيراً للبحرين، فقبل أن يصل إلى البحرين في أواسط الخمسينات من القرن الماضي كانت تربطه صلة ببعض أقاربه، الذين كانوا يترددون على العراق، حتى بدأ يتردد على البحرين بشكل يكاد يكون سنوياً، حين كان يقضي الثلاثة أو الأربعة أشهر كل عام فيها حتى بداية السبعينات، وتأكدت تلك الصلة بالكثير من أهالي البحرين حين امتدت معرفته إلى أبناء معظم نواحي هذا البلد. ولهذا فقد استمر قريباً من هذا البلد حتى الأيام التي سبقت وفاته، فكان دائم السؤال لمن يفد عليه عن كل جزئية أو كلية من حوادث البحرين فيتألم مع الناس فيما يألمون ويسعد فيما

يسعدون، وكانت له أمانيه في هذا البلد وطموحاته التي يستعرضها مع من يرد عليه من هذا البلد ولاسيما ثقاته من وكلائه».

أساليب أدبية تختلف من كتاب إلى آخر قلّبت بين يدي مجموعة من كتب الشيخ، ككتاب (العفاف بين السلب والإيجاب)، وكتاب (إلى الطليعة المؤمنة)، وكتاب (الإسلام ينابيعه، مناهجه، غاياته). ناهيك عن كتب أخرى لم تطلها يداي وهي: (كلمة التقوى)، التي يحلو للبعض أن يعتبرها أوسع رسالة عملية، وكتاب (بين المكلّف والفقيه)، وكتاب (المسائل المستحدثة)، و(الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام) وسألت الشيخ ضياء الدين عن سر هذا النفس الأدبي الجميل الذي يميز كتابات الشيخ محمد أمين زين الدين.

فأجبني مجدداً: «إن من يتتبع كتب الشيخ يرى أنه يختلف في أساليبه الأدبية من كتاب إلى آخر، فلكل كتاب أسلوب، ولكل كتاب طابعه، ولكني استطيع القول -كقارئ تابع كتابات الشيخ- أنه يمتاز في أساليبه جميعاً بقدرته على تقديم المفهوم الذي يروم تقديمه للقارئ بأعذب لفظ منتقى، وإن كان من المفاهيم الفلسفية العميقة أو من الأحكام الشرعية ذات الطابع الجدي، ولعل في كتابيه (الإسلام) و(كلمة التقوى) خير شاهد على هذا، وكان كثيراً ما يؤكد للكتاب الشباب على الاستظلال بالبيان القرآني فيما يكتبون، إذ يرى أنه المثل الأعلى للبيان العربي فيستطيع الكاتب من خلال هذا الاستظلال أن يوصل المعنى المطلوب إلى القارئ بأعذب صيغة تمتلك مشاعره من دون أدنى تكلف. وكان يحث الشباب على قراءة ولو آيات من القرآن الكريم والتأمل في كيفية أداء كل جملة لمفهومها ومحاولة تقليدها في الكتابة.. وأتذكر أني قلت له يوماً: «لو أنكم كتبتم كتاب (الإسلام: ينابيعه، مفاهيمه، غاياته) بصيغة علمية لاتخذ هذا الكتاب دوره المهم في كتب العقائد الإسلامية»، إذ إنه يقدمها بشكل متفرد قلما وجد في غيره من الكتب. فأجابني بلهجة لا تخلو من حدة: «لو قدر لي أن أكتب كتاب (الإسلام) لما كتبته بغير هذه الصيغة». وكان يؤكد

عدة مرات أنه يتبع فيه الجملة القرآنية حتى في انتقاء الكلمات».

اهتمامه بالشعر تضاءل مع الزمن واستفزتني الإجابة، فذكرت للشيخ ما يذكرونه من أنه لم يكن يقبل أن ينصرف طلابه في غير أيام التعطيل لأي عمل آخر. حيث يذكر أحد تلامذته أن الدكتور صالح الظالمي يذكر أن الشيخ محمد أمين زين الدين دخل ذات يوم غرفة الشاعر المعروف مصطفى جمال الدين، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان من أبرز وألمع طلابه فرآه منبطحاً وبين يديه دواوين شعر قديمة وحديثة لعدد من الشعراء، فقال في أسى، رغم حبّه للشعر، لوبذل السيد جمال الدين هذا الجهد الذي يعطيه للشعر لدراسته الحوزوية لأصبح مجتهداً. **فهل** كان الشيخ عليه الرحمة محباً للشعر رغم كل ذلك وشاعراً مبدعاً؟

وأجابني الشيخ ضياء الدين برحابة صدر وتواضع جم: «لقد كان للشيخ قدس سره اهتمام كبير بنظم الشعر، وكان له دور بارز في ندواته التي كانت تملأ الساحة النجفية حينها، إذ تتلمذ عليه في تلك الندوات شعراء بارزون، كالمرحوم السيد مصطفى جمال الدين، ولكنه لم يحتفظ بما كان ينظمه من الشعر إلا النزر اليسير منه، ومنه ما يمكن تسميته بمشروع ديوان (أماني الحياة) والذي حاول من خلاله أن ينظم بعض تجاربه في الحياة، إلا أنه لم يسر فيه شوطاً كبيراً، وما فتئ هذا الاهتمام أن تضاءل مع الزمن ولاسيما بعد بروز شهرته الفقهية إذ ترك نظم الشعر تماماً».

وسألته مجدداً عن الشباب واهتمامات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهم؟

فقال: «لا أعتقد أن هناك مرجعاً من المراجع كان يعطي للشباب من وقته وعنايته ما أعطاه الشيخ للشباب ويبدو ذلك واضحاً في كتابه (من أشعة القرآن) في أجزائه الثلاثة، وفي كتابه (إلى الطليعة المؤمنة) وهو مجموعة من الرسائل المخصصة للشباب ومعالجة مشكلاتهم، ومحاولة تربيتهم الذاتية والأخذ بأيديهم من خلال رهافة العاطفة واستلهام المشاعر، إلى أفق المعرفة الإسلامية

والاستمساك بهدف القرآن والرسالة، كما كان يبدو ذلك واضحاً في رواد مجلسه في أيام مرجعيته على رغم قسوة الظروف التي مني بها المراجع ومني بها الشباب الذين يتصلون برجال الدين، ومن هنا استحق لقب "أستاذ الجيل" أو "مربي الجيل" كما حلى لبعضهم أن يطلق عليه.

اضطلاعه بالمرجعية

عاودت الكرة مجدداً ونقبت فيما كُتب عن الشيخ، فطالعت كلاماً لأحد العارفين به يقول فيه: «إن الشيخ حين رأى أنّ المرحلة التي كان يكتب بها لإغناء المكتبة الإسلامية قد انتهت، وأنّه لم يعد -بحكم الحال والسن- ينشط لها، وأنّ الظرف يتطلّب اضطلاعه بالمرجعية الفقهية. فتقدَّم الشيخ لهذه المهمَّة، حيث طبعت بعض أجزاء رسالته العملية الموسوعية (كلمة التقوى)، والتي بلغت بمجملها تسعة أجزاء، واتسمت بالوضوح والسلاسة وسعة المسائل، بشكل لم يسبق له نظير في الرسائل العلمية المعروفة».

ومن ثم سألت الشيخ ضياء الدين عن كيفية ممارسة الشيخ محمد أمين زين لهذه المرجعية فأجابني بقوله: «لا أعتقد أنني قادر على تقديم إجابة كافية عن هذا السؤال، لأن ممارسة أي مرجع لمرجعيته تعتبر نتاجاً مباشراً لتفاعل الكثير من العوامل الشخصية والاجتماعية والسياسية التي يعيش فيها المرجع، أو يعيش فيها الناس الذين يرجعون إليه، وكذلك الإمكانات الموضوعية التي تهيأت لتلك الممارسة.

ورغم أنه كان للشيخ رؤيته الخاصة في تطوير المهارات المرجعية، لتتناسب مع التقدم العلمي والحضاري الذي تعيش فيه الأمة، إلا أن ظروفاً معينة فرضتها السياسة على الأمة، ولاسيما في العراق، جعلته يتراجع عن أكثر توجهاته في هذا الإطار.. وهكذا فحين استوجبت منه ظروفاً معينة أن يتصدى للقيام بهذه المهمة،

فرضت عليه تلك الظروف السياسية والاجتماعية القاسية، أن يحدد توجهاته ضمن مسارات معينة برز عليها طابع مواساة المجتمع، ومساعدته في اجتياز المحن التي يمر بها المؤمنون في العراق، الذي توالت عليه النكبات والشدائد بشكل لا يمكن لأحد أن يتعقل مجرياتها، إلا من يعيش في ذلك البلد، وحاول أن يدخل التطوير في الحوزة العلمية في النجف، وأن يؤسس امتحاناته في استحقاق الطالب لمساعدته الشهرية على أساس منهجي متكامل، يستطيع الطالب المجد أن ينال بغيته من العلم وفق جدول زمني محدد».

إضاءات في سيرة الشيخ

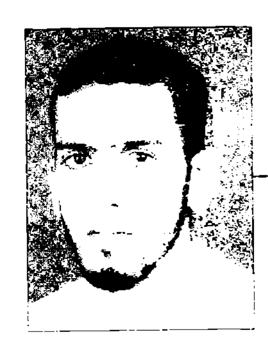
بعد هذا اللقاء رجعت إلى سيرة الشيخ الجليل، فوقعت على كلمات كتبها -في موقعه الإلكتروني- من أحبوا هذا الرجل العظيم وتتلمذوا على يديه.. إنهم يذكرون »أن الشيخ زين الدين كان له اهتمامه في التركيز على إقامة حوزات علمية في كل بلد إسلامي يوجد به رجال دين فضلاء، حيث يمكنهم القيام بِعِبء تدريس المواد العلمية المطلوبة في الدراسات المنهجية في الحوزة، وعدم انتقال الطلاّب إلى الحوزات العلمية الكبرى في النجف أو غيرها، إلاّ بعد استكمال الاستفادة من العلماء الموجودين في تلك البلاد.

وكان يهدف من هذا إلى التجديد المستمر لمعلومات أولئك الفضلاء، وخبرتهم في تلك المواد الضرورية الأساسية لمُهمَّتِهم، وأدائهم لمسؤولياتهم في المجتمع، واستقطاب أكبر عدد ممكن من الطلاّب الذين لا يمكنهم السفر إلى الحوزات العلمية الكبرى، بسبب الظروف المعيشية أو غيرها من الموانع، وإشاعة الثقافة الإسلامية الأصيلة في كل مكان يتواجد فيه مثل أولئك العلماء والطُلاَّب بشكل منهجي متكامل، فوجود الطلاّب بين ذويهم وأصدقائهم ممّا يدعوهم دائماً إلى طرح معلوماتهم في المجتمع بكل وسيلة يستطيعون فيها ذلك، وعدم تأثر

الدراسات العلمية بالظروف الاجتماعية والسياسية العامّة، التي لها أثرها الكبير في سفر الطلاّب وإقامتهم في الأقطار التي فيها الحوزات العلمية الكبيرة.

وذكر أيضاً أن الشيخ كانت له مشاريعه الخيرية، حيث كان لشعوره بما مُنِي به أبناؤه المؤمنون من شَظَف العيش، وعوامل الفقر، ولاسِيَّما ما أصيب به الناس في العراق نتيجة الحصار، أَثَر عميق في نفسه، كعاطفة أبوية، وكمسؤولية إسلامية معاً، وممّا يعرفه ذوو العلاقة القريبة به أنّه خفض مستوى معيشة بيتِهِ، ومصاريفه اليومية الخاصّة إلى المستوى الأدنى، مِمَّا لم يألفه في الأوضاع العادية، ليس من حاجة، بل من شعور أخلاقي وديني تَفرضه المرحلة على مثله.

ولهذا فقد أوعز إلى وكلائه في خارج العراق خاصَّة بالعناية بالفقراء في بلادهم بقدر الإمكان، وإرسال مقدار ممّا يستلمونه من الحق الشرعي إليه، لمساعدة الحوزة العلمية في مدينة النجف الأشرف، والعوائل المحتاجة في العراق.



أصالة في انفتاح..
زين الدين مثالا

ابراهيم زين الدين
البحرين

في مسيرة كل المجتمعات تجد شموعا تنير الدرب ليصل السائر إلى غايته بسهولة لوجودهم في هذا الطريق، والفقهاء والعلماء الحكماء خير من يمثل النور في هذه الأمة بل هم النور ذاته، وها نحن نقف في هذه المقالة على ضفاف بحر من بحور العلم والفقاهة والتقى، لنستنير من نوره ونقتبس من ضياءه، ونغرف من نمير علومه،ونجلبب شخصياتنا بكماله فنكمل، ولتبقى أجيالنا مشدودة إلى القدوة الصالحة، في وقت يحتاج الجيل إلى المرشد لتحديد القدوة من بين كل ما يراه ويشاهده في حياته اليومية.

إنه سماحة الفقيه الجليل والعالم الكبير والمربي الحنون آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين قدس سره الشريف، الذي كان مثالا للعالم الرباني والمصلح الإسلامي والمرشد الإيماني، مثالا للعالم المجسد وعي الاسلام وقوة

الإيمـان ورجحـان العقل وتنـور الفكر،والتحرر من كل القيود التـي فرضها العرف القائم على غير هدى من دين، إنه الفقيه المنفتح في أصالة والأصيل في انفتاح.

إن مفردة الانفتاح باتت من المفردات المنتشرة في أوساطنا بشكل عام،وبين الشباب بشـكل خاص،حتى أنك تجد الأمي يلوكها بين فكيه، وابن الشارع يتشدق بها ويعلل أفعاله الغريبة باسمها!!!

فماذا يقصد منها؟ وهل الاسـلام يرضى لنا الانفتاح؟ واذا رضى هل بشـروط معينة اولا؟ وماهي تلك الشروط؟

إن كل حامـل فكـر عرفهـا مـن منظور خـاص توافـق مبادئه وأفـكاره، لذلك تعـددت تعاريف هذا المصطلح، ولنا أن نختار ما يوافقنا كذلك فنقول: إن الانفتاح هـو عدم الإنطواء على الـذات والتقوقع في دائرتها، والتعرف على الأفكار الأخرى والتعامل معها.

في ضوء هذا التعريف نجد أن الاسـلام العزيز لا يرى بأسـا من الانفتاح، بل يـراه مـن الأمور الضروريـة التي يحتاجهـا الداعي والمصلح الإسـلامي في حركته الإستنهاضية لواقع الأفراد والجماعات، يقول تعالى في محكم كتابه الكريم»ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»

ومـن أبرز أسـس الحوار الناجـح هو معرفة أفـكار ورؤى الطـرف الآخر، إذ كيـف يتصور أن أناقش شـخصا لا أعرف أفكاره؟!! هذا ضرب من ضروب السـفه والسذاجة، وخلاف للحكمة.

لكن المسألة المهمة هنا هي:كيف ومتى انفتح على الآخر من وجهة إسلامية؟

إن الاسـلام الحبيـب يـرى أن الانفتاح المحمـود لا بد له مـن الإعتماد على ركيزتين أساس وهما:

(١) أن يبني الفرد المسلم (الذي يريد الانفتاح) ذاته عقائديا وفكريا وثقافيا بناء قويا، يستطيع به مواجهة الأفكار المناوءة والمخالفة للاسلام حتى لا تؤثر فيه وتحرفه عن الطريق المستقيم، ومن هنا نفهم فلسفة تحريم فقهائنا العظام قراءة كتب الضلال إلا لم يريد الرد على المنحرفين ومناقشتهم، اي من هو محصن.

اي أن يمتلك الثقافة الإسلامية الأصيلة (وهذا يقدر بقدره لكل شخص) التي يستطيع بها الرد على الشبهات الواردة له او لا أقل عدم التأثر بها، ومعرفة انحرافها عن الاسلام.

فالاسلام لا يرضى لي أن أقرأ الكتب الشيوعية والماركسية والعلمانية مثلا، دون ان تكون عندي المبادئ الاسلامية الضرورية والتي لا غنى عنها لمن يريد الاطلاع على هذه الكتب، لأن هذا يترتب عليه انحراف فكري لدى المسلم، واختلال نهج وضبابية رؤية.

مثل هذا مثل من يريد أن يسبح في البحر دون أن يتعلم السباحة، هنا يحكم جميع العقلاء بهلاك هذا الشخص لا محاله، لأنه لم يهيأ المقدمات اللازمة لهذا الفعل...كذلك من لم يمتلك الفكر الإسلامي الأصيل وفق الآليات الصحيحة لا يسمح له بالانفتاح على الآخر، لأن هذا حكم بالإعاد الفكري والعقائدي والثقافي على هذا الشخص، فهنا لو انفتح مثل هذا الفرد على الآخر فهذا انفتاح مذموم ممقوت في الإسلام.

وقد يقال لماذا تحجر علي أن أعرف الآخر حتى وإن لم أمتلك الثقافة الإسلامية الأصيلة الأساس؟ فيكفي أن يرتكز في النفس المسلمة أن الاسلام هو الدين الحق، وأن كل شبهة ضده لها حلها عند العلماء والمختصين في العلوم الدينية.

هذا كلام سمعته من بعض الشباب المؤمن، ولكن هذا الأمر ليس بدقيق فيما

أراه لأن الانسان اذا لم يستطع رد الشبهات والإشكاليات في حينه، ولم يستقصي الحلول لها، فإنها ترتكز لا إراديا في النفس في منطقة اللا شعور عند الانسان، وبالتالي تؤثر في البناء الفكري دون الالتفات لها، ومن هنا يظهر لنا الفكر اللقيط او المعبر عنه بالفكر الإلتقاطي، الذي يأخذ من الحق ضغثا، ومن الباطل (من دون قصد) ضغثا، مكونا الفكر الذي يعتبر الأساس المحرك لسلوك الإنسان،والتي تترشح أفعاله منه.

وقد ترى مثل هذا الشخص يتكلم عن الأسلام وباسم الإسلام، ولكن الإسلام براء منه ومن أفكاره، ومع ذلك يظن بنفسه خيرا ويرى أفكاره هي الإسلام، وهذه الحالة من أسوأ مراحل الهبوط والتسافل عند الأمة.

وقد رأيت أحدهم يتصور نفسه من اتباع أهل البيت ومن الشيعة، ولكنه لم يقرأ ولم يطلع على أبجديات الفكر الديني الإثنا عشري، ثم انتقل إلى مذهب التسنن ولما تكلم عن حياته اتضح أنه كان من المعجبين بالفكر الوارد وبالتحديد الأفكار الماركسية، وأما شبهاته التي أثارها على مذهب أهل البيت، فهي من الشبهات التي يخجل الانسان من تسميتها بالشبهات أصلا، وما هذه الحالة الحية أمامنا إلا نتيجة واقعية لما تقدم من كلامنا.والله المستعان

(٢) الركيزة الثانية أن يكون هذا الانفتاح من أجل خدمة الأسلام والمسلمين.

من هذه النظرة التأصيلية المتينة، تحرك سماحة المرجع زين الدين في اتجاه الانفتاح الواعي، من أجل الأسلام وقوته، وحفاظا على المسلمين من الأغترار بزخرف القول وسخيف الفكر، الذي هجم على الإسلام هجوما لا هوادة فيه، ودخل معركة وجود مع الإسلام يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون.

هذا مع الالتفات إلى الأجواء العامة المحيطة بسماحة المرجع التي ترى في

متابعـة المجـلات فراغا، وينافـي مهمة طالب العلـم الذي يجب أن يفـرغ كل وقته للعلم والبحث والتحقيق، ويرى أن مثل هذه الأعمال عمل البسطاء!!!

لكن سـماحة الشـيخ لم يعبأ بمثل هذا الجو السـائد، وسـار في معرفة عصره ومتطلبات زمانه، أيمانا منه بأن الوظيفة المقدسة للعالم هي هداية الناس وخدمتهم، لا الإكتفاء بالعلم الذي لا يتجاوز العقل والورق.

من أجل هذا سـار بخطى واثقة بالله في هذا الدرب،وأشـرك تلامذته في هذا الطريـق، وشـجعهم على الانفتاح الفكـري والثقافي والسياسـي، ليواكبوا تطورات العالـم مـن حولهـم، ولم يخشـى عليهـم لأنهم تسـلحوا بالأصالـة قبـل الانفتاح، وامتلكوا قوة الفكر والثقة بالنفس وبالذات، حتى صاروا من رواد الحركة الإسلامية في البلاد الإسـلامية المختلفة أمثال سـماحة العلامة الشـيخ عبدالهـادي الفضلي، والشـيخ محمـد مهدي الآصفـي، والشـيخ عبدالأميـر الجمري، والسـيد مصطفى جمال الدين، هذا الشاعر الأديب الذي ينطبق عليه قول الخنساء: كأنه علم في رأسه نار، في ميدان الشـعر والأدب، الذي يتحدث عن مدى تشـجيع أسـتاذه لهم فيتكلم عـن الحلقة الأدبية التي أنشـأها سـماحة المرجع زين الدين وكاونـوا يتابعون فيها» الإطّـلاع على كلِّ جديد يصدر فـي المكتبة العربية وصحفهـا ومجلاتها.. على أيِّ حال كنّا نمتاز عن الأجيال الأدبية التي عاصرناها في النجف، أننا كنّا كثيري القراءة والمتابعـة لـكلِّ ما هو جديد، فإذا كان زاد النّاشـئة التي نتعايش معها دواوين السـيد محمـد سـعيد الحبوبي؛ والسـيد حيـدر الحلي والشّـبيـبي واليعقوبي مـن الجديد، ودواويـن المتنبـي والبحتري والشـريف الرضي ومهيـار الديلمي مـن القديم، فقد أضفنا إلى ذلك كلَّ ما تيسَّر لنا من دواوين الشُّعراء العرب المحدثين، بما فيها موجة الشِّـعر الحديث، بل إنّ بعضنا أخذ يكتب تجاربه بطريقة -التَّفعيلة- التي لا يعتبرها أكثر نُقّاد النجف شـعراً. وإذا كان النقد المسـيطر على هذه الأجيال التي عاصرناها هـو نقـد الجاحظ وقدامة بن جعفـر وضياء الدين بن الأثير فقـد أضفنا إلى ذلك نقد

أحمد الشّايب وسيد قطب ومارون عبود وميخائيل نعيمة ورئيف خوري وكثيراً من الدِّراسات الأدبية المترجمة في موسيقى الشِّعر، وأصوات اللغة، عن الفرنسي «غويار»، والأمريكي «سابير»، والرُّوسي «كوندراتوف»، والإنجليزي« إليوت».

وبهذا العمل الجليل خرج لنا سماحته كوكبة من العلماء المتنورين، التنوير الإسلامي الأصيل، وصاروا ما صاروا وبلغوا ما بلغوا.

هذا يدلل على مدى انفتاح الشيخ المرجع، وهناك جانب آخر ظاهر جدا يبرز لنا مدى انفتاح سماحة المرجع على الأفكار الأخرى، وهي قراءته العميقة للفكر الآخر بحيث يتضح لك وأنت تقرأ له المناقشات للفكر الآخر، أنه وقف على أسسها وولج غمارها، ووصل إلى منتهاها، ويمكن كل واحد أن يرى بنفسه هذا المعنى في كتابه القيم (الإسلام..ينابيعه.مناهجه.غاياته) عند مناقشته للأفكار الماركسية، وكذلك في كتابه الجليل الذي لا غنى للشباب المؤمن عن قراءته (إلى الطليعة المؤمنة) حيث يناقش نظرية العقد الأجتماعي وبيان أسسها عند جان جاك روسو وكذلك عند توماس هوبز وعند جون لوك، وكيف نقدها وبين رأي الأسلام العزيز فيها، وهذا لا يدع الشك يطال المرجع في أنه من المطلعين على العلوم الإنسانية المختلفة (علم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ ومقارنة الأديان وغيرها).

هذا الانفتاح جعل سماحة المرجع أحد أبرز المجددين في الفكر الديني،حيث فهم عصره الذي عاش فيه، وعرف حاجات المسلمين، وعرف أعداء الإسلام وأفكارهم ووسائلهم في التأثير على الأمة الإسلامية، فقدم الحلول الناجعة لها بلغة تقبلها النخب التي غاب عنها خطاب الدين لتأخر لغته، وتخلف أدواته قبال الأفكار الواردة سواء من الشرق او الغرب، التي ترفع الشعارات البراقة الجذابة، وتخاطب الشباب والشيخة والصغار والرجال والنساء وبوسائل متعددة، ما جعل شرائح واسعة من المسلمين في حيرة من أمرهم فهم يريدون التمسك بأصالتهم

في حين أن الخطاب الديني لم يتجاوب معهم، وغير مستقطب لهم، ومواضيعه لا تلامس الواقع وهموم العصر، لذلك برزت كتب الشيخ زين الدين على أنها الدواء لهذه الحالة المرضية في الأمة، ولتكشف لنا عن شخصيته الكبيرة الواعية التي عشقت الإسلام، فجعلت من يقرأ ما خطه يراعه من عشاق الإسلام والمتمسكين به والمتحصنين بقوته، والمتعززين بعزته.

فالسلام على الشيخ المرجع يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا.



الشيخ زين الدين والجيل الجديد
كيف نستفيد من بعض تجلياته النورانية؟

السيد علي السيد هاشم الموسوي
البحرين

«يقول التاريخ: الأذان رؤيا صالحة رآها عبد الله بن زيد. ويقول الأئمة من أهل البيت: الأذان وحي تنزل من السماء، فهل لنا أن نصدق التاريخ إذا لم يعترف بصحته أهل البيت؟!»[1] ثمة رابطة إيمانية أرضية يحتفي من أجلها أهل البحرين بالشيخ محمد أمين زين الدين فهو حفيد أحد كبار علماء الأرخبيل الشيخ زين الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ المهاجر من البحرين إلى البصرة، من جهة أخرى فإن الشيخ المرجع هو سليل عائلة علمية عرفت بالفضل والتقوى وافتخر بها أهل هذه الأرض، والشيخ محمد أمين زين الدين قد وصل وتواصل مع أبناءه وأهله في البحرين وتردد عليهم من محل استقراره بالنجف، حيث استقى أهل الجزيرة من نمير عذب علمه وبيانه. لكننا إزاء الجيل الجديد من

(١) بلال يؤذن، مجلة البيان، زين الدين، محمد أمين.

الشباب نتساءل عن ذلك الخطاب والسياق الذي يتوجب من خلاله عرض شخصية الشيخ زين الدين باعتباره مرجعا أقرب ما يكون في تكوينه نفسيا وشخصيته وراثيا وعمليا إلى شخصية الإنسان البحراني.

من هنا فإن السؤال الذي يجب أن يطرح هو أنه هل سنكتفي بحديث الذكريات وشريط الملتقيات التي جمعت الشيخ بأهل البلد خلال العقود المنصرمة؟، أم أننا بحاجة إلى استلهام الخطوط العامة والتأسيسات الحركية والفكرية التي عمل من خلالها المرجع الراحل ضمن ظروفه الموضوعية ونعيد صياغتها في قالبنا المعاصر بما يحفظ قيم ومبادئ حركة الشيخ الراحل المستمدة من المرجعية القرآنية والسنة النبوية الطاهرة.

ولا أخال مقالة أو كتابا يستوفي حق المرجع الراحل في هذا الاتجاه، لكننا سنعرض في هذه المقالة وباختصار شديد إحدى جنبات التميز التي نرى أنها تشكل عمود التفوق والامتياز التي اتصف بهما الشيخ زين الدين نعرضها على عجالة لعلنا نستوفي هذا الرجل بعض حقوقه علينا كجيل نشأ من صلب جيل تربى وتغذى من علمه. الانفتاح وتنوع المشارب العلمية سر تفوقه.

يمكن لنا في تناول هذا الاتجاه تقسيم الموضوع إلى مستويين داخلي وخارجي على الشكل التالي:

مستوى داخلي: فعلى المستوى الداخلي (الحوزوي) عرف عن الشيخ أنه تلميذ لدى المحقق الخراساني والخوئي[1] في السطوح العليا وهو عند الشيخ البلاغي في تفسير القرآن الكريم، وارتبط بالشيخ العارف محمد حسين الأصفهاني صاحب المدرسة الفلسفية الخاصة، كما حضر بحث الخارج عند المرجع الكبير

(١) «لم يحضر الشيخ زين الدين لدى المرحوم السيد الخوئي في بحث الخارج»، آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين ﵀، تأشيرات في حياته وآفاق فكره، بقلم أحد طلابه.

الشيخ أغا ضياء الدين العراقي والتحق بدرس السيد محسن الحكيم بعد وفاة الأول. فالملاحظ أن الشيخ استقى علومه من مختلف المدارس التي تبني رؤاها وفق منهج معين سواء ما كان منه فلسفيا أو عرفانيا أو فقهيا، كل ذلك مقرون بعدم الشعور بالاكتفاء أو المكابرة بمنهج على آخر والتوقف وامتثالا لما جاء في الحديث الشريف: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»، وهذا التنوع يكسب بلا شك قوة واطلاعا موسوعيا على مستوى المعرفة الدينية والإحاطة بها، وهو ما يفسر أن يكون الشيخ قد دون تقريرات فلسفية للأصفهاني وأصولية للعراقي ولا ننسى الدور الذي لعبه بطلب من السيد الخوئي نفسه في صياغة بحوثه في علوم القرآن والتفسير والتي صدرت باسم (البيان في تفسير القرآن)، وتعليقاته على الرسالة الصلاتية لشيخ الإخباريين الحبر الشيخ يوسف البحراني، فما قدمناه مؤشر على إحاطة وتسلط على المادة العلمية يفرضها سعة الاطلاع على المشارب والمدارك المختلفة للفهم.

المستوى الخارجي: من جهة أخرى فإن إطلاع الشيخ زين الدين على العطاء والمنتوج الفكري الخارجي ليس بالقليل، فهو بحسب الظروف والفترة الزمنية التي عايشها سجل وقفه من الفلسفة الماركسية والمنطلقات الفلسفية الأخرى السابقة لها بدءاً من فلسفة. هيجل، واوجست كونت، ولودفج فيورباخ، وفيتشة. وتتأمل كيف يحلل ويحاكم ويحكم برؤية ووضوح ومنطق حاسم. كما أنه له نظرة ورأيا في نظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو ومن سبقه كتوماس هوبز وجون لوك، والفرق بينه وبينهما والأساس في اهتمام الغرب بالنظرية، وعدم اهتمام الإسلام بها لانتفاء هذا الأساس لديه[1]. كما أن لإطلاعه وتأثره بالأدب والأساليب الأدبية سهما في شخصيته، فهو من القلائل الذين كانوا يتابعون لكتاب الساحة العربية أمثال طه حسن، العقاد، المنفلوطي، السباعي، أحمد أمين، السيد قطب، نجيب محفوظ

---

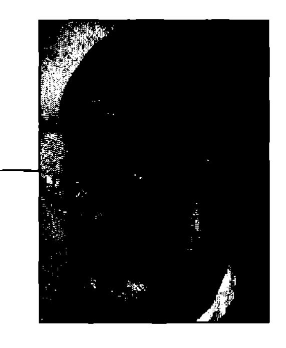
(١) نفس المصدر السابق.

وميخائيل نعيمة وغيره، أضف إلى ذلك أنه نظر في الدوريات الأدبية الحديثة كمجلة الرسالة والرواية والثقافة والهلال والكتاب والعرفان وغيرهم وهو بلا شك رصيد يحسب للشيخ في اتساع أفق تطلعاته لما هو أكثر من منتوج الحوزة ورجال الدين، حتى أن العالم المتبحر الشيخ عبد الهادي الفضلي يسمي أسلوبه المقالي انتقال من مدرسة العروة الوثقى المتأثرة بكتابات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبد إلى مدرسة الرسالة المتأثرة بأسلوب أحمد الزيات وهذا ما جعل الفضلي يصف الشيخ زين الدين (بفقيه الأدباء وأديب الفقهاء) في إشارة إلى حيازته الملكة الأدبية وإبتداع أسلوبه الخاص في الكتابة والبيان، وكان بحسب وصف الشيخ الفضلي للساحة الأدبية «يومذاك لم يكن يوجد فيها أديب إسلامي ملتزم، سوى أستاذنا الشيخ زين الدين نفسه، وأستاذنا السيد محمد باقر الصدر»[1].

البحرين وضرورة التمثل بالشيخ زين الدين بعد هذا العرض الموجز لسيرة وحركة الشيخ الفكرية حري بنا أن نغرس تلك الحالة لدى جيلنا الشاب من الشغف والهيام المطلق بالعلم والمعرفة التي تمثلت في الشيخ زين الدين سواء ولهه إلى القريب الأدنى أو البعيد الأقصى فهي حالة إيمانية يقر بها الرسول ﷺ في حديث: «اطلبوا العلم ولو في الصين»، فيا ترى هل استطعنا أن نخرج من كنتوناتنا الحزبية أو أوهامنا النفسية التي تحيلنا من احتواء نور العلم وحكمته عندما نستنكف عن الإطلاع والإنفتاح على الأخر القريب والبعيد بحجج واهية لا تصمد أمام تعاليم الدين ومقرراته، فروح السؤال ولهفة الطالب هي التي أحاط الشيخ زين الدين بها نفسه بعدما تمثل قول الرسول ﷺ إيمانا وعملا وكان كما كان زينا للدين وأهلا لذلك.

---

(١) الفضلي، العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي، هكذا قرأتهم، ص٣٠٩.



مع الصادقين[١]

بقلم سماحة الخطيب السيد حسن الكشميري

التاريخ: ٢٠٠٦/١٠/١٠

الحمـد للـه رب العالمين والصلاة والسـلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ومن الصادقين بأداء رسالتهم اتجاه دينهم وائمتهم العالم الكبير والمربي الجليل المرحوم فقيد الاسـلام والمسـلمين آية الله العظمى الشـيخ محمد امين زين الديـن البحراني اعلى الله مقامه ونور مضجعه، الشيخ محمد امين زين الدين هو من رواد النهضـة الاصلاحيـة خصوصاً في الفتـرات الاخيرة مـن القرن العشـرين الميلادي وهو من اصحاب القلـم الذين بذلوا الجهد لانقاذ الشـبيبة والجيـل الجديد من قنص الاعـداء او المذاهب والاحزاب الهدامة التي غزت بلاد المسـلمين والعرب والشرق الاوسـط وبالخصـوص العـراق، صبت هـذه الافـكار الهدامة

(١) إذاعة الجمهورية الاسلامية الايرانية.

جـام غضبهـا على العراق بأعتباره مهـد حضارات ومركز لعتبات اهـل البيت ومنار ومنطلـق للمعرفة والثقافة الاسـلامية، المرحوم الشيخ محمد اميـن زين الدين هو مـن مواليـد البصرة عام ١٣٢٣هـ ونشـأ هناك وبعـد ان درس المقدمـات انتقل الى النجـف الاشـرف عـام ١٣٥١هــ لمواصلـة الدراسـة فحضـر علـى كبار مشـاهير مدرسـيها كالمرحوم اغا ضياء العراقي والمرحوم الشيخ محمد حسين الاصفهاني والمرحـوم النائيني صاحب مدرسـة الاصـول الحديثة وغيرهم حتـى اصبح عالماً متبحـراً فـي الفقة والاصـول واصبح من المقلديـن ورجع اليه الكثير مـن المؤمنين فـي البحريـن والخليـج والبصرة وصار له شـأن عظيـم، المرحوم زيـن الدين اعلى اللـه مقامـه له باع طويل على مقاومة البدع والافـكار المخربة فقد تصدى للرد على كتاب اسـمه المهـدي والمهدوية للكاتب المصري احمـد امين والذي حمل الكثير مـن الافتـراءات ظلمـاً وبهتاناً علـى الامامية فـرد عليـه المرحوم محمـد امين زين الديـن رداً علميـاً ومنطقياً وحينما صـدر للمرحوم زين الدين كتابـه القيم الاخلاق عند الامام الصادق عليه السلام نال اعجاب الكتاب والمفكرين والطلبة والجامعيين مما جلـب الانظار اليه فكانت وفود من الشـباب الجامعي مـن جامعات البصرة وبغداد يتـرددون عليه زرافات زرافـات لليالي الجمعة كانت مواكـب للطلبة من الجامعات تصـل الـى النجف يقصد زيـارة قبر اميـر المؤمنين عليه السلام وبعد ذلك الاسـتفادة من محضر هذه الشـخصية، تلك المواكب كانت تصل من الشباب المهذب الذي اقوله بحزن والم الذي راح ثمانون بالمئة منهم في غياهب السـجون والاعدامات وغابوا وانقطعـت اخبارهـم حتى عثـر عليهم اخيراً فـي مقابر جماعية، هـذه المجموعات كانـت تـرد الى النجف وتعرض عليه الاسـئلة مضافاً الى ذلك كانت تصله الاسـئلة بالرسـائل وبالبريـد من مختلف اقطار العالم وقلت في الخمسـينيات خضع العراق آنذاك الى غزو شـيوعي لذلك كانت لكتب المرحوم الشـيخ محمد امين زين الدين ابلـغ الاثـر في انقاذ الشـباب خصوصـاً كتابه الـذي كتبه بقلم واسـلوب خاص الى طـلاب الجامعات واسـماه الى الطليعـة المؤمنة وكذلك كتابه العفاف بين السـلب

والايجاب وقاوم هذا الكتاب موجة التبرج التي سعى اعداء الاسلام الى نشرها وفرضها على المجتمع العراقي والجيل الحديث وكذلك لا ننسى كتبه النافعة مثل كتاب الاسلام ينابيعه مناهجه وغاياته او كتابه من اشعة القرآن او امالي الحياة وهو ديوان صغير فيه بعض شعره ونثره، هذه الكتب يعلم الله واقولها من صميم القلب نفعت الشباب بشكل غيرت مسارهم وغيرت توجهاتهم وانا اتذكر تماماً كيف كان يرد عليه بعض اساتذة الجامعات وكانوا يستفيدون من مواهبه العالية وكان يستولي على البابهم ويهيمن على قلوبهم متأثرين بأسلوبه الشيق وبخلقه العالي وبأبتسامته المليحة وبتواضعه وفي اواخر ايام وجودي في النجف الاشرف التقيته لقاءاً عابراً وكان حزيناً متأثراً ولما سألته عرفت ان تأثره كان بسبب الاجراء الظالم والقرار السري الذي اتخذه البعثيون في جمع كتبه ومؤلفاته واحراقها كما لا يفوتني ان اذكر بشكل واضح اعراضه عن الدنيا وزخرفها فهو حينما كتب كتابه الفقهي المثير وهو كلمة التقوى وهو شرح للعروة الوثقى للمرحوم السيد كاظم الطباطبائي اليزدي ويقع هذا الشرح في سبعة اجزاء حاول بعض تلاميذه بألحاح ان يكتب في مقدمة الكتاب ترجمة له فرفض بالقطع وعاش شبه منزوي يكره كل ما يتعلق بالمرجعية والتصدي ساخراً بالرئاسة وزبرج الحياة، رافضاً لها وقد برع المرحوم الشيخ محمد امين زين الدين الى جنب كونه عالماً ومرجعاً ومؤلفاً كشاعر قوي يعبء المشاعر بشعره ومن المع قصائده قصيدته التي القيت في احدى الحفلات الكبرى بمناسبة ميلاد النبي ﷺ ونالت الاعجاب الكبير والتي يقول فيها:

ارج من الزهر المندى	قد صوغ الآفاق ندا
حيث المفاخر ليس تحصى	والفضائل لن تعدا

ثم يقول في ضمن القصيدة:

بطحاء مكة فاخري	شهب السماء شرفاً ومجدا
بشراك يا مهد النبوة	قد سعدت اليوم جدا

واذا بـــأحـــمـــد يـمـلأ الاســـمـــاع ايـضـاحـاً ورشـــدا

امـا علـى صعيد عالـم النثر فقد قرأت له عدة رسـائل ومنها رسـالة في الاذان وفضله وعن بلال مؤذن رسول الله الى ان يقول في رسالته يسمع المسلمون صوت بـلال في اليـوم الواحد خمس مرات وتـدور الايام فيقبض الرسـول ﷺ وينقطع صوت داعي الارض لانقطاع صوت داع السـماء، وعاهد بلال نفسه ان يترك الاذان وفـاءاً لنبيـه وحزنـاً علـى غيابه وتصـاب فاطمة الزهـراء عليها السلام بما اصيبـت فتصبح عليلة به ويأتي بلال لعيادتها فيعلم اشـتياقها لاذانه فيؤذن بلال ثم ينقطع وبعد برهة تسـتحيل المدينـة صرخة واحـدة ويأتـي النذير الى بـلال ان وحيدة رسـول الله قد توفيـت مظلومـة، طبعاً لـم تمـت فاطمة ولكن ذكرى حبيب تثيـر منهم كامناً فتصعق والوجد اذا تضاعف قتل الخ رسالته.

توفـي المرحـوم الشـيخ محمد امين زيـن الدين في النجف الاشـرف في ٢٦ صفـر ١٤١٩ هجريـة وبموته فقـدت الحوزة العلميـة في النجف الاشـرف صرحاً شامخاً من صروحها رحمه الله وجعل الجنة مثواه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



من فقيه الطليعة الى الطليعة المؤمنة[١]

الشيخ شاكر الفردان
البحرين

﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢].

بلى – هذا سبيلي،

.... على بصيرة، وعلى بينة قوية، وعلى منطق صحيح صريح لا التواء فيه ولا تعقيد يقيم الاسلام دعوته الى الله، لا كالديانات المنبجسة من الارض، المنطبعة بخصائصها المتغذية من ترابها.

.. وحسب الاسلام أنه الدين الفريد الذي استطاع ان يحتفظ بصورته الاصيلة بين عصف الاهواء وزلزلة الاراء، فأقام حولها سدا من المعرفة، وضرب فوقها سرادقا من البرهان،

(١) ألقيت هذه الكلمة في مهرجان فقيه الطليعة، القطيف – الجارودية، بمناسبة مرور عشر سنوات على رحيل الشيخ زين الدين.

(٢) يوسف : ١٠٨.

وثبتها على اساس من القران، فلم تأسن لما أسنت الرواسب ولم تحل لما خال الجو، ولم تضطرب لما اضطربت الاعاصير.

الى الازهار المتطلعة الى النور، العابقة بالشذا، الى الاذهان المتفتحة بالوعي... المعتصمة بالرشد... الشاعرة بالمسؤلية... الجديرة بحمل الاعباء...

الى الطليعة المؤمنة من شباب الجيل

أيها الاحبة..

أفتتحت كلمتي بمقتطفات قطفتها من حديقة كتاباته.. من فقيه الطليعة الى الطليعة المؤمنة.. من القلب الى القلب ومن الوجدان الى الوجدان..

هذه طريقة الاسلام في التربية، انه يتصل بالفكر من طريق الفكر، ويتصل بالقلب من طريق القلب، ويتصل بالوجدان من طريق الوجدان، ويتصل بالعاطفة من طريق العاطفة وبالمشاعر من طريق المشاعر، ثم يلقّن مبادئه وتعاليمه بالحديث، ويلقنها بالعمل، ويلقنها بالإيحاء، ويلقنها بالواقع المجد المحسوس، وان الكلمة في ظل هذا الإيمان المشع يكون لها اكثر من مدلول، وان الإيماءة يكون لها اكثر من اثر.

ايها الاحبة..

نحن في مهرجان واحد من كبار علماءنا الاجلاء الذين مثلوا مشروعا تربويا متكاملا كان له تمام الاثر من حياة الاخرين، كما يقول الشيخ الوائلي (ره) "كلما رأيته ذكرني بهذه الاية [وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا] أو كما ينقل البعض الاخر "عليه سيماء الائمة"

لا نريد ان يكون حديثنا استغراقا في الشواهد -وان كان الحديث في ذلك ليس فيه غضاضة- بقدر ما يكون حديثنا في الشخصية بما تتركه من بصمات.

العلماء هم حصون الامة التي تحميها من كل ريح تعصف بها وهم نجوم

هدايتهـا حينما يطبق على الناس الظلام، وهـم الامناء على حلال الله وقرانه لطهارة قلوبهم ونقاوة ذيولهم.

يقول الرسول الاكرم ﷺ: «الفقهاء امناء الرسل».

ويقـول ﷺ: «إن مثـل العلماء في الارض كمثل النجوم في السـماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فاذا انطمست اوشك ان تضل الهداة».

لتبقـى راية العلمـاء خفاقة عالية لان بانطماسـها حتى الهـداة يكونون عرضة للضلال والضياع. هذه النصوص وغيرها تبين مدى موقعية عالم الدين واهميته في صلاح الفرد والمجتمع.

وطبيعـي ليس المقصـود الإصلاح الأخـروي فقط وان كان هـو الغاية حيث يحقق السعادة المنشودة، الا ان ذلك لا يتم الا بصلاح الدنيا.

يقول امير المؤمنين عليه السلام: «وبالدنيا تحرز الاخرة».

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.

مـع كل هـذا متى نجد من علماء الدين من يعيـش الغربة في مجتمعه غربة في لغتـه يتحـدث بها، او فكره الذي يقدمه للآخرين فيبني حوله جدار من العزلة فيلتف حول نفسه ليغتال ذاته بذاته.

هذا النوع من طلبة العلم يحكم على نفسه بالفناء، ويعين الاخرين على البعد عن الدين.

يقول الامام الجواد عليه السلام: «... العلماء في انفسهم خانة ان كتموا النصيحة ان رأوا تائها لا يهدونه، او ميتا لا يحيونه، فبئس ما يصنعون»[1].

---

(١) الكافي ج٨.

فوظيفة عالم الدين النصح والهداية واحياء الموتى الذين فقدو الحياة بضلالهم وببعدهم عن عين الحياة الانبياء والاولياء الصالحين، فهم الفئة المتفهمة المتفقهة المنذرة.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا لعلهم يحذرون﴾. وان عملية الانذار بمعناها الواسع لا تتم الا عبر بناء جسر المجتمع بين العالم وبين الناس لان التجنب والتردد هو الذي يجعل لك طريقا الى قلوبهم وعقولهم.

يقول الامام الباقر عليه السلام: لما احتضر امير المؤمنين عليه السلام جمع بين الحسن والحسين وابن الحنفية، فوصّاهم وكان اخر وصيته:

«يا بنيّ، عاشروا الناس عشرة ان غبتم حنّوا اليكم وان فُقدتم بكوا عليكم، يا بنيّ ان القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودة»[1].

نعم تتلاحظ بالمودة وتتبادل الرسائل فيما بينها فتعين العقل على ادراك الحقيقة وتبصرها. يقول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: «رأس العقل بعد الايمان بالله عز وجل التحبب الى الناس».

نعم يحتاج العلم الى الفكرة المتينة والاسلوب البليغ والحسن المرهف، لاجل هذا نحتاج الى تعلم فنون مهارات التخاطب مع الاخرين والتعامل معهم.

لانه من الممكن جدا ان تمتلك المعلومة الصحيحة والفكرة السليمة المتينة لكنك لا تمتلك المهارة المطلوبة في إيصالها للآخرين او لا تتقن المهارة في فن التعامل معهم.

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن

(١) البحار ج٧.

يُكَذِّبُونِ﴾(١).

بعـد هـذا الرد الموجز لدور العلمـاء، وهذا الدور الكبيـر يجعلهم في موضع التحدي والمراهن.

كيف يتواصلون مع المجتمع؟!

لأجـل هـذا نجـد ان كل الدعـوات الهدّامـة همهـا ان تحجـم دور العلماء او تستأصل جذورهم...

فهل يقبل العلماء هذا التحدي؟!

حينما نطبق الدائرة ونركز السؤال على نصوص فئة مستهدفة في المجتمع الا وهي فئة الشباب،

كيف يتواصل العلماء وطلاب العلم مع هذه الفئة؟!

العالم الفارس هو الذي يترجل عن جواده ليقتحم قلاع قلوب هؤلاء الشباب، ليمتلك عرش قلوبهم ليتربع عليها دون تكلف او ازدواجية.

هنـا تبرز مهمة وخطيرة، بين عالم الدين ومـا لديه من موروث ثقافي وفكري عميـق، وما يمتلك من خصوصيات اخلاقية وروحية، خصوصا حينما يكون العالم فقيهاً مرجعاً كيف يتعامل مع هذا القطاع من المجتمع؟!

كيف يحافـظ على اصالة وهيبتـه وموارثاته وخصوصياتـه كيف يحافظ على أصالتـه وهيبتـه وموروثاته وخصوصياته كيف يحفظها مـن الذوبان أو من التأثر بما حوله؟!

كيـف يتواصل مع هذه النشـئة العمرية التي تمثل التمرد والاسـتقلالية وعدم

(١) القصص: ٣٤.

التسليم لأي فكرة، بل كل شيء هو موضع استفهام وتشكيك عندهم؟! كما يتصور البعض

هنا يدخل عالم الدين التحدي ليقف في نقطة متوازنه يقف على قبة الميزان ليحفظ التوازي المطلوب دون أن تميل كفة على أخرى، حينها يكسب الرهان ويفوز بقصبة السبق.

أيها الأحبة ـ نحن في هذا المهرجان ـ نقف أمام نادرة من النواد التي تمتعت بقوة جاذبة قل نظيرها وبروح تتسع للجميع وبأخلاق تقطر من جوانبه، قطعة من السلوك الفريد.

هذا الرجل الكبير صناعة بخفية بإمتياز، جمل موروثاً ثقيلاً، ودرس على أيدي فطاحل الحوزة، على يد الأصفهاني والعرافي والحكيم، هذا المعجون الغريب كيف استطاع أن يتربع على عرشي قلوب الثبات دون أن يستلزم ذلك الذوبان أو التنازل أو التأثر في موقف المرجعي، ماهي الأدوات التي استخدمها في اقتحام قلوبهم ومحاورة عقولهم؟ ما هي اللغة التي تحث بها ليعرف لغتهم ليعيش آلامهم وآمالهم؟

إن من أبرز الرسائل هو إيمان الداعي وإخلاص وصدق في النصيحة وصدق في العاطفة كلها نترك الأز الكبير في مرجعية العقل الى الدعوة الحق، كان الإخلاص حالة ملموسة لا تحتاج الى عناء بمجرد ان يقترب من تستطيع تلمسها، وعاطفة جياشة غريبة في بروز الصدق عليها وفي قوة تأثيرها في الطرف المقابل هذه فنون فارس الدعوة وأدواته!!

يقول.... «إن تيار العقيدة لا يكون بحشد البراكين المجردة عليها وإن أوجبت اليقين أو الإقتناع بثبوتها ولابد للفككر وللنفس من عملية أخرى وراء الإقتناع بها تكون الفكرة عقيدة.

لابد من ركون نفسي ثابت لا يتزلزل واستماك فكري رائق لا يضعف، هذا هو العمـل الـذي يقوم به العقل والنفس بعد الاقناع بالفكـرة، فتكون عقيدة، وضروري الى ايمان الدعي وإخلاص في الدعوة وصدق في النصيحة وصدق في العاطفة لها الأثر الأعظم في توحيد عقل الدعو نفسه لذلك.

و أكثـر الدعاة حاجـة إلى هذا الرصيـد الكامل من الإيمان هـم المربون، هم الذين يصوغون الضمائر وينشؤون الأخلاق ويوجهون العواطف والمشاعر.

إن هـذه المهمـة دقيقة عميقـة، فلا بد فيها مـن مناغاة العواطـف، ولا بد فيها من مناجاة الضمائر وامشـاعر، ولابد أن المناجاة في خـلال الإيمان وتحت ايمانه، ليسـرى الإيمان والتهذيب من طريق الحب، ويسري من طريق القدوة، ويسري من طريق الإشعاع.

نعـم ثلاثة أمـور يركز عليها فقيـه الطليعة، وهـي الحب والقدوة والإشـعاع. الحـب لغة القلـوب لا يجيدها إلا المتمرس ف اختراقها، ثم القدوة يليها الإشـعاع وهو أمهم فإن صاحب هذه القدرة لا يحتاج الى عناء بمجرد أن تنبعث الإشعاعات تجد طريقها الى المخاطب فيكون أسيراً لها، ولقد عشنا تحت تأثير هذه الإشعاعات التي فتحت لنا طريق الهداية.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و أنجح المربين في مهمتهم وامكنهم من بلوغ نهايته من استطاع أن يتحدث إلى العاطفة بلسـان كما يتحدث الى الفكر بلسـان الفكر والى الوجدان بلســان الوجدان،.... هو الفكر المؤمن والنفس المؤمنه والضمير المؤمن والعاطفة المؤمنة، والمشـاعر المؤمنة، والخلـق المؤمن، وبهذه العدة أبـرز العظماء من قادة الإسـلام ورعاته أشـواطهم في مهمتهم التربوية، نعم، وبهذه العدة بلغوا آمادهم في مهمتهم القيادية».

كان مـن أبرز أدواتـه النفس الطويل لا يسـتعجل النجاح وإنمـا عليه أن يزرع

والحصاد على غيره، كان يصنع عمله على نار هادئة ولقد لمسنا ذلك بعد سنين -في بلد البحرين- كيف كان يعيش الأمل ويشرق في المستقبل، ويتعامل في كل ما حوله بهدوء وبملاحظة الخبير الدقيقة.

يقول رَحِمَهُ اللهُ: «ولكن الداعية المؤمن متفائل باسم الأمل لا يجد اليأس إلى قبله سبيلاً، وهو بقوة إيمانه المشع وأجله الباسم ودعوته المخلصه ونفسه المطمئنة التي تضمر للناس الخير ولا تحب لهم الا الخير، يستطيع أن يصنع كل شيء».

هذه هي العدة التي زوده الله بها لفتح القلوب وصوغ الضمائر وتطهير النفوس.

ثم يثبت رَحِمَهُ اللهُ فاعليه هذه العدة الربانية في الآخرين قائلاً: «الإيمان القوي المكين.. الذي يدخل مع ابتسامة الحب إلى القلوب الخلف، ومع نصح الأخوة إلى الأسماع الصم، ومع نظرة اعطف واللطف إلى المشاعر المقفلة والصدور الحرجة، الإيمان الذي يخلق الإيمان ويلده كالكهرباء يمتد إلى الأجسام التي توصل به ويعاكس الأضواء على الأخرى التي تقابله».

نعم هذه هي أهم الأدوات التي نحتاجه الا في دعوتنا للآخرين..

- الإيمان المكين
- الإخلاص الذي يطفح على سلوك الداعية.
- صدق النصيحة.
- صدق العاطفة.
- الأمل والتفاؤل وطرد اليأس.

لكن هناك أداة مهتمة جداً يتوقف نجاح ما تقدم عليها، وهي معرفة الفئة المخاطبة، خصوصا فئة الشباب، لا بد من التعرف على لغتهم والتحسس لألمهم وأملهم، والتعريف على موقعهم وتشخيصهم تشخيصاً صحيحاً بعيداً عن النظرة السوداوية والسلبية تجاه الشباب، بل لا بد من التعامل معهم على أساس انهم الغد

الواعد، وأنهم منجزون من الطاقة يجب ان تخسر توظيفة، تعالو نستمع بقلوبنا كيف يتحدث عن الشاب؟

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...... وبدون الطليعة رجال الغد، بل رجال اليوم، الشباب الطاهرون الواعون وفي عزائمهم فتوة الشباب وفي قلوبهم قوة العقيدة وفي جباهم اشراقة الإيمان، يريدون أن يتقدموا الركب ويحملوا الدعوة، ومن أخرى من هذه الطاقات العظيمة المنعقدة بهذه المهمة؟

أجل. من أخرى منكم أنتم أيها الأحباء اذا انتم فهمتم إسلامكم وفقهتم أسراره ثم حملتم بنوركم هذا عالياً مشعاً ينير الدرب للسائرين. فأنتم الجيل ومفتاح هداية الأجيال».

نحن طلبة العلم أمام هكذا شخصية ما رست الدعوة بكل فنونها وفتحت باب قلبها للشباب حتى نمدوا يتزاحمون، أيهم يتوقع قبل صاحبه، هل نحن بهذا المستوى من النفوذ في قلوب شبابنا؟

و هل استطعنا أن نحبب لهد الدين دون أن نظلم الدين أو نظلم شبابنا؟ أين موقعهم من قلوبنا؟ إذا استطعنا أن نجيب على هذه الإستفهامات إجابةً تتناسب وظيفتها معنى ذلك أننا نملك مفاتيح الدعوة التي نفتح بها القلوب، معنى ذلك الى الدعوة تنبض الحياة وأن الرسالة تأخذ مداها.

شاكر الفردان



هكذا عرفت الشيخ محمد أمين زين الدين

السيد علوي الشهركاني
البحرين

- وقفتُ أمام الرجل فرأيته عارفاً بمسؤليته وحق سادته فصار زين الدين.
- أخذني إلى تقليده علمه وحلمه ووقاره، ورأيته فقيهاً قد تحمل جهلي وجهل أمثالي ودلني على الطريق بحكمة وعرف كيف يخاطب عقلي ويعطف علي ويربطني بسادتي عليهم السلام.
- رأيته عالماً ناسياً لـ ذاته ويعيش في بلد يُقلد ثلاثة من الفقهاء والناس تسأَل عن فتاواهم وهو يجيب برحابة صدر ولا يقول في مقام عرض فتاواهم هذا رأيي حتى فرض وجوده بشخصيتِهِ وسيرتِهِ وأخذ الناس منه دينهم.
- رأيته مفكراً إسلامياً يتكلم إلى الزمان بلغته وكفى عرضه للإسلام هذا العرض المشرق الأصيل.. عرف الإسلام في ينابيعه ومصادره الأصيلة وتشريعاته ومناهجه الشاملة

لشتى جهات الحياة وأبعاد هذه التشريعات والأحكام.

- رأيتـه عالماً مربياً للطليعة المؤمنة يربطها بأهـل البيت ربطاً واعياً.. ويجعلهم في الموقع الذي يريده أئمتهم عليهم السلام.
- علم الناس التقليد عن وعي وبصيرة وبينة، وماطرح مسائل التقليد بل خاطب المقلِد بلغة الإرشاد حتى يكون على علم وبينة من أمره.
- لمسـتُ منه أبوَه تشـوقني إلى أبوة المعصومين عليهم السـلام وتشـوقني إلى ابوة الإمام الحق عليه السلام.
- رأيته عيناً ترعى المؤمنين فمانسي شخصاً حضر مجلسه ولو مرة واحدة فكان يحفظ الأسماءَ ويسأل من حضر عمن غاب.
- كان يستقبل من يدخل مجلسه بالقيام مع كبر سنه ولا يكتفي بالترحيب جالساً ويقوم للصغير مثلما يقوم للكبير.
- وإذا رأيتهُ يذكرك بأهل البيت عليهم السلام (وهذه كلمة بعض اقرانه في حقه).
- له ابوه شملت حتى اقرانه من الفقهاء.
- كان مطلعا على اوضاع المؤمنين وعارفاً بلاد الإسلام ومهتماً بأمر المسلمين بصدق.
- كان يهتم بأمر المؤمنين في تكليف أو أوقعهتم الفتن في المخالفة.
- وإذا انتقد فأنك تجد انتقاده بناءاً مقروناً بالعطف والرحمة والخلق العالي.
- يشـجع الجاهل على السؤال ويأتيه السائل والمُشكِل ويطرح عليه مسألته بلا تكلف ويشجع على طرح جميع إستفهاماته بلا حذر وبلا خوف.
- يمثـل الفقيه المنتظر للإمام المهدي عليه السلام بحق ويوعي ويربط الناس بالإمام ويعرفهم مسؤليتهم في زمان غيبته عجل الله فرجه الشريف.
- يخاطـب المؤمنين ويقول لهم ادعوا إلى إمامكـم فإنه يدعوا أكثر مما تدعون

وإن شوقه إلى الظهور أكثر من شوقكم ويقول رحمه الله وهو في مقام ذكر المهدي عليه السلام: «أدعوا إليه فإنه سجين الله في أرضه».

- كان طويل النَفَسْ مع من يناقش لأجل أن يصل إلى الحق وكم هذب من الشباب وواصل معهم الى ان ثبتهم على طريق الحق.
- كانت له آراء، يختلف فيها مع رموز الساحة ولكنه لايريد أن يوقع الإختلاف بين المؤمنين في مواقفهم.
- كانت له مبانٍ علمية تناقش في البحوث علناً وماناقش أحداً حرصاً منه على وحدة كلمة المؤمنين.
- كان يشجع طلاب العلم على طلب العلم ويعرفهم عظمة مسؤلياتهم.
- كان كما قال بعض أهل الفضيلة: «كان عابداً كاملاً» وقال آخر من الفضلاء ومن رواد مجلسه: «كان فقيهاً عابداً منتظراً».

وفي الختام أسأل الله أن يصل على محمد وآل محمد وأن يعجل فرجهم وأن يرحم فقيهنا برحمته وأن يتقبل عمله وعمل المؤمنين المحيين لذكره.

من أجل سادته الذين كان يهمه إحياء أمرهم وأسأل الله أن يتقبل منا هذه السطور وتكون من ذكرياته يوم المعاد بحق سيدنا محمد وآله الأمجاد عليهم السلام ما بقي السلام.

السيد علوي الشهركاني - البحرين



الشيخ محمد امين زين الدين
قراءة في الفكر والمنهج

الشيخ الدكتور محمد علي الشيخ منصور الستري
البحرين

الحمد لله الذي جعل العلم وديعته في أرضه، وأقام العلماء أمناءه عليه، فمن عمل من العلماء بعلمه أدى أمانته، ومن لم يعمل بعلمه كتب في ديوان الخائنين. والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله الذي كرم علماء أمتع فجعلهم أمناء الرسل، وقال في حقهم «من استقبل العلماء فقد استقبلني، ومن زار العلماء فقد زارني، ومن جالس العلماء فقد جالسني، ومن جالسني فكانما جالس ربي».

صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الذين نهلوا من معين علمه العذب الزلال، فقالوا فيما قالوا: «علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يليلل إبليس وعفاريته، يمنعونهم من الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته» ولهذا وغيره، كان موت العالم - بمنظار أهل البيت عليهم السلام - ثلمة في الإسلام لا تسد، ما اختلف الليل والنهار، بل إن موت قبيلة أيسر

- في معايرهم - من موت عالم. وبخاصة إذا كان هذا العالم من طراز الحجة الشيخ محمد أمين زين الدين ﷺ.

أيها الاخوة المؤمنين:

لقد قبض الله العلامة الشيخ محمد أمين إلى جواره الكريم، من الثغر الذي يرابط فيه فرحل عنا ونحن أحوج ما نكون إلى عطائه الفياض، في عصر تكالبت فيه قوى الشر والضلال على محق دين الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فما أحرانا اليوم ونحن نحيي ذكراه في الأربعين، أن نستنطق، ما كتبه عملا بدعوته التي صدّر بها سِفْرَهُ القيم (الاسلام: ينابيعه، مناهجه، غايته):

«ليس في كتابي رموز مستغلقة لا تحل إلا بعناء، إلا أنني حاولت جهدي أن يكون معناه ملء لفظه، فمن يشأ القراءة المجدية فليستنطق كل كلمة فيه أو فليدع».

وأحسب أن هذه العبارة صالحة لأن تتصدر كل ما كتبه ﷺ، فليس في كتبه ومقالاته رموز أو كلمات غريبة، أو عبارات سمجة ثقيلة، وإنما تنساب عباراته سهلة، ولكنها ممتنعة عصية على غير أمثاله، مع عذوبة ورقة وإيقاع مميز أشبه بالشعر منه بالنثر. فهو ينتقي الفواصل والجمل، ويضعها في مكان مستقر لا عجمة فيه ولا نشاز. ولكنك مع كل ذلك عليك أن لا تنخدع بسهولتها الظاهرة، فوراء هذا الجمال الرائق في الأسلوب جواهر ثمينة من المعاني عليك أن تغوص إلى الأعماق كي تتقرب منها، فتشبع نهمك إلى اقتنائها، ووراء هذه الظلال شوارد عليك ان تكون حاضر الذهن لاقتناصها. اقرا معي هذا النص من كتابه الإسلام (٨- ٩) لتقف على صحة ما أقول مع أني لم أقم بانتقائه انتقاء:

«مشى المسلمون مع الأهواء يوم توزعوا على أنفسهم شيعاً، ويوم انقلبوا -لا كما أراد الله منهم- أعداءً، وهل تلد الفرق وتنشرها إلا الأهواء؟ وهل تثير الخصومات وتغريها سوى المطامع؟ ثم اتسع الهوى فكانت لكل شخص غاياته،

وتقطعت العصم فعاد كل فرد أمة، ووهت الصلة بالدين فأصبح كل رأي مذهباً. وامتد الزمن واطردت الأحداث وتلبد الأفق، وجاء دور المبادئ الملونة. فكان المبدأ ديناً -يقصد الرأسمالية والشيوعية بصفة خاصة- يقرر الأيمان أو الكفر، وكانت مقتضياته فروضا توجب الشقاوة والسعادة، وكان الاعتصام به صلة تفرض الحب أو البغض!! فهل سمعت بأغرب من هذا؟!.».

على هذا النحو ينحت الشيخ محمد أمين زين الدين عباراته، ولذلك كان ﷺ مقلا فيما خلف من نتاج فكري وفقهي. وهذا هو شأن المجيدين، يفكرون كثيرا فيما يكتبون، فلا ينشرون على الناس إلا عصارة فكر رصين، ونتائج عقل حصيف، بعد استفراغ الوسع في التنقيب والتمحيص.

ولم يكن فقيهنا الكبير صاحب أسلوب أخاذ يتميز به بين فقهاء العصر فحسب، وإنما كان أيضاً صاحب فكر منهجي منظم، تفضي بدايته الى نهاياته، وتترتب خاتمته على مقدماته، وما بين البداية والنهاية، والخاتمة والمقدمة حلقات تتسلسل وتترابط في نسق يناسب طبيعتها. يقدم هذا النسق إليك رؤية نقدية قرأنية، حدد الشيخ معالمها في مقدمة كتابه (من أشعة القرآن)، وفلاق بينها وبين الرؤى النقدية الأخرى: تعالوا لنصغي إليه في هذا النص:

«النقد نزعة عريقة في الإنسان قبل أن تطبعه الإرادة فيصبح ملكة من الملكات، وقبل أن ينظمه الفكر فيعود فناً من الفنون، وقبل أن يفرض العقل له هذه لبهيمنة المطلقة وهذا النفوذ الشامل على كل علم، وعلى كل فن، وعلى كل رأي وعلى كل سلوك، وعلى كل نظام.. فإنسان الغابة في مبتدأ عهده بالشعور الثابت... وأعني بالشعور الثابت تركيز الإنسان للأشياء إدراكاً وتمييزه بين مختلفاتها حساً... وليس أن أعرف مراده إلى أي الغرائز، وصلته بأي الطبائع. وما يدريني لعل ركيزته الأولى أعرق من فطرة الأنسان، فقد وجدنا الحيوان يمتحن الكلأ ثم يأكله أو يعافه، ورأينا الطير يختبر الموضع ثم يألفه أو ينصرف عنه.. وتدرج الإنسان بالنقد... وسار العقل في

طريقه ينتقد ويضع الموازين للنقد... وانجلى الصبح فإذا النقد فن له أصوله ومناهجه، ولـه خصائصه ونتائجه. وإذا بالحق يُنقد ليستوضح أنه الحق، والباطل يُينقد ليعلم أنه الباطل.. وإذا بالعلم يُنقد ليعلم أنه العلم، والجهل يُنقد ليدل على أنه الجهل...».

ويستطرد الشيخ محمد أمين في بيانه ليوضح الفرق بين هذا المنهج النقدي الموضوعي والمنهج غير الموضعي فيقول:

«وفي مجال الزمن المحدود، وهذا الكون المشحون بالمباينات يسير إلى جانب هذا الموكب المرتقى موكب آخر منحدر.. النقد للعاطفة، والنقد للطعن، والنقد للغايات الصغيرة الحقيرة ومتى كان الحكم على الشيء للعاطفة المجردة كان تفسير النقد مدحاً بلا قياس مع الحب، ووقعية بلا حساب مع البعض، يسف الهدف فتسف بتبعه الوسيلة،.. والمدح بلا قياس كالطعن بلا موجب، كلاهما تحدٍ لكرامة الحق، والتواء عن طبيعة العدل، وللرأي حرمة ليس من شريعة النقد أن تنتهك، وللأنصاف حرمة ليس من حرية الناقد أن تخفر.. فليس من النقد أن يثيرك عداء لتنتقم، أو ينهضك ولاء لتحتكم، وليس من أن تدَّعِي ثم لا تُثبت، أو ترى الحق ثم لا تُنصف، وليس من النقد أن تحكم قبل أن تستوعب، وأن تقول قبل أن تتدبر».

بهذه الرؤية العميقة للنقد وطبيعته ومناهجه وأهدافه حدد الحجة الشيخ محمد أمين مناقشاته ومواقفه الفكرية والعلمية من مجمل القضايا التي تناولها. ولذلك كان محل تقدير الفقهاء والعلماء وطلاب العلم والحقيقة والصلاح. كان رحمه الله علما متعدد الجوانب. فهو الفقيه التقي الذي ذاب في حب أهل البيت الأطهار عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام فانعكس ذلك على شخصيته، وسلوكه الخاص والعام. برز فقيهنا من فقهاء مدرسة الحديث في عصر انحسر فيه نطاق هذه المدرسة العريقة، لأسباب ليس هنا محل ذكرها، فكان خير مثال لها. بلغ رتبة الفقاهة فلم يتخذ سلماً للمفاخرة وجمع الأتباع، حتى لكأنه جد واجتهد ليكون فقيه نفسه فقط. وهو المفكر الأسلامي الذي ثقف الأسلام ثقافة علم وتعمق وتحليل ورؤية ثاقبة

شاملة، قدمها للراغبين في التعريف على رسالة الأسلام في الحياة. وهو الأديب الذي يسحرك إذا قرأته في أدب المقال أو حتى الفقه، وهو عادة مجال الدقة التي لا تقبل التجوز في التعبير. وهو الشاعر الرقيق الذي يعبر عن أعماقه العاطفة بلا تكلف أو تصنع، ولو لا غلبة العمل الفقهي عليه لكان فيه من المبرزين. وهو قبل ذلك وبعده المرجع الديني الذي طلبته المرجعية ولم يطلبها، وسعت إليه ولم يسع إليها فكل من يعرف الشيخ محمد أمين حق المعرفة يلاحظ بأن الشيخ لم يكن له مشروع في جمع المقلدين. ولو كان له مثل هذا المشروع لما تأخر إصدار (كلمة التقوى) إلى السنين الأخيرة من عمره الشريف، وبعد إلحاح شديد من أتباعه.

ومن موقعه كمرجع ديني يحق له الإفتاء والحكم في الحوادث الواقعة نصح الشيخ محمد أمين قومه وأنذرهم، ومحضهم نصحه، ولكنهم للأسف الشديد لم يستبينوا النصح حتى في ضحى الغد، فكان حاله معهم أصعب من حال أخي هوازن معهم، في الموقف الذي عبر عنه بقوله:

أمرتك أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد

لقد كان موقفا يمليه عليه الشرع، وظل محافظا عليه بشجاعة نادرة إلى أن اختاره الله الى جواره، مهما كلفه ذلك من سخط المتسلقين الى الشهرة على آلام النّاس وجراحاتهم، ومهما كلفه ذلك من نقد ذوي الطعن والغايات الحقيرة، الطامعين في الرئاسة والزعامة فيهم ومهما جر عليه ذلك من جهل الجاهلين الذين لا يعرفون للعلماء او الفقهاء قيمة إذا عارضوا أهواءهم. لقد ظل محافظاً على موقفه بالرغم من اتخاذه -حاشاه وقدس سره- مثلا للمرجعية التي زلت في نظر السياسيين الانتهازيين.

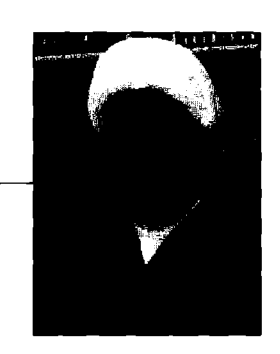
والآن اسمحوا لي أيها الإخوة المؤمنون أن أذكر شيئاً عن علاقتي الخاصة به، فقد كان بالنسبة لي القدوة في التقوى والورع والصدق والفضيلة والعلم والأدب. كنت من خلال علاقة والدي به أثناء زيارته للبحرين وحلوله ضيفا كبيرا عزيزا على

والدي وعلينا، أهفو إلى حديثه واهتمامه بنا، وكنت في النجف الأشرف أأم مجلسه العامر في هذه المدينة المقدسة فيمن يؤمه من طلاب العلم والأدب، وكان مجلسا يضم مختلف الطبقات والمستويات التي كان يجذبها إليه خلق الشيخ الرفيع وفضله وفقه، واستقباله لها، وإقباله عليها، وكان يخصنا -نحن طلاب العلم من البحرين- برعاية خاصة. لقد كان مجلسا لا يخلو من مرح ودعابة لا تخرج بالمجلس عن وقارة، ولا بالشيخ ومريديه وجلسائه عن وقارهم وكنت أتشرف بالسلام عليه صباحا في أغلب الأيام في النجف الاشرف، حيث ألقاه عائدا من زيارة سيد الأوصياء والموحدين علي أمير المؤمنين عليه السلام، وأكون عادة في طريقي إلى الدرس أو إلى السوق، لشراء حاجات كل يوم، وكان رحمه الله لا يغفل أن يناديني إذا رجع كعادته من زيارة الامام عليه السلام، وكنت قد سبقت إلى السوق واشتغلت بشراء ما أريد ولم التفت إليه - كان يقف ويناديني: ابني محمد علي، فأترك ما بيدي، واقبل ما بين عينيه.

لقد كان يغمرني بحنانه وتشجيعه ورعايته. فجزاه الله عني وعن جميع عارفيه ومحبيه أفضل جزاء الصالحين، وتغمده الله برحمته في العلماء العاملين، حشره الله في عليين مع محمد وآله الطيبين الطاهرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

هذا الجوانب المتعددة لشخصية زين الدين تجعل مهمة الحديث عنها صعبة على من يريد جمعها في عجالة كهذه العجالة التي نحن فيها لذلك فما تركنا الميسور لتعذر المعسور.

محمد علي بن الشيخ منصور الستري
في ٢٩. ٧. ١٩٩٨



فقـــيه الطلـــيعة

الشيخ علي المعلم
القطيف - الجارودية

الطليعة المؤمنة هم شـباب الجيل الذي انفتح على الحياة واصطـدم بثقافة وافدة وأفكار تحررية وتيارات وُلدت في فضاء فكـري غيـر إسـلامي بـدأت تفد إلـى البـلاد الإسـلامية وتلقي بظلالها على السـاحة الفكرية والاجتماعيـة حيث أخذت تهدد الهويـة الإسـلامية والقيـم الروحية فـي المجتمعات المسـلمة سـاعد على انتشـارها والترويج لها بعض الأنظمة الحاكمة التي كانـت متأثـرة بالشـعارات التحرريـة، كان الزمـن وحـده كفيلا بزيفها وسقوطها.

وكذلـك دخـول الشـباب ميادين التعليم فـي الجامعات وحقول المعرفة كان له الأثر في بلورة بعض الأفكار والتساؤلات عن التراث الإسـلامي وحب الاسـتطلاع على فلسـفة الإسلام في نظرياته وتشـريعاته والتحرر من تراكمات الماضي والجمود الفكري ورفض كل ما يصنف في خانة التخلف والتحجر.

لـم يجـد شـباب الجيل مـن يحتضنهـم ويلقـي بظله الـوارف عليهـم ويفتح نافـذة قلبه وفكره على همومهم وتطلعاتهم و يكشـف غمامة الشـبهات وما يختلج فـي صدورهم ويحنو عليهم بحبـه وتواضعه الكبير، ويكونون همه الأكبر كالشـيخ زيـن الدين الذي خاطب شـباب الجيل في كتابه(إلـى الطليعة المؤمنة) بلغة الفطرة وروح الديـن ورسـالة الفكر الإيمانـي (... إن إيمان الداعي وإخلاصـه في الدعوة وصدقـه في النصيحة وصدقه في العاطفة لها الأثـر الأعظم في توجيه عقل المدعو ونفسـه لذلك. وأكثر الدعاة حاجة إلى هذا الرصيد الكامل من الإيمان هم المربون هـم الذين يصوغون الضمائر وينشـئون الأخلاق ويوجهون العواطف والمشـاعر)، بهـذه العاطفـة الهادئة توجه إلى الطليعة الواعية من الأمة يبث فيهم تعاليم الإسـلام ورسـالته ويدغدغ مشـاعرهم وأحاسيسـهم من الأعماق ليثبت فيهم عقيدة السـماء وشـريعة الله في الأرض.: يقول ((و أنجح المربين في مهمتهم و امكنهم من بلوغ نهايته من استطاع أن يتحدث إلى العاطفة بلسان كما يتحدث الى الفكر بلسان الفكر و الى الوجدان بلسـان الوجدان،.... هو الفكر المؤمـن و النفس المؤمنه و الضمير المؤمن و العاطفة المؤمنة أو المشـاعر المؤمنة أو الخلق المؤمن أو بهذه العدة أبرز العظماء من قادة الإسـلام و رعاته أشـوطهم في مهمتهم التربوية أنعم أو بهذه العدة بلغوا آمادهم في مهمتهم القياد)

وجد شـباب الجيل في زين الدين ضالتهم التـي يبحثون عنها ورافدًا يرفدهم بالثقافة الإسـلامية من ينابيعها الأولى. وهو الفقيه الذي شـكل في الأسـاس علاقة تكامليـة بيـن المثقـف والفقيه قائمـة على تحقيق تقاسـم المواقـع وتعاضد الأدوار بحيث لا تكون هناك فجوة في الاتجاهات وتباين في المسيرة.

وقد انفتح عليه حتى غير المسـلمين لدرجة أن شـابًّا مسيحيًا يتأثر به فيخاطبه (فأرسـلت إليـك يا سـيدي بكتابـي هـذا لأنبئك بقصتـي ومقصدي واسـتأذنك في السـؤال عـن جملة مـن الخواطـر التـي تدور وتتـردد في ذهنـي، طالبـا منك حلها

والتوجيه فيها، وبعض هذه التي اسـميها خواطـر تدور حول مضامين الكتاب (من أشـعة القران) وبالطبع إن جميعها يحوم حول دين الإسـلام، وليسمح لي السيد عن قصوري في اللغـة فإني لست من رجال هذا السياق).

ارادَ لشـباب الجيل الجديد ان يفهم الاسـلام فهماً لا لبسَ فيه، الاسلام النقي الذي جاء به نبي الاسلام وقامت عليه ركائزه يقول رحمه الله:(الإسلام دين يعصم العقول أن تنقاد لهوى، وعقيدة ترفع النفوس أن تتهم بسـوء، ومبدأ ينقي الأفئدة أن تنطوي على ضغينة، وشريعة تطهر الألسن أن تنطق بكذب.

نعم الإسلام دين وعقيدة ومبدأ، وليس رجالاً يتحزب لهم أو يتعصب عليهم، فاعرفوا حقيقة الدين، وتمسكوا بلباب العقيدة،وطبقوا قواعد المبدأ، ثم اعرفوا من تشاؤون من الرجال بعد ذلك وتنكروا لمن تشاؤون.

اعرفوا الدين خالصاً لا شـوب فيه، صريحـاً لا لبس معه، ثم اعرضوا للرجال فـي ضوء تعاليمـه-إذا لم يكن لكم بد مـن ذلك-فإن منازل النـاس تتفاوت بمقدار اتباعهم للحق، وعزوفهم عن الباطل، وإخلاصهم في العقيدة.

لا يلام باحث أن يسـتعرض المذاهب بالموازنة المنطقية، ويسـتوعبها بالنقد النزيـه ويحكـم في قواعدهـا البرهان الصحيح. لا يـلام باحث أن يفعـل ذلك تثبيتا ً للحجـة واسـتيضاحاً للحق، وقـد يكون مثاباً عند الله سـبحانه علـى فعله متى كان حسن النية فيه.

ولكنـه يكون ملومـاً يوم يتحزب ويتعصب، ويكون مؤاخـذاً أعنف المؤاخذة وملومـاً أعظـم اللوم يوم يجره التعصب إلى ما لا يحمـد، فلا يبصر غير مطاعن ولا يذكر إلا مثالب).

ولعـل أهم العوامل التي اسـتقطبت شـباب الجيل يلتف حولـه ويتابع كتاباته

ويراسله حتى بات يُعرف بـ (أستاذ الجيل):

١- شـخصية جذابـة بما تحمـل من روح إنسـانية عالية وأخـلاق ربانية تترك بصماتهـا وأثرهـا على كل من يلـج في أعماقهـا ويقترب منها ((حيث كان إسـلاما يتحرك وشريعة تمشي)). فالخلق الانساني في نظره هو:(العلم الذي يبعث الكمال في النفس البشريةأينمّي القوة والاستقلال في العقل البشري، وهو العلم الذي يساير الإنسـانية فـي اتجاهاتها، ويوجههـا عند حيرتهـا، ويأخذ بيد العقل عنـد اضطرابه، ويمده بالقوة عند ضعفه، وعلم الأخلاق هو الرسالة العامة التي يجب على كل حي مـدرك ان يبلغها إلـى كل حي مدرك، وهو الأمانة الكبيـرة التي يجب على كل كائن عاقل ان يؤديها إلى كل كائن عاقل.)

٢- فهمـه للحيـاة المعاصـرة بـكل أبعادهـا وشـؤونها ووعيه التـام بمصادر الإسـلام ونظرياته وفلسـفاته وعلومـه المتنوعة بحيث يسـتطيع أن يحـدد الموقف الشـرعي من الثقافة الوافدة وما ينسجم منها مع النظرية الإسلامية أو يختلف وهدا ما حدا بالإمام الحكيم أن يُكلفه بالرد على دعاة تحرير المرأة في كتابه (العفاف بين السـلب والإيجاب) وكذلك تكليفه أن يتصدى للرد على المفترين على عقيدة أهل البيت عليهم السلام لمعرفته بمقامه ودقته في النقد. تجده الناقد البصير الخبير بكل هـدوء ورحابة صدر وخلق رفيع ورصانه عندما ينتقـد الطرف المقابل ففي معرض رده على احمد امين المصري في حديث المهدي والمهدوية: (توسمت في الدكتور يوم رأيته ناقداً إنه لم يخلق للنقد وإنما خُلق للتاريخ، وكأن الطبيعة هيأته لأن يكون مؤرخـاً كبيـراً يسـتعرض التاريـخ بحروفـه وصروفه، ويسـتقرء الحوادث أسـودها وأبيضها، يلقيها دروسـاً على تلاميـذه في الجامعة، ويحررها كتبـاً لقرائه الآخرين، ولكن الطبيعة لم تهيئه لأن يكون ناقداً في يوم من الأيام.

أقول: إن الطبيعة لم تهيئه للنقد ولا يشـبه النقد، لأني لم أجده موفقاصاً في نقوده الكثيرة إلا إذا كان غيره مصدر ذلك النقد، وكان نصيبه منه نصيب المؤرخ من التأريخ.)

٣- وعيه ومعرفته بالفلسفات المعاصرة (والعلوم الطبيعية التي تتماس والمفاهيم المتصلة بالعالم والعصر، كعلوم الحياة والفيزياء والفلك، وكعلمي النفس والاجتماع وتاريخ الأديان المقارن وذلك مما لا يهتم به الدارسون في الحوزة عادة إلا استثناءً) فتجده في كتاب (الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته) كيف يحاكم الماركسية وينقض مبانيها- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية- وفي كتابه الاسلام مناهجه يتحدث مثلا عن الماركسية فيقول: أهي فلسفة تتبع الدقة في تركيزها وتتبع الدقة كذلك في عرضها وتطبيقها لتنقد كما تنقد الفلسفات وتمتحن كما تمتحن الآراء والأفكار؟.

أهي نظرية علمية تقتبس من التجربة، وترتكز على المشاهدة، فيحك جوهرها كما تحك المعادن ويختبر صدقها وثباتها كما تختبر نظريات العلم؟.

أهي أحلام وآمال نفسية كبتها الواقع في الحاضر فاندفعت إلى الخيال في المستقبل لينظر فيها من ينظر في الأحلام والآلام؟.

أم هي فلسفة تسويغ وتبرير، فلسفة من يختط له خطة يمليها عليه هواه، ثم يندفع في زحمة الفلسفات والآراء يلتقط ما يوائم خطته من النظريات وما يوافقها من الشواهد؟ ولعلها فلسفة تعتمد على الموازنات الدقيقة في النشأة والعرض والتطبيق. نعم. وكذلك يرغب أتباعها ومؤيدوها أن تكون.

وإذن فلماذا تنكر أن يكون للمعرفة طريق غير الحس والتجربة؟ وهل من الممكن أن تقوم فلسفة ما على هذين وحدهما؟ وحتى إذا كانت تعالج ناحية مادية خالصة؟.

إن الإحساس لا يعدو أن يكون تصوير للشيء المحسوس، وأن التجربة- في كثير من مواردها- لا تتجاوز أن تكون تكراراً لهذا التصوير، ومقارنة بين ملامح الصور. أما مطابقة الصورة لواقع الشيء ولصفاته الحقيقية فهي محتاجة إلى مصدر

آخر هو أوثق لدى العقل من الحس ومن التجربة. وأما التجريد والتعميم واستنباط حكم عام شامل من الموارد الخاصة التي أدركها الحس ووقعت عليه التجربة فهو مفتقر إلى عملية عقلية خالصة، وتدخل قوانين ضرورية لا شك فيها إنسان ولا تفتقر إلى إثبات.

وقاعدة (إن التجربة مصدر للمعرفة الحقيقية)، هذه القاعدة التي غلا فيها التجريبيون فأنكروا أن يكون للمعرفة طريق سواها، ثم أمعن الوضعيون منهم في الغلو فأنكروا أي شيء لا يناله الحس، وأي حقيقة لا تخضع للتجربة. أقول وهذه القاعدة ذاتها، أليس من حق الناقد أن يسأل عن طريق إثبات للإنسان؟.

أهي التجربة ذاتها؟.

إن الشيء لا يثبت نفسه.

وإذن فلا محيد لهم من الاعتراف بأنها ضرورية لا تفتقر إلى إثبات. ولا محيد لهم من الاعتراف بأن الإنسان يملك ضروريات أولية يرجع إليها في إنشاء معرفته..)

أو في كتابه (إلى الطليعة المؤمنة) حول نظرية العقد الاجتماعي (لجان جاك روسو) ومن سبقه (كتوماس هوبز وجون لوك)، والفرق بينه وبينهما والأساس في اهتمام الغرب بالنظرية، وعدم اهتمام الإسلام بها لانتفاء هذا الأساس لديه. و رفد المكتبة الاسلامية بأروع ما صاغه في الفكر والثقافه الاسلامية، وانت تقرأ في شخصيته وكتاباته ملامح الوعي في ثقافة الفقيه في تلك المرحلة حينما استطاع ان يضع الخطوط العامة للفكر الإسلامي وتوجيه شباب الجيل وتحصينه وقيادته

٤ - حركته الميدانية ونزوله ساحات العمل الإسلامي في العراق والخليج العربي حيث إنه لم يكتف بالتنظير والكتابة كما يفعل غيره بل سعى إلى الاتصال

بالناس والاحتكاك بالمجتمع على اختلاف طبقاته ومشاربه حيث يبقى بعض الأحيان ثلاثة أشهر متنقلا من قرية إلى أخرى ومن ريف إلى مدينة مستوعبًا الجميع بأخلاقه وألطافه وهدا ما جعل الناس إلى هذا اليوم يحفرون صورته في ذاكرتهم ويستذكرون كلماته وتوجيهاته يقول رحمه في كتابه الى الطليعة المؤمنة:(وما ضرّ رجل الدين أو خطيب المنبر، أن يبسط خلقه وعلمه للنّاقد من الشباب أو غير الشباب، حتى يحيله مادحاً، و للجاهل حتى يصيره عالماً، وللغاوي حتى يجعله رشيداً.

وهذا الشاب أو الغاوي ليس بأحطّ نفساً ولا أسوأ قصداً ولا أقلّ قيمة من ذلك البدوي الغليظ الجافي الذي كان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) يستقبله بإبتسامة العطف واللطف، ثم يفترش معه الحصى ويكبّ عليه يفحص أدواءه داءاً داءاً، ويعالجها واحداً واحداً، ولا يفارقه إلا وهو أحب الناس إليه وأشدّهم إنقياداً لقوله.

إنها دروس رفيعة رفيعة يا عزيزي لو أننا اتبعناها في مجالاتنا من الدّعوة إلى الله، لأفدنا منها خيراً كثيراً وكفينا شراً كثيراً.

ومنبر الدّعوة لم يُؤسِّس حين تأسَّس لتعليم العالم وإرشاد الرَّشيد، ولو كانت هذه مهمته لفقد جدواه وبطلت حكمته).

يقول الأستاذ سالم النويدري الذي تجد بصمات زين الدين مرسومة في ثقافته في كتابه أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ((ولئن نسيت فلن أنسى تلك المجالس التي كانت تجمعنا بسماحته في البحرين حيث يتحلق الشباب المؤمن من حوله وكلهم آذان صاغية لذلك السلسال العذب من الألفاظ وهو يرد على أسئلة الحاضرين فتشيع في أرجاء المجلس روحانية قلما توجد في مجالس أخرى٬

وكانت هيبته ووقاره لا يمنعان الشباب ولو كان في سن الحداثة من الارتشاف

مـن معينه العذب لما يلمسـونه من إقبـال منقطع النظير علـى احتضانهم والاقتراب مـن حياتهم والولوج إلى أعماق مشـاكلهم وهذا ما لم يعهدوه حتى فيمن دونه رتبة ومقاماً من حملة العلم في المجتمع))

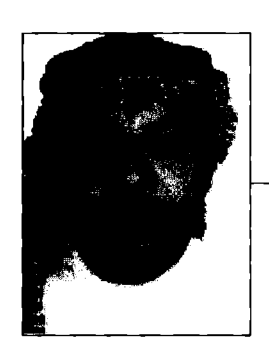
وكانت المنطقة الشرقية ايضا تشهد له جولات مختلفة في ستينات وسبعينات القرن الميلادي حيث كان يمكث في سيهات ومنها ينطلق ويزور المنطقة وفي تلك الحقبة كان له الاثر في بناء ثقافة اسـلامية رصينة حيث كان مجلسـه محورا لجميع طبقات المجتمع

-ولقد أرّخ بعض هذه الزيارات العلامة الثبت الشيخ فرج العمران رحمه الله في موسوعته الأزهار. يقول في ج١٤:

وفـي عصر يـوم الأربعاء الثالث والعشـرين من الشـهر المـؤرّخ زرنا العلامة الحجـة الشـيخ محمـد أمين زين الديـن في محلّ إقامته سـيهات في المنـزل العامر المعدّ لإضافة العالـم القادم إلى سـيهات فاسـتقبلنا بالتقدير والاحترام وأنسـنا جداً بهذه الزيارة وكان قدومه القطيف يوم الأربعاء ٢/ ٥/ ١٣٩٢هـ وسـفره إلى العراق ١٥/ ٧/ ١٣٩٢هـ) الأزهار الأرجية

٥- وضع حلقات دراسـية في الحـوزة العلمية لتدريس المفاهيم الإسـلامية وفلسـفة التشريع لرفع مستوى طلبة الحوزة إلى مسايرة الواقع وما تحتاجه المرحلة تخـرج منها أعلام لهم بصمات في الفكـر والثقافة وفي هذا الصدد يتحدث العلامة الفضلي (أنه أول من عقد حلقة تدريس له، وكان ذلك في مقبرة سلامة الواقعة جوار مدرسة السيد البروجردي، قريباً من دورة الحرم الشريف، وكنا نحضر عنده عصراً، أنا والشـيخ مهدي السـماوي والسـيد مهدي الحكيم والشـيخ محمد حيدر والسيد محمد باقر الحكيم، وآخرون..... وكان هذا منه لأن الساحة يومذاك لم يكن يوجد فيها أديب إسـلامي ملتزم، سـوى أسـتاذنا الشـيخ زين الدين نفسه، وأسـتاذنا السيد

محمـد باقـر الصـدر...... كان يرى لزامًا عليـه أن يكوّن جيلاً من شـبّان أهل العلم في النجف كتّابًا إسـلاميين، يحملون الإسلام، ينشرون ويدافعون عنه، ويقفون أمام الغزو الاشتراكي، فكان له ما أراد، فقد استطاع أن يكوّن من تلاميذه من قام بالمهمة وأدّى الوظيفة على خير وجه.)



آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين
الفقيه الديني والأخلاقي

الأستاذ/ علي الزين
القديح

روي عن الإمام الباقر أنه قال إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألستنتكم، وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم.

وقال فيما جاء عنه عليه السلام بحث على نصرتهم من أعاننا بلسانه على عدونا أنطقه الله بحجته يوم موقفه بين يديه عز وجل،

وبين عليه السلام لمعرفة الموالاة والموالين في حالة التباس المفاهيم واختلاط المعايير أما محبتنا فيخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه، من أراد أن يعلم حبنا فاليمتحن

قلبه فإن شاركه في حبنا حب عدونا فليس منا ولسنا منه.

توجد في مجاميعنا الفكرية الثروة الهائلة من أحاديث أهل البيت عليهم السلام التي تختص بالأخلاق بالمعنى الأعم سواء كان عقيديا أو سلوكيا كل ذلك توجيه للأمة في معرفة الحق وتطبيقه عمليا وأول المخاطبين هم حملة علومهم وحث حملة علومهم بالتطبيق أولا على أنفسهم حتى يقوموا بدور التوجيه والإرشاد للأمة والحمد لله أن علماءنا الأعلام ولاسيما مراجعنا العظام يقومون بامتثال أوامر أئمتهم خير قيام في القديم والحديث ومن الذين قاموا وطبقوا وصايا وأوامر الأئمة وانزجروا لنواهيهم سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين قدس سره.

فقد برز على مستوى العقيدة رحمه الله وكما يقال سميت العقائد عقائد لأنها يعقد عليه القلب وتعلمون أيها الأخوة الأعزاء ما يحمل هذا العارف من حبه لله عز وجل وحب نبيه وأهل بيته وخوفه وخشيته من الله سبحانه وتعالى لنظرته الحادقة والثاقبة لأمر آخرته ومعاده واعتقاده الجازم بالعدل الإلهي فبعد نظره ومعرفته الحقيقية وقيام الأدلة الفطرية والبرهانية لهذه العقائد الحقة أعني الأصول الخمسة وهي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد قام بنشر هذه المعرفة في العالم عبر كتابه القيم الإسلام ينابيعه، مناهجه، غاياته والذي يحتوي هذا الكتاب ببلاغتة وعمقه وحسن أدبه وحكمته ومعرفة أحوال البشر في العالم وهذا التجديد المقصود هو المحمود لامايطبلون له أدعياء الثقافة وهم خاوون. أما هذا العظيم فقد قام بالدعوة إلى الإنسانية برمتها إلى التعرف على توحيد الله وما يتفرع عنه كما يريده القرآن ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فقام بهذا الدور الرائع وانطبقت هذه الآية في دعوته للناس تمام الإنطباق.

أما تطبيقه الأخلاق وهو غاية الدين والإسلام، والأخلاق هي الغاية من بعث الأنبياء وماوصف النبي الكريم بأنه على خلق عظيم إلا لمثل ذلك وقد أثر

النبي على قومه ليس بنبوته وإنما بخلقه الرفيع قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فقام الشيخ بهذا الدور الرائع فبرع فيه عمليا لا نظريا ولم يكن متصنعا، فلم تنطبق عليه هذه الآية لم تقولون مالا تعلمون، وليس الخلق في حالة واحدة وهي البشر والملاطفة في وجوه الناس كما يفهم بعض الناس وهي جميلة لمن عنده هذه الملكة وإنما هذا الرجل العظيم طبق الأخلاق بشتى نواحيه أعنى تطبيق الشريعة الإسلامية وذلك لمعرفته لأحكام الله عز وجل ليس بطريق التقليد وإنما ببذل الوسع والجهد إلى أن وصل إلى تلك المرتبة العالية التي لاينالها إلا ذو حظ عظيم وهي الفقاهة وذلك باستدلاله على الأحكام. ومن آثار بذل جهده واستفراغ وسعه كتاب كلمة التقوي وتطبيقها عمليا. والأخلاق مصاديقها كثيرة جدا وقد امتاز بالكثير منها ومن بينها التواضع ولين الجانب وحب الناس ومن تواضع لله رفعه، ومن صفاته الأخلاقية التسليم والرضا فقد سمعت أحد العلماء في منزل زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي طاب ثراه يتحدث عن التسليم الذي كان يتمتع به سماحة الشيخ زين الدين وذلك حين أعتقلت الزمرة البعثية الصدامية ولده وفلذة كبده سماحة العلامة الشيخ ضياء زين الدين قال زين الدين بكل رضا وتسليم: الحمد لله رب العالمين وهو يبتسم، وكان هذا العالم متعجبا من هذا التسليم.

حري أن نقتدي بهذا الرجل في إحترام علمائنا ومراجعنا وتقديرهم وعدم بخس حقوقهم.

كنت يوما حاضرا عند سماحة العلامة البحاثة المجاهد الشهيد السيد عز الدين بحر العلوم وكان يشير اليه من بين المراجع في النجف الأشرف الذين يقودون الأمة إلى الأصلح خير قيام.

والدليل على إهتماماته بنشر الأخلاق في المجتمع الإسلامي دعوته للأخلاق

الإسلامية عمليا وقد بينا ذلك وفكريا من خلال كتابه الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام.

أيضا من إهتماماته بالأخلاق الإسلامية غيرته على الدين وعلى العرض لذلك كتب في الحجاب وناظر العلمانيين وفكر البعث عبر خطبه وكتابه العفاف بين السلب والإيجاب وحث الأخوات المؤمنات على الإلتزام بالحجاب والعفة والصيانة لأن ذلك خير لهن مما يدعو له الغرب وحزب البعث والشيوعون والعلمانيون وكذلك المسلمون المهزوزون عقائديا، المتأثرون بأفكار أولئك المنحرفين.

حري بنا أن نقتدي بهذا العالم العارف الرباني والفقيه الأخلاقي لنقرأ سيرته جيدا لينور لنا الطريق فإننا بحاجة إلى مثل هؤلاء العلماء الربانيين.

جبل هوى[١]..

الشيخ عامر عبد المحسن
العراق

الحمـد لله رب العالمين والصلاة والسـلام على اشـرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قـال اللـه جل وعـلا في محكـم كتابـه الكريـم: «والذين إذا اصابتهـم مصيبة قالـو إنا لله وإنا اليه راجعـون اولئك عليهم صلوات ورحمة واولئك هم المهتدون».

نجتمع هذا اليوم لتأبين طود شـامخ من أطواد العلم والتقى وعلم مـن أعلام الديـن والهدى رجل نـذر عمـره لخدمة الشـريعة والمذهب وقضـى حياتـه دائبا في طاعـة الله ونصـرة مذهب الحق، هـذا العلم هو سـماحة اية الله العظمى الشـيخ محمد امين زين الدين الذي وافته المنية قبل ايام في حاضرة التشيع ومركز اتباع مذهب اهل البيت عليهم السلام النجف

(١) كلمة عريف الحفل الشيخ عامر عبد الحسين في حفل تأبيني أقامته أسرة آل جمال الدين في دمشق بالمناسبة. اللأربعين : حميد الخاقاني.

الاشرف، هذه المدينة الخالدة التي ما فتئت ترفد العلم الاسلامي بالعلماء والنوابغ والمفكرين.

وبهذه المناسبة الاليمة تقيم اسرة جمال الدين هذا الحفل التأبيني:

أعلمت من حملوا على الاعـواد ارأيـت كيف خبا ضـيـاء النادي
جبل هوى لو خر في البحر اغتدى مـن وقعه متتـابع الاربـاد

لا بد لنا قبل البدء بفقرات هذا الحفل التأبيني من وقفة قصيرة في هذه العجالة التعرف على بعض جوانب الفقيد الراحل العلمية.

الشيخ الراحل ﵀ من أسرة عملية كانت تقطن البحرين قديما ثم انتقل جده الشيخ زين الدين الى البصرة واستوطن فيها وفي منطقة (نهر خوز) ولد الفقيد الراحل عام ١٩١٤ م، فيها تلقى مبادئ الدروس الاولية، وبعد وفاة والده الشيخ عبد العزيز سافر الى النجف الاشرف منبع العلم والآداب في عام ١٣٥١هـ، وأكمل مرحلة المقدمات والسطوح ثم انتقل الى مرحلة الخارج حيث حضر ابحاث عدد من العلماء ومراجع التقليد في ذلك الوقت نذكر منهم:

١- الشيخ ضياء الدين العراقي المتوفي ١٣٦١هـ، حيث حضر عنده سبع سنين وكتب تمام تقريراته في الاصول.
٢- الشيخ محمد حسين الاصفهاني المتوفي ١٣٦١هـ، وقد حضر بحثه في الفقه والحكمة.
٣- السيد حسن البادكوبي ١٣٥٨هـ، وقد اخذ عنه الحكمة.
٤- السيد ابو الحسن الاصفهاني المرجع الديني الاعلى المتوفي ١٣٦٥هـ حيث حضر ابحاث في الفقه.
٥- المرحوم الشيخ محمد طاهر الخاقاني ﵀ المتوفي ١٤٠٥هـ.
٦- المرجع الديني الاعلى السيد محسن الحكيم ١٣٩٠هـ، حضر عليه بحثه العالي في الفقه وهو اخر من حضر عليه من الاعلام.

وبالاضافة لبراعة الفقيد في الفقه والاصول فقد كان شاعراً مرهق الحس وايباً متميزاً ذا اسلوب رائع في الكتابة اقرب الى اسلوب الزيات كما عبر عن ذلك تلميذه الراحل الشاعر الكبير السيد مصطفى جمال الدين، وكان الشيخ ﵀ محور حلقة ادبية في ذلك الوقت وقد تخرج على يديه عدد كبير من ادبائنا المتميزين منهم الشاعر العربي الكبير مصطفى جمال الدين حيث قال عنه في مقدمة ديوانه الشعري الموسوم بـ(الديوان) ما نصه: «واذا كنت مديناً لاحد فلهذين العلمين الشيخ زين الدين والشيخ سلمان الخاقاني فهما اللذان وضعا اللبنة الاولى لأساس ظللت ابني عليه بعد ذلك».

ترجم الشيخ الفقيد ﵀ كل من:

١- الشيخ الاميني في معجم «رجال الفكر والادب في النجف خلال الف عام».

٢- الاستاذ علي الخاقاني في «شعراء الغري».

٣- الاستاذ سالم النويدري في كتاب «اعلام الثقافة الاسلامية في البحرين».

٤- المحقق الطهراني في «الذريعة».

٥- السيد عامر الحلو في «الحلقة التاسعة» من احكام الدين بين السائل والمجيب وهي اطول ترجمة للشيخ وقد اعتمدت عليها في كلمتي هذه.

وبعد فإننا بفقدان الراحل الكبير ﵀ نكون والعالم الاسلامي قد فقدنا ركناً منيعاً من اركان العلم والادب واستاذا فقيهاً من اساتذة الحوزة العظيمة. نسأل الله المولى القدير ان يفيض لنا من علمائنا من يسد خلفه وان يتغمده بواسع رحمته وجزيل ثوابه.

والحمد لله رب العالمين.



الشيخ محمد أمين زين الدين
رائد التجديد ومربي الجيل

الدكتور: حيدر نزار السيد سلمان
العراق

يعد الشيخ محمد أمين زين الدين واحداً من الشخصيات الدينية التي سعت بجهود واضحة إلي تطوير الخطاب الديني وتحديث أساليب الكتابة، وفضلاً عن كونه عالماً دينياً بارزاً فقد كان زين الدين ممن استهوتهم الآداب والثقافة بكل صفوفها، فكان ذلك سبباً في ظهور كتاباته بأسلوب مختلف عن الذين سبقوه، ويمكن اعتباره مع مجموعة من علماء الدين من رواد حركة التطوير الذي شهد الخطاب الديني.

ولد الشيخ محمد أمين زين الدين البحراني في نهر خور من قرى مدينة البصرة عام ١٩١٣م الموافق ١٣٣٣هـ وبعد أن درس المقدمات في البصرة هاجر الى النجف عام ١٩٣١م لمواصلة دراسته في حوزتها العلمية، فحضر دروس ومحاضرات مشاهير هذه الحوزة، منهم الشيخ ضياء الدين العراقي في الاصول، والفقه والحكمة على يد الفيلسوف

المعروف محمد حسين الأصفهاني والسيد حسين البادكوبي، ووصل الشيخ الى مرتبة الاجتهاد فكان له مقلدون مع ماله من شخصية علمية رصينة، وله تصانيف وكتابات نافعة منها مع (الدكتور أحمد أمين) رد به على كتابه (المهدي والمهدوية)، وكان ينشر في المجلات كثير من مقالاته.

كانت الفترة التي هاجر فيها زين الدين الى النجف الأشرف، تشهد البدايات الأولى للصراع الحاد بين القديم والجديد، ودخل هذا الصراع مع ما يمتلكه من طموح ونزعة نحو التجديد والتطور، ولأنه كان شاباً لا يتجاوز عمره الثمانية عشر عاماً، فقد وقف مع الجديد خاصة في مجالي الأدب والفنون، وكان الشيخ زين الدين مع صديقه الشيخ سلمان الخاقاني، من الشباب القلائل الذين كانوا يهتمون بعناية لمتابعة الأفكار والكتب الادبية والفكرية الحديثة أمثال مؤلفات الدكتور طه حسين، والدكتور زكي مبارك، وعباس محمود العقاد، وابراهيم المازني، ومصطفي لطفي المنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي وأحمد حسن الزيات وأحمد أمين ويوسف السباعي وسيد قطب ويحيى حقي ونجيب محفوظ ومارون عبود وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وآخرون.

كانت المجلات والدوريات الأدبية ذات التوجهات الحديثة المصرية واللبنانية، معيناً مهماً في تكوين ثقافة الشيخ محمد أمين زين الدين وتطوير اسلوبه ونزعته التجديدية، فكان شديد الحرص على اقتناء مجلات من أمثال الرسالة والرواية والثقافة والهلال والكاتب والعرفان والهاتف لصاحبها جعفر الخليلي، والاعتدال لصاحبها محمد حسين البلاغي، وكان التأثير الأكبر لمجلة الرسالة التي أصدرها الكاتب والباحث المصري أحمد حسن الزيات، فقد كان لها تأثير ودور هام في تكوين اسلوبه الأدبي بكتابة المقالة، إذ تأثر بصورة واضحة بافتتاحيتها التي كان يكتبها الزيات، لكن هذا التأثير عند زين الدين لم يستمر إذ سرعان ما أصبح مستقلاً في اسلوبه، لأنه كان ذا طموح ونزعة في بلوغ الكمال، وله ثقة عالية واعتزاز

بالنفس، فقد كان على ثقة أنه قادر على الفهم والادراك والتطور والرد والتحليل وعلى الإبداع.

كانت أول مظاهر الشهرة التي حصل عليها من خلال مقالة نشرها ف يمجلة البيان النجفية لصاحبها علي الخاقاني بعنوان (بلال يؤذن) حيث لاقت هذه المقالة عند نشرها استحسان كبير من قبل طبقة الادباء القدامى وطبقة الادباء المحدثين، ولفتت الانظار اليه والى اسلوبه النثري المميز.

ساهم الشيخ محمد أمين زين الدين في التجديد للخطاب الديني، وتطوير الحركة الادبية بالنجف، وإيجاد أدب إسلامي ملتزم يمثل المرجعية الدينية، كرد فعل على انتشار الادب الاشتراكي الملتزم، والتي كانت تمثله بوضوح مجلة الآداب اللبنانية التي أصدرها عام ١٩٥٣م الأديب يحيى ادريس، وكان يكتب في هذه المجلة أقطاب الاشتراكية العرب، وكانت كتاباته تمثل ريادة في الكتابة الاسلامية، ولشرح مفاهيم الإسلام، ومن خلالها كعقيدة شاملة ونظام كامل للحياة، حتى أحدث الشيخ طريقة جديدة في التدريس عندما راح يدرس لطلابه في حلقة الدرس ويشرح كتابه (الإسلام ينابيعه مناهجه وغاياته) وهذا ما أهله لأن يكون أستاذاً من اساتذة الاجيال العلمية والادبية في حوزة النجف لما كان يمتلكه من موهبة وقدرات تربوية، حتى أن المراجع الدينين في النجف إختاروا الشيخ زين الدين ضمن لجنة علماء الدين، وكانت مهمة هذه اللجنة التي ضمت زين الدين والشيخ محمد رضا المظفر والسيد موسى بحر العلوم متوفى ١٤١٢هـ الاشراف على مجموعة من الشباب الذين اختارتهم جماعة العلماء لممارسة الكتابة الإسلامية الموجهة ضد الشيوعية عندما اشتد الصراع معها بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م.

اتبع الشيخ محمد أمين زين الدين اسلوباً سلساً مفهوماً وبكلمات وعبارات مبسطة وسهلة، لإيصال افكاره وآرائه للناس، ونشر الوعي بينهم، وكان اسلوب المقالة والرسالة هو الطاغي على كتاباته، والملاحظ ان هذا الانفتاح بدأ يظهر على

كتابات واشعار عدد من رجال الدين، فعلى سبيل المثال كتب الشيخ علي الصغير رواية بعنوان (ماركريت) والشيخ محمد حيدر رواية بعنوان (هيفاء) وهو دليل على حالة التجديد والاسلوب العصري في الكتابة مع تناول مواضيع أكثر التصاقاً بحياة الناس، وهو ما حاول زين الدين القيام به ضمن جهوده الإصلاحية وكان هدفه نشر الفضيلة والاخلاق والعدل في المجتمع، وهو يدعو المعلمين أن يتكلفوا باتمام النقص في الاخلاق ومعالجة الخطر في تدينها لجعل الفرد عضواً صالحاً في الأمة، وجعل الأمة مجتمعاً قابلاً للعمل في سبيل الخير، لأن الاخلاق باعتباره علماً يبعث الكمال في النفس البشرية وينمي القوة والاستقلال في العقل البشري، وهو ما يؤكده الإسلام الذي وضع نظاماً وقواعد لعلم الاخلاق تتماشى مع أدق الموازرين في التطبيق، وأشدها احكاماً في القياس، وتنسجم مع الزمان المختلف والبيئات المختلفة.

وفي تناوله لموضوع علاقة الحكومة بالشعب، وعن دور كل منها في تحقيق المجتمع القوي القادر على العيش برفاهية وسعادة، وشيوع العدالة والمساواة، فإنه يضع على كل طرف مسؤوليته في الوصول الي هذا المستوى من الحياة، فالحكومة عليها السعي الجاد لاسعاد الناس ونشر الكمال، وأن تنهض بمهمة ايصال أفراد الأمة إلى الخير والرقي، عن طريق إنشاء المؤسسات الكافلة لخير البلاد والحافظة لخيراتها، وتأسيس المعاهد لإعداد الرجال و تثقيفهم الثقافة الصحيحة، وان تتمسك بالأنظمة الشرعية الموجبة لحفظ حقوق الناس وسلامتهم الشخصية، على أن تسير في جميع ذلك وفق النظام الصحيح والحكمة الرشيدة التي يأمر بها العقل ويقرها الشرع، وهنا مسؤولية الحكومة بالدرجة الأولى، اما مسؤولية افراد الأمة (الشعب) فتأتي بالدرجة الثانية، وتكون بمساعدة الحكومة في تحقيق هذه الغاية، ممّا يمكنه من الوسائل، وأن التضامن بينهما أي الحكومة والشعب تحقق الغاية وهو العدل.

ويبرز دور الإصلاح والتجديد أكثر عند زين الدين، عندما يدعوا الذين

يوجهون انتقاداتهم وطعونهم للإسـلام من الباحثين والناقدين، والذين ينظرون إلى هـذا الدين نظرة شـكلية خارجية يدعو هؤلاء الى التعرف على الاسـلام وتوجيهاته وهداياته في منابعه الأولى، التي جاء بها لا إلى صورها الأخيرة والنظر إلى الإسلام بكتابـه المعصـوم وفي سـنته القويمة الصحيحـة، وليس إلى مافي ايـدي الناس من اشـباح، والحقيقة أن الشـيخ يعترف ان هناك اشياء كثيرة لصقت بالاسلام وشوهت صورته الناصعة، لأن هناك من سار مع الاهواد وأثار الخصومات، وف يمجال آخر ترى الشـيخ يقدم أجوبة فكرية على أسـئلة محيرة ومعقدة بلبلت الوسـط الشـعبي، الذي تنازعته التيارات المختلفة وكل منها يقدم افكاره وحلوله التي يرى فيها الصحة والإصـلاح، وهذا ما دفع زين الدين إلي تقديم الحل الإسـلامي باعتباره رجل دين لمشـاكل الانسان باسـلوب عصري، خالٍ من التعقيد والتكلّف والصياغات الفقهية والكلامية، وفي ذلك يقول: «يبتغون من الإسلام أن يساند العقل وهل أنزل الإسلام الا لمسـاندة العقل ونظم حركاته وتسـديد خطواته، وسـتعلم أي مبلغ بلغه الإسلام من هذا الشأن، ويتطلبون منه أن يبارك الحضارة، وتعاليم الاسلام وتاريخه المشرق الوضاء شـاهد صدق بما لهذا الدين من دور في بناء الحضارة ودعم اسسـها واعلاء مستواها، ويريدون منه أن يُساير العلم، والخبيرون بطبيعة هذا الدين المطلعون على أسراره يعلمون مدى اتصاله بالعلم وارتكازه على قواعده».

يسترسل الشيخ زين الدين مناقشاته بروح هادئة بعيدة عن التشدد والتعصب، ليظهر للقاريء ثقافته العميقة وسعة اطلاعه، التي تجاوزت الفقه والاصول والادب إلى المعارف الفلسـفية والفكرية، حين طرح نفسه مناقشاً لنظريات علمية وفلسفية، تدور حول أصل الإنسـان ونشـأته، وطـرق حصوله على المعرفة بادءاً مناقشـة آراء دارون حـول أصـل الإنسـان، ووصولاً إلـى نظريات هيجـل الفيلسـوف الالماني، وكأنت الفرنسي، وما جاءت به افكار كارل ماركس.

أما الغاية من تشريع الدين وغاية الله تعالى من الإسلام حين وضع أول حجر

من هيكله، وأقام أول قاعدة من قواعده هو العدل، وهو يشمل كل شيء في الحياة، وهو فريضة محتومة تجب رعايتها والمحافظة عليها من جميع المسلمين، حتى مع الذين لا يدينون دين الاسلام، مع هؤلاء يجب على المسلمين القسط في المعاملة والمساواة في صفوف الانسانية بل أن الاسلام يسمو على ذلك ويدعو الى البر بهم والاحسان الى ضعفائهم، وحتى في الحروب فإن الاسلام يؤكد على عدم جواز سقوط احكام العدل مع العدو واستباحة العدوان عليهم أمام الخروج على العدل والاستخفاف بالامن فيه جريمة كبرت في موازين هذا الدين.

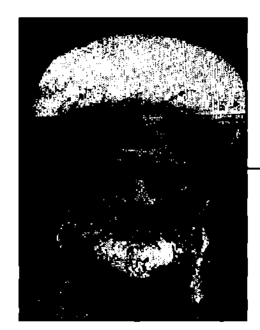
وعلى غير عادة علماء الدين الذين غالباً ما يبتعدون على اسلوب الرسائل المتبادلة في كتاباتهم، فإن الشيخ محمد أمين زين الدين وجد في كتابه الرسائل إلى معارفه واصدقائه اسلوباً أكثر تأثيراً وواقعية في ايصال الافكار التي يريد ايصالها إلى قراءه، فكان كتابه (إلى الطليعة المؤمنة) والذي يوحي عنوانه على أنه موجه بشكل واضح إلى الشباب، ومن هم أكثر حاجة الى المخاطبة، وربما كانت كلمة (الطليعة) مثيرة للإهتمام على اعتبار أن أكثر من يستخدمون هذه الكلمة هم ذوي الإتجاهات اليسارية الحديثة، لكن الشيخ زين الدين وهو عالم دين استخدمها كجزء من التجديد الذي اراده في الخطاب الديني.

يتوجه الشيخ زين الدين بعاطفة خالصة إلى الشباب، موجهاً خطابه اليهم موضحاً الكثير من الاستفهامات التي ترد في اذهانهم عما يعنيه الاسلام وموقفه من الحياة بعد الأفكار المختلفة التي بدأت بالتغلغل داخل المجتمع ومنها الأفكار اليسارية، والافكار الداعية إلى ابعاد الدين الإسلامي عن السياسة، على اعتبار أنه لايملك مناهج خاصة تنظم الحياة وتوجه الانسان فيها، وتأخذ بيده في مجالاتها لا في الافتصاد ولا في الاجتماع ولا في الحكم ولا في السياسة فيبتديء زين الدين باسلوبه الشفاف الرد على هذه الادعاءات مؤكداً على أن الاسلام قد وضع للحياة ما ينظمها من قوانين وشرائع.

وفـي رسـالته الموجهـة إلـى ولـده ضيـاء يضع زيـن الديـن أهمية الشـباب في المقدمـة، وينظـر لهـم علـى أنهـم القوة المؤثـرة والقادرة علـى التغيير، وغـي هذا فهو يلتفت إلى خطورة موضوع الشباب كمتقدم على الآخرين من رجال الدين في ضرورة رعاية الشـباب والاهتمام بهم، والاسـتماع اليهم والنظر بجدية الى مشـاكلهم، قبل أن تجتذبهم التيارات السياسية العاملة في الساحة، وهذا الانتباه لعنصر الشباب جعل من الشـيخ زين الديـن مخلصاً في دعوته لهـم، وعصرياً في التخاطب بمـا يفهمون، وبما يريدون سـماعه من غير صيغ عقائدية وفقهية جاهزة وجامدة وغامضة لا تنفع بشـيء، لأنها تخاطب الشـباب بلغة لا تستأنسـها روحـه وذوقه، يقول زين الدين: «والشـباب الواعي المفكر والمسـتقيم التفكير هم عدة الإسـلام لغده، بـل وليومه، وهم الطاقات القويـة الفعالـة التي لا يسـوغ اهمالهـا والتغاضي عنها ولا التسـامح فـي حفظها وفي توجيهها، فإن التسـامح في هذه الطاقة المهمة يعني التسـامح في الاسلام ذاته.. أقولها صريحـة ويقولها معي كل من فقـه الدين وعرف حقيقته ومراميه وتزويد هذا الشـباب الواعـي بالمفاهيم الاسـلامية الصحيحة وتسـليمه بالعقيدة الراسـخة بالايمان القوي البناء يضيء الحياة ويبني السعادة ويكون الشخصية، هذا هو واجب كل داعية مسلم».

ومثلما التفت الشيخ زين الدين إلى الشباب بصورة عامة، فهو قد انتبه إلى فئة مهمة من الشباب وهم طلبة الجامعات، حيث تلاطم الأفكار والتيارات والصراعات الحزبيـة، وهؤلاء هم الأكثـر تأثراً بهذه الأفكار والتيارات، ومادام الشـيخ إسـلامياً خالصـاً فـإن دعوته لهؤلاء تقوم على أسـاس اعتبار الإسـلام هو الأصـل الذي من الافضل العودة اليه والاغتراف من معينه، لذلك فهو لـم ينسـى مسؤوليته كعالـم دين في جذب شباب الجامعات إلى صوب الاسلام بدل أن تجذبهم التيارات الأخرى، التي يرى أنها تهدف إلى تسـميم التربة وتبذر أنواع السـموم وتنشر مختلف الأوبئة، ثـم تملأ الجـو والماء بالجراثيـم والطفيليات، حتى تنعـدم قابلية التربـة وتعود غير صالحة للغرس ولا قابلة لثمر.


مقابلات



من خلال رهافة العاطفة والدعوة للتمسك بأهداف القرآن
ضياء الدين: الشيخ زين الدين كان أستاذ الجيل وموجهه

السنابس جعفر الديري

صحيفة الوسط البحرينية ٦/ ٥/ ٢٠٠٥

كانت ولادته في الثاني من يوليو/ تموز من العام ١٩١٥ في قرية نهر خوز التابعة لقضاء أبي الخصيب في البصرة. وكانت وفاته في الخامس والعشرين من يونيو/ حزيران من العام.١٩٩٨

وعلى امتداد ٨٣ عاما هي عمره الشريف كان للشيخ محمد أمين زين الدين حضوره الكبير والمؤثر كمرجع ديني ومرب كبير تتلمذت على يده أجيال متعددة. وهو الذي خلف الكثير من الآثار التي كان لها ولايزال موقعها المتقدم في الثقافة الإسلامية الرائدة، إضافة إلى آثاره في الفقه والأخلاق وغيرها ومنها: (كلمة التقوى)، (المسائل المستحدثة)، (الإسلام:ينابيعه، مناهجه، غاياته)، (العفاف بين السلب والإيجاب) وكتب أخرى.

ونحن في هذا اللقاء الذي نجريه مع نجله الشيخ ضياء الدين زين الدين احتفالا بمرور الذكرى السابعة لوفاة الشيخ محمد أمين زين الدين نفتح نافذة نطل منها على شيء من السيرة الشخصية والعلمية والأدبية للشيخ محمد أمين زين الدين. نفرد هنا اللقاء...

العلاقة بالبحرين

عن البحرين نبدأ سؤالنا الأول... لنتساءل عن العلاقة التي ربطت بين الشيخ زين الدين وأهل البحرين، وخصوصا أن المعلومات تقول إنه ينحدر من أسرة علمية عرفت بالتقوى وهي من أصل بحريني؟

- لقد كان الشيخ رحمه الله يكن اعتزازا كبيرا للبحرين فهو قبل أن يصل الى البحرين في أواسط الخمسينات من القرن الماضي كانت تربطه صلة ببعض أقاربه الذين كانوا يترددون على العراق، حتى بدأ يتردد على البحرين بشكل يكاد يكون سنويا حين كان يقضي الثلاثة أو الأربعة أشهر كل عام فيها حتى بداية السبعينات. وتأكدت تلك الصلة بالكثير من أهالي البحرين حين امتدت معرفته إلى أبناء معظم نواحي هذا البلد. ولهذا فقد استمر قريبا من هذا البلد حتى الأيام التي سبقت وفاته إذ كان في سؤال دائم لمن يفد عليه عن كل جزئية أو كلية من حوادث البحرين فيتألم مع الناس فيما يألمون ويسعد فيما يسعدون. وكانت له أمانيه في هذا البلد وطموحاته التي يستعرضها مع من يرد عليه من هذا البلد ولاسيما ثقاته من وكلائه.

الدور المرجعي

وكيف مارس الشيخ دوره المرجعي؟

- لا أعتقد أن باستطاعتي تقديم إجابة كافية عن هذا السؤال. لأن ممارسة أي مرجع لمرجعيته تعتبر نتاجا مباشرا لتفاعل الكثير من العوامل الشخصية

والاجتماعية والسياسية التي يعيش فيها المرجع أو يعيش فيها الناس الذين يرجعون إليه، وكذلك الامكانات الموضوعية التي تهيأت لتلك الممارسة.

ومع أنه كان للشيخ رؤيته الخاصة في تطوير المهارات المرجعية لتتناسب مع التقدم العلمي والحضاري الذي تعيش فيه الأمة، الا أن ظروفا معينة فرضتها السياسة على الأمة ولاسيما في العراق جعلته يتراجع عن أكثر توجهاته في هذا الإطار. وهكذا فحين استوجبت منه ظروف معينة أن يتصدى للقيام بهذه المهمة فرضت عليه تلك الظروف السياسية والاجتماعية القاسية أن يحدد توجهاته ضمن مسارات معينة برز عليها طابع مواساة المجتمع ومساعدته في اجتياز المحن التي يمر بها المؤمنون في العراق الذي توالت عليه النكبات والشدائد بشكل لا يمكن لأحد أن يتعقل مجرياتها الا من يعيش في ذلك البلد. وحاول أن يدخل التطوير في الحوزة العلمية في النجف وأن يؤسس امتحاناته في استحقاق الطالب لمساعدته الشهرية على أساس منهجي متكامل يستطيع الطالب المجد أن ينال بغيته من العلم وفق جدول زمني محدد.

الأسلوب الأدبي

المتتبع لكتابات الشيخ يجد أسلوبا أدبيا شامخا، فهل نستطيع التعرف على مميزات أسلوبه؟

– ان من يتتبع كتب الشيخ يرى أنه يختلف في أساليبه الأدبية من كتاب إلى آخر، فلكل كتاب أسلوب، ولكل كتاب طابعه، ولكني استطيع القول – كقارئ تابع كتابات الشيخ – أنه يمتاز في أساليبه جميعا بقدرته على تقديم المفهوم الذي يروم تقديمه للقارئ بأعذب لفظ منتقى، وان كان من المفاهيم الفلسفية العميقة أو من الأحكام الشرعية ذات الطابع الجدي، ولعل في كتابيه (الإسلام) و(كلمة التقوى) خير شاهد على هذا، وكان كثيرا ما يؤكد للكتاب الشباب على الاستظلال بالبيان

القرآني فيما يكتبون، إذ يرى أنه المثل الأعلى للبيان العربي فيستطيع الكاتب من خلال هذا الاستظلال أن يوصل المعنى المطلوب إلى القارئ بأعذب صيغة تمتلك مشاعره من دون أدنى تكلف. وكان يحث الشباب على قراءة ولو آيات من القرآن الكريم والتأمل في كيفية أداء كل جملة لمفهومها ومحاولة تقليدها في الكتابة. وأتذكر أني قلت له يوما من الأيام: لو أنكم كتبتم كتاب (الاسلام: ينابيعه، مفاهيمه، غاياته) بصيغة علمية لاتخذ هذا الكتاب دوره المهم في كتب العقائد الاسلامية، اذ انه يقدمها بشكل متفرد قلما وجد في غيره من الكتب. فأجابني بلهجة لا تخلو من حدة: لو قدر لي أن أكتب كتاب (الإسلام) لما كتبته بغير هذه الصيغة. وكان يؤكد عدة مرات أنه يتبع فيه الجملة القرآنية حتى في انتقاء الكلمات (أماني الحياة).

وماذا عن الشعر ؟

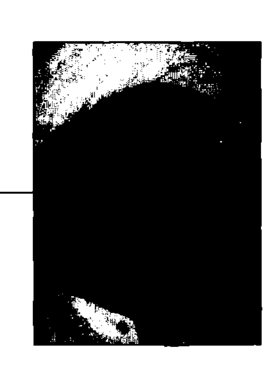
- كان له اهتمام كبير بنظم الشعر، وكان له دور بارز في ندواته التي كانت تملأ الساحة النجفية حينها، إذ تتلمذ عليه في تلك الندوات شعراء بارزون، كالمرحوم السيدمصطفى جمال الدين. ولكنه لم يحتفظ بما كان ينظمه من الشعر الا النزر اليسير منه ومنه ما يمكن تسميته بمشروع ديوان "أماني الحياة" والذي حاول من خلاله أن ينظم بعض تجاربه في الحياة، الا أنه لم يسر فيه شوطا كبيرا، وما فتأ هذا الاهتمام أن تضاءل مع الزمن ولاسيما بعد بروز شهرته الفقهية اذ ترك نظم الشعر تماما.

حصة الشباب

وماذا عن الشباب، هل كان للشيخ تركيز في خطابه على الشباب؟

- لا أعتقد أن هناك مرجعا من المراجع كان يعطي للشباب من وقته وعنايته ما أعطاه الشيخ للشباب ويبدو ذلك واضحا في كتابه (من أشعة القرآن) في أجزائه الثلاثة. وفي كتابه (إلى الطليعة المؤمنة) وهو مجموعة من الرسائل المخصصة

للشباب ومعالجة مشكلاتهم ومحاولة تربيتهم الذاتية والأخذ بأيديهم من خلال رهافة العاطفة واستلهام المشاعر الى أفق المعرفة الإسلامية والاستمساك بهدف القرآن والرسالة كما كان يبدو ذلك واضحا في رواد مجلسه في أيام مرجعيته على رغم قسوة الظروف التي مني بها المراجع ومني بها الشباب الذين يتصلون برجال الدين. ومن هنا استحق لقب (أستاذ الجيل) أو (مربي الجيل) كما حلى لبعضهم أن يطلق عليه.



حديث مع سماحة الشيخ محمد صالح الربيعي..

أجرى الحوار: ابراهيم الماجد

زين الدين الانسان:

*** سؤال تقليدي هام: هل من الممكن أن تلخِّصوا سيرة الشيخ محمد أمين زين الدين الإنسان في بضع كلمات، كما تسلطوا الضوء على الفترة التي قضيتموها مع الشيخ في النجف وأبرز مافيها؟.**

لم أحظ بشرف الحضور على سماحة الشيخ ﭭ بالمعنى المألوف للدرس، ذلك انني عندما دخلت النجف كنت مبتدئا وكان هو قد انصرف عن التدريس الى الكتابة ايام تواجده في النجف، والى نشر الوعي الديني ومنازلة الفكر الانحرافي في رحلاته المتكررة الى البحرين والمنطقة الشرقية وجنوب العراق وسواها..

ولكنني حظيت من جهة اخرى بتوجيهه الدائم والتردد

على مجلسه الشريف والالتقاط من فوائده.

أما عن سيرته رحمه الله فقد كانت سيرة الانسان الجاد في حياته الحريص على أوقاته... صبيحة كل يوم يتشرف بزيارة الإمام عليه السلام، ثم يحضر درس أستاذه السيد الحكيم رحمه الله، وهذا هو الدرس الوحيد الذي كان يواظب على حضوره في تلك الفترة، ثم يدخل مكتبته الخاصة يراجع ويكتب ولا يغادر الا نادرا استجابة لدعوة مؤمن او قضاء لحق أخ او التردد على المكتبات لاقتناء مايحتاجه منها.

أما في العقود الثلاثة الاخيرة من حياته فقد انصبت كل جهوده على مراجعة المطالب الفقهية لإعداد رسالته العلمية الموسعة.

الالتقاء والتباين:

*** أين يلتقى الشيخ زين الدين قدس سره مع معاصريه من الفقهاء وأين يتباين؟ نقصد في البنى الفقهية واستنباط الحكم الشرعي؟.**

ليس بينه وبيت غيره من الفقهاء العظام تباين في المنهج الاستدلالي.

وللتدليل على ذلك أنقل لكم ماجاء في جوابه على سؤال مشابه قال:" قد يفحص الفقيه فحصا بالغا شديدا في مسألة من المسائل الشرعية عن دليل الحكم فيها ويبذل جميع جهده في التنقير والتنقيب فلا يجد دليلا يعتمد عليه ليستنبط منه الحكم ولكنه يجد الحكم في تلك المسألة مسلّماً بين علماء الشيعة كافه قديمهم وحديثهم وسابقهم ولاحقهم ومتفقا عليه بينهم لم يختلف فيه أحد منهم ولم يتردد، حتى العلماء القدامى الذين لا يعتمدون إلا على النصوص. وحتى أصحاب المعصومين الذين عاصروهم وعاشروهم وسايروهم وفهموا حديثهم.

فيكشف ذلك للفقيه كشفا قطعيا عن وجود دليل معتبر قد أعتمد عليه الاصحاب في فتواهم بالحكم فإن شدة ورع العلماء وخصوصاً الأكابر منهم

ومـن عاشـر المعصومين تمنعهم من ان يقولـوا بغير علو ويفتوا بغيـر دليل، ولأئمة المعصومين سـادة الجميع ومصدرهم في الأحكام يسـتحيل أن يدعوا في المذهب باباً للعب اللاعبين وعبث العابثين. هذا النوع من الإجماع القطعي هو الذي أشرت لكم أنني أعتمد عليه، لا الاجماعات التي تعتمد على الحدس أو على قاعدة اللطف ونحوها، والاجماع القطعي المذكور فرد من أفراد السنة ولا ريب.

وقـد يقوم دليل عقلي ضروري لا شـبهة فيـه على حكم الله في مسـألة معينة فيقطع الإنسان بأن ذلك هو حكم الشارع فيها بحيث لا يشك فيه ولا يرتاب وإذا ثبت حكم الشـرع في المسـألة وجب التقليد به، وليس هذا من الأدلة العقلية المحدوسة أو المظنونـة ولا مـن التي تعتمد على الملازمة بين حكم العقل وحكم الشـرع التي لا يقـول بها علماء الحديث منهـم وإنما هو دليل ضروري أو قطعي يدل على حكم الشـرع بواسـطة بعض القرائن القطعية، وقد أعتمد عليه صاحـب الحدائق ونظراؤه (قدس الله أسرارهم) وقالوا به وإن شذّ وجوده في الأنام. وعبارة صاحب الحدائق فيه مشهورة معروفة غي مقدمات الحدائق والله العالم وهو العاصم".

الانشغالات الفكرية والاجتماعية والثقافية:

من خلال معايشتكم للشيخ ماهي أبـرز النقاط الفكرية والاجتماعية والثقافية التي شغلت تفكيره؟ وماهي مبادراته وأعماله في هذه المجالات؟.

أكثر ماكان يشغل باله وبال غيره من العلماء الواعين هو الدفاع عن المعتقدات الحقـة في وجـه الهجوم عليهـا بمختلف صنوفـه وتحصين الجيل المؤمـن بتقديم الفكـر الإسـلامي النقـي وفق منهج علمي رصين وبأسـلوب مشـرق وشـائق تمثل ذلك في كتبه المتعددة ومشـاركاته في الاحتفالات والندوات والجلسـات الخاصة التـي كان يعقدها لنخبة من الكتاب الذين أصبـح بعضهم من المراجع والبعض من المؤلفيـن الممتازين أو الجلسـات الموسـعة التـي كان يرتادها الشـباب من طلاب

الجامعات والمدرسين واضرابهم في ليال الخميس... يستمعون فيها الى حديثه الأخاذ ويتلقون فيها أجوبة أسئلتهم المختلفة والمتنوعة.

الشباب في ذهن الشيخ:

أين يكمن دور الشباب في ذهن الشيخ زين الدين؟ وكيف كان يتعاطي مع هذه الشريحة؟.

للشيخ اهتمام كبير وثقة عالية في الشباب، فإذا توسَّم في أحد خيراً ووجد فيه نباهة قرّبه منه، وأولاه عنايته ويسّر له مايحتاجه في سبيل نموه.

وقد تلاحظون ذلك في مجموعة الرسائل بينه وبين هؤلاء الفتية التي ضمها كتاب (الى الطليعة المؤمنة).

ولم يخيب الله تعالى ظنه فيهم فقد صمدوا في مواقعم ونال بعضهم شرف الشهادة والبعض الآخر يشغل الآن مواقع متقدمة.

المدارس الفقهية:

يعتقد البعض ان المدارس الفقهية الشيعية تنقسم الى مدرستين: الأولى تتعامل مع الدراسة الحوزوية كقناة لاستخراج الحكم الشرعي والاخلاق العامة، والثانية تتعامل معه كضابط للحياة العامة بكل جوانبها السياسية والاقتصادية والفقهية.

أولاً.. كيف تنظرون الى هذا التقسيم؟

ثانياً.. ماهو تعليقكم على من يعتبر الشيخ زين الدين (ر. هـ) ومدرسته من التيار الأول؟

ثالثاً.. هل تعتقدون ان الاهتمام بالجانب الفقهي والاخلاقي ليسا على تماسٍ بالواقع السياسي مثلاً؟.

بغض النظر عن صحة هذا التقسيم وسقمه فإن الشيخ أبعدُ ما يكون عن أن يُصنفَ في القسم غير المعنّى بما يهم الناس، ومن يقرأ كتبه وخطبه ويتدبر سيرته يجد اهتمامه بالشأن العام واضحاً في حدود ماتسمح به ظروفه وظروف الناس.

ولعل منشأ هذا الوهم، بل هذه التهمة البعيدة عن الإنصاف هو الغفلة عن الوضع العصيب الذي كان يحيط به.

دراسة نتاج الشيخ:

*** هل دُرِست حياة الشيخ زين الدين بما فيه الكفاية، وأين مكمن التقصير والخلل؟ وماهي التوصيات بهذا الاتجاه؟.**

كلا.. بالتأكيد ولا حتى بالحد الأدنى. وسبب ذلك عزوفهُ هو رحمه الله عن التحدث عن نفسه من جهةٍ، وارتحال معظم زملائه والعارفين بسيرته قبل وفاته دون ان يتركوا شيءً ذا بال في هذا الشأن من جهةٍ أخرى.

من هنا يتعين -لاستجلاء سيرته العلمية الخاصة- العكوف على كتبه وماتركه من رسائل خاصة وذلك مايتطلبه جهداً غير يسير ووقت غير قصير..



حديث مع سماحة العلامة الشيخ عبدالحسين الستري

أجرى الحوار: علي عبد الوهاب البقالي
البحرين

يتوارى سماحة العلامة الشيخ عبد الحسين الستري بعيدا عن الأضواء الصحفيه، والظهور الاعلامي، وإذا حاولت أن تحضى بشرف المقابلة معه لتجري لقاءً صحفياً، فانك في الأغلب الكثير ستلقى منه الأعتذار. هذه المره فاجأنا سماحتة الشيخ الستري بالموافقة، وكنا في غاية السعادة. ولئن كانت المقابلة مقتضبة للغاية الا أنها تمثل في سطورها شاهداً على التاريخ.

الشيخ الستري لخّص علاقته بزين الدين في كلمات، إنها علاقة الأب بابنه، وكان واضحا من حديثه علاقته الحميمة بزين الدين التي يعتز بها كثيرا، وفي سياق الحديث كشف الشيخ الستري بأن زين الدين نهاه عن تعلم الخطابة بعد أن علم ذلك بتوجيه من أحد العلماء، وأمره بالاشتغال بالدراسة، فما كان بالشيخ الستري الا أن أستجاب لنصيحة الأب زين الدين..

الأستضافة بسماحة العلامة الشيخ الستري كانت في مجلسه العامر في واديان بجزيرة سترة، وهذا نص الحوار:

*** ما طبيعة العلاقة التي تربطكم بسماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين؟**

كان أرتباطي بسماحته رَحِمَهُ الله ارتباط الولد بوالده، فقد كنت أزوره مرارا وأستمع الى نصائحه، وأستفيد من ارشاداته وتعاليمه، وكثيرا ماكان يسألني عن دروسي، وربما سألته عن بعض المشاكل فيها، فيقدم لي الحلول ويدلني على ما يعينني على فهمها.

وكنت أطرح عليه بعض المسائل خطيا، وكنت أحتفظ بها، ولكن للأسف قد ذهبت مني مع ما ذهب من الكتب والأوراق التي سرقت من بيتي بعد رجوعي الى البحرين، ولم يبق الا القليل، طبع أكثرها في كتاب (بين المكلف والفقيه).

*** هل يمكنكم اطلاعنا على أبرز المواقف التي صدرت من الشيخ الفقيه زين الدين، وأثرت في حياتكم، ولا يزال لها صدى طيب في ذاكرتكم؟**

نعم... لعل أبرز ما في ذاكرتي موقفه تجاهي عندما سمع أني عازما على تعلم الخطابة الحسينية، وكان ذلك بتشجيع من فضيلة المرحوم الشيخ محمد الجفيري، والد الشيخ جعفر، وذلك للأستعانة بها على تكاليف المعيشة، فلما سمع سماحة الشيخ محمد أمين زين الدين عني ذلك دعاني ونهاني عن الأستمرار وقال لي: "هل سافرت من البحرين الى النجف لتتعلم الخطابة؟ كان بأمكانك أن تتعلمها في البحرين... أترك هذا وأشتغل بالدراسة، فالرزق مضمون لطالب العلم، وعليك بالصبر والمثابرة، لنيل المطلوب قبل أن تكثر عندك العيال، وتعيقك الأشغال.

*** فضيلة الشيخ.... هل بأستطاعتكم تذكر عدد السنوات التي قضاها الشيخ**

زين الدين رَحِمَهُ اللهُ في البحرين، و كم شهرا يقيم فيها؟

كان رَحِمَهُ اللهُ يزور البحرين بضع سنوات، ويبقى فيها شهرين أو ثلاثة أشهر، ثم يعود أدراجه الى العراق، تكرر منه ذلك على مدى السنوات الأخيرة، ثم أنقطع، حيث أجريت له عمليه جراحية في بطنه.

*** هل يمكنكم أطلاعنا على أبرز ملامح حياة الفقيه الشيخ زين الدين رَحِمَهُ اللهُ في البحرين... أدواره.. تنقلاته..اقامته.. سكنه..؟**

كانت أدواره رَحِمَهُ اللهُ في البحرين مؤثرة ونافعة، حيث كان يتحلى بالأخلاق الفاضلة والتواضع للصغير والكبير، حتى أنه أذا أقبل عليه الشخص، يقوم له على قدميه ويبادله التحية.

وكانت له محاضرات قيمة في موضوعات متنوعة، ألقاها في مختلف قرى البحرين، مضافا الى ماكان يلقيه في خطب الجمعة التي كان يقيمها في قرية كرزكان مدة اقامته في البحرين.

ولكم كنت أتذكر تلك الأوقات، التي حظيت بالسعي اليها وحظورها في مجلسه العامر في النجف الاشرف أيام العطل الدراسية والمناسبات المختلفة، وأرى مختلف الشخصيات من العلماء والأدباء، وما يدور بينهم من حوارات شائقة، كما كانت لسماحة المرحوم الشيخ علاقات واسعة ومفتوحة مع الشباب، فقد كان مهتما بهم أيما أهتمام، ودائما ما يمنحهم الرعاية والمحبة، ويحيطهم بلطفه وحنانه، ويحل لهم مشاكلهم التي يواجهونها في الحياة، كما يجيب على تساؤلاتهم وما يطرح عليهم من شبهات في العقيدة والدين، وهو يجيبهم بأسلوبه الرفيع، ويقنعهم كل الأقناع عما يدور في أفكارهم من مسائل ومشاكل.

*** أخيرا سماحة الشيخ.... ونحن في رحاب ذكرى رحيل فقيه الأدباء وأديب**

الفقهـاء، كما يعبر عنه تلميذه الشـيخ الدكتور عبد الهـادي الفضلي، أو فقيه الطليعة المؤمنة كما يعبر عنه آخرون... كيف تصف علاقته بالمثقفين والشباب الرسالي ؟

يعد المجلس العامر لسـماحة الشـيخ محمد أمين زين الدين رسالية راقية في الفقه والفكر والأدب يؤمها مختلف الشـخصيات من العلماء والأدباء والمفكرين، يناولون فيها ويتناقشـون قضايا الفقه والفكر، كما يطلعـون فيما بينهم على مختلف الأصدارات الحديثة في الأدب والثقافة، فقد كان مجلس الشيخ منتدا ثقافيا وفكريا رفيع المستوى يضم نخبة المثقفين وأساتذة الجامعات وطليعة من الشباب الرسالي المؤمن، تدور فيما بينهم حوارات فكرية شـائقة،ومناظرات عقائدية راقية،بأسلوب هادئ مقنع.

كما أنني أتذكر ليالي شـهر رمضان المبارك التي كان سماحة الشيخ المرحوم يعقدهـا في منزله بالنجف الأشـرف ويخصص فيها مجالس فـي النصف الأول من شـهر رمضـان، ويخصـص كل ليلة لمعصوم مـن المعصومين الأربعة عشـر عليهم السلام وكان يحضر تلك المجالس الكثير من شباب النجف.

قصة كلمة التقوى

أجرى الحوار: محمد نعمان
البحرين

مـن وحي الآية الكريمـة ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَـةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَـقَّ بِهَـا وَأَهْلَهَـا﴾[1] ينطلق المرجع الشـيخ محمـد أمين زين الديـن ليؤلـف موسـوعته التـي تضـمّ بيـن دفتيهـا مكتبـةً فقهية متسـعة الآفاق، يتناول فيها سـماحته مختلف العناوين في عشر مجلـدات، يحتـوي كلّ مجلد كتابـاً أو أكثر ويتكـون كلّ كتاب مـن عدة فصـول، فيما يحمل كل سـطر ليالٍ مطوّلـة من البحث والتدقيق، تسـتخرج المسـائل حرفـاً حرفاً من بطـون محيطات العلوم لتنسج وتنظم في اتساق وتألق وتكوّن (كلمة التقوى).

تلك الرسـالة العملية الفريدة في الاتسـاع والمنهج، بكلّ مـا حوتـه مـن تميّز واحتـراف خطّهـا سـماحته بقلمه الشـريف ورتّبها ونسـقها ولم تكن لترى النور وتصل الى ايدي المقلدين

---

(١) الفتح: ٢٦.

ويتداولها العلماء والمهتمون، في ظل تلك الظروف الضاغطة لولا جهود المؤمنين وسعيهم الدؤوب في نقلها إلى شتى النواحي والأمصار.

البحريـن.. كانـت على موعـد مع ذلك النـور، وقد نالت شـرف طباعة وتوزيع (كلمة التقوى) ووراء ذلك الشـرف اختفت حكايات عيون سهرت وأجساد أرهقت.. واختفـت رجـال صنعـت أثيل ذلـك المجد وحملـت على عاتقهـا أمانة نقـل الحكم الشـرعي والعلم الذي ينتفع به.. والحاج سـيد مجيد سيد مهدي سيد فضل من أولئك الرجال، وهو أحد وكلاء الشيخ وكان له شرف القيام بالدّور الأساسي في نقل الرّسالة والعمل على طباعتها ونشرها.. ومعه نبحر الى عمق تلك الحكاية ونتوقف لديها..

حديثٌ يجذِبُكَ للإسلام

تقـوده الذكريات ونحن نلتقيه في مكتبه المتواضع إلى مطلع سـتينيات القرن الماضي.. كرزكان تعجّ بالبشر المتعطشة للدين، المتحلّقين المحدقين بالشيخ زين الدين، لم يكن من الشباب إلا القليل ممن يحضرون تلك المجالس العامرة، والشيخ يميّـز مـن يحضر ويحتفي بـه وتكون لجاذبتيه سـطوتها في النفـوس، وتكون لنظرة سـماحته تربيتها ورعايتها للوجوه اليافعة، نضـحُ ووعظُ وكلماتُ هادية وحضور لا تفوته مسألة كما لا يمكن أن يعبّر منه موقف للتذكير بالآخرة..

منسـوب الوعـي كان قليلا ومن يحضر الصلوات ومجالـس العلماء يقال له: (مطـوّع) وصلـوات الجمعة محدودة آنذاك.. الشـيخ إبراهيم المبارك، الشـيخ عبد الحسـن، حتى أن أحد التجار لم يكن يريد صرف الخمس إلا فيما يرى أنه للصالح العام من بناء مستشفى أو مدرسة ولم يعجبه تسليمه للمشايخ والسادة وتوصيله إلى يد فقيه أو وكيله، ورجع للشـيخ واسـتفتاه في ذلك فشرح له الامر وبيّن له أن أموال الخمـس مهما كبرت فهي من اختصـاص الفقيه.. هكذا كان الوعـي، والإقبال كان ضعيفاً على المعرفة الدينية ولا نبالغ إن قلنا أن هنالك نفور..

الشيخ كان يـؤمّ المصلين فـي فترة تواجده السـنوية.. ويحضر مجلسـه كبار السّن لذلك كان حضورنا ونحن في الثانوية ملفتاً فليس هنالك في مثل هذه الأماكن شـباب أو ناشئة، وسماحته يهتم بالشباب ويركز على التشويق ويطرح أساليب قوية في الجاذبية والاستقطاب فكان يحتضن الصغير ويوقّر الكبير ويشجّع الشباب على التفقـه والتديـن.. فكنا من أكثر المتأثرين به ونما فينا الشـعور بأهمية الالتزام، تأثرنا بأساليب التشويق للإسلام من خلال أحاديث وخطاب زين الدّين، كنا نحرص على حضور صلاته ومجلسه ونشعر بلذة في ذلك، ولا شك أن في ذلك أثراً تربوياً علينا لازال مسـتمراً حتـى اليوم.. تلك ذكريات لا تنسـى ربما سـلطت الضـوء على دور سماحة الشيخ زين الدين في الدعوة ونشر الدين، وكان لا بد من المرور عليها.

بداية التكليف

ويروي السـيد مجيد سيد مهدي كيف كانت البداية مع كلمة التقوى، وتحسّ فـي كلامه نبـرة الحنين إلـى صبيحة ذلك اليوم الذي تشـرّف فيه بزيارة الشـيخ زين الديـن في النجف الأشـرف، وأخبره سـماحته أنه يكتب كتاب الصوم من رسـالته، ويذكر السـيد أنه كان في زيارة مع عائلته إلى العتبات المقدسـة، ولكن برنامجه كان مع سـماحة الشـيخ وطلبته حيث كان يزور مجلسـه في كل يوم يقوم بنقل المسـائل ونسخها حتى نقلها كاملة وذلك أول ما وصل إلى البحرين..

وينقل السـيد أنه أتى بها إلى سـماحة العلامة الشيخ عيسى أحمد قاسم فكلّفه بطباعتها ونشـرها، وهنا بدأ التكليف وتحمّل شـرف الأمانـة، وعرضت على بعض الإخـوة من المؤمنين مسـاعدتي فاسـتجاب منهم الأسـتاذ محمد جعفـر الدرازي، الأسـتاذ ياسـين عبد الكريم الشهابي، والأسـتاذ جعفر داود والأستاذ ميرزا عبد الله الـدرازي والأسـتاذ عبـد الرزاق زيـن الدين، وأنضمّ إلينا بعض الشـباب كالأسـتاذ نادر عبد النبي السّـاري والأسـتاذ عبد الرضا محمد عبد الله والأسـتاذ عصام حبيل وغيرهم جزاهم الله ألف خير..

بعـد ذلـك كنـا نتواصل مع الشـيخ ونوصـي الزوار بـأن يأتوا بمـا يكتمل إلى العلامـة المرحوم الشيخ عبـد الأمير الجمـري، والـذي كان يتابع معنا فيمـا تابعنا سـماحة الشـيخ عيسـى أحمد قاسـم فيما بعد جزءاً جزءاً وكلمة كلمة.. حتى انقطع الاتصـال مـع سـماحته بسـبب الأحـداث والاضطرابات هنـاك وصعبـت المهمة، ولكنها استمرت بمتابعة من العلماء..

صعوبات المراجعة والطباعة

ويتحدّث السيد عن صعوبات تلك المرحلة التي لم يكن فيها تقنيات المطابع بمسـتوى الرّقـي الحالي قبل عقدين مـن الزمان، فالمطابع كانـت تتبع طريقة صفّ الحـروف والتي يعتمد فيها علـى الخبرة الأجنبية والآسـيوية بالتحديد، الأمر الذي اضطـره لمقابلـة مدير المطبعة لعدة مرات ونصحه بتشـغيل العرب والبحرينيين لما في ما جرى من خسارة للمطبعة ومضيعة للوقت..

ويشـرح السـيد بأن الوضع كان صعبـاً إلا أن الله وفّق فقد كان حينها مدّرسـاً ويتابـع بعـض الأعمال وكان علينا السّـهر فـي كل ليلة حتى وقت متأخـر في عملية المراجعـة فكنـا نتابع مـع المخطوط من سـماحته وقد كان خطه جميـلاً وواضحاً، ولكننا كنا ندقق كلمة كلمة، ومن ورائنا المشـايخ وبعض مالم يكن واضحاً نسـجّله كملاحظة لنراجعها معهم، كان الجزء يستهلك منا من المراجعة ستة أو سبعة أشهر فالطابعـة تعيـد إلينـا التعديلات أربـع أو خمس مـرات، وفي بعض الأحيـان نفاجأ بحذف سطر أو فقرة حتى مع المراجعة..

ويشرح السيد مستعرضاً بعض الأوراق والمخطوطات القديمة والتي كان يتضح فيهـا التصحيح.. انظر لا نترك الهمـزة والنقطة والفراغ وعلامات الترقيم، لقد كان الأمر مرهقاً ولكننا كنا حريصين أن لا يكون هنالك خطأ، وكل الهم يزول حين يوزّع الكتاب.

لقد كان مجلس السـيد في منطقـة الدراز هو محطة الالتقـاء والمكان تتم فيه

المراجعة، ويتذكر السيد تلك الليالي وحلاوتها، ولكنه يشير إلا أنها لم تمر بدون مفاجآت، فقد دخل أحدهم عليهم ذات ليلة وفي وقت متأخر بشكل غريب ومريب بحجة واهية!

وفيما يتعلق بالتمويل يوضح السيد أنه كان بالاقتراض من الحق الشرعي وإرجاعه بعد بيع الكمية التي لم تكن لتوزّع وتنشر حتى تنفذ، لقد طبعنا عدة طبعات من بعض الأجزاء، يقول السيد ذلك وهو يقلب في النسخ التي يحتفظ بها انظر هذا كتاب الدين طبع في ٢٩ ديسمبر ١٩٨٨م، كتاب الصيد والذباحة ١٩٨٩م، الصوم ١٩٨٧ الطبعة الثالثة أصبحت الصوم والاعتكاف ١٩٩٧ التجارة.

كتاب لم يرَ النور

وينقلنا السيد الى كتاب الشُفعة، وهو الجزء الثامن من كلمة التقوى والذي لم يوزّع على الرّغم من طباعته، ويضم كتب الشُفعة والعجالة، والعارية والوديعة وإحياء الموات، والمزارعة والمسقاة والسبق والرماية وكتاب الإقرار.. والذي أوكل إلى جماعة من الإخوة لمراجعته وطباعته في الجمهورية الإسلامية إلا أنه وبعد طباعته وجدناه مليئاً بالأخطاء وراجعناه صفحةً صفحة ولم نجده مناسبا لتوزيع لقد كان ذلك في بداية التسعينيات، ويشير إلى أن هنالك كميات كبيرة منه لم تزال مخزنة ولم توزع.

ويقلب السيد تلك الكتب والمطبوعات ويتأمل فيها مشيراً إلى هذه المسألة وتلك ليوضّح مدى دقة الشيخ وسعة ووضوح طرحه الفقهي.. ويعود بذاكرته إلى المسائل التي لم تكن واضحة وتأخذ في مراجعتها أسابيع وأشهر، ويعيد بأن المراجعة كانت متعبة ويذكر كتاب المسائل المستحدثة والتي كلّف الشيخ الجمري رحمه الله الأستاذ علي منصور الشهابي بها فأتبعه لكثرة إعادته من المطبعة، حتى حوّله على نفس الفريق.. فالأمر كان يحتاج إلى جهد جماعي وصبر.

مكتبة فقهية متكاملة

ويتذكّر السيد كيف كانت النسخ تنفذ بشكل سريع، وكيف كانت العلماء والنخبة وجمهور المؤمنين يتهافتون على كل جزء يصدر، ويصف كيف كان اهتمام ومتابعة القائمين على الموضوع من السيد جواد الوداعي والشيخ عيسى أحمد قاسم والشيخ عبد الأمير الجمري وغيرهم من العلماء الأفاضل، ويذكر كيف أن المرحوم سماحة الشيخ سليمان المدني قد وصف الرسالة بعد عدة أجزاء بمكتبة متكاملة في الفقه، ويضيف السيد أن أسلوب الشيخ في تناول المسائل ودقته وتمحيصه كان محط إعجاب الجميع..

نسخ ومخطوطات أغلى من الذهب

لقد بدا في نبرة صوت ونظرات السيد كيف يعتز بتلك الأيام، لقد أثرت تلك المخطوطات الوريقات الصفراء ذكريات غالية، فهو لا يزال يحتفظ بكل ورقة من أوراق المراجعة والتصحيح والملاحظات، كما يحتفظ بالنسخة الوحيدة للكتب والمنقولة من لدن الشيخ، ويعرضها مصوّرة ومجلدة بعناية في نسخ من القطع المتوسط، ومحفوظة في مكتبة خاصة.. هذا كتاب الطهارة وهذا كتاب الصوم وهذا كتاب الصلاة.. كلها من أغلى المخطوطات والنسخ.. إنها أغلى من الذهب..

ويعتبر السيد أن أيام «كلمة التقوى» من أهم الأيام في حياته، ويذكر مناقب الشيخ وذكريات تشرّفه بالصلاة من خلفه واحتفاظه ببعض التسجيلات والتي سلّم بعضاً منها للشيخ محمد صالح الربيعي. ويختم لقد تواصلنا مع أبناء الشيخ وتابعناه حين مرضه.. حتى اتصلو بنا وأخبرونا بفاجعة الوفاة وساعتها استعبرنا على «كلمة التقوى».

البحرين في وجدان الشيخ زين الدين

أجرى الحوار محمد نعمان
البحرين

كما أنبتت أرض البحرين علماء وفقهاء ومفكرين، كانت ولا تزال محجّاً لأمثال أولئك، ولم يشهد تاريخها فتوراً في وشيج العلاقة التي تربط العلماء الإسلامية، فعلى الدوام كان هنالك من يمرّ بها فتعتزّ بأيامة وأثره وآثاره. وآية الله الشيخ محمد أمين زين الدين من أبرز من عرجّ عليها فعرّجت به. فلم تكن كما كانت، فإن يكن سماحته قد ولد في (نهر خوز) بالبصرة، إلا أنه تواصله معها لم يكن كما كان مع كرزكان قرية آبائه ومنزله في البحرين، حيث ينحدر من أسرة علمية عريقة بحرينية الأصل سكنت تلك المنطقة المركز في زياراته التربوية التبليغية. وقد كانت له زيارات مماثلة لمنطقة سيهات والقطيف ضمن خارطة عمله التثقيفي والدعوي.

زين الدين عايش وجدان البحرين، وشكل مروره غير القصير علامة فارقة في ذاكرتها، فيذكر أحد رجالات كرزكان

وهو الحاج إبراهيم شـرار أنه صلّى الجمعة من خلف سـماحته أكثر من ١٥ سـنة.. طبعـت فيهـا بصمته وذكراه لدى أكثر من جيل من العلمـاء.. وذلك ما نحاول طرقه في الكلمات المتقدمة..

شيخ الشّباب

علـى مقربـة من سـنواته الأخيرة فـي البحرين يكـون له أن يتشـررّف بخدمته وصحبته التي لا تتملّك أحاسيسه وهو يدلي بشهادته التي تجاوزت أسلوب الخواطر والسرد الأدبي، يومها دخل في المرحلة الثانوية ولم يدرك أنه سيلتقي بأحد العظماء وسـيلتصق به.. بشـيء من الحنين يتذكر سماحة الشـيخ خليل الشاخوري ما مضى من سنوات نقشتها حلاوتها ومكانتها في ذاكرته وامتزجت بوجدانه..

يـروي الشـاخوري بأن لطف اللـه وعنايته قاداه إلى الارتباط بكبار السـن ممن دأبوا على حضور مجلس سماحة الشيخ زين الدين أيام نزوله، فكان أن تشرّف بخدمة الشيخ ومرافقته مع من كان لهم شرف ذلك، فيذكر كيف كانت تربية وتأثير الشيخ في جميع محيطه، فقد كان معلّماً لكل من يلتقي به وينقل بعض المشـاهدات التي عرف بـه مـن قبيل عدم رضاه بما لا يناسـب من القول في مجلسـه العامـر بالذكر والوعظ، فحـدّث مـن غير قصد أن دخل أحدهـم في غيبة وهو يتحدث من غير قصد فاسـتغفر له سماحته ثلاثاً بصوت في تجهّم، ونهى وزجر فكان ذلك درساً كبيراً لمن حضر..

لقـد بدا واضحاً تقريبه واهتمامه بالشـباب والناشـئة من أبنـاء جيلنا، فقد كان حضورهـم فـي المجلس والمسـجد يتنامـى، وكنا في اليـوم الذي نحسّ فيه برضا الشـيخ عنا نسـعد ونرتاح نفسياً على عكس إذا ما انزعج منا، ففي يوم كانت له زيارة لدمسـتان تلبيةً لإحـدى الدعوات، فحضرت مع المرافقيـن، وصلّينا الظهر وتناولنا الغذاء، وفي فترة العصر استأذنت على أمل الرجوع مع المغرب، أيامها كنت متولعاً بلعب الكرة فانشـغلت ولـم ألتق بسـماحته إلا في اليوم التالي، وأحسسـت منه عدم

الارتياح، وقد أكد ذلك سؤال أحدهم لسماحته عما إذا كان راضياً ومسامحاً لي لعدم عودتي فكان ردّه بأني أسامحه إذا كان أبوه يسامحه.. في إشارة إلى عدم رضا وكان ذلك عليّ من أشدّ الأيام.. إلى هذه الدرجة كنا نرتبط بأبوة الشيخ..

لم يكن الشيخ يردّ سائلاً، وعلى نحو الطرفة يذكر الشاخوري كيف أنه استوقف سماحته والحشود تنتظره في صلاة الجمعة، وسأله سؤلاً عادياً في الطهارة على مسمع الحضور، لا لشيء إلا ليقال أن فلاناً سأل الشيخ -على حد تعبير الشاخوري- فردّ عليه بلاا حرج.. لقد ربّانا سماحته على السؤال وحبّ طلب العلم، وذلك ما نما فيّ شخصياً فاتجهت للدراسة الحوزوية..

ويستحضر الشاخوري بعض المواقف المهمة من زيارات العلماء وتراودهم على سماحته، ويركز على زيارة لسماحة العلامة الشسخ عيسى أحمد قاسم وسماحة الشيخ عبد الأمير الجمري والتي قد تكون - إن لم يخب ظنه- أحد أسباب إعلانه للفقاهة، حيث كتب بعدها الرّسالة الصلاتية، ويضيف أن الشيخ أعطاني تعليقه الأصلي وطلب مني نسخه ولا أزال أحتفظ بتلك النسخة وذلك الإهداء التربوي والتعليمي..

مسجد الفتح

لم تقتصر زياراته سماحته الشيخ زين الدين التي تمتد من ثلاثة إلى ستة أشهر سنوياً على برنامجه التبليغي المعتاد، فبالاضافة إلى صلاته ومجلسه في كرزكان كان يزور مختلف القرى من الدير إلى السنابس، فكان موضع حفاوة من مختلف مناطق وأهلي البحرين، ويذكر سماحة الشيخ محمد جواد الشهابي صاحب كتاب (بين المكلف والفقيه) ومدير حوزة الباقر، أنه شهد أيام صباه افتتاح سماحة الشيخ زين الدين لمسجد الفتح بالدراز في سبعينيات القرن الماضي، حيث صلى سماحته وألقى كلمته حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتب ورقة خاصة لا يزال

القيمون على المسجد يحتفظون بها، كما يذكر كيف أنه حين يزور مجلسهم تختلف الاستعدادات وكل شيء في المنطقة..

وعن مؤشرات علاقته سماحته بالعلماء يتحدّث الشهابي عن بحوث مخطوطة وجدها في تراث العلامة المرحوم الشيخ عبد المحسن الشهابي، وكانت زهاء ستة دفاتر عبارة عن ردود ومراسلات تحدث في بعضها عن الفلك وإثبات الشهور، وكانت ذات قيمة علمية عالية، كما تحدّث الشهابي عن رعاية وأبوية سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورسالتيه فيما يبدو من نصوص وكلائه، وعلاقته الوطيدة مع وكلائه الأفاضل اللذين يتذكر منهم سماحة العلامة الشيخ عيسى أحمد قاسم وسماحة العلامة الشيخ عبد الأمير الجمري وسماحة العلامة السيد جواد الوداعي وسماحة الشيخ عبد الحسين الستري، وسماحة الشيخ محمد صالح الربيعي وسماحة السيد علوي الشهركاني..

وفي لفتة هامة يستحضر الشيخ محمد جواد الشهابي أثر الشيخ زين الدين في الحوزات العلمية في البحرين، ويذكر أن إنشاء الحوزة العلمية برعاية السيد جواد الوداعي كان بإيعاز ومباركة من سماحته، وان الحوزة تحتفظ برسالة توجيهية أرسلها سماحته للحوزة أوصى فيها بتنظيم شؤون الحوزة وعدد من الأمور الأساسية في عملها، ويقول الشهابي أنه لاشك أن لذلك كان بالغ الأثر في مسيرة الحوزة.

ويركز الشهابي على حرص سماحته قُدِّسَ سِرُّهُ على وحدة الصف وتماسك الأمة، الأمر الذي بدا واضحاً في أشدّ اللاختلافات الفقهية، كما يبين أهمية ما أنتجه سماحته والحاجة إلى دراسته وتسليط الضوء على حياته، كاشفاً عن كتاب كان يعدّه عن حياة الشيخ ولكنه توقف بعد نشر الشيخ الفضلي وبعض العلماء الأفاضل كتب تتناول سيرته وهم أجدر بذلك، إلا أن مساعي تتجدّد مع فكرة أسبوع الشيخ زين الدين الثقافي لتناول مالم يتم تناوله وتعريف الشباب والناشئة أكثر بشخصية آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدّين قُدِّسَ سِرُّهُ.

الخوف من لقاء جعفر بن محمد

لم يكن مستغرباً اهتمام وتشوّق سماحة السيد علوي الشهركاني للحديث عن الشيخ زين الدّين تتئثئ، وقد عايشه فترة من الزمن وشهد أيامه، وإذ تعود بالشهركاني أشرطة الذكريات يعود بنا إلى لقائه الأول وتشرّفه برؤية سماحة الشيخ في أحد مجالس دار كليب، حيث لم يحضر في البداية جمعته لتركيز والده على الصلاة من خلف الشيخ إبراهيم المبارك، إلا أن ذلك لم يمنعه من الصلاة خلفه وحضور مجلسه وجمعته، الأمر الذي ربطه أكثر بالشيخ ووضعه على جاجة الدراسة الحوزوية نتيجة لنصحه وتوجيهه ورعايته..

وحول جمعته يقول أنها كانت تربوية، وقد كان سماحته يستقرّ في البحرين لستة أشهر ليصلي تماماً وينتقل للتبليغ هنا وهناك، وكانت خطبته مكتوبة، وحتى التسليمات على اهل البيت مكتوبة، ولكل خطبة سلام خاص، وكتابته للخطبة تحرياً لدقة وحرصاً منه على محاسبة نفسه، والوعظيات كان يخاطب بها نفسه، والعجيب أنه يقرأ الخطبة ويتفاعل معها ويبكي بلا زيادة ولا نقصان ولا خروج عن نص الورقة..

ويركز الشهركاني في تناوله لشخصية الشيخ العالمة والواعية على حرصه على وحدة الأمة، حيث لم يكن يرضى لنفسه أن يطرح شيئاً غير الذي طرح، وعلى الرغم من معيشته في ظرف كانت له نظريات وآراء حول الساحة، ومع ذلك لم تعزله عن حمل الهمّ ولم يحمله حماسه الشخصي على تفريق الناس، فقد حرص على وحدة الكلمة على مستوى المواقف العلمية فلم يحرج الساحة، ولم يتحدّث عن التقليد على الرغم من آرائه المختلفة لحرصه على علاقة الناس بالفقهاء، فلم يفرد له باباً، وحين سئل من بعض الفضلاء أجاب بأنه يختلف مع الفقهاء في مسائل ويخاف أن يلقى جعفر بن محمد فيقول له.. فرّقت شيعتي! وذلك الخوف هو ما جعل سماحته

وفي أشدّ المواقف، بل وفي المداولات العلمية المعروف رأيه المختلف فيها وهو يسكت، حتى أن السيد محمد سعيد الحكيم يقول عجبت من صمته ولم يتكلم، ومدرسة الحديث تناقش.. وهو محدّث بارع يتداول في موضوعات الحديث، وهو يصمت.. وأحفظ له كلمة: لابد للأمة من كلمة توحّدها أو تقارب في الآراء..

عند ضريح الامام الحسين

وحول علاقته بالشيخ ﷺ يقول الشهركاني، وجدته مقلداً قائداً كاملاً يملؤني ويعطيني العطاء الكبير، وكنت أعتمد توجيهاته وأعترف بها، وإن لم أعطها حقّها من تقصيري.. آنسنا واستفدنا من توجيهاته الخاصة، أتذكر اهتمامه وحرصه على التربية في كل المواقف، فلم يفت معه موقف لا يذكرني فيه بالله، ولا ينصحني وينبهني إن أخطأت أو غفلت..

تشرّفت ذات مرة بزيارة الحسين عليه السلام في يوم عرفة ولقائه عنده، فكنا عند الضريح فكان أن حبّذ لي ونصحني بترك الخطابة والتفرّغ لطلب العلم، وقال لي: البحرين لم تكن البصرة.. البصرة ليس فيها علماء، البحرين يا ولدي بلاد الشيخ يوسف البحراني، تحتاج إلى العلماء فتوجّه واعلم بأنك بتوجهك لطلب العلم لا يعني أنك تترك الحسين عليه السلام، بل أنك تخدم الحسين وقال لي: ها أنا أكلمك عند الحسين وذلك ما يريده عليه السلام، فقلت له: يا شيخ أين أذهب كل تلك النصوص سأوازن بين العلم والمنبر.. فقال لي: لن تستطيع.. وفي مجال الخطابة يقول أنه قرأ مجلساً في حضرته في مجلسه في شهر رمضان، وقد تأخر الخطيب فدعاني للقراءة..

ما مشى إلى المرجعية

ويتذكر الشهركاني كيف أنه التقى سماحته في تلك الأيام العصيبة في العراق أيام الوفود على الشهيد الصدر ﷺ، وقد لبس غترة بحرينية حمراء ووجهه مبّيض

مني، وهو يتمتم بذكر الله ويقول فيما بعث في أنفسنا السكينة والطمأنينة: لا حول ولا قوة إلا بالله.. إنا لله وإنا إليه راجعون لا الشدة تدوم، ولا الفرج يدوم.. ولا نشعر بالفرج حتى تأتينا الشدّة.. وجدته حينها كأحد الأئمة يطوف بنا..

وحول مرجعيته يقول أنه بدأ بالفتيا في تعليقه على الرّسالة الصلاتية للشيخ يوسف البحراني، وقد عرف في البحرين منذ سنوات سبقت إعلان فقاهته بحلّه للمشاكل التي لا يحلها إلا الفقهاء، ولم يكن ليحثّ أحداً على تقليده عن مسألة فقال: هي هكذا إن كنت تقلدني فقلت له لا اقلدك، فلم يتأثر ولم يأبه، فقد كان يركز على أن يكون التقليد بصيرة.. وقد جئته بأحد الأخوة أراد أن يسافر الى لندن للدراسة فوجّهه ونصحه، بأن تلك البلاد قد تكون خير لك من بلاد الأسلام، فإن كنت تجبر على المعصية هناك فهناك لا جبر ولا قسر وهو اختبار للتقوى.. وأوضحت لسماحته أنه لا يقلد.. فقال لي أتركه حتى يتعلّم ويختار عن بصيرة

لم يمش إلى المرجعية رَحِمَهُ اللهُ وإنما جاءته -والحديث للشهركاني- ولكنها جاءته وسمعت بأذني سماحة الشيخ الشهيد مرتضى البروجردي يقول عنه: إنه يذكّرني برسول الله صلى الله عليه وآله، كما سمعت المرجع السيد علي السيستاني يقول: يذكرني بآل البيت عليهم السلام.. وما سألت عالماً إلا ومدح تقواه وورعه قبل علمه..

ارتباط علماء البحرين بزين الدين

وبالنسبة لأبوية وتربوية سماحة الشيخ زين الدين قُدِّسَ سِرُّهُ، وارتباط علماء البحرين به، يوضّح السيد الشهركاني بأنك إذا أردت أن ترى تربيته فانظر إلى وكلائه في البحرين، وقد أثرت عليهم شخصيته وتربيته، فالطابع العام لديه الأخلاص وهذا ما نجده فيهم، فإذا نظرت إلى الشيخ عيسى أحمد قاسم، فإنه يعطيك الكثير من الشيخ زين الدين.. في الخلوص، في الزهد عن الدنيا والاهتمام بالدين وحمل

همّ المسلمين.. أنا أراه تربيته، وأراهم تربيته، وكذلك الشيخ محمد صالح الربيعي، كيف هو إخلاصه وتلمّسه لهموم الأمة.. أنظر إلى السيد الوداعي بكل ما يحمل حفظه الله.. وكل وكلائه تربيته.. ولو أطلعت على نص وكلائه للشيخ عبد الحسين الستري حفظه الله، لوجدت ذلك المقدار من التربية.. الستري لديه روحية القبول بالدراسة لدى علماء من أعمار أولاده في قم.. لماذا لأنه ولأن كل وكلائه الفضلاء من تربيته..

ويتذكر السيد الشهركاني مترحما على الشيخ زين الدين والشيخ عبد الأمير الجمري، موقفاً مؤثراً يدلّ على الارتباط الروحي بينه وبين الشيخ زين الدين وإحساسه بأبوته ورعايته، فبعد عشر سنوات من الانقطاع عن العراق وصلتني صورة لسماحته قدسّ سرّه، وذهبت بها إلى سماحة الشيخ عبد الأمير الجمري، فوجدت أنه ارتاح نفسياً.. كأن هناك من أعطاه دواء.. وقال لي (إشسويت بيا؟!) ماذا فعلت بي؟ إن مسحته عليه واضحة..

لقد تأثر السيد علوي الشهركاني كثيراً بتلك الذكريات عن الشيخ زين الدين، وراح ينشد شعره الذي جادت به قريحته فور سماع خبر الوفاة الصاعق بعد متابعة يومية بالاتصال بالنجف إبّان مرض الشيخ.

نصوص شعرية

لقد كنت الأمين أبا ضياء

عبد الحسين حمد حسين

النجف/ الثالث ربيع ١ - ١٤١٩هـ

«محـمـد» مـذ افـلـت خبا الصباح
وسـاقـت لنا المـوجـعـات لنا جماح
و أرهـــق جـؤجـؤ ارمـــاه قنص
وهـيـض القلب لاهيـض الجناح
وســـير بـنـا إلى وجـد شـجي
كـلـون الـداجـيـــات لـه وشـــاح
فـلـلأضـلاع قـد شرعـــت رمـاح
ولـلـبـــات قـد صلتت صفـاح
وغـام الأفـق ليـت العين سكرى
ولـكـن نـادمـــت نفسي الجـراح
وكـــل رزيــــة فـإلى ...رواح
ورزؤك لا يعـفـيه الـــرواح

فـان يهـجع فـفـي قـلـب مبـاح وان يوقـظ فـفـي روح تبـاح

****

«محـمـد» إن يصب كلمي عثار فقـد تكـبى الـجياد وقـد تطاح
وان يـقصر لـدى جـلل بيان فدمـع الأولـيـاء لهـم سمـاح
وقـد تخرس من هـول المـنايا عمـاليـق والسنـة فصـاح
قطـفت وافـت اينعنـا ثمـارا وجـدت ومـا كراحـك ثـم راح
وحـزت لنـا المعـاني باستباق وليـس سـواك مستبـق وسـاح
ورحـت وأنـت انصعنـا ثيـابا فـلـم يعـلـق بـهـا جنـاح
ويمضـي الاكـرمون وقـد أريحوا ويبقـى الضارعون ومل استراحوا
ومـا عـندي مـن السلـوان إلا «ضيـاء» صـاغ غرتـه الصباح

****

«محـمد»يـوم إن رجـت الليـالي طاعـت كما الشموس لها التماح
وكـانـت شيمـة لـك لاتـباري وكـنت فيهـا غيـاثا يستماح
تمـد يـد الـقـرى لعفـاة رفـد كأنـك للعفـاة قـرى متـاح
وتنهلهـم بـعـذب مستسـاغ فنهـلـك فيهـم أبـدا مبـاح
لقـد كـنت الأمـيـن أبـا ضيـاء وزيـن الديـن عادتك السمـاح
وكـنت منـارة للعلـم فـردا وطـورا منـه تستقـي البطـاح
وإذ غيبـت غـابـت كـل نعمـى فـلا رفـد هنـاك ولا قـراح
وقـد حيلـت نشا ئـدنـا فشيجـا بفقـدك واستبـد بنـا النـواح
واوصلـنا الشـروق الى الغروب وطلقـنا الـمـراح فـلا مـراح
ومنـهـل الـفـرات عـراه ملح ورب هـوى يكـدره اجتيـاح

****

رَحيلك أبكي أمْ لفقدك أندبُ

سلمان مهدي عباس

النجف / ربيع ١٤١٩١

رحيلك ابكي أأم ليومك انــدب
وما أنــت إلا شمسُ عِـزٍ وكوكبٌ

وما أنــت إلا بحرُ علم وجدته
إلـــى خوضـــه اعـــد واحســب

كـذا مــدّك الغالـي الثمين نعدّه
مِـــداداً إلى اليوم الشدائد يُطلـبُ

ألا أيهـا الحـــاوي العلوم بفكره
حييــت بفكرٍ للهدايـة مركب

تقيّ تقود السالكـين إلى الهـدى
وتقطع شوطا والحصيلة مكسب

لقد قلت ما هـذي الحياة و أهلها
تــزول ودرب الخالديـن مطلب

ألا أيها الـثـاوي الدفـين بـرمسه تضَّوع رمـسٌ باحتوائـك طيّب
ويـا زائــراً روض الجنـان يضمـه مقامٌ جليل بالحفاوة يـنـضـب
لحقت بركب الخالديـن و أنت في مقامك أسمى في اللحاق وأرحب
فان كان قلب الفاقديـن مروّعـاً فروعة مفقودٍ بمثلـك يصعـب

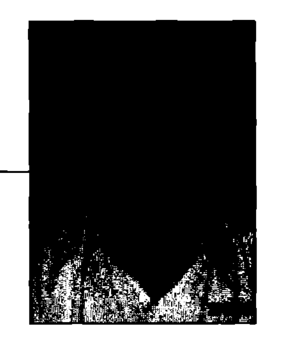
****

رحيلـك ابكي أم ليومـك اندب وادمـع عيني كالمناهل تسكب
تجـرح جفني يوم فقدك والقـذى تجمع في عين لشخصـك ترقب
وكـــم هـي آهــات اعـــد ليلهـا فتسطو على القلب المروع فتغلب
وتجمعـني من الآتيات من البلـى لا أسقى بكاس من بالمرارة يشرب
وكـم هـي لوعات وقلبي يضمها إلـى ليل أحـزانـي وفقدك غيهب
ومـا تيهـي فـي واد أسير بغوره ومالـي مـن نـور أليه اذهـب
لقد كنت يا زيـن الديانـة ماثـلا بعيني ودربي دون شخصك يصعب
فقدتك يا شيخ العلـوم كفقدتـي لخير عزيز كان للـروح مطيـب
وأنـت إلى وجـه الحياة وزهوهـا شهاب إلى بيت باسمـك ينسب
فيا خير معهود عهدتـك للحمـى فعتبي»ولكن ما على الدهر معتب»

****

رحيلك ابكي أم لفقدك انـدب وما قلمي عن فيض علمك يكتب
ومـا الكلمات المتبعات بأحرف سيذكرن يوما ما أقـول و أطنـب
عـديـد خـصـال قـد تـعـذر عـدهـا يضيع بهـا العداد عـدا فيتعـب
فكم هـي آيــات وعلـم حملتـه لقد كان درسا والـدروس تقتـرب
لقد كنت فينا بيرقـا ومنـارة وكنت كتاج فوق علمك ينصب
أخـذت طريق الله بابا ومنفـذا وكنت لدين الله دومـك يرغـب
سعيـت لرفع الحق والحق واضح وكنـت-و ايم الله للحق مـأرب

فما مـت يا زيـن العلوم و إنما ضيائـك باق في مكانك يـداب
ولي بابتهـال الغر من آل احـمد بان يعزز شأنك أنت فيه مرتـب
سـلام على زيـن الديانـة كلمـا يمر لـه ذكــر فذلـك يوجـب



يا أيها الزين الأمين

الشاعر/ عبد الحسين حمد

خطب الزمـان أهانـني ودهانـي
فشكـوت عنـد «محمـد» أحـزاني

يا أيهـا «الزيـن الأمـين «تعاقبـت
نـوب علـيّ فسهـدت أجفانـي

ولـرب معسرة ينـوء بهـا الفتـى
ولهـــا باصيـد خـير يسـران

و أنـا الـــذي لـلان لم تنبـس لـه
شفة بضعـف رغـم كـل هـوان

لـم افتـتن بنضـار سلطـان ولم
الهـج بـغـير عبـادة الرحـمـن

ومــــودتـــي»آل الـنبـي محمـد»
فلـم بـشعـري انفـس العقيـان

لـم انتهـج سبـل النفـاق تزلفـا لكنـني اصحـرت فـي إيماني
اصحـار «أهـل الكهـف» في إيمانهم هربـا مـن الإضـلال والزيـغـان
واليـوم إذا أشجى فـؤادي غائـل يممـت سـاحـك بالـذي أشجاني
و أقمت رحلـي عند غيث هاطـل واخـالـه فـي سحـه يـرعـاني
وقـد سكـت عـن السؤال تعففـا حـتى تعـاضـل غائلي وزمانـي
ورمتـنـي الايـام في فقـر علـى داء اســاخ تجلـدي وكيـانـي
«لم يبـق عنـدي ما يبـاع بدايـن» إلا قـوافـي صنتـهـا واغانـي
ولقـد ابحتـك مـن لالـيء درهـا مـا لـم يفـق بـلالـيء وجـمان
اني رايـت بك الاوائـل في النـدى وراء الاوائــل لـم تثـن بثـان

****

إمام التقى

عبد الأمير جمال الدين

رحلت إلى العالم الأرحب
بطهر ملاك وتقوى نبي
فكنت مثالا بدنيا الهدى
لكل فتى مؤمن طيب
تسير يصمت بدرب الحياة
يفسر للناس معنى الأبي
وامـا كـتـبـت تـكـن أمـة
يجمعها الحرف في مكتب
يراعك في ليلنا قطعة
من الشمس تمحو دجى الغيهب
وإيمان قلبك لم يقترب
له الوهن يوما ولم يتعب

يفيض حنانا بكل الجهات | يضم البعيد إلى الأقرب
وطبعك كان الهدى والندى | كما النبع يسقي ولم ينضب
أبا الدين لما أنت اثكيه | فأضحى يتيما بغير ب
وبعدك من يسعف المعدمين | ومن لليتامى وللسغب
اعد لنا سيرة الاكرمين | من الال في الزمن المحدب
زهدت بدنيا الورى عزة | وقلت لها عن طريقي اغربي
وكان بوسعك إتيانها | وأنت العظيم بلا منصب
فيا حجة الله يا آية | سولى مركب الحق لم تركب
لك الله من عالم عامل | تدرع بالصبر لم يغلب
ولله أنت ربيع هدى | افاض لنا الخير لم يجدب
أمام التقى هذه مهجتي | تحوم على النبا الملهب
فيحرقها بادعاء الفنا | وتذرى ريح الأسى المغضب
أخاطبها أن تضني الرى | كما انهم زعموا تكذبي
فما مات من كان له قلب | تجلبب بالدين والمذهب
وما مات من كان هذا | الضياء يسير على نهجه الأرحب
فتى نهل العلم من والده | عظيم فما اعظم المشرب
به يرفع المجد بنيانه | بعزم من الأصيل الأغلب
يقح لنا الفخر في شخصه | فتى مثله ألام لم تنجب
فيا جامع الشمل في كلمة | تساميت في رأيك الأصوب
سيبقى سراجا يشع سنا | ووجه معاليك لن يختبي
وتسمو عن الموت في ذكره | سمو المسيح عن المصلب
عجبت لميت يروم الرثاء | لحي أقام ولم يذهب
ولو انه قد رثى نفسه | وناح على العمر لم اعجب
إذا مات من بيننا عالم | يعيش وان عاش لم يحسب

احب التقى وهوينا الدنا ... وما هويناه لم يحبب
فكان بكانا على فقده ... بكاء الفتى النادم المذنب
فهل صدقوا أن شمس الضحى ... بنعش تشيع في موكب
وهل صدقوا أن جثمانها ... يصافح بالرأس والمنكب
إلا من مجيري من ذا النبأ ... ومن هوله القاتل المرعب
فقولوا لي الشمس لم تنكسف ... وخلف السحابة لم تحجب
تحدث بعزم هجوم الافوال ... نهارا وفي الليل لم تغرب
فكيف اصدق في ساعة ... هوت في ثرى الأرض كالكوكب
سلام أخضبه بالأسى ... وبالحزن من قلبي المتعب
احييك بالشعر واحسرتاه ... ويا خجلة للشعور الصبي
لقد حسر الطرف دون الذي ... قصدت ولم يات بالمطلب
ولكنها العاطفات التي ... كشخصك لك ترث او تندب
وما أنا إلا بقايا الوفاء ... وبعض من الحب لم يكذب
فلا تنكروا الوجد أني به ... فقدت كياني أفقدت أبي
وماذا على الصب لو انه ... يحث خطاه على المسرب
فيا راحلا لجنان الخلود ... سلام على قلبك الطيب
ويا صاحب العصر حق العزاء ... لشخصك يا سيد المذهب

هو الشيخ الجليل

سلمان بن مهدي عباس عباد من آل شرف الدين العاملي الجبعي
النجفي اللقب بالعبايجي
الجمعه/ ١٩ ربيع ٢ ١٤١٦هـ/ ١٥-٩- ١٩٩٥م

أبيـات مهـداة لجناب آية اللـه العظمى سـماحة المجتهد الأعلـى الشـيخ محمد أمين زين الدين أدام الـه ظله وأبقاه ومتع المسلمين بدوام بركاته.

رعـــا الله زيـــن الـــديـــن شيخا
أمـــد بـعـمـره حـبـل الحـيـاة
تـقـي زاهـــد ورع مـثـال
إلى الـتـقـوى وخـير الـصـالحـات
هـو الشيخ الجليل ونحن ندعوا
لـه بـالخـير في وقـت الـصـلاة
لـه في الـديـن والـدنـيـا سـمات
تجـلـت في الـعـلا فـوق الـسـمات

فعلم الفقه مكنه اقتدارا ... بطاقات تقام على الثبات
له في الاجتهاد اجل رأي ... و أصوب فكرة في الشاكلات
له الإسهام في التأليف يحكي ... مفاخر جهده في المضنيات
لقد سهر الليالي وهو كهل ... وجند فكره للباقيات
وقدم للشريعة خير زاد ... سيبقى خالدا كالخالدات
علامات الزعامة فيه بانت ... بآيات بدت كالنيرات
شهاب ثاقب بالحق يزهوا ... وسيبق بالطلوع الطالعات
مكانته لصدارة وهو يقوى ... إلى نيل العلا والعاليات
رعا الله للإسلام عونا ... وللدين الحنيف سليم ذات
وامنحنا الرشاد على يديه ... سلطنا الدرب درب الغانمات
ومتعنا بظل منه باق ... و أبقى قادة العلم الحماة
فزين الدين فيه الدين زين ... وفيه النيل نيل المكرمات
ومنه عزمت الأيام تدنوا ... ليصبح في التقى رمز التقاة
ويصبح فخرا يوما فيرقى ... لمنبر بحثها في الغامضات
كفى بالشيخ مجتهدا تقيا ... ففي فتواه حل المشكلات
بيان واضح بالعلم يسموا ... وللفقه احتواء من الشتات
رسالته استتمت حسب علمي ... وان لم اطلع بالمحتويات
و اني كم وددت على اقتناء ... لها يوما وان بملومات
و اني آمل «بضياء» علم ... سيأتينا بها في الممكنات
فذا فرع ونعم الأصل منه ... على نفس الأصالة والصلاة
فهذه حكمة الأيام تبقى ... إلى الأنباء موروث الصفات

يا آية الله

ضياء الدين الخاقاني

تساقط الفجر لم يجد النهى حذر
أصبت سارية الإسلام يا قدر
رميت لم تخط شلت منك صائبة
يد تكور في راحاتها القمر
تطاولت حيث لا تنوش كف ولا
يمتد ما اتسعت أرجاؤها النظر
وقفت موقف مولور جنت يده
في ساحة الدين ذنبا ليس يغتفر
زحفت والشمس في علياء مطلعيها
فما توقفت إلا وهي تنحسر
يا ناعي الفجر قلب الصبح مرتجف
رعبا وعين لضحى بالدمع تنفجر

ومشرق الشمس لا نور يلوح وقد عم الظلام لان الشمس تحتضر
من المعزى وقد مات اليقين فكم يبكى الكتاب وينعى مكة الحجر
من المعزى أيدري المسلمون لمن سار القضاء وفيم ارتجت النذر
اجل قد استيقظ الغافون أسلمهم لليأس من نذر المستقبل الخطر
تناقلوا الخبر استقصى مشاعرهم بما يصور من إحساسها الخبر
مات المعلم مات البحر سارحة على الشواطئ من أمواجه الدرر
هو الأمين ابن زين الدين ما ازدحمت على يد كيد به إلا نجم الزهر
محمد الوهج الساري منوره به المسالك مزهو به السفر
سرنا به الدرب ما زلت بنا قدم يوما ولا انهار بالسارين منحدر
واليوم حيث فقدنا الشمس موحشة ربوعنا مستقر بينها الكدر

****

يا آية الله هل للأربعين فم ليستفيق على الحانة البشر
كلا فمن بعدك الأيام واجمة وكان فيك فم الترتيل يتبشر
خطى لك الحتف فالأفكار حائرة وروع المنبر المحزون والسور
خطى لك الحتف فاهتزت لخطوته عوالم وانحنت مكسورة عصر
تسير في نعشك الأملاك رافعة به المعارف والعلم الذي ادخروا
المسلمون سكوت أين منطقهم وق سكتت وأين الصارم الذكر
يا صاحب القلم الهادي إذا انتدبت للرد أوعية الإسلام والزبر
كم وقفة في بطون الليل واضحة فيها المعالم حيث الحق يزدهر
وقفتها فإذا المستاسرون هووا وكلما اكتسبوه انهم بقر
أقمت مدرسة الأخلاق ملتحفا رداء جعفر وهو الصدق والعبر
وجئت بالقائم المهدي ملحمة من الشواهد لا ينتابها خور
فكان في نظرات المفكرين عمى وكان كالنور في رؤيا من انتظروا

سددت كل دروب الواهمين هدى بما اعتقدت فجزت الدرب واستتروا
ولم يروا للرؤى المرضى معالجة إلا بما شع في عينيك فانبهروا
نقول تكتب تستفتى تراجمها حقا نقا كل منك معتبر
تصارع الشك والتضليل منتزعا يراعك الحق إن الدرب مختصر
الضعيف عندك أن لا يرتجي قلم يصول فيه إن القوة النظر
فما ونيت وكان الداء منهجه لديك ولكن حكم الله منتصر
فكان يومك سوقا نستعاد به مآثر يصلي فيه من حضروا
كنت الرجاء إذا ما الحوزة أختنقت فغيبتك بما لايرتجى حفر
واحسرتاه لها عين مقرحة وخاطر برياح الموت منكسر

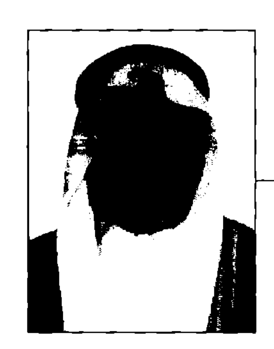
****

سر للجنات فقيد العلم ناطقة بما وهبت لنا الآثار والسير
تلك السنون لو استنطقتها التهبت بالنور تشرق من لئلا ته الذكر
تلك السنون اعتصرنا من توهجها إيماننا وكذلك اليوم يعتصر
زرعت من كوثر التقوى سنابلها و أثمرت فاستطاب الزرع والتمر
حملتهن جبالا لو جريت بها على لمحيطين فافاضت دونها الجذر
وقد تهت إلى الشاطئ بفضل يد بيضاء لم يوه من اعواقها الخدر
واليوم تشرق في التاريخ دانية قطوفهن كما يستثمر الشجر
هذي حياتك سفر خالد حفلت به الروائع وازدانت به الصور
وتلك آيات مجد قد فنيت بها وكنت لضعف جسما وهي تعتمر
تبقى مدى الدهر لم يطف ابتسامتها ليل وهيهات أن يغتالها كبر
خلود ذكراك دنيا أنت خالقها ماذا استفاد الردى هذا هو العمر

****

انا فقدناك والأحداث صاخبة والرعد يرجف والأوهام تنتشر

والـمـارقـون عن الإسـلام صاعقة سهامهم ودعـاة الكفر يأتمر
انـا فـقـدنـاك فـالـفـتـوى مـروعـة وطالبوها كـالـزر عـافـه المطر
مـولاي فـي ساحة الـفـردوس كن سندا لنا فـان دعـاء منك ينتظر
لا صدق الله حلم الشامتين ففي حضيرة الغيب ما يشدوا به الأثر
ونحن جيرة آل البيت حيث رست أمـا لنا وازدهـت أيامنا الغدر
مـعـونـة بـامـام الـعـصـر عذتنا وبـالـعـقـيـدة والـقـرآن تنتصر
يا صبح لا راعك الناعي بفقد أب بـر تـنـور فـيـه الـبـدو والحضر
ففي ربـوعـك للعرفان مندفعا بحر فـي كـل فجر منك ماتمر
يـا صبح لا جـف ينبوع تعاهده بالري في النجف المحبوب مختبر
ويـا ضـيـاء انـتـظـر يـومـا يرافقه ضـحـاك وهـو لـمـا تـهـواه
يـومـا تـعـود بـه الأيـام حالية ويستفيض عليه بوحك العطر
لـحـوزة العلم مـن إشـراقـه ألق وللحقيقة فـي آفـاقـه مسمر
أبا علاء ارتضيناك الباسطون يدا لمن يجور وحياك الأولـى نطروا
فسر لما هـو مـرجـو وكـن نسبا تحبوا إليه إلينا ما حيث ما انتشروا
ويـا عـراق بـك الأرواح طافحة حبا وفيك الأمـانـي صانها وطر



كنت لنا الضياء أبا ضياء

الدكتور عبد الواحد الشهابي
البحرين

عــــزاءً لــلــرزيَــة واحــتــسـابـا
وإن فـاقـت رزايــانــا الـنِـصـابـا
ولــو سُـئـلـت عـلى قــدر الـرزايـا
لــسُــيِرت الجـبــال لهــا سرابــا
بــلى مـــادت ودكـــت اي دك
وطـبـقـت الـــرواسي والـشـعـابـا
ومـــا دقـــت عـــلى فـطـن لبيب
وإن خـفـيـت عــلى غُــرٍ ذنـابـى
فــهــذا الــديــن يـنـثـلـم الـتـيـاعـاً
تـكـاد حـشـاه تنشعب انشعابا
مـــبـــادؤه تـــعـــزيهـــا أصـــول
عنيت بعرضها عـرضـا عجابا

وقد يسرته للناس وردا ... ينابيعا تفجرها عذابا
وهذي السنَة الغراء حسرى ... تعزي صنوها السامي الكتابا
ألم تكن الدليل لنا فأودى ... ونخشى بعد تيهاً واغترابا
وكنت لنا الضياء أبا ضياء ... وما كنيتَ لغواً بل حسابا
فكنت الشمس مشرقة فزالت ... وكنت البدر وضَاءً فغابا
وكنتَ أبا لهذا الجيل براً ... غرست به الفضيلة والصوابا
وكنت له المعلم والمربي ... فزقَ العلم زقاً واكتسابا
فإن تسأل أجبت بفيض علم ... وخلقٍ بل وأجزلت الجوابا
وإن يُسأل سواك لوى غباءً ... وأوهم أن تجاهل أو تغابى
بكتك طلائع الايمان حزناً ... فقد محضتها النصح اللبابا
ونشَأت الشباب فكان جيلٌ ... على الدرب القويم غدا وآبا
وحصَنت الفتاة هدى ووعيا ... وصغت من العفاف لها الحجابا
فإن تهلك فما حيٌ بباقٍ ... وكان مماتنا أجلا كتابا
وإن نبكِ فأنفسنا خسارا ... وإلا فالفقيدُ زكا وطابا
تغمدهُ برحمتهِ كريمٌ ... وأجزل في النعيمله الثوابا
فيا شيخ الشيوخ إليك منا ... تحياتٍ معطرةً رطابا
وإن تك من قلوب قد كواها ... رسيس الوجد تلتهب التهابا

فيالك عالما أجريت بحرا ... لفقهِ الدين زخَارا عبابا
قضيت العمر يوماً بعد يوم ... تفصله لنا باباً فبابا
عنيت بكل مسألة فجاءت ... كضوء الشمس ساطعة شهابا
برِئت من الغموض فلم ... تعاضل ويسرت العبارة والخطابا
فلم توعر لسالكها طريقاً ... ولم تُرْتِجْ على المجتاز بابا
وما كَدِرَتْ لمرتادٍ عيوناً ... وما أَسِنَتْ لمرتشفٍ شرابا

وقد أبرزتها كنزاً عظيما تأبى أن يذام وأن يعابا
وهل كانت كنوز الأرض إلا صخوراً في الحقيقة أوترابا

ويا لك من خطيب إن تصدى بخطبته تظللنا السحابا
يَشدُّهمُ بروعتها انبهارا فليسوا يملكون له خطابا
يوقعها على صوت مهيب إلى الألباب تنساب انسيابا
فيوقرها نفيس الوعظ حيا يكاد سناه يلتهب التهابا
فيجهش كل مستمع إليه ويذري الدمع ينتحب انتحابا
فقرَت نفسهُ وصفتْ ولانت وأقصر و ارعوى وعنا وثابا
فأحرِ بها وقد خلصت وطابت من المولى دنوًّا و اقترابا

ويالك كاتبا أدبا رفيعا ضربت به إلى العليا قبابا
يدبِّجُه يراعٌ عبقريُ يمور به الهدى نوراً مذابا
فيا تُرْباً ضممت إليك تبراً ومِسْكاً في الرفات فطب ترابا
وجاد ثراك وَسْميٌّ سكوب من الرضوان ينصب انصبابا
فهل واريت منه غير فرض تُقُبِّل أو دعاء مستجابا
كفاه من فضيلته حنوطا وأجزاه من التقوى ثيابا
تُؤبِّنه مآثره البوادي حواسر عن مناقبه النقابا
فكيف ضممت طودا مشمخراً تكاد ذراه تجتاز السحابا
وكيف وسعت بحرا قد ترامت بلا حد شواطئه رحابا
وكيف سفت عله بك السوافي وكان العيلم الفذ المهابا
ضممت شمائلا كَرُمَتْ وطابت وأخلاقا مطهرة عذابا
صفاء سريرة وبهاء وجه تأبى أن يعكر أويشابا
تراه فلا ترى سرا وفيه من الأسرا ما يعيي الحسابا

فــإن تـخـبـر فـأنـقـاهـم جيوبا   وإن تـنـظـر فـأطـهـرهـم ثيابا
وإن تـرحـا فـمـا رحـلـت هـوامٌ   مـن الأعـمـال سـحـاً وانـكـابـا
ضمنت بـكـل صـالـحـة نصيباً   يـضـاف إلـيـك تـكـرارا ودأبـا
قضى الـبـر الـرحـيـم إلـيـك أرخٍ   بـبـر فـي نـعـيـمٍ أن تـثـابـا
ولـيَّ العصر غـاب الشيخ عنا   وكـان لـنـا الـدريـئـة والمئابا
فـعـذراً يـا مـؤمـل إن جـأرنـا   بـمـا شـقـي الـفـؤاد بـه فـذابـا
فـدنـيـانـا بـراثـنـهـا حـداد   تـمـزقـنـا وأنـيـابـا غـضـابـا
فما مـرئـت على سـغـبٍ طعاما   ومـا سـاغـت على ضـمـأٍ شرابا
رآهـا الـكـيِّـسـون كـذاك زيفا   فـمـجـوهـا ازدراءً واجـتـنـابـا
فـمـا بـاتـوا يـؤرقـهـم غـرور   ومـا انـدفـعـوا يـأمـون السرابا
فـسـاقـتـهـم يـعـنـفـهـم بـنـوهـا   فأخضعت الـنـواصـي والرقابا
ودهـر قـد تـمـادى وهـو فـظٌّ   وقـد فـاقـت شـراسـتـه الـذئـابـا
وسـامـتـنـا بـنـات الـدهـر خسفا   تـجـرعـنـا الـمـذلـة والـعـذابـا
وبـيـن يـديـك تـاريـخ طـويـل   به الأحـداث تضطرب اضطرابا
فواعجباً لصبرك كيف تُغضي   عليه ولـم تـنـاقـشـه الحسابا
ألـم يسقم جـوادك من جمام؟   ألـم يـسـأم مُـهَـنِّـدُكَ الـقَـرابـا؟
فَـشِـمْـهُ مـرهـفـاً واشـرعـه لدنا   وأرسـلـهـا مـضـمـرةَ عـرابـا

١٩٩٨/٧/٣٠



إلى شيخي

حميد الخاقاني

أُعـيـذُ فِـكَـركَ أن يـودي بـهِ الزمنُ
وَان يُكبلَ مـا حـررّتَـهُ الكَفَنُ
مَـنْ كـانَ مِن وَهَـجِ القُرآنِ جَذوتُه
هيهاتَ يَرقى الى لألائِـهـا الوَهنُ
وهَـلْ يلفُّ الـثَرى فِـكـراً منابعُهُ
مِـنَ الـوصيِّ عَـليٍّ غيثُها الهـتِـنُ
يامُعصِراً مِـن حنايا روحِـهِ شُهُباً
سارتْ عَلى هديِها في الغَيهبِ السُفنُ
مـرّت ثـمانـونَ لا عـزُم أُطـيـحَ بهِ
وَلا الـيراعُ مَشى في عـودِه اليفنُ
مَـن للطليعةِ اِذ هـوّمـتَ محُتسباً
اَسلمتَها لصحارٍ فجرُها دجَـن

لَولَم تُطأطيء -لثقلِ المجدِ- رأسَ عُلىً ما كانَ للموتِ مِن مَرقى عُلاكَ دُنو
فَنمْ قريراً بِما أَسدَيتَ مِن مِننً أجلُّها اَن يفيها مِقولي اللّـلدِنُ
أَدمى الفؤادَ مُصابٌ قَد دَهى جَللٌ أرخّتُ: «لا فارقتْ زَرْعَ الصَّفا المِزَنُ»

١٤١٩



يا أخا البدر[١]

السيد مهند جمال الدين

عـطـاؤك مـن فيض الـغـمام منصب
وحرفك من وهج العقيدة لا يخبو

تشد ظـلام السائرين الى الضحى
ليحنو على طـول الطريق لهم قلب

وتحــرس مــن حـبر الـــدواة مبادياً
تلوذ بهـا الاقــلام والمنهل العذب

وروحك سالت في الكؤوس عصارة
فـما شربــوا إلا ومــن نفحها عبوا

حـيـاة لازهـــار الخـلــود نـذرتهـا
وكـانــت الى غـير التطلع لا تصبو

(١) ألقيت القصيدة في حفل التأبين الذي أقامته أسرة آل جمال الدين لمناسبة رحيل الشيخ محمد أمين زين الدين، في منطقة السيدة زينب بدمشق.

وفي حللك الايام تومي الى العلى فما عاقها نـأي ولا هدها كرب
ثمانين اضرمت السنين مشاعلا تراقص في انوارها الانجم الشهب
ومـا برحت تفي الـظـلام بعمرها ويمطر من افنانها الغدق السكب
وحملتها ان تسكب الفجر والرؤى إذا ما تخطى في علائقنا الجذب
امانيها فـوق الـنـجـوم توسّمت وقد ضاق في احلامها الافق الرحب
وما زال في أغلى الكنوز نماؤها واعظمها تلك الرسائل والكتب
وهـوّمَ جفن النجم عند افولها وضـج لها في كل خافقة نحب
فحن الـى تـرب البسيطة جسمها ليستاف من الطيب والبسمة الترب
أخا البدر قل لي كيف خلقت احرفاً يمور بها حتفٌ وتغمرها حجب
وأنـت الـذي طوعت سر خفائها ليرتادها الامـي ويلثمها الصب
واجـريـت فيها مـن بيانك سرحة تأنق في سلسالها البارد العذب
فيا ملهم الافـكـار نـوراً وحكمة ويا صاحب الاراء ما عافها الصحب
ويا نازف الاوداج بالحلم والنهى ويـا لغة الاجيال يحرسها الرب
اتغفو وقـد عاهدت طـلاب دوحـةٍ لآل الرسول الطهر غايتها تربو ؟!
وانـت واخـلاق الـربـيـع وعطره أخـلاء في بوح النسائم قد شبوا
ويـا آخـر الاقـلام سيفك لـم يزل مضيئاً.. الى كشف الحقيقة لا ينبو
اذا حاولت في البحث كفك وانبرى جلياً على اعتابها يخفق اللب
تبنيت ان الـحـق يـعـدو بروحه ويملي الذي قد كان يخنقه الرعب
ومن نجد في العلياء يرجو سناءها فلا غرو ان يدنو باصبعه القطب
عميد حماة الدين اشكو تحرقاً وحزناً تهادى وسط ادمعه العتب
فقدناك والـنـأي الـذي حـل بيننا وان كـان مقضيا ولكنه صعب
فـقـدنـاك إذ لـم الـظـلام شتاته ورح الى الغد الرخيص لنا يحبو
ومـال الـى صـوب النهار يريعه مخافة ان يشدو بأيامنا الخصب
فمازال درب الطف يخنق روحه ويبحث عن انفاسه ذلك الدرب

ويــا اخــوة الايــمــان قلبي بنبضه ينــاديكم حرصا ويلفظه الحب
فــإن الــذي يسعى لتدمير أمــة حرام بان يرقى له الوصل والقرب
ومن كان في احشائه الحقد نابتا فلم يجده النصح الكثير ولا الطب
يبادلكم غــدرا ويرمي صفوفكم بسهم لـه فـي كـل ناحية حزب
وعالمنا خلف الكواليس صوته ينام به الصدق ويصحو به الكذب
فقد راح يدمي غيظه بشموسنا ليفنى على صدر الغري له ذئب
ومـن كانت الافـلاك تحنو لنورها ويقفو على آثارها الشرق والغرب
تـنـاهـبـا جــور الـطـغـاة وغالها فيا نعمة الالـبـاب بددها النهب
ولكنما يطفي لهيب عذابنا رجال الى حفظ العقيدة قد هبوا
تـآخـوا على سـد الثغور بعزمهم وصـدوا لها شراً وعن فجرنا ذبوا
حماة هدى التحقيق والفكر والحجا واقلامهم درع النبوة والعضب
ومـدرسـة الاجـيـال يبقى سناؤها على (النجف) الزهي وان عظم الخطب

في حضرة الشمس

ابو ذر الصغير

يا آية تشرق بالزهر

على موائد المساء

يالغة تهتف بالفجر

وتستدعي بقايا المجد

ما مُتَ اذ كيف يموت

الفكر يا صاحب هذا

القلم المعطاء

ما مُتَّ يا سليلنا الغافي

على النهر ويا فقيهنا

المكابر

هذا اوان روحنا وفكرنا

المثابر

لا لم تمت

لكننا نحن الذين هدنا الموت

وضعنا في مدى الصحراء

غادرتنا ولم نكن نعرف

من غادرنا

يا زهرة الضوء التي تشرق انبياء

وجهك عشب الارض

صوت الله ابعادنا

المحترقة

عيناك عنوان دم منتفض

وزنبقة

لذا توضأتَ بماء جرحنا

حين رأيت ارضنا

ونخلنا يصلب فوق المشنقة

انت النخيل الغض والشط

الذي اذن بالرحيل

لذا قتلناك اذن

لكننا كنا وما زلنا نراك

دائماً شريكنا وهمنا

الدائم

والقاتل والقتيل

الى الطليعي المؤمن

الاستاذ احمد القاضي

الى روحه الطاهرة..

الى (الطليعة المؤمنة) الباحثة عن الطُهر هذه.. التمتمات

ـ ١ـ

تفترش الارض خدها

لتلثم تلك الخطى الخظراء

تخطر على ايقاع في الداخل موزون

هناك.. تعشب الروح بشذى الانفاس الممرعة

تنحسـر ظلال الخوف.. في زمـن الخوف على الدين من اسماك القرش الحمراء

زمن القبض على الجمار

في صحراء استوائية ضارية

زمن الجذب

سوى من امطار شحيحةٍ بل تطفيء ظمأ الصحراء !

ـ ٢ ـ

هناك.. كنا نرفع اكف الضراعة بالاستقاء

في حضرة المطر يحبل بالآمال المزهرة !

ـ ٣ ـ

هناك.. تنهل شآبيب اللطف الزيني

مناديل بيضاء معطرة

ترف على جباه (الطليعة المؤمنة)

تهون أرق التحديات الصعبة

وقلق الابداع.. يحاول ان يكسر الرقابة المتأسنة

وهواجس الخوف.. من الارتطام بالفشل !

ـ ٤ ـ

هناك.. يفتح القلب نوافذه

لا ستقبال الاسعة الزينبية

ترسم لوحة الفرح الندي

بما في دنان الروح من ولهٍ معتق

وما في حدائق القلب من هدايا الربيع

يفتحها.. مشرعة طول الوقت

للأنامل القمرية..

تميط عباءة الليل الثقيلة

وتنعش.. وحشة الدرب من قلة سالكيه.

ـ ٥ ـ

هناك..

تطل من عينين وقادتين عميقتي الغور..

عوالم للصحو عامرة بالبشرى

فترفل العيون الفتية متطلعة الى الغد الحر

هانئة بين سطوري المضيئات!

ـ ٦ ـ

هناك..

تتعلق الهمة بالثريا

يمد (زين الدين) لها حبلاً من خيوط النور الاولى !

ـ ٧ ـ

الى تلك الينابيع صافية.. رويّة

تيمم العطاشى رحلها وتغذ الى مسرى النجوم

العيون خطاها

وتتسلق النفوس المشرئبات سلم الحق..

يرفعنا (زين الدين) اليه مرقاة.. مرقاة

ـ ٨ـ

هناك.. يكون الله المبتدى

ويكون الله المنتهى

بينما تسري قافلة العين التي فتح (زين الدين نوافذها على ينابيع النور.

يا صانع الجيل

الشاعر اسماعيل ابو صالح

مهـداة الى روح فقيد الامة الفقيـه المربي آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين

يـــاراحـــلا ولـــقـــاء الله مقصده
أيتمت جيلا قضيت العمر تسعده
كالسيل سكبت الفكر تمحضه
(لى الطليعة)[1] ما جفت مـوارده
وفي (العفاف) نقضت العري فأهترأت
دعوى التحرر واستخذى مؤيده[2]

(١) اشارة الى كتابه (الى الطليعة المؤمنة).
(٢) اشارة الى كتابه (العفاف بين السلب والايجاب) ودعوة التحرر التي اريد بها الدعوة الى سفور المرأة التي واجهها الفقيد.

وقد رفعت لوا (الاسـلام غايته)[١] دومـاً الى المنهل الظمآن يرشده
فـقـرّ عيناً فمن طـابـت مغارسه عند المليك غداً في الخلد مقعده[٢]
إنـا فقدناك زيـن الـديـن فـي زمن يقل فيه الـذي مـسـراك رائـده
وصـار منقلباً فيه القياس فقد عـاد الـجـهـاد بـه تـبـراً ننضده
أو صرح مجدٍ كذوب في مهاجرنا على جماجم من ضحوا نشيده
يا صانع الجيل من يهدي في لجج من الضياع الـذي امسى يكابده
وقـد تـعـاوره مـن كـل ناحية هـوىً يشتت او سـهـم يـقـدده
لـم يبق الا بصيص مـن سنا أمل بـأن يعجل مـهـديـنـا فينجده

---

(١) اشارة الى كتابه (الاسلام ينابيعه غايته).
(٢) في البيت اقتباس من قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾.

رحلت وليسَ يحويك الأفولُ

الشاعر محمود سليم العضل*
عضو منتدى الاربعاء الثقافي-دمشق

سلام ايها العلم الجليل
عليك اليوم ادمعنا تسيل
رحلت فبعدك الدنيا ذهول
وبعد رحيلكم هان الرحيل
أبوح بها يلوح بعمق روحي
وكل البوح في الشكوى قليل
أخاطب ذي الدنا مالي اراها
على افراحها لا تستطيل
فإن فرحت فبعض من قليل
وأما الحزن كم حني طويل
الملم غصتي واعض جرحي
وأرمق للمدى.. فجري قتيل

تناهبني على مد الفيافي وأمعن في احتراقي السبيل
فأعدو والرؤى تطوي كياني ويعلو فوق اسماعي الصهيل
أينعى كل يوم لي عظيم ألا يبقى لنا خل خليل
فأغرق كل يوم في دموعي واطفو فوق احزاني اجيل
لطرف العين مني في زمان هزيل غاله حلم هزيل
وإن ابكي بهذا اليوم إني لزين الدين مفجوع عليل
ونوح الآه أعزوها انيني تميل وحيث ما مالت اميل
أزين الدين مالي غير دمعي وصوت يراعي الباكي يقول
على رؤياك تبتسم الصحاري وفي مغناك يرتاح الخميل
ويبتسم في محياك إتلاق إذا اشرقت ينزاح الاصيل
ويرتسم الحنين على هواكم فتنتصب المآذن والنخيل
ويورق في المدى بعدٌ جديد ويبزغ في السما افق جميل
ويشرق مجدكم حياً وميتاً فأنت العذب انت السلسبيل
فألف تحية تصبو اليكم رحلت وليس يحويك الافول



زين الدين أديباً

عبدالله القرمزي
البحرين

لحنتُ إسمك فانسابت تلاحيني
من نُقطة الـزاي حتى نُقطة النونِ
بل رتّلت إسمك فازدانت تلاحيني
منسابةً مـن رنـينِ الـزاي للنون
إعرب حروفك وابدء عزف أُغنيتي
و اطـرب من المجد يا ابـن الثمانين
ما عـدت أفقه ما لحّنت في خَلدي
دُنـيـاً من الزين أم زيناً إلى الدينِ
في بحر مجدك أسـماك الخيال عصت
سـنـارتي و هـي ماكانت تعاصيني
وإن طـاحـونـة الأفـكـار واقـفـة
فانفخ بروحك يا ريـح الطواحين

وسكّة الصدرِ قد كنت القطار لها فاعبر بطيفك بين الحين والحين
يا شيبة الحمد و القرآن مندفقٌ على جمالك في معناك يغريني
ولست أدري إذا ما همت مفتكراً أجلوا علياً بهِ أم وجه ياسين
يا ابن الثمانين راعَ الشعرُ موقفه وقد تبلبل في وحر الريايحين
يا ابن الثمانين حسب الشعر بلبلةً أمام علياك من ابن الثلاثين
فتحت وجهك في القران أقرءه فصفّقت برموشي سورة التين
و جئتُ أستفتح المسباح عن ولهي مَدى القلوب فوافاني بقلبين
فقلت أُفرد قلباً في هواك وفي ثانيهما تتجارى في الشرايين
هذا و إني قلوبٌ جُمّعت جسداً و لم أجد بك قلبا غير مسكون
لأنك الحب فواحا تقوم على ساق المشاعر بين الماء والطين
من بصرة الطِيب فتّحت البصيرة في كل العواصم يا كيفي ويا أيني
وجذرك الساكن البحرين شبّ على نهر الولاء لكم في كل بحريني
ولم تزل عالماً مُدّت جوانبه من التقى نبويّ الشد واللين
ولم أزل منك أستوحي القصيد إلى دنيا قوافيك يا دنيا موازين
مستفعل فعل مستفعل فعل كل الموسيقى الى عينيك ترميني
مستفعل فعل مستفعل و انا إذا تدلى هواكم غصن زيتوني
مستفعل فعل و الشعر يشعلني ويستفز بذكراكم شياطيني
مستفعل و انفعالاتي تجنني مالذة العيش إلا للمجنانين
أتيت والشعر رجلي وهو يعبر بي إليك حراً على حبي يحييني
وهكذا مثل ما قد كنت تنظمه من أبعد الفن عن شعر الدكاكاين
حراً يحلق في الأجواء منطلقاً و إن تبسم أنعم بالبساتين
ذكرتكم و جمال الدين يصدح بالشعر المغرد في أحلى الأفانين
في فتية نشروا في حيدر دررا أحلى من الماء في حلق المساكين
و بينهم كنت قاضي الشعر تخلقه كما تريد بحرف الكاف والنون

كـن أيها الشعر فـي خير الـورى فإذا بالشعر منسبكًا في إثر معجون

يا ما أحيلا أماسي الشعر تمنحها من فيض روحك من أصفى المظامين

أنـتـم سـلاطـيـنُ ابــداعٍ يغازلكم سحر الوجود بأنفاس الدوواين

فيا قـصـيـدةَ أحـلامـي على فمه من حيث ماكان في أحبابه كوني

ويـا عـصـيـات أبـيـاتـي بخاطره وهـو الأرق بـدنـيـا حـبـه ديني

و قطعيني هـيـامـا فـي محبته فـيـوسـفـيـات مـعـنـاه تـنـاديـن

هـيـا أعــدي الــى رؤيـــاه عدتك لتقطعين يـديـك بالسكاكين

أخــاف إن مـرّى تغشاني محاسنه فـلا أفــرق بين الـكـف و العين

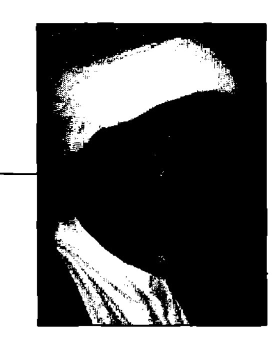
علم الهدى

السيد عبدالستار الحسني

سكبت شخوص الدين ومع عيونها
لّما رحلت وأجهشت بأنينها
يا زين دين الله يا علم الهدى
يا كلمة التقوى أتضيء بدينها
ورع وزهد في الحياة وأنت من
أبقى الضياء يشع فوق جبينها
مترسما نهج التقاة وهديهم
تخطوا بثاقب فكرة و رصينها
وحّدت شمل المؤمنين وانهم
لله أسد تحتمي بعرينها
وغدوت رمزا للمكارم فهي ذي
تنمى إليك تجل ذكر معينها

للحــق نفسـك نــذرت وإنها نفـس سمـت لله ساعـة حينهـا
مـن للأرامل واليـتامـى بعـدكـم يا ديمة هطلـت بجـدب سنينـهـا
تنعــاك دنيــا المـؤمنـين لانهــا فقـدت«محمـد» هاديـا لسفينهـا
والعلـم قـوض صـرحـه أرخ كمـا فجعــت شرائـع ديننـا بامينهـا

١٤١٩



وإلى الطليعة قد بثثت نصائحا

سماحة العلامة الشيخ علي المخلوق
البحرين

هــذي الــدمــوعُ تصب دمًّـــاً احمر
وعليك قـلـبٌ بـالـمـصُـاب تفطرا
وعلى المحاجر قد حجرت رُقادهَا
فغدت تمانعُ مايطيبُ من الكرى
أذكيت في الصدرِ المهيض جناحه
نـــاراً تــبرِّحُ مذ برحت عن الــورى
وعليك ضجت بالنحيب عصائبٌ
وجدتك عن دنـس الفعال مطهرا
فـبـكـتـك خـــيرَ مُحـــمَّـــدٍ وممــجـدٍ
تَخِـــذَ الفضائلَ والـفـواضـل مئزرا
الـعـــالمَ الـــورعَ الـتـقـيَّ ومــن غدا
مــثــلاً لــــرواد الـفـضـيـلـة نــيرا

فــذا لــدى كــل الأنـــام وذكــره ما بينهم بالمدح قدماً قد جرى
لــك فــي الأنـــام مـآثـر ومحامد أضحى بها وجه البسيطة أخضرا
عبقٌ مـن الخلق الكريم معطرٌ للناشقين يـفـوح مسكاً أذفـرا
مـثَّـلـتَ أخـــلاقَ الأئـمـة كلهم مستوحياً منها الجميل الأنضرا
كافحت بالعلم الأصيل عن الهدى فـبـدا بـه الإسـلام غـضـا أنـورا
وحفظت شــرعَ محمد برسالة أوضحتَ فيها غامضات للورى
وإلـى الطليعة قد بثت نصائحاً تخذت بها فـوق المجرة مظهرا
وأشـعـةُ الـقـرآن شـعَّـت أنجماً فأحالت الظلمات نـورا أزهـرا
وإلـى العفاف دعــوت كـل فتية وفـتـى لـذَيَّـاك الـعـفـاف تنكرا
فاهنأ بما قـدمـت مـن منح لنا ومَـنِـحـتَ مـن ربٍّ كريم أكثرا
في جنة الخلد العريضة تكتسي حللا مـن الـرضـوان لـن تتغيرا
وكــرائــمُ الــولـدان لما بُـشِّـرتْ تاهت تبشر في الخيام القصرا
والسلسبيلُ عليك فـاض معينُها وشربت من كأس الوصي الكوثرا
وعلى الأرائـك قد جلست مكرماً ونعمت عيناً في الجنان بما ترى
جـاورت ربَّـك والـنـبـيَّ محمداً والأطيبين بني الوصي الطُّهَرَا
يـاأيـهـا الـــورعُ الـتـقْـيُّ تعطفاً من ساحتيك إذا الـزمـان تكدرا
عصفت بنا من قبل بعدك عاصفٌ أودت بيابسنا وحتت أخضرا
وأحالت الكون الفسيح مضائقاً في أعين النُّظَّار فهو كما ترى
وتـبـدلـت مـن بـعـدِ ذلـك أنـفُـسٌ كـان الصفاءُ يصونها أن تنثرا
لعبت بها أيـدي الجفاءِ ففرقت منها الجميع وجمعتها تـزدرى
تركت جميل خصالها وتخلصت مـن كـل محمدة تباع وتشترى
هجرت حديث الصادقين وصدَّقت من نابذوهم في الحقيقة أدهـرا
هـــذي ينابيع الـعـلـوم تعطلت من بعد ماكانت تسقي الأنهرا
كانت أوال وكـان فائض علمها يــروي الظماء إذا سـواه كـدرا

نشرت على وجـه البسيط مُـلاءَةً　　من علمها وعليه حطت أحمرا
شادت صروح العلم تنطح سحبها　　وتنير درب السالكين لدى السرى
فرضت على كل الحناجر مدحها　　وعلى خدود الحور خطت أسطرا
والـيـوم ويـح الـيـوم مما نابها　　من حـادث الدهر العصيب فأثرا
نـسـخـت بـآيـة صـرفـه آياتـهـا　　وتدكدكت تلك الصروح على الثرى
أيـن الحدائق والحقائق أيـن من　　غـرس الـحـدائـق لـلأنـام وأثمرا
أيـن الرسائل فـي الـصـلاة تبينها　　شرحاً وتوضيحاً تساعد من قرا
درر مـن النجف الأغـر يصوغها　　عـقـداً فـريـدا لايـزال مـنـوِّرا
ومـن الحديد سـلاسـلٌ ومسائلٌ　　من حائر السبط استنارت أقمرا
أيـن الـلـوامـعُ والـسـدادُ وفـرحـةٌ　　في شرح نفحة علم من قد طهرا
أيـن الـمـصـابـيـح قـد أشـرقـت　　منها المعارفَ للعوالم أعصرا
مـنـهـا حـيـاة لـلـقـلـوب ونفحة　　مـمـا أفـاء الـلـه تحيي مـن بـرا
ورواشـحُ الرحمن ترشح كلُّها　　سنحت بها أقـلام عـلاَّمِ الـورى
مـا للسوانح ليس تسنح بعدهم　　للآخرين، وأي خطب قد عرى
مـا للمسائل ليس يخرج كنزها　　للباحثين عن الحقيقة كي يُرى
كـم مـنـيـة لـلـراغـبـيـن وغـيـرهـا　　ماحُققت وقد استعاضت بالكرى
درج الجميع وأدرجـت في درجها　　تلك الـطـروس وألبسوها عثيرا
لـم يـبـق مـمـا كـان إلا ومضة　　لـولاك يـاطـود الشريعة لـم ترا
أحييت دارسـهـا وشـدت بناءها　　ولممت شـمـلاً للهداية بعثرا
ونفخت فيها الـروح بعد همودها　　وأقـمـت عاثرها وكـان الأكثرا
فعليك مـن رب حباك بما حبى　　خيرُ الصلاة إذا تطاولت الذرى
ثـم الـسـلام عليك يـازيـن الهدى　　مـارنـح القمري غصناً أخضرا



جلَّ المصاب

سالم عبدالله السالم النويدري
البحرين

جـلَّ الـمـصـابُ فـأيُّ طـودٍ يُـنْـدَبُ
ولــردء مَـنْ هـذي الخـلائـقُ تَنْحبُ
عــبرى بأحشائها تَــوَقْــدَ جمرُها
زفـراتهـا تُـذكـي الأوارَ وتُـلْـهِـبُ
ولمــن دمــوعٌ بـالمـحـاجـرِ تُسكبُ
وسِجامها فوق (السَّباسِبِ) صَيِّبُ
أقَــضَى عــمادُ الفضلِ زيــنُ شريعةِ
المـخـتـارِ ذَيّــاكَ الفقيهُ الأنـجَـبُ
أقَـضَى (الأمـينُ) وهل ثواقبُ فكرهِ
تهـوي وفي حلك الدياجي تغربُ
أخَـيَـا سـنـاءٌ طالما كشف الدجى
فـأُنــير دربٌ لـلـعـقـيـدةِ ألحـبُ

أمــشــارقُ الأكـــوانِ يــوم رحيلهِ أَفَلَتْ و (زينُ الدينِ) فيها الكوكبُ
و(أشـعـةُ الـقـرآنِ) تـألـق بالدُّنا و(طليعةُ الإيـمـانِ) شوقاً تَرْقُبُ
و(مناهجُ الإسـلامِ) ينبوعُ الهُدى و(الـعـروة الوثقى) لحرٍّ مـأربُ
سِفْرُ (العفاف) لدى الكرائم مشعلٌ سَفَرَتْ مشارقهِ ليُجْلَى الغَيْهَبُ
وتـشـعَّ (أخـلاقٌ) كفجرٍ صـادقٍ بين الأنـامِ وأفـقـهـنَّ لأرحـبُ
وبــ (كلمةِ التقوى) يُعَلّى بيرقٌ للرشدِ والتقوى لنعم المشربُ
فـيـهـا بـيـانٌ نـاصـعٌ مـتـألـقٌ وذكـاءُ لا يعرو سناها مغربُ
كخلالك الـغـرّاء يا بـدرَ الهُدى وجميل ذكـرٍ في الأماقي يُكتَبُ
فهي المعين إذا المرابع أجدبت بنميرهِ تلك البلاقع تُعْشِبُ
وهـي الـضـيـاء لأعـيـنٍ تـواقـةٍ للنور عن زاهي السَّنا لا تِحْجَبُ
وهـي الـبـلاسم للقلوب كليمةً تـأسـوا جـراحـاتٍ بها وتُطّببُ
وتُحيل ليلَ المجهدين من الضّنى شُهُباً تجلّى في دجلها كوكبُ
لا عـتْـمـةٌ تـغـتـال فـي آمـاقـهـا أمـلاً ولا إنـسـانُ عينٍ يُسْلَبُ
أنـت الشعاع (أبـا ضياء) والسّنا عـزمـاتُـهـا بـومـيـضـهِ تـتـوثْـبُ
فَـيُـزاحُ ديـجـورٌ وتُقْشَعُ أسْجُفٌ ويُـرَاعُ من حَشْدْ الضلال تحتُربُ
لـلـهِ مـن شـيـخٍ سَـطَـا بـيـراعـهِ فـي جحفلٍ للغيِّ لا يَتَهَيّبُ
تلكَ السنون المفعماتُ صلابةً أتَصَرَّمَتْ والكونُ شجواً يندبُ؟!
يبكيك رمــزاً للفخار ومـوئـلاً - للمجدِ فالعليا إليكم تُنْسَبُ
أ (أبـا ضـيـاءٍ) إنَّ رزؤك فـادحٌ أرّخْـهُ (نُـحْ نجمُ الهدايةِ يغربُ)

١٤١٩



عاشَ عُمراً مُحمداً وأميناً

السيد عدنان البكاء
العراق

قـد بَـكَـاكَ العميقُ مـن زفـراتي
ورثـــاكَ الـكـثـيرُ مـن خـطـراتي
بل بكاكَ الـيراعُ والطرسُ والورس
وشـــوقُ المـحـراب لـلـصـلـواتِ
يــاأبــاً حــانـيـاً لــكــلّ ولي
جمـعَ الـكـل بـعـد طـولِ شـتـاتِ
لم تـرنـق اخـلاصـه نـعـرة الفرقة
حـتـى أقـــامَ تـلـكَ الـصّـلاتِ
صم سمعاً عن منطقِ الجهل حتّى
خـنـق الحـق تـكـلـم الهـمـهـماتِ
وسـع الأمــر فـاسـتـقـام لـديـهِ
مـاتـعـاصى بِـضـيـقِ الـنـظـراتِ

ووعـــى عـصـره فـخـطَّ نِـظـامـا مُحْكَماً في دراسـةِ الـحـوزاتِ
عـــاشَ عُــمــراً مُـحـمـداً وأمـيـنـاً زيــن ديــنٍ يُـجـلّ عـن ســوءاتِ
وزكـــيـــاً لــم يـسـتـطِـع نـاقِـدُوه أنّ يــروا عـنـده عـيـارَ قـذاةِ
نـــزعَ الـكِـبـر إذ تسامى فابدى كيف يبدو ذو الكبر ذا ورهـاتِ
لـم يقل انّـنـي وكــانَ أبـا الـرأيِّ عـزوفـاً عـن هـذهِ الـخـصـلاتِ
لـم يخالط كـلامـه سـيءُ الـقـولِ ولا فـعـلـهُ ذمـيـم الـصـفـاتِ
أبيضَ الكفِّ طاهر القلبِّ سمحاً دائـم الـبـشْـر نـيّـر الـكـلـمـاتِ
شـاعـراً كـالـرضـيِّ يـبـدو جـلالاً مُـتْـرف اللفظِ رائـعُ اللفتاتِ
وأديـبـاً اعطى الـحـروف شموخاً أيــن مـنـهـا رِسـالـةُ الـزيّـاتِ
شعّ مـن نـهـجِ حـيـدرٍ فيه معنى عـلـويّ يـنـيـرُ كـل الـجِـهـاتِ
وحكيماً يخاطبُ القلب والعقل جـمـيـعـاً إذا أراد الـعِـظـاتِ
مـثـلاً داعـيـاً بصمت الـى الله ونـطـقـاً يـفـيـض بـالـبـيـنـاتِ
وفقيهاً يـزف بالكلمِ الـزاهـي بـيـانـاً لِـمـعـضـلِ الـمُـشـكـلاتِ
عـبـقُ آل الـنـبـيِّ يـنـفـحُ مـنـهُ وجــلال الأذكـــارِ والآيـــاتِ
رغـم عـشـرٍ وأربـعُ مـن مئتينِ ثـمّ تـسـعٌ وعـشـرٌ مـن سـنـواتِ
لـم يطق بعد سيد الـرُّسـلِّ صبراً فـقـفـا يـومـهُ لـيـومِ الـوفـاةِ
فتلقاه يـا أبـا الـقـاسـمُ الطُهر فقد راحَ مُـتْـعَـب الـقَـسَـمَـاتِ
وتـلـقـاه يـاعـلـي فـقـد كــانَ عـظـيـمَ الــولاء لـلـسـاداتِ
وعـــزاءً أبـــا عـــلاء فـهـذا بعض ماجاء في (آمالي الحياةِ)
حب شيخي العظيم إن يحرز الشوط وصـــولاً لأشـــرفِ الـغـايـات
ويـؤدي من العهد كلمة التقوى وتـلـكَ الـنـفـائـسُ الـرائـعـاتِ
نـــور آل الـنـبـي يـشـرق منها فـيـزيـل الأوهـــامَ والـشـبـهـاتِ



لم تمت كلمة التقوى

محمد عباس الدراجي
العراق

يَـراعُـــكَ مثـل قلبـك إخـضرارُ
وروح راح يجسدها النهـارُ
ونفسٌ كلما جُرحت تندّت
وراحَ يبلسمُ الجـرحَ الوقـارُ
وإنَّ حنانـك الأبــوي روضٌ
يهيم بـه الـكبـارُ أو الصغـار
مجـــلات الـغــري لهـا شفـاهٌ
تقـول بانـك العلم الهــزارُ
ففي (الاضـــواء) كنتَ تـرشُ نـوراً
مـن الـقـــرآنِ جلُّلـهُ الإطـــارُ
وان مجلـة (الايـمـــان) تهفـو
إلـــى قـلـمٍ يسيـل بـه النهـار

باعداد (الـغــري) زهــت ورودٌ من الكلمات وهـي الجلنـار
وفـي أفـق (الـبـيـان) فانت شمسٌ ومـن إشعاعها أأتلـقَ المدار
وفي لبنـان (فالعرفانُ) تصبو الـى قلمٍ ومـــن قـلـبٍ ينار
يوسـد حجـة الاســلام رمـلاً بـــه أنـفــاسُ حيــدرة دثــارُ
فأنـت محمـدٌ وأمـيــنُ ديـنٍ وأعـــلامٌ وفــوق الـرأسِ نـارُ

فقيه أمة أحمد

السيد عبدالستار الحسني

أودى الـــردى بفقيـه أمـة أحـمـد
ومـنـار حجتها ولـيـث عـر ينهـا
وعـدا على مـن تستنير برأيـه الـ
ـوضّـاء فـكـراً في شرائـع دينهـا
علم الهـدى الـورع الأمـين محمـد
صمصام أربـاب التقى ويمينها
فأبو (ضياء الدين) (اظلم) بعده
ربـع المـكـارم واكتست بدجونها
وبكتـه دنيـا المكرمات وكيف لا
تبكي ابـن بجدتها بفيض شؤونها
وبفقـده طويـت صحائف سيـرة
عبقت محافلنا (بـنـشر) متونها

والديـن قـوض صرحه ارخ (كما فجعت شرائع ديننا بأمينهـــا)
١٤١٩

بيانات وتعزية

بيانات وتعزية

فقيد العلم والتقى[1]

... فقيد العلم والتقى آية الله الشيخ محمد أمين زين الدين قدس سره الشريف، وإذ نبادلكم التعازي في هذا المصاب الجلل نسأل الله تبارك وتعالى أن يعوض المسلمين بعظيم خسارتهم به ويلهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

علي الحسيني السيستاني
الختم الشريف

... نعزيكم بفقد المرجع الديني الجليل مثال الورع والتقوى والإخلاص والإصلاح آية الله الشيخ محمد أمين زين الدين قدس الله نفسه الزكية الذي ألمت بنا مصيبته وأوجعنا فقده لما نكنه له من الإصلاح والإجلال والإكبار ونشترك فيه معه من وجهات النظر والأهداف التي نسأل الله سبحانه وتعالى ان لا يحول فقده دون الرعاية لها والمضي فيها بجهود العاملين المخلصين.

محمد سعيد الحكيم
الختم الشريف

---

(١) مقتطف من رسالتين موجهتين من المرجعين حفظهما الله إلى معتمدي الشيخ زين الدين العلماء الافاضل في البحرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد محمد طاهر الخاقاني دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أتقدم لسماحتكم بأحّر التعازي وخالص العزاء بوفاة المغفور له العلامة والمرجع الديني محمد امين زين الدين.

رحمه الله بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته والهمكم الصبر والسلوان، وإنّا لله وإنّا اليه راجعون.

ومن ناحيتنا نأسف شديد الأسف إذ لم نكن بينكم في العزاء المقام على روحه الطاهرة لنقوم ولو بالقليل من الواجب.

هذا مع اهداء سلامي مع التعازي لأفراد الأسرة بالنيابة عنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادمكم
احمد السيد علي القلاف
رئيس جمعيّة العترة الطاهرة
٥ / ٧ / ١٩٩٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

انا لله وانا اليه راجعون

في مرحلة التحدي الصعب، والأمة تواجه اخطر المؤامرات، واقسى محاولات الإبادة والتصفية للعلماء والفقهاء الابرار..

في هذه المرحلة يفجع المسلمون بفقد العالم الرباني الفقيه المقدس المرجع

الديني آية الله العظمى الشيخ محمد امين زين الدين، الذي وافاه الاجل في النجف الاشرف يوم الاربعاء التاسع والعشرين من شهر صفر ١٤١٩هـ.

والفقيد الكبير معلم بارز من معالم المسيرة الإيمانية، ورمز هام من رموز الوعي الاسلامي الاصيل، وقائد صلب في معركة الصراع الفكري بين الأسلام وخصومه، ومربي كبير لهذه الاجيال من أبناء الأمة، ومثل أعلى للورع والتقوى والهدي والصلاح، وأديب متميز متمرس كما هي مؤلفاته ونتاجاته..

وبهذه المناسبة الفاجعة نرفع التعازي الى امام العصر - ارواحنا فداه - والى المراجع العظام، والحوزات العلمية وجميع المؤمنين، سائلين المولى ان يتغمد فقيد الامة بوافر الرحمة والرضوان.

السيدة زينب
في ٣٠ صفر ١٤١٩هـ
عبد الله الغريفي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

«إذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء».

تنعى مؤسسة الامام الخوئي الخيرية للأمة الاسلامية جمعاء، علماً بارزاً من أعلام الدين، ومرجعاً عظيماً من مراجعها، ومفكراً ومربياً واستاذاً من أساتذة الحوزة العلمية الدينية في النجف الاشرف،

سماحة آية الله المغفور له الشيخ محمد أمين زين الدين

الذي وافاه الاجل في مقر اقامته في النجف الاشرف، يوم الاربعاء ٢٩ صفر

١٤١٩هـ الموافق ٢٤ / ٦ / ١٩٩٨م، عن عمر ناهز الثمانين عاماً، قضاها في خدمة العلم والدين والأمة، طالباً للحقيقة، وباحثاً محققاً، واستاذاً ومؤلفاً للكتب القيمة التي أغنى بها المكتبة الاسلامية في الحقول والمعارف المختلفة.

كان سماحته ﰋ ممن حضر الدروس العليا لسماحة آية الله العظمى المغفور له آغا ضياء العراقي وكتب تقريرات بحوثه، كما حضر بعد ذلك بحوث الامام الراحل السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي رضوان الله تعالى عليه، ثم بدأ بالقاء بحوثه العلمية القيمة على ثلة من الافاضل الاعلام الذين نهلو من نميره الفياض لسنوات عديدة، حتى اضطر جراء مضايقات النظام الجائر في العراق الى ملازمة داره من عشرين عاماً، منكباُ على التحقيق والتأليف وإدارة ورعاية شؤون المؤمنين من مقلديه. ومن مؤلفاته المطبوعة:

الاسلام في ينابيعه الاولى

الى الطليعة المؤمنة

العفاف بين السلب والايجاب

من اشعة القرآن

الأخلاق عند الامام الصادق عليه السلام

الموسوعة الفقهية (كلمة التقوى)

وبهذه المناسبة الاليمة نعزي امام عصرنا الحجة ابن الحسن العسكري عجل اللله تعالى فرجه الشريف، وجميع الحوزات العلمية وخصوصاً حوزة النجف الاشرف، وجميع العلماء الاعلام وفي مقدمتهم سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظله.

وإنا لله وإنا اليه راجعون

مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

«علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل» حديث شريف.

بمزيد من الحزن والاسى ننعى فقيد الشعب العراقي والحوزة العلمية في النجف الاشرف المرجع آية الله الشيخ محمد أمين زين الدين رحمه الله، الذي كان من قادة الوعي الديني وممن نذر عمره الشريف في خدمة الاسلام والجيل الاسلامي في العراق، والذي وافاه الأجل في العراق في ظروف غامضة وفي أجواء من الكبت السياسي والقمع الوحشي الذي يمارسه النظام الدكتاتوري الصدامي ضد الحوزة العلمية والمرجعية الرشيدة والشعب العراقي الشريف عامة، حيث فجعنا خلال الشهرين الماضيين باغتيال العالمين الجليلين الشيخ مرتضى البروجردي والشيخ الغروي رحمه الله.

وبهذه المناسبة الأليمة التي تتعمق فيها آلامنا للمآسي التي تقع في العراق نرفع تعازنا الى امام العصر المهدي الموعود (عج) وأتباع اهل البيت عليهم السلام في كل مكان والشعب العراقي المسلم والحوزة العلمية.. كما نعزي اسرة وذوي الفقيد الكبير وفي الوقت نفسه ندعو الله جلت الطافه التعويض عن خسائرنا وان يرفع عن شعبنان كابوس الظلم والدكتاتورية.

إنا لله وإنا االيه راجعون

العلاقات الدولية
في المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق
٣/ ربيع الاول/ ١٤١٩ هـ
٢٨/ ٦/ ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلامة الكبير الحجة الشيخ محمد طاهر الخاقاني دامت بركاته.

السلام على ذاتكم المباركة الطاهرة.

علمت بمزيد من الاسف واللوعة نبأ وفاة فقيد الشريعة الاسلامية ومنارها الهادي لما فيه مرضاة الله واحياء شريعة محمد ﷺ اية الله الشيخ أمين زين الدين تغمده الله برحمته الواسعة وحشره مع اوليائه الصديقين وبدورنا نعزي الامام الحجة عليه السلام ونعزيكم واسرتكم بهذا المصاب الجلل والخطب المؤلم.

وانا لله وانا اليه راجعون

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد جواد السهلاني
٢ / ربيع الاول / ١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجة الاسلام والمسلمي الشيخ محمد الخاقاني «دام ظله»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بمزيد من الاسى تلقينا نبأ وفاة العلم المرجع سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين قدس سره، ذلك العالم الجليل المجاهد الذي أنفق عمره الشريف في خدمة الدين والمعرفة.

لقد كان فقيدنا مثال المرشد الرباني الذي لم يشغله شاغل عن طلب العلم وتدريسه، فتخرج على يديه الكثير من خَدَمَة الدين ورواد العلم.

عظم الله اجوركم بهذا المصاب الجلل..

نسأل الله تعالى ان يتغمد فقيدنا واسع جنانه ويحشره مع آل محمد عليهم السلام.. انه سميع مجيب.

بيان جبر
ممثل المجلس الاعلى للثورة
الاسلامية في العراق / دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا اليه راجعون

نُعزي العالم الاسلامي بفقد المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين الذي وافاه الاجل في النجف الاشرف.

كان الفقيد من الروّاد الأوئل للوعي وعلماً من أعلام الإسلام ومربياً لجيل الصحوة الاسلامية المعاصرة.

لقد قضى عمره الشريف في خدمة الاسلام والأمة من خلال مؤلافاته الواعية وإنفتاحه الاخلاقي على الامة بمختلف طبقاتها، وبفقده نكون قد خسرنا قلعة من قلاع الاسلام في هذا الظرف الحساس الذي تمر به الأمة الاسلامية حيث تحاك المؤامرات العالمية بمختلف الأساليب مستهدفة الاسلام والمنهج التغييري الأصيل وخصوصاً في العراق المظلوم حيث تعيش الحوزات العلمية والمرجعية الدينية ظرفاً عصيباً من خلال إقدام النظام الدموي الجائر على تصفية رموزها تشريداً وسجناً وإعداماً وإغتيالاً.

إن فقد الحوزة العلمية لهذا العالم الجليل والذي يأتي بعد أيام من اغتيال

آية الله العظمى الشيخ الغروي وبعد أسابيع من اغتيال آية الله البروجردي يُشكل خسارةً كبرى للحوزة العلمية والأمة الاسلامية والشعب العراقي.

إن حزب الدعوة الاسلامي يدعو الشرفاء جميعاً الى تحمل المسؤولية الكبرى للسير على خط العلماء المجاهدين ولنصرة الحوزة العلمية والدفاع عن المقدسات الإسلامية واليقظة والحذر من كيد المؤامرات الدولية التي تستهدف كل الفعاليات الاسلامية والى الوقوف مع الشعب العراقي في محنته لتخليصه من نظام صدام المجرم.

نسأله تعالى أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ويلهم محبيه زذويه الصبر ويوفق الجميع للسير على خطه وهداه.

حزب الدعوة الاسلامية
الخميس ٢٥ / ٦ / ١٩٩٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تساميت للأُخرى وانت حبيب   فحامت على مرقى خطاكَ دروب
وانت بنا نبضٌ توهج بالسنا   وارواحنا في مقلتيك تذوبَ
فكيف التنائي والفراق عصيب   وكيف التسالي والعيون تصوبَ
ولولا امانينا بأنك هانيء   بجنة خلد ما سلاك قريبُ

في ذروة حزن المؤمن بذكرى وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكريات مصائب اهل بيته الكرام عليهم السلام.. امتد الى قلوب المؤمنين خبر زلزل النبضات واذاب المهج ونكأ الجرح واهرق الدموع حيث رحل عنهم واحد من اجل العلم والتقوى والأدب والورع سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد امين زين الدين..

وهو الذي كان روحاً تتعلق بخالقها فتألقت، وعقلاً يتوهج بالعلم والحكمة، وكلمة تكافح وتنافح عن اسلامها العظيم، وجهوداً عظيمةً ترسخ في كل زاوية تصلها فكراً هادفاً واستجلاءً مشرقاً لعقيدة الايمان الصراح..

ولئن رحل عن المؤمنين، فهو باقٍ في ارواحهم وعقولهم، ولن يعرف الموت محو عظماء الفكر والكلمة، فقد كان فقيدنا من مبرزيهم في حوزة النجف الاشرف الغراء.. وهكذا اجتازت تلك الحوزة الشامخة اخطر منعطفاتها بفضل اولئك الافذاذ، وشيخنا الراحل في مقدمتهم.

اننا على الرغم من فجيعتنا به وكبير رزئنا في غياب وجهه الرحيم عنا فإننا لنا عظيم الامل بأنه ينعم الآن في لقاء ربه الكريم ويأنس ببحيرة سادة الانام اهل بيت الرحمة عليهم افضل الصلاة والسلام.. ولنا بما زبرته يده الشريفة وجادت به روحه الصافية من آثاره العلمية الفذة نعم الزاد، وخير الاستنارة في وحشة الطريق وطول السرى.

وإنا لله وأنا اليه راجعون

نص البيان الذي اصدرته هيئة امناء
دار حفظ التراث البحراني بالمناسبة

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد الخاقاني دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نجوم العلم الشرعي تصعد يوم تهوي النجوم..

ولا حزن على الصاعدين. لكن قلوبنا نحن محبيَ اهل البيت خاشعة، والحزن

في عروقنا من عروقهم.

اما الشيخ الفقيد محمد أمين زين الدين، فكان نجماً خاشعاً وقد افنى العمر النزيه والجهد الصادق باحثاً في علوم اهل البيت حتى صار آية في معارفهم فحفظ في حياته اخبارهم وفي رحيله اسرارهم.

عليه شآيب الرحمة، وعليه السلام مغبوطاً في ثرى وادي السلام.

اواسيك في رحيله وانت في رحلة العلم ثابت البصر والبصيرة تحوطك محبتنا وترعاك.

حسن العلوي
دمشق ٢٨ / ٦ / ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾

جناب شيخنا الأستاذ المحقق / آية الله الشيخ محمد محمد طاهر الخاقاني دامت إفاضاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تلقينا ببالغ الاسى واللوعة والحزن. نبأ ارتحال حضرة آية الله العظمى: الشيخ محمد امين زين الدين / رضوان الله عليه.

وبهذه المناسبة الاليمة والخطب الجلل نرفع الى جنابكم أحر ايات التعزية. سائلين المولى عز وجل ان يطيل في عمركم ويمتعنا وجميع المؤمنين بطول

بقائكم، وان يتغمد الفقيد السعيد بواسع رحمته وفيض رضوانه لما قدمه لهذا الأمة المرحومة، ورسالة الاسلام، وشريعة سيد المرسلين والحوزات العلمية من خدمات كبرى وعطاء جزيل.

ولا يسليني عن فقده شيء سوى وجود امثالكم من الفقهاء والمحققين والعلماء الربانيين، فإن الفقيه إذا مات ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء إلا فقيه مثله.

وتقبلوا خالص عزائنا ودعائنا.

حرر في الثاني من ربيع الاول / ١٤١٩هـ
أقل تلامذتكم
عبد اللطيف الشبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلامة الحجة آية الله الشيخ محمد الخاقاني - حفظه الله -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

نتقدم لمحضركم الشريف بأحر التعازي لرحيل الشيخ المقدس آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين رضوان الله تعالى عليه والذي كان فقده خسارة فادحة وفاجعة عظمى ألمت بالأمة الإسلامية ولا سيما للحوزة العلمية في النجف الاشرف التي فقدت أحد أركانها الوثيقة.

وقد كان الوجود الشريف لسماحته يمثل وبحق الحياة الكريمة والأنموذج الصادق للمرجعية الرشيدة المتصلة بواقع الأمة وآلامها في أحلك الظروف، كيف لا؟ وهو إذ ذاك الأب الحاني العطوف والملجأ والملاذ لا الاف الأسر المحرومة.

رحم الله فقيد الأمة الأسلامية الكبير وأحسن لكم العزاء والسلام عليكم.

الملتمس لدعائكم

علي المعلم - القطيف - الجارودية

في ٣/ ٣/ ١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلامة الحجة الشيخ ضياء الدين زين الدين - حفظه الله -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

نتقدم لمحضركم الشريف بأحر التعازي لرحيل الوالد الشيخ المقدس آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين رضوان الله تعالى عليه والذي كان فقده خسارة فادحة وفاجعة عظمى ألمت بالأمة الإسلامية ولا سيما للحوزة العلمية في النجف الأشرف والتي فقدت بفقده أحد أركانها الوثيقة.

وقد كان الوجود الشريف لسماحته يمثل وبحق الحياة الكريمة والأنموذج الصادق للمرجعية الرشيدة المتصلة بواقع الأمة وآلامها في أحلك الظروف، وكيف لا؟ وهو إذ ذاك الأب الحاني العطوف والملجأ والملاذ لالأف الأسر المحرمة.

ولكم أن تتصوروا يا سماحة الشيخ مشاعر الحزن والأسى التي انتابت الجميع هنا عند ورود النبأ المؤلم برحيل سماحة الشيخ المقدس والذي كان كالصاعقة المدوية وكالسهم النافذ إلى قلب الأمة المثكولة بمرجعها وفقيهها ووالدها. وبدأ الناس غير مصدقين أنهم فقدوا شيخهم ومؤلهم وملاذهم الكبير!.

ولقد تلقينا شخصيا بالنيابة عنكم تعازي العلماء الأفاضل والسادة الأجلاء وعلى الخصوص العارفين بسماحة الفقيد السعيد وكذلك تعازي سائر أفراد

المجتمع كما أقيمت مجالس العزاء والفاتحة بالمناسبة في أكثر من المدن والقرى بالمنطقة.

ولا يفوتنا أن نرفع لكم تعازي ومواساة محبي الشيخ المقدس ومقلديه في المنطقة وهم في ذات الوقت يناشدونكم مواصلة دوركم الريادي وتأدية الرسالة الملقاة على عاتقكم لسد الفراغ الكبير الذي تركه رحيل الشيخ الوالد إلى الملكوت الأعلى.

وفي الختام نرفع أيدي الضراعة إلى المولى الكريم أن يحفظكم ويرعاكم مسددين بألطاف صاحب الزمان (عج)، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الملتمس لدعائكم

علي عبدالله المعلم

القطيف - الجارودية

في ٣ / ٣ / ١٤١٩هـ

من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق

الشيخ الخاقاني / ابن اخت الفقيد

قبل قرابة اربعين يوماً فقدت الامة الاسلامية علماً آخر من اعلام الفقه وطوداً شاهقاً من اطواد الفكر الذي ترك بصماته المشرقة على صفحات هذين الحقلين.

وكان فقيدنا الذي كُتب لي ان ارقب حياته اليومية عن كثب ولفترة ليست بالقصيرة، منكباً حد الذوبان على مجاميع الموسوعات الفقهية والادبية والفكرية ينهل ما يشاء متناغماً معها تناغم الخالدين. وكان بعين ذلك يترقب الاحداث ويشعر بالمسؤلية الكبرى ازاء ما يواجه الامة الاسلامية من تحديات وما يحدق

بها من اخطار جسيمة. فكان رَحِمَهُ اللهُ يتشرب وجهه حمرة ويتجعد وجهه حنقاً عندما يتناهى الى سمعه الكريم انباء انزلاق شباب هذه الامة في محرقة السياسات الدولية المضلة.

وكان فقيدنا الراحل قد نذر نفسه لتحقيق الوحدة الاسلامية وتلاقح الافكار والرؤى متجاهلاً اية عقبة تحول دون ذلك. لذا فإن خسارة الامة بفقده خسارة جسيمة وعزاؤنا بالصفوة من الفضلاء الذين سيواصلون نهجه.

اتقدم بجزيل شكري لمراجعنا العظام ومديري مكاتبهم الافاضل والحوزات العلمية والمنظمات والمؤسسات والشخصيات لما غمرونا بفيض احاسيسهم الصادقة سواء عن طريق اقامة مجالس الفاتحة أو اصدار بيانات العزاء أو ارسال برقيات التسلية، وكان لذلك الاثر الاكبر في التخفيف من وطأة الحزن.

فلهم جميعاً دعاؤنا الخالص بطول العمر المقرون بالصحة والتسديد لمراجعنا الفقيد اعلى عليين.

ممحمد محمد طاهر الخاقاني

من الشيخ ضياءالدين زين الدين الى العلامة الفضلي

بسم الله وله الحمد

سيدي الأستاذ الحجة أبا عماد دمتم بحفظ الله ورعايته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع الدعاء إليه - جل شأنه - أن يتم عليكم نعمه ويواتر عليكم (آلاءه).

بعد نيف وثلاثين عاما من الفراق واستعار القلب بآلامه يشاء الله أن التقي

معكم على ورقة... وإنا لله وإنا إليه راجعون..

بلّغني الأخ الشيخ علي المعلم عن جميل عواطفكم كما أخبرني الأخوة في البحرين ما تجشمتموه من العناء في الوصول إلى هناك وما ألتقيتموه من الحديث العذب في أربعينية المرحوم الشيخ ﷺ.

طبعاً أنا لا أشكر بما ألفته ألسنتنا من هذه الكلمة فحين يكون الموقف اكبر من هذا التعبير وحين يكون القائل أقل من يفي بالمستلزمات المطلوبة لمثل هذه الكلمة فان ترديدها يصبح ممجوجا ولو في البدء..

وبعد فانا أعتقد أن الأمر ينبغي أن يعكس فقد كانت بنوتكم للمرحوم قبل بنوتي له وقد كان لكم من زهرة حياته ما لم أحظ أنا به فكنتم اقرب لمثله ورسالته مني، كما كانت ذكراكم وذكرى فراقكم غصّة في فمه ولوعة في قلبه ونجاحاتكم في خطواتكم الرائدة منابع سرور لديه والتماعات بهجة في عينيه.. أقول ذلك لا مجاملاً بل شاهداً لما رأيته منه في كثير من المناسبات، وعلى أي حال

فالله تعالى أسأل أن يجزيكم بخير جزاء ابن بارّ لأب حان..

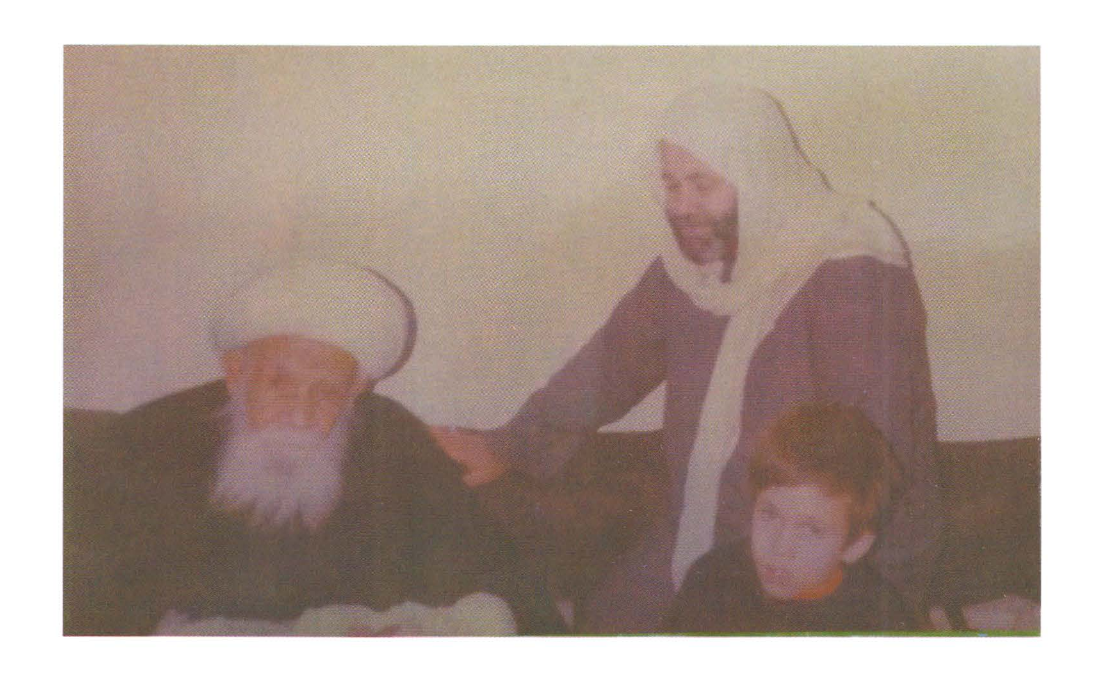
والسلام عليكم وعلى العائلة الكريمة والأولاد الأعزة ومن يعز عليكم، لكم من هنا تحيات السيد البكاء ومن تعرفون ودمتم.

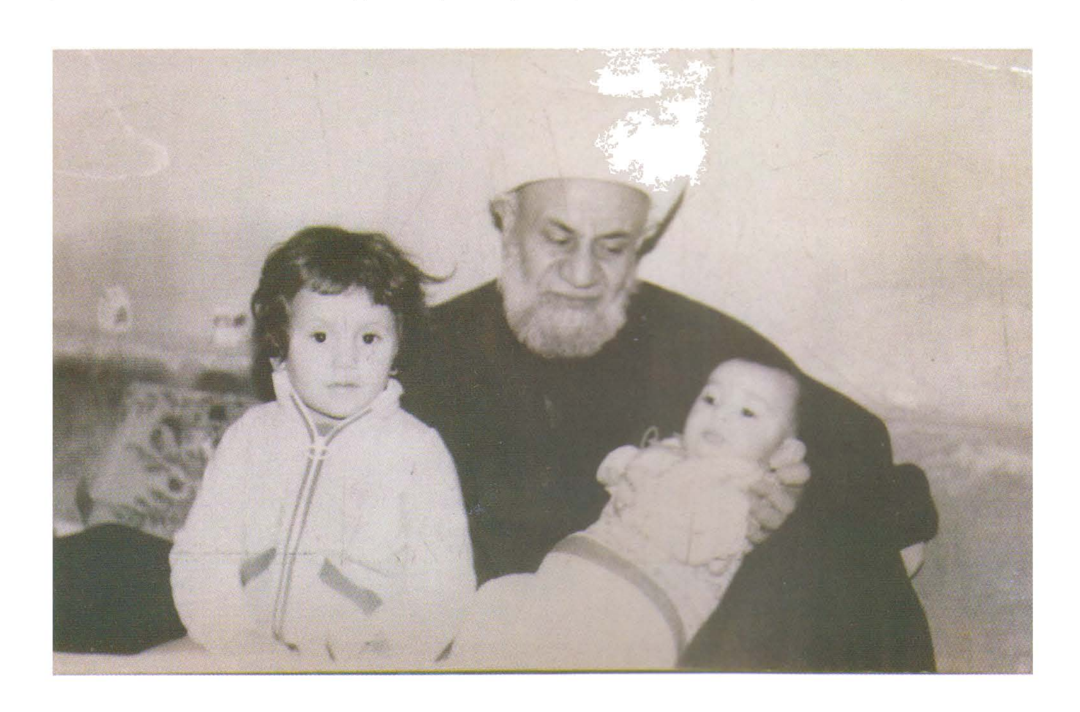
لمخلصكم الأبدي
٥/ رجب/ ١٤١٩
ضياء زين الدين

ملحق الصور

ملحق الصور

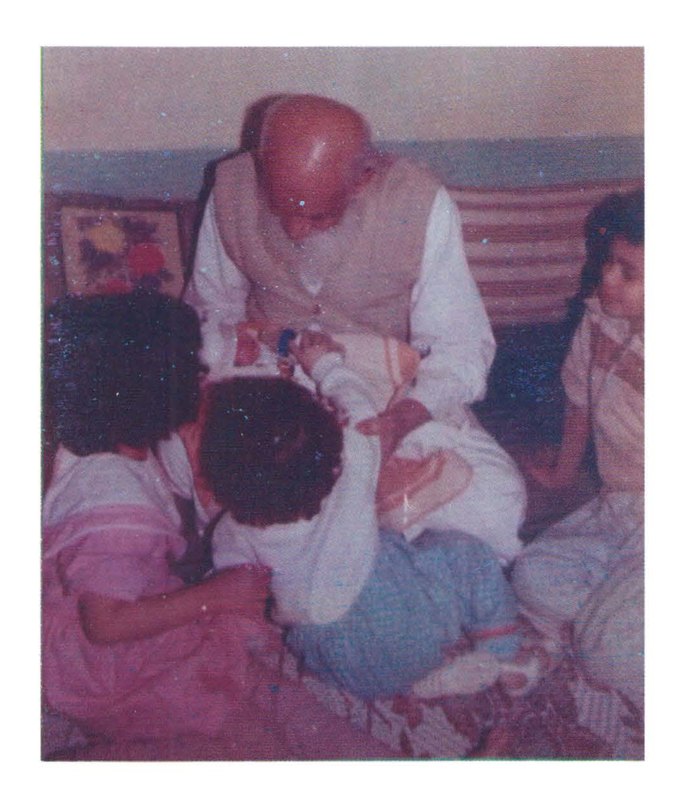




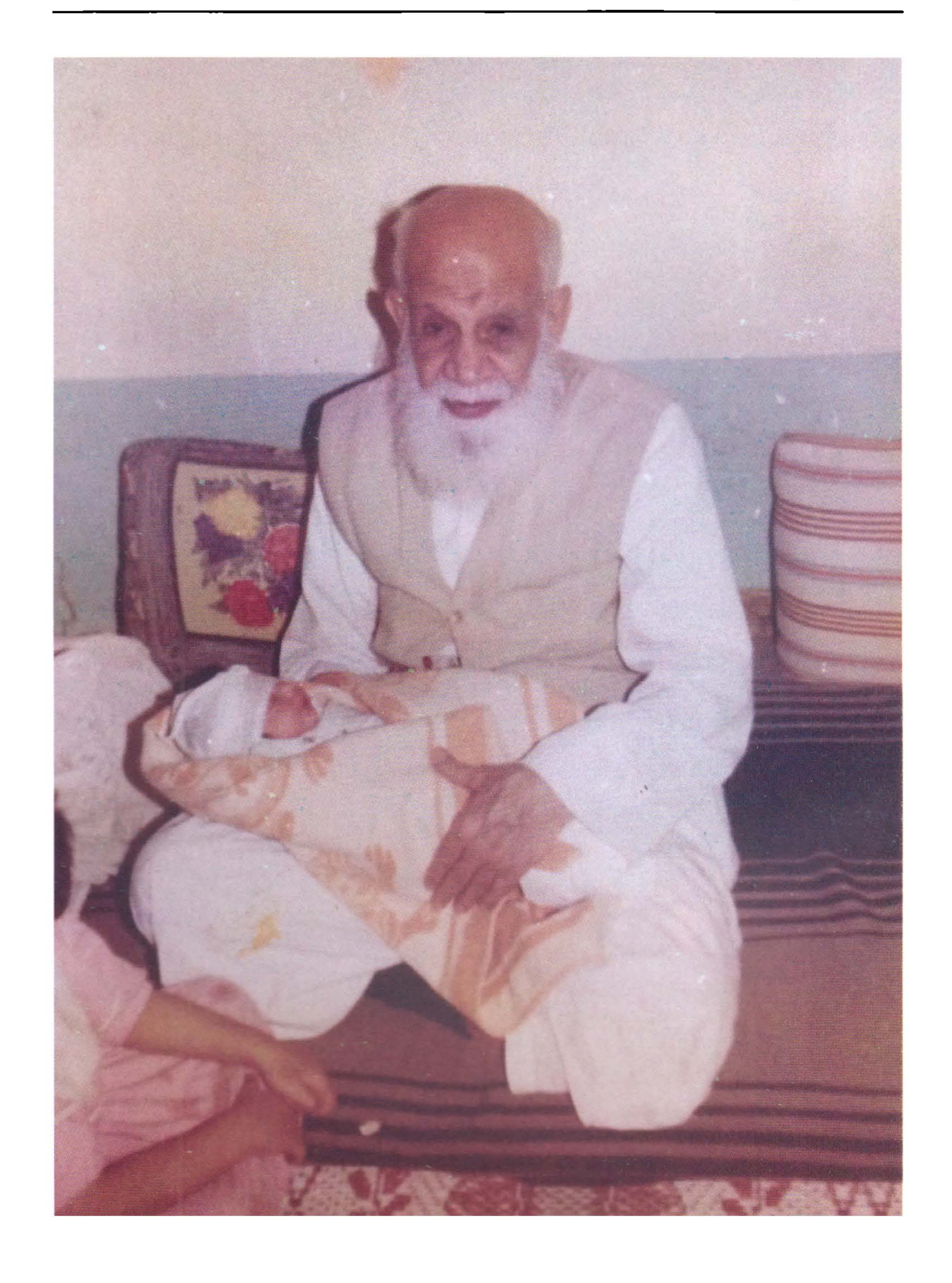


الشيخ علي زين الدين



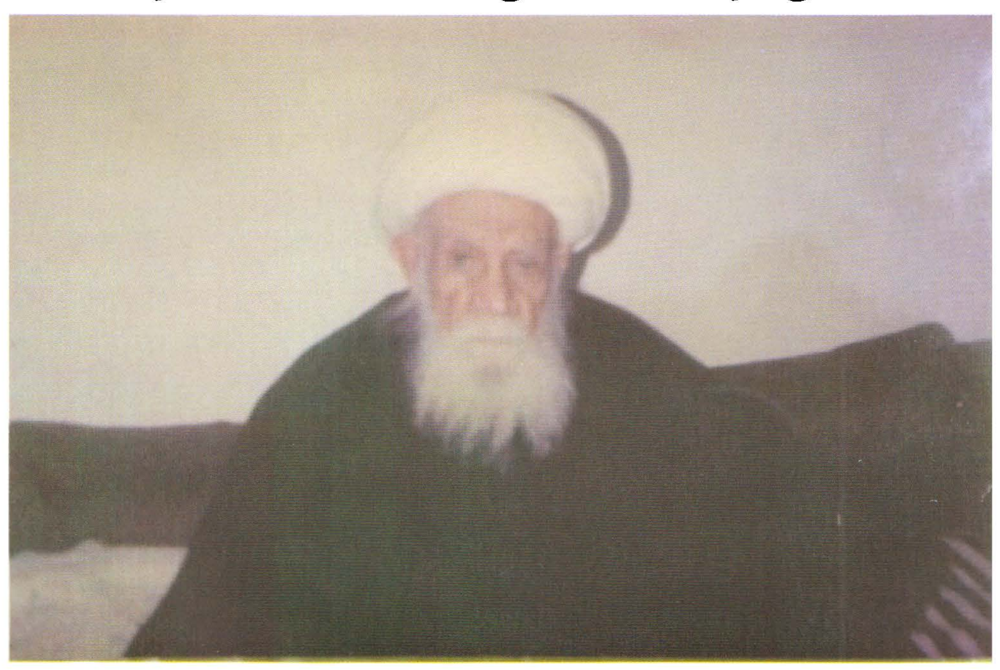






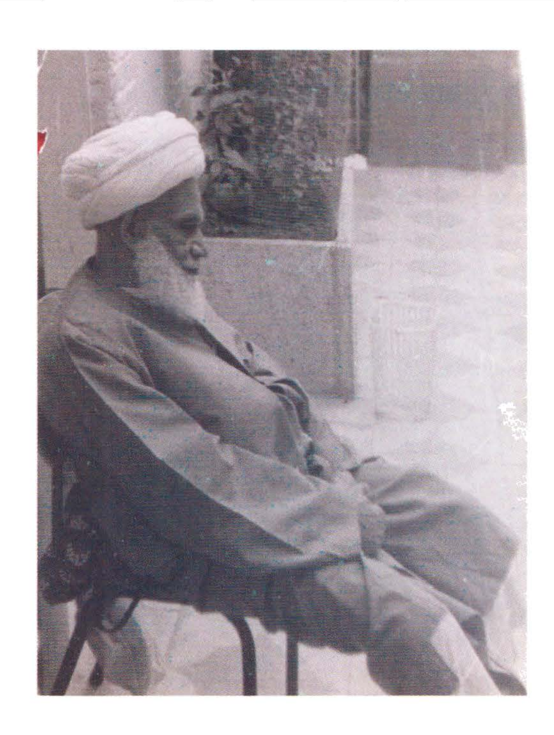


الشيخ علي زين الدين والشيخ محمد محمد طاهر الخاقاني



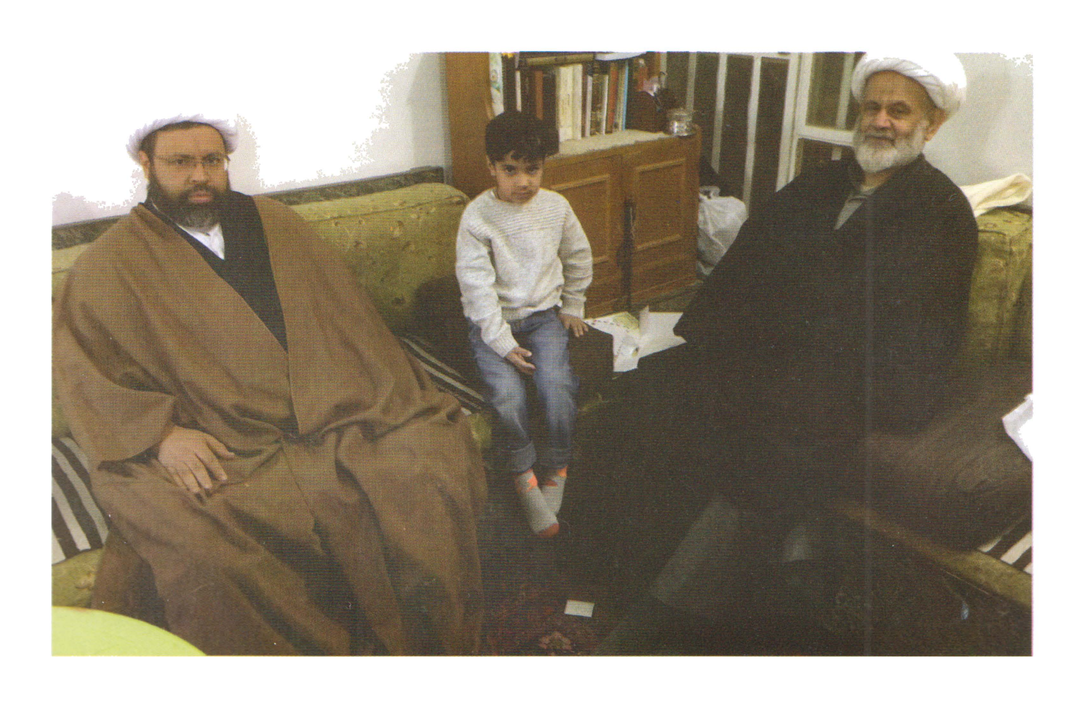


الشيخ محمد أمين زين الدين والسيد حسين بحر العلوم












malkiya.net
90 6 5

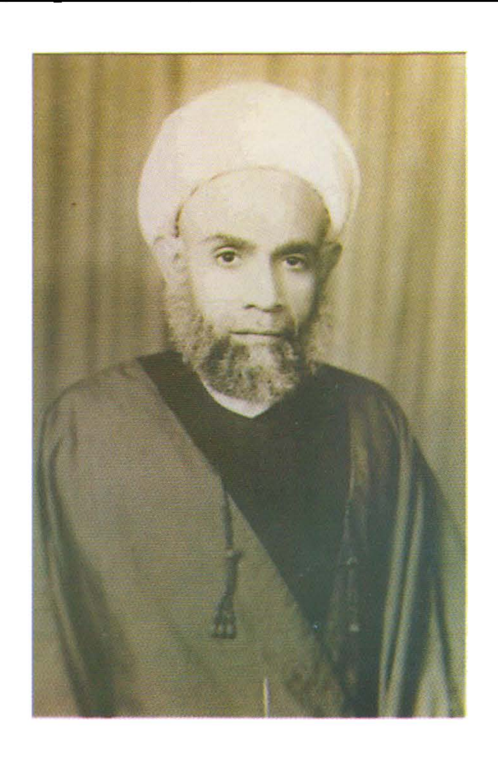




الشيخ محمد أمين زين الدين مع الشيخ منصور الستري

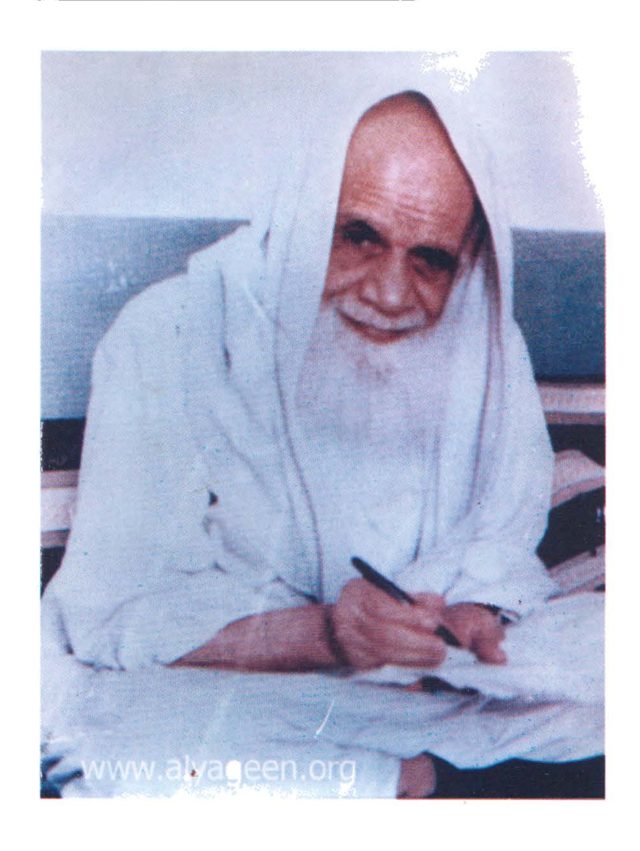

www.zaineddeen.net

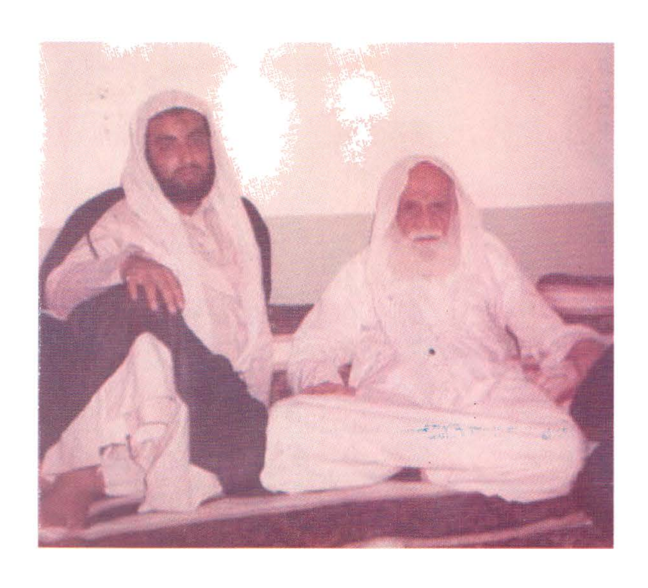


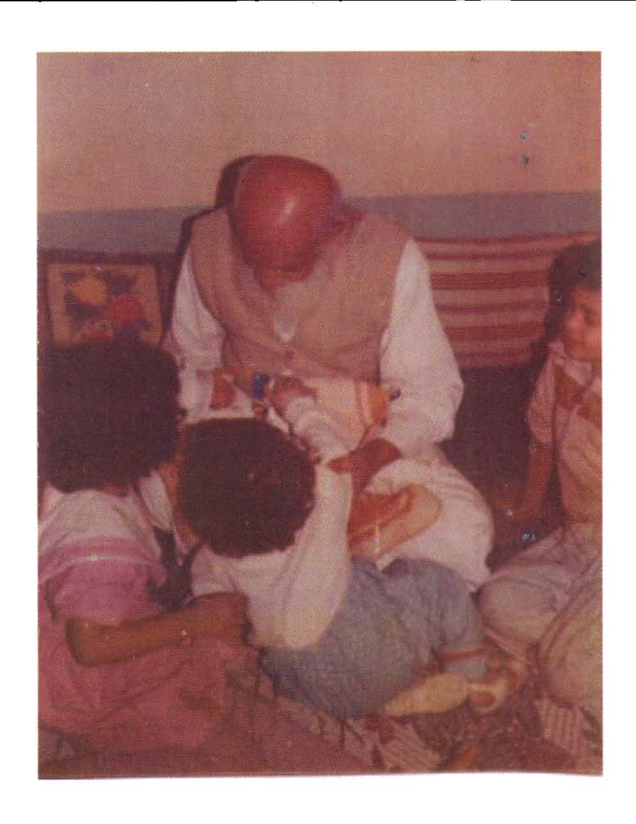





www.alyageen.org

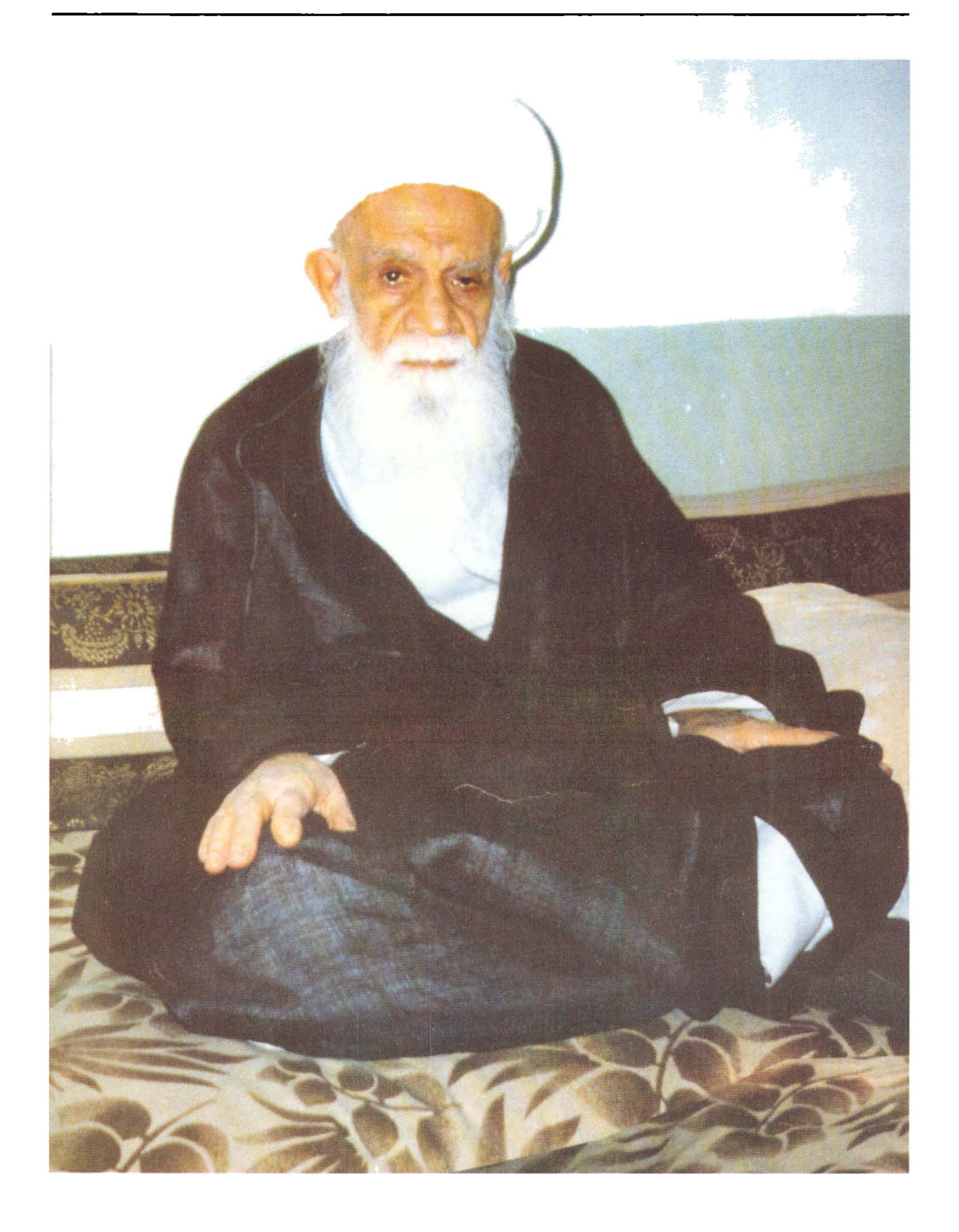








الشيخ علي زين الدين

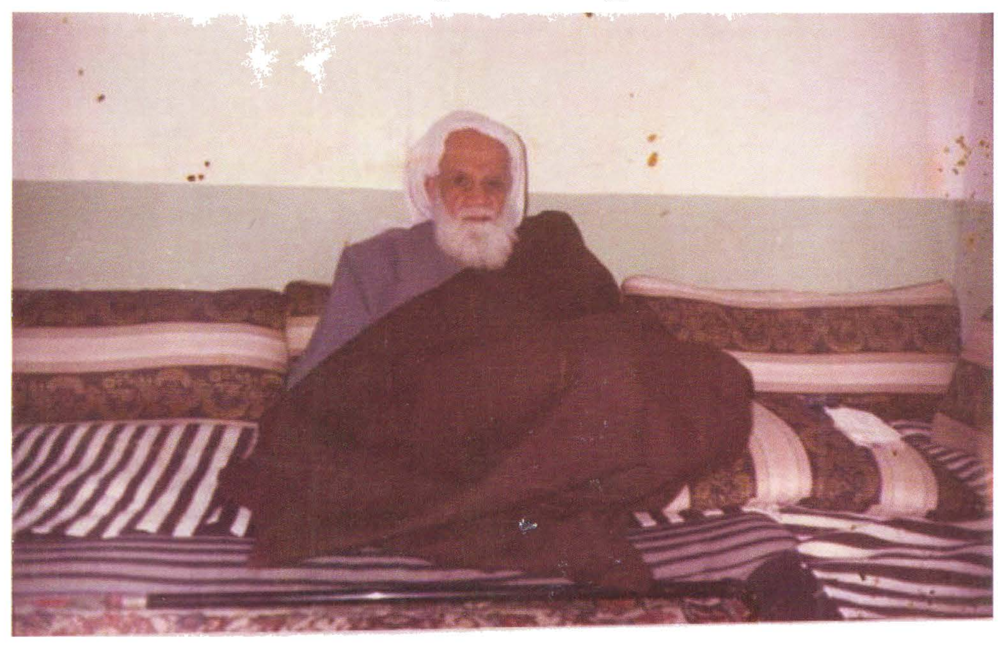




الشيخ زين الدين في سيهات

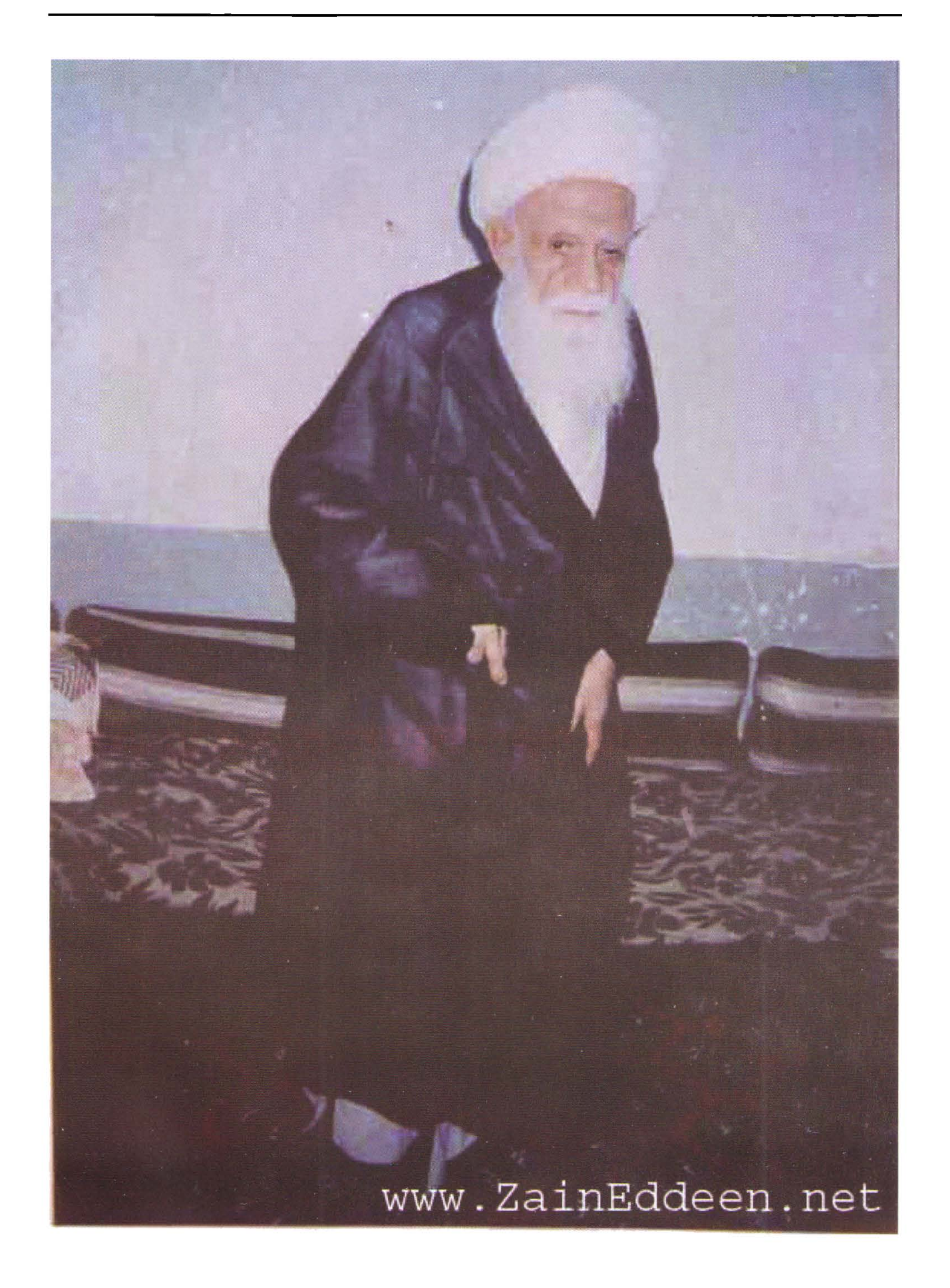


الشيخ زين الدين في سيهات



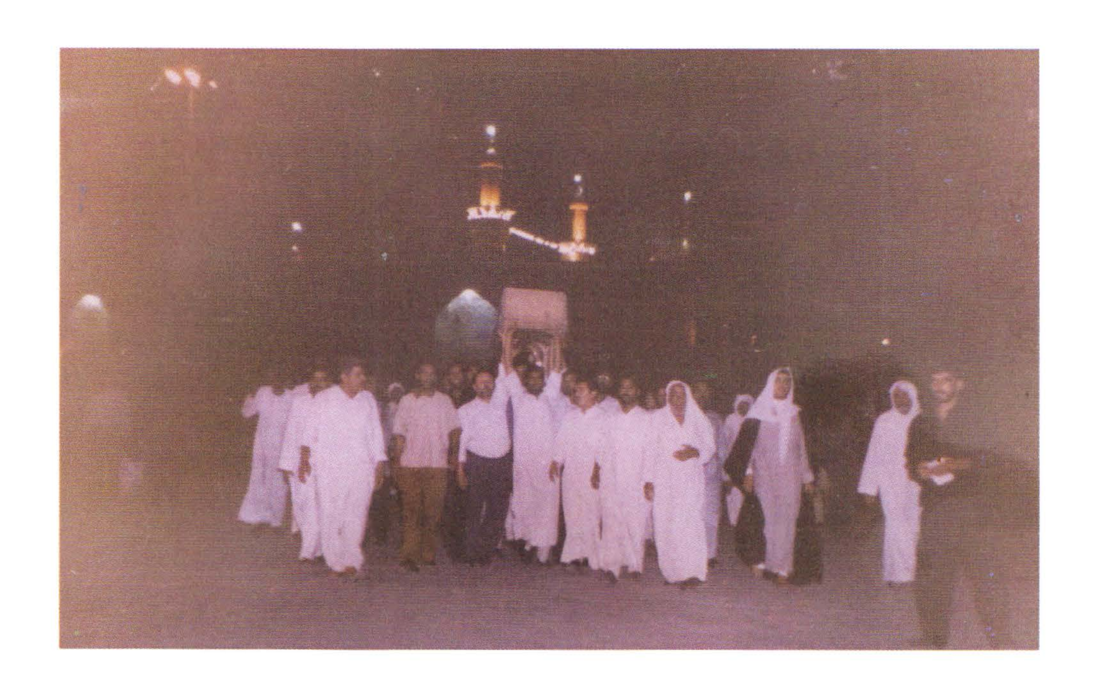


الشيخ زين الدين يتوسط الملا عطية الجمري والشيخ أحمد العصفور


www.ZainEddeen.net



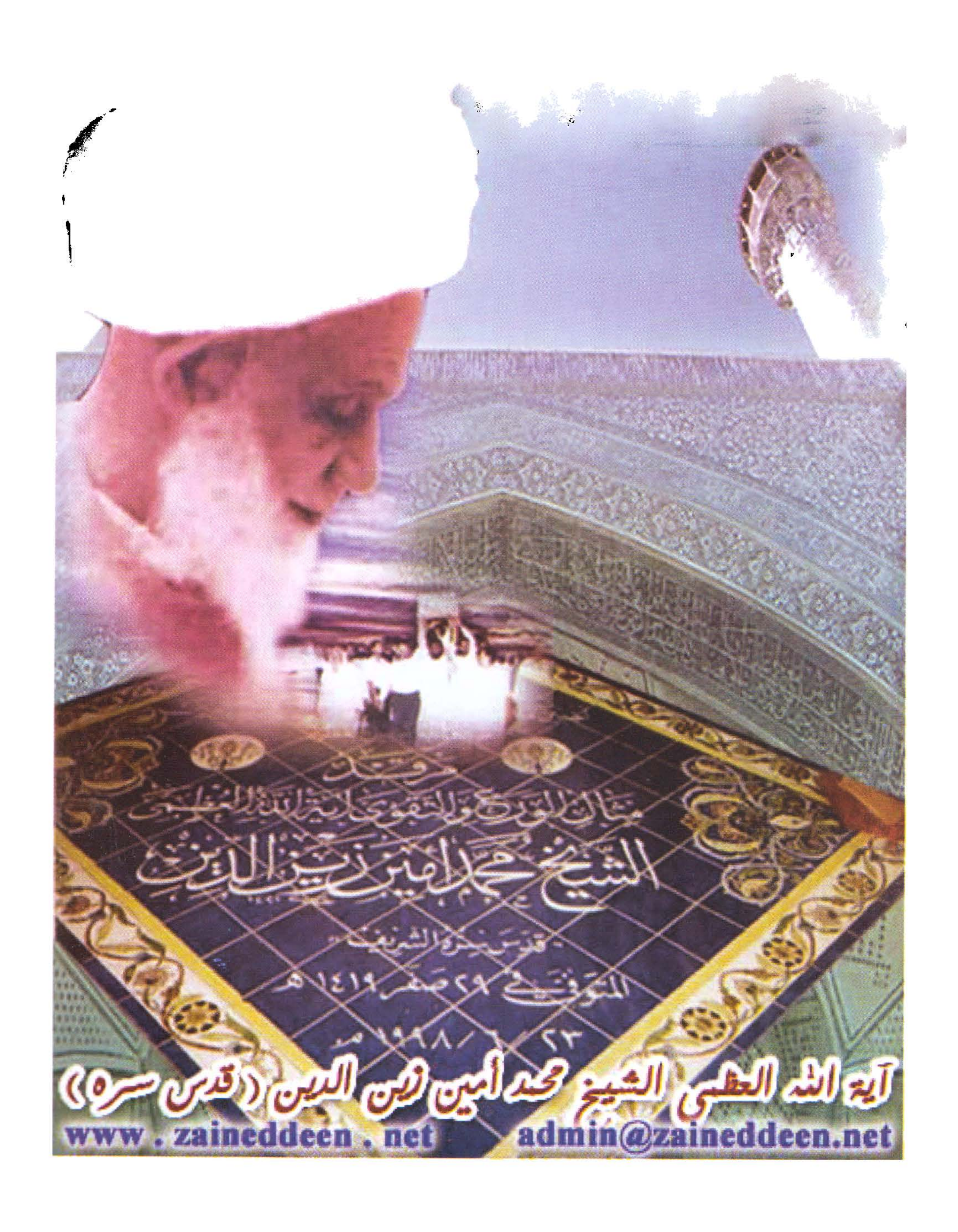
مع الشيخ عبدالحميد الخطي في القطيف








إن المتقين في جنات وعيون
مرقد
مثال الورع والتقوى لآية الله العظمى
الشيخ محمد أمين زين الدين
"قدس سره الشريف"
المتوفى في ٢٩ صفر ١٤١٩ هـ
٢٣ / ٦ / ١٩٩٨ م


مثال الورع والتقوى آية الله العظمى
الشيخ محمد أمين زين الدين
قدس سره الشريف
المتوفى في ٢٩ صفر ١٤١٩ هـ
آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين (قدس سره)
www . zaineddeen . net
admin@zaineddeen.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وجوامع صلواته وزكي
تحياته ومتواتر تسليماته وبركاته على سيدنا محمد
وآله المطهرين .

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من
أمرنا رشداً ، ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا
انك على كل شيء قدير . ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً
كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا ،
وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

اما بعد فهذه نتائج فقهية علمية حررتها
تذكرة لنفسي في غضون مراجعتي كتاب العروة
الوثقى ، أمضيت فيها ما امضيت من فتاوى
مؤلفه العظيم قده وقيدت فيها ما قيدت ،
وأبنت ما خالفته منها في الرأي ، والى الله
سبحانه ابتهل أن يقيني عثرة القلم وزلة القدم
وان ينيلني الصفة التي رجوتها من عونه والغاية
التي أملتها من فضله ، وان يتم جهودنا اخواني
في ديني . ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ،
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب
الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم
ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك
انت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم .

عبدك الفقير اليك
محمد امين زين الدين

المحتويات

المقدمة ٧
دراسات ١١
آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين ﷺ تأشيرات في حياته وآفاق فكره وعمله ... ١٣
تمـهـيـد ١٣
نَسبهُ وأسرَتهُ ١٦
ولادتهُ ونشأتهُ ١٦
بداياتهُ الدراسِيَة (المقدمات) وأساتذته فيها ١٧
المَرْحَلة العليا من السطوح ١٧
التفسير ١٨
الفلسفة والعرفان ١٨
دراساته المعاصرة ١٩
دراساته العُليا (الخارج) وأساتذته فيها ٢٠
جديته طالبا وأستاذاً ٢١
استقلالهُ واجتهادهُ ٢٢
إجازاته في الحديث ٢٢
المراحل الثلاث لحياة شيخنا رَحِمَهُ الله وعَمله ٢٢
المرحلة الأولى: دراسات ضمن مقررات الحوزة وتلبية النزوع للموسوعية . ٢٣
في اهتمامه بالأدب شعراً ونثراً وخلفياته في ذلك وبعده في طلابه ومؤلفاته . ٢٣
الشعـر ٢٤

أسلوبهُ ونَثرهُ الفني ٣٠
المرحلة الثانية: دوره التربوي والأدبي والعلمي ٣٨
درسه المنهجي ٣٨
أولاً: مجلسه الأدبي ٤١
دروسهُ في الأخلاق ٦٦
ميزان الخلق الصَحيح ٦٨
أصول العلاج عند الخلقيين ٧١
درسه في النثر الفني والفكر الإسلامي ٧٧
خطبـــه ٧٨
كلماته في المناسبات الخاصة بالمعصومين عليهم السلام ٩٠
الصراع بين الحق والباطل ٩١
حسين مني وأنا من حسين ٩٥
الحسين شريك جده صلى الله عليه وآله ٩٦
وكيف يبلغ غايته إذا هو لم يصنع ذلك؟ ٩٧
عموم الهدى يتطلب عموم التربية ٩٧
مؤلفاتهُ في المرحلة الثانية ٩٩
آثاره المخطوطة ١٠١
أسلوب في الحوار العلمي ١٠١
مراسلاتـــهُ ١١٣
الـمرحلة الثالثة: مرجعيتـــهُ ١٢١
تـمهـيـــد ١٢١
دوره في إصلاح الحوزة ودعمها ١٢٣
مؤلفاته بعد المرجعية ١٣٢
بعض اجوبته في مسائل عقائدية وبعض فتاواه ١٣٢
ملاحظتان ١٤٣
وفاتـــه وأصداؤها ١٤٥

الفقيه الشيخ محمد أمين زين الدين (ت ١٤١٩هـ) فقيه الأدباء وأديب الفقهاء.... ١٤٧
هدف البحث.. ١٤٧
أهمية البحث.. ١٤٧
طريقة البحث.. ١٤٨
خطة البحث.. ١٤٨
مصادر البحث.. ١٤٨
الحركة الأدبية في النَّجف.. ١٤٩
الأدب النجفي.. ١٥٤
شخصية الشيخ زين الدين الأدبية.. ١٦٣
نثره.. ١٦٤
نموذج من نثره الأدبي «بلال يؤذن».. ١٦٦
إطلالة على نثره من خلال النموذج.. ١٧٠
شعره.. ١٧٣
إطلالة على شعره.. ١٧٩
كتابة الرواية الشعرية.. ١٨٠
شاعرية عذبة.. ١٨٠
من كتاب الشعر التمثيلي في النجف.. ١٨١
دوره في تطوير الحركة الأدبية في النجف.. ١٨٥
المرجع الديني الشيخ محمد أمين زين الدين.. ١٨٩
كلمات في البدء.. ١٨٩
مدخل.. ١٩١
في رحاب التَّجربة.. ١٩٥
معالم المنهج.. ١٩٧
١ - الابتعاد عن التَّنافس على المواقع.. ١٩٨
٢- تجاوز الخلافات والصِّراعات.. ١٩٩
٣- تربية جيل الإصلاح والتَّغيير.. ٢٠٢
٤- التجديد الفكري والثقافي.. ٢٠٩

٥- الانفتاح على الجمهور ٢١١
ملامح من أفكاره وآرائه ٢١٥
تصحيح نظرة رجال الدين إلى الشباب ٢١٥
التديّن الانطوائي بعيد عن روح الإسلام ٢١٦
الإسلام يرفض التّمييز بين المواطنين ٢١٧
لنتجاوز الحديث عن الأمراض إلى تقديم العلاج ٢١٨
متى ترتفع راية الإسلام ٢١٩
الشَّخصيّة الإسلامية ٢٢٠
ثقافة المرأة وأدوارها الاجتماعية ٢٢٠
حرية الرأي في بلاد الإسلام ٢٢٢
التّمييز بين النافع والضّار في الحضارة الغربية ٢٢٣
الحضارة والتقدم ٢٢٤
الأقلام والكتابات الطّائفية ٢٢٤
مقاومة الظُّلم والظَّالمين ٢٢٦
الشيخ محمد أمين زين الدين: سطور من تاريخه وحياته ٢٢٧
من أساتذته ٢٢٨
من تلامذته ٢٢٨
مؤلفاته ٢٢٩
مصادر ترجمته ٢٣٠
مصادر البحث ٢٣٠
رجل العلم الديني خصائصه وموقف الأمة معه ٢٣٢
مقدمة ٢٣٣
مسؤوليات رجل العلم النقطة الأولى ٢٣٥
خصائص رجل العلم ومميزاته ٢٤٢
الإخلاص للّـه (تعالى) ٢٤٣
الاستقامة العامة ٢٤٤
الخلق الإسلامي الرفيع ٢٤٧

وعي المسؤولية ٢٤٨
مثل أعلى ومربّ ٢٥١
أن يحيا عصره ٢٥٢
السعي للنمو الذاتي ٢٥٣
أن لا يتجاوز قابلياته ٢٥٣
ضرورات العملية التربوية ٢٥٤
فضائل العلم ٢٥٦
موقف الأمة من رجل العلم ٢٥٧
العلقة إسلامية ٢٥٨
شمولية العلقة مع رجل العلم ٢٥٩
الأدب الإسلامي الرفيع ٢٦٠
العلقة والمسؤولية ٢٦٠
التواضع للعلم ٢٦١
الحرص على لحظات اللقاء ٢٦٢
التركيز على موضع الحاجة من المطالب ٢٦٣
استبعاد الشواغل ٢٦٣
عدم التكلف في الأسئلة ٢٦٤
احترام الوقت ٢٦٥
استيعاب البصائر والتحفظ عليها ٢٦٥
تحقيق المفاهيم الإسلامية في الحياة ٢٦٧
آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين ﺗﺪﺱ ﺳﺮﻩ **٢٧٣**
أ- الحديث عن الشّيخ ﺗﺪﺱ ﺳﺮﻩ، والنّجف الأشرف ٢٧٣
ب- الحديث عن أسلوب الشّيخ ﺗﺪﺱ ﺳﺮﻩ ٢٧٦
جـ- المذهب الأخلاقي عند الإمام الصادق عليه السلام ٢٧٨
معالم شخصية الشيخ محمد أمين زين الدين **٢٨١**
منهجه في دراسة الأخلاق ٢٨٨

مقالات.. ٢٩٣

زين الدين ٢٩٥

شخصية إسلامية وفقيه تحتاجه الحياة ٢٩٥

خطابه التربوي قرآني مادةً وَ طريقة ٢٩٩

والدي كما عرفته.. ٣٠١

جولة في أزقة الذاكرة ٣٠٦

ملامح من حياة كريمة.. ٣١٠

الفقاهة في تراث الشيخ زين الدين ﵀.......................... ٣١٤

رحيل العلامة زين الدين.. .... ٣٢٩

لحظة من الذاكرة... ٣٢٩

العالم الإسلامي يودع مفكراً إسلامياً ومرجعاً دينياً ٣٣٤

أضواء على المنهج العلمي للشيخ محمد أمين زين الدين ٣٣٧

الاصولية والاخبارية ٣٤١

تقليد الميت... ٣٤٤

الأعلمية ٣٤٥

العدالة ٣٤٥

صلاة الجمعة ٣٤٥

زين الدين والأخلاق العملية النظرية.. رحيل زين الدين رحيل ظاهرة أخلاقية ٣٤٨

خاطرة ولاء ٣٥٢

الشيخ محمد أمين زين الدين فقيهاً ومربياً........................ ٣٥٥

الشيخ محمد أمين زين الدين رحلة في أوراق العلم والجهاد ٣٥٧

صدى الفاجعة ٣٦٢

مولده وأسرته... ٣٦٣

أساتذته ٣٦٣

بعض طلابه... ٣٦٣

بعض مؤلفاته ٣٦٤

مرجعيته ٣٦٥

الشيخ ومحنة العراق ٣٦٦
شيء من صفاته وسجاياه ٣٦٦
وفاته وأصداء الفاجعة ٣٦٧
البحرين تدين بالكثير للشيخ محمد أمين زين الدين ٣٦٩
الغريفي: يؤلمني عدم وجود دراسات علمية في حق زين الدين ٣٧٢
زين الديــن والشــباب ٣٧٥
الشجرةُ التي احتضنتني برعماً ٣٨٣
الشيخ زين الدين النخل لا يزال يتساقط رطباً ٣٨٦
اضطلاعه بالمرجعية ٣٩٠
إضاءات في سيرة الشيخ ٣٩١
أصالة في انفتاح.. زين الدين مثالا ٣٩٣
الشيخ زين الدين والجيل الجديد ٤٠٠
كيف نستفيد من بعض تجلياته النورانية؟ ٤٠٠
مع الصادقين ٤٠٤
من فقيه الطليعة الى الطليعة المؤمنة ٤٠٨
هكذا عرفت الشيخ محمد أمين زين الدين ٤١٧
الشيخ محمد امين زين الدين قراءة في الفكر والمنهج ٤٢٠
فقـــيه الطلـــيعة ٤٢٦
آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين ٤٣٥
الفقيه الديني والأخلاقي ٤٣٥
جبل هوى.. .... ٤٣٩
الشيخ محمد أمين زين الدين رائد التجديد ومربي الجيل ٤٤٢
مقابلات ٤٤٩
ضياء الدين: الشيخ زين الدين كان أستاذ الجيل وموجهه ٤٥١
العلاقة بالبحرين ٤٥٢
الدور المرجعي ٤٥٢
الأسلوب الأدبي ٤٥٣

حصة الشباب ٤٥٤
حديث مع سماحة الشيخ محمد صالح الربيعي ٤٥٦
زين الدين الانسان ٤٥٦
الالتقاء والتباين ٤٥٧
الانشغالات الفكرية والاجتماعية والثقافية ٤٥٨
الشباب في ذهن الشيخ ٤٥٩
المدارس الفقهية ٤٥٩
دراسة نتاج الشيخ ٤٦٠
حديث مع سماحة العلامة الشيخ عبدالحسين الستري ٤٦١
قصة كلمة التقوى ٤٦٥
حديثٌ يجذِبُكَ للإسلام ٤٦٦
بداية التكليف ٤٦٧
صعوبات المراجعة والطباعة ٤٦٨
كتاب لم يرَ النور ٤٦٩
مكتبة فقهية متكاملة ٤٧٠
نسخ ومخطوطات أغلى من الذهب ٤٧٠
البحرين في وجدان الشيخ زين الدين ٤٧١
شيخ الشّباب ٤٧٢
مسجد الفتح ٤٧٣
الخوف من لقاء جعفر بن محمد ٤٧٥
عند ضريح الامام الحسين ٤٧٦
ما مشى إلى المرجعية ٤٧٦
ارتباط علماء البحرين بزين الدين ٤٧٧
نصوص شعرية ٤٧٩
لقد كنت الأمين أبا ضياء ٤٨١
رَحيلك أبكي أمْ لفقدك أندبُ ٤٨٣
يا أيها الزين الأمين ٤٨٦

إمام التقى ٤٨٨
هو الشيخ الجليل ٤٩١
يا آية الله ٤٩٣
كنت لنا الضياء أبا ضياء ٤٩٧
إلى شيخي ٥٠١
يا أخا البدر ٥٠٣
في حضرة الشمس ٥٠٦
الى الطليعي المؤمن ٥٠٩
يا صانع الجيل ٥١٣
رحلت وليسَ يحويك الأُفولُ ٥١٥
زين الدين أديباً ٥١٧
علم الهدى ٥٢٠
وإلى الطليعة قد بثت نصائحا ٥٢٢
جلَّ المصاب ٥٢٥
عاشَ عُمراً مُحمداً وأميناً ٥٢٧
لم تمت كلمة التقوى ٥٢٩
فقيه أمة أحمد ٥٣١
بيانات وتعزية ٥٣٣
ملحق الصور ٥٥١
المحتويات ٥٨٣